

# أحاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

الجزء الثاني

جميع حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

مؤسسة البلاغ  
للطباعة والنشر والتوزيع



لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب مركز التعاون الإسلامي - بناية حطيظ  
هاتف : 0096 1 3514905 - تليفاكس : 00961 1 553119

دار الواحة للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - شارع الحمراء - ص ب: ١١٣/٥٢٢٧

# أحاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

الجزء الثاني



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين..

اللهم صلّ على محمد وآل محمد..

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

[سورة النحل، آية ١٢٥]



## تقديم

الدكتور محمد علي البار

لقد تميزت تعاليم الإسلام بالسماحة مع الأديان الأخرى وخاصة مع أهل الكتاب قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>. وأباح سبحانه وتعالى للمؤمنين أن يتزوجوا من الكتابيات العفيفات (المحصنات) وأن يأكلوا من طعامهم (ما عدا الخمر والخنزير وما أهل لغير الله به) قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وعندما سألت إحدى المهاجرات وهي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها،

(١) البقرة ٢٥٦.

(٢) العنكبوت ٤٦.

(٣) المائدة ٥.

(٤) المائدة ٨.

الرسول ﷺ هل تصل أمها المشركة الوثنية التي لم تحارب الإسلام؟ نزل قرآن من السماء يتلى قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى في حق الوالدين المشركين اللذين يناوئان ابنهما ويدعوانه إلى الشرك: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٢)</sup>، فلم ينه عن معاملتهما بالحسنى بل أمر بذلك رغم جهادهما في إخراج ابنهما من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر والعياذ بالله.

وقد رويت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ في وجوب معاملة أهل الذمة بالحسنى: «ومن آذى ذمياً فقد برئ مني..» وفي رواية: «كنت خصمه يوم القيامة». وكان رسول الله ﷺ يضرب أروع الأمثلة في حسن معاملة أهل الذمة رغم كيد اليهود له ومناواتهم إياه. ومحاولة اغتياله مرات عدة بإلقاء حجر كبير وبالسم وبغير ذلك. وكان ٢ يعود غلاماً يهودياً مرض ودعاه إلى الإسلام فنظر الغلام إلى أبيه فقال: «أطع أبا قاسم» فأسلم قبل أن يموت فخرج رسول الله ﷺ متهللاً فرحاً حيث أنقذه الله به من النار.

وتزوج ٢ صفية بنت حُيي بن أخطب ألد أعدائه من اليهود، وعندما أرادت الركوب، وكانت من غنائم الحرب، وضع لها فخذه الشريف لتصعد عليها حتى ترقى إلى الناقة وأردفها خلفه، ثم تزوجها بعد انقضاء عدتها من زوجها اليهودي المحارب لله ورسوله. وقد أحسن إليها المصطفى صلوات ربي

(١) الممتحنة ٨-٩.

(٢) لقمان ١٥.

وسلامه عليه. وعندما افتخرت عليها عائشة بأنها ابنة أبي بكر الصديق وحفصة بأنها ابنة عمر الفاروق جاءته باكية فقال لها: قولي لهما: أبي هارون وعمي موسى عليهما السلام. وهي تنتسب إلى هارون عليه السلام حتى قيل عنها (صفية الهارونية) وصارت من أمهات المؤمنين في الدنيا والآخرة.

وسار الصحابة الكرام وآل البيت الأطهار على نهج المصطفى. وعندما فتحت مصر ذهب القبطي من مصر إلى الفاروق عمر في المدينة يشكوه ابن الأكرمين (ابن عمرو ابن العاص والي مصر) الذي ضربه بسوط بعد أن سبقه القبطي. فما كان من عمر إلا أن استدعى عمرو بن العاص وابنه. وأمر القبطي بضرب ابن الأكرمين وقال لعمرو قولته المشهورة: «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا».

ودخل الناس في دين الله أفواجا. وكان سلمان الفارسي حاكماً في عهد عمر على فارس وخراسان فكان القدوة في الزهد والعفة وحسن الخلق حتى أسلم الآلاف على يديه، وعلى يد أتباعه.

وعندما بدأ عهد الأثرة والملك العضوض كان الظلم يستشري على طوائف الأمة ويمسّ من حين لآخر أهل الكتاب. حتى أن الجزية التي كانت مفروضة عليهم كانت تقام على من أسلم، فلما جاء عمر ابن عبد العزيز الخليفة العادل أبطل ذلك الإجراء المقيت فأخبره الولاة أن بيت المال سينكسر (أي يصاب بالعجز) فقال قولته المشهورة: «إن الله بعث محمداً ٢ هادياً ولم يبعثه جايياً» فدخل الناس مرة أخرى في دين الله أفواجا حتى أن رئيس النصارى في مصر كان يقول عن عمر ابن عبد العزيز إنه الدجال الأكبر لأن الناس قد تركت دينها ودخلت في هذا الدين الجديد.. وأن ظلم بني أمية السابق خير من عدل عمر، فقد كان الظلم يمنع كثيرين من دخول الإسلام، أما عدل عمر فقد أدى

إلى خلو الكنائس، وبالتالي فقدان البطارقة نفوذهم وسلطانهم.

ورغم ذلك فقد كان وضع أهل الكتاب أفضل بكثير من طوائف عدة من المسلمين. ومنذ عهد معاوية عند بدء الملك العضوض وإلى انتهاء دولة الخلافة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ومحمد رشاد اللذين عزلتهما حركة الاتحاد والترقي في تركيا الحديثة على يد كمال أتاتورك (إنهاء الخلافة عام ١٩٢٤)، كان معظم أطباء الخليفة أو السلطان من اليهود أو النصارى أو الصابئة. كما كان المستشار المالي أو وزير المالية منذ عهد معاوية إلى الوقت الراهن للحاكم في كثير من البلاد العربية والإسلامية إما يهودياً أو نصرانياً. كما تولى الوزارة الكبرى عدد من هؤلاء اليهود والنصارى والصابئة.

ومن هؤلاء اليهود الذين تولوا الوزارة يعقوب بن كلس الذي وزر للمعز لدين الله الفاطمي ثم لابنه عبد العزيز (وفاته ٣٨٠هـ / ٩٩١م)، وابن النغيلة في الأندلس الذي وزر هو وابنه في دول الطوائف حتى وصلت الوقاحة بالابن أن يسب الإسلام ورسول الإسلام، ويؤلف في ذلك الكتب والرسائل. مما دفع ابن حزم إلى الرد على وقاحته وأن تثور العامة ضده. ومن آخرهم الوزير جوزيف أصلان قطاوي الذي تولى وزارة المالية في مصر سنة ١٩٢٤ وفي العراق تولى عدد من هؤلاء اليهود الوزارات. وأما النصارى الذين تولوا الوزارات والمناصب الهامة في الدولة فلا يعدون كثرة.

وإذا نظرت اليوم إلى قائمة أسماء الوزراء في معظم الدول العربية فلا شك أنك ستجد واحداً أو اثنين على الأقل في كل وزارة، وستجد منهم نائباً لرئيس الوزراء. أما لبنان فلا بد أن يكون رئيس الجمهورية مارونيا حسب اتفاق تم عند الاستقلال. وأما الحبشة وأريتريا ذات الغالبية المسلمة فإنهما تحكمان من قبل النصارى، وهذا كله يدل على سماحة الإسلام وعلى تساهل

المسلمين في كثير من الأحيان حتى خرجوا عن حد العدل وأضرّوا بدولة الإسلام حين سلّموا المناصب الهامة في الدولة لغير المسلمين. والإسلام لا يدعوهم إلى جعل المسلمين تحت حكم غير المسلمين حتى قال الشاعر:

يهود هذا الزمان قد بلغوا      غاية آمالهم وقد ملكوا  
العزُّ فيهم والمال عندهم      ومنهم المستشار والملكُ  
يا أهل مصر إني نصحت لكم      تهودوا، قد تهود الفلكُ

وكان لكل طائفة من هذه الطوائف حريتها الدينية الكاملة، بل وكانت الطائفة تختار رئيسها، وعادة ما يوافق عليه الخليفة، ويصدر مرسوماً بذلك، ويعطيه الخليفة أو السلطان صلاحيات كاملة. ليس فقط في النظر في الشؤون الدينية للطائفة بل أيضاً في النظر في شؤونها الأخرى. ويحق لهم التقاضي لديه أو لدى من ينوبه، ويجعل الخليفة أو السلطان لهذا الرئيس شرطة وسجناء، وله حق تنفيذ الأحكام بين أبناء طائفته دون الرجوع إلى المحاكم الإسلامية.. ولم يكن الجاؤون (رئيس اليهود) أو رئيس البطارقة (رئيس النصارى) يدين بالولاء والخضوع لأحد سوى الخليفة أو السلطان.. ومع هذا فيحقُّ لأبناء الطائفة أن يتحاكموا إلى القضاء الإسلامي إذا أرادوا ذلك. وهذا كله قد حدث في عهد الرسول ﷺ. قال تعالى عن اليهود الذين جاؤوا يتحاكمون إلى رسول الله ﷺ طمعاً في أن يخفف عنهم بعض الأحكام الموجودة في كتابهم ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) المائدة ٤٢-٤٣.

وهكذا كان لليهود والنصارى نوع من الحكم الذاتي داخل إطار الحكم الإسلامي العام. وهو ما لم يحصل عليه المسلمون اليوم عندما يعيشون كأقليات، بل ويحاربونهم عندما يريدون تطبيق حكم الشريعة ولو كانوا هم الأكثرية، ففي نيجيريا حملة شعواء لأن بعض الولايات الفيدرالية التي تتمتع بالأغلبية الإسلامية الساحقة، قد اختارت تنفيذ حكم الشريعة على المسلمين. وفي السودان حرب شعواء يقوم بها جارتج وأتباعه ومن ورائه الدول الغربية لأن الدولة تريد تطبيق حكم الشريعة على المسلمين. وتسمح للمسيحيين بأن يتحاكموا إلى أي قانون يرضونه.. أما في تركيا فقد طردت عضوة في البرلمان بعد فوزها في الانتخابات لمجرد لبسها منديلاً على رأسها، وحل حزب السلامة وحزب الرفاه لكونهما أحزاباً تدعو إلى الإسلام بصورة عامة وإن كانت تقبل العلمانية، وما حدث في الجزائر من انقلاب على الانتخابات التي فاز فيها المسلمون، وما تلاها من مذابح مروعة دبرتها الطغمة العسكرية المعادية للإسلام (اللائكية) والتي لا تزال الجزائر تعاني منها. والوضع مشابه في أماكن كثيرة بصور مختلفة، تتراوح بين العلمانية والأتاتوركية المتشددة في أي طرح ديني، إلى أوضاع تدعي الإسلام وتحاربه في نفس الوقت.

والغريب حقاً أن سماحة المسلمين مع أهل الكتاب لم تطل الفرق الإسلامية المختلفة، منذ ظهور الخوارج الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، كما قال خير البرية، وهم يقتلون أهل القرآن ويدعون أهل الصلبان. وكانوا يمتحنون الصحابة وأبناءهم، ويسألونهم عن عثمان وعلي رضي الله عنهما؟ فإن قالوا فيهما خيراً قتلوهما وإن سبّوهما ولعنوهما وتبرأوا منهما تركوهم. وإن رأوا يهودياً أو نصرانياً قالوا هذا من أهل الذمة فتركوه بل قاموا بإيصاله إلى مأمّنه وهم يتلون قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ

الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلغُهُ مَا مَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، ومنذ تحول الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض كم سالت من دماء المسلمين؟ وكم قُتلت وأزهقت الأنفس الزكية؟ ولم يقع ذلك قط على أهل الذمة من اليهود والنصارى والصابئة، بل ولا حتى المجوس الذي سنّ المسلمون بهم سنة أهل الكتاب.

وتمترس الحكم بمقولات ضد الفئات المناوئة وأوجد أعواناً من بعض علماء السلطان، يزينون له محاربة المناوئين وإيذاءهم وظلمهم باعتبارهم مبتدعة!! وقامت كل فئة نتيجة ما حاق بها باتهام الآخرين بمثل ما أتهمت به. وتبادل المسلمون الشتائم والتكفير والتبديع والتفسيق. وظهرت الفلسفة وجاءت ردود الفعل وازدادت الانقسامات. وظهرت الجهمية والمعطلة والمعترلة.. ولم يكتف أولئك بأقوالهم، ولكن ما أن استطاع المعتزلة الوصول إلى الحكم، حتى أغروا المأمون بإيذاء الآخرين زاعمين أنهم هم أهل العدل والتوحيد، وأن ما عداهم أهل الفسق والبدعة والضلالة. ووصل الأمر إلى مداه بامتحان أئمة أهل السنة حتى وصل الأمر إلى أحمد بن حنبل فوقف وقفته تلك، وتحمل ضرب السياط، وتعذيب السجن والضرب والإهانة.. واستمر البلاء زماناً طويلاً، على آخر عهد المأمون ثم المعتصم ثم المقتدر، ثم تحول الأمر إلى اضطهاد للمعسكر البادئ بالظلم منذ عهد المتوكل.

وازدادت الفتنة قتامة حتى أن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح المشهور، لم يستطع أن يدخل بخارى، ومات محاصراً في قرية خرتنك، وهم يتهمونه بالبدعة والمروق من الدين!! وكذلك فعلوا بالإمام بن جرير الطبري صاحب التفسير المشهور وصاحب التاريخ المرجع، ومات

(١) التوبة ٦.

في بيته محصوراً، ولم يتمكنوا من دفنه، حيث ثارت العامة المتعصبة لمذهب الإمام أحمد، فدفنوه في بيته.

وكانت الفتن بين الحنابلة والأحناف، ثم انتقلت إلى الحنابلة والشافعية، وكل فرقة تفسق الأخرى وتبدعها، فأهل الحديث ومتعصبة الحنابلة يرمون الأحناف بأنهم ماتريديّة، ويرمون الشافعية بأنهم أشعرية، وكلاهما عندهم مبتدعة. والأحناف والشافعية يرون متعصبة الحنابلة مجسّمة مثل اليهود!! واختلفوا في زواج الحنفي أو الشافعي للحنبلية، وقال الحنابلة لا يجوز ونعاملهم مثل اليهود والنصارى، فيجوز للحنبلي أن يتزوج شافعية أو حنفية، ولكن لا يجوز للشافعي أو الحنفي الزواج من حنبلية.. واستمرت المعارك دهوراً طويلاً ثم أذن الله بانفراج الغمة وانقشاع الفتنة، وقبل الحنابلة بالمذاهب الأخرى كما قبلت المذاهب الأخرى مذهب الإمام أحمد. وإن بقيت مسائل العقيدة تثار إلى اليوم. ولا يقبل من الشافعية ولا الأحناف أقوال الأشاعرة والماتريديّة. ويرى السلفيون ذلك كفراً أو على أقل تقدير بدعة وفسوقاً.. والآخرون يرونهم بنفس النظرة ويقولون عنهم هؤلاء مجسّمة مشبّهة يجعلون لله حيزاً ومكاناً.

وانقسم المسلمون كذلك في ولائهم للصحابة رضوان الله عليهم. واتهم الخوارج الجميع ما عدا الشيخين أبي بكر وعمر، وقتلوا كل من خالفهم.. وبالغ بعض أهل السنة في بغض آل البيت رغم ورود الأحاديث الكثيرة الحاثّة على موالاته آل البيت ومحبتهم ونصرتهم، حتى أن الإمام الحاكم صاحب (المستدرک) قد اتهم بالتشيع، وأوذى في ذلك.

كما أن الإمام النسائي ضرب حتى الممات بسبب إيراده حديثين في معاوية بن أبي سفيان.. بل إن الإمام الشافعي اتهم بالتشيع وكاد يفقد حياته

بسبب ذلك، ولولا محمد بن الحسن لقتله الرشيد، وأما الإمام مالك فقد أدت فتواه (ليس على مكره طلاق) إلى ضربه وخلع كتفه وإصابته بسلس البول حتى ترك الصلاة في المسجد. وأما الإمام أحمد فقد أُتهم بموالاته للإمام علي لكثرة ما أورد في المسند من أحاديث في فضله، وأما الإمام أبو حنيفة فقد كان لتأييده ثورة الإمام زيد بن علي زين العابدين أبلغ الأثر في نهاية الدولة الأموية، ثم لما جاءت الدولة العباسية أنكر على السفاح والمنصور سفكهما الدماء البريئة وظلمها، ووقف ضد هذه الدولة الظالمة التي حاولت أن تغريه بمنصب قاضي القضاة، فأبى عليهم فسجن وضرب وعذب حتى مات شهيداً.

وتعددت فرق السنة وفرق الشيعة، وظهرت الصوفية بفرقها العديدة وطرقها المتكاثرة، كما ظهرت الدعوة السلفية، وكل فرقة من هؤلاء تفسق وتبدع الأخرى، ويصل الأمر في كثير من الأحيان إلى تكفير الآخرين، بزعم أنهم الفرقة الناجية وما عداهم حطب جهنم، وتستخدم في الحرب العنيفة بين الفرق المختلفة الادعاءات والأكاذيب.. وكل فرقة تفتري على الأخرى ما لم تقله، أو يؤول كلامها بحيث يصبح كفراً بواحاً أو على أقل تقدير فسوقاً وخرجاً عن جادة الطريق وسواء السبيل.

وتأججت نار العداوة حتى أُصيبت الأمة بعذاب الفرقة وما يستتبعه ذلك من ذهاب الريح والفسل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وجعل المولى سبحانه وتعالى من أنواع العذاب الذي يصبه على من خالف الجادة ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فبدأت الأمة في الانهيار، واجتاحها الصليبيون ثم التتار، ولما عادوا إلى الألفة والوحدة نصرهم الله على

(١) الأنفال ٤٦.

(٢) الأنعام ٦٥.

أهل الصليب والمغول.. ولكن الفتن عادت فطُرد المسلمون من الأندلس.. ثم وقعت أراضيهم واحدة تلو الأخرى فريسة للاستعمار الأوروبي.

ثم كانت الطامة في عصرنا بظهور دولة إسرائيل وطرد أهل فلسطين من ديارهم وتشيتتهم في أركان المعمورة.. والعرب والمسلمون سادرون في غيهم، مستمرين في معاركهم، غافلون عن أعدائهم حتى أصبحوا لا حراك لهم، والمسجد الأقصى يناديهم.. والقدس تصرخ فيهم ولا معتصم هناك.. والأطفال والنساء والشيوخ يقتلون ويذبحون على مرأى العالم ومسمعه.. والليل مد لهم والخطب جلل، ولا يزال كثير من الشباب المتدين وشيوخهم مشغولين بتكفير الفرق الإسلامية الأخرى وتبديعها وتفسيقها، تاركين العدو يمرح ويسرح في أرض الإسراء والمعراج.. وهم في معاركهم الدون كيشوتية يقاتلون طواحين الهواء، ويركزون كل جهودهم في تبديع هذه الفرقة، وتفسيق تلك الأخرى، وإخراج الثالثة من دائرة الإسلام بأكمله. واليهود والنصارى يستعبدون أرض المسلمين ويستغلون خيراتها، وهم سعداء في معاركهم الوهمية بأنهم في سبيل الله يجاهدون، تاركين إخوانهم فريسة لشذاذ الآفاق وعباد العجل وأتباع السامري.

ولا بد من إعادة لُحمة الأمة والارتفاع فوق الخلافات والحزازات والنعرات، وتناسي مآسي الماضي واختلافاته حول هذه القضية أو تلك، فما تعانيه الأمة ينبغي أن يدفعها إلى لمّ شعثها، ومداواة جروحها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق المختلفة، التي تقر كلها بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.. والتي تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، والتي تقيم أركان الإسلام الخمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وتقيم الصلاة، وتؤتي

الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.. قبلتنا جميعاً واحدة، ووجهتنا وعبادتنا لله وحده. فلا مجال إذن للاختلاف على الفروع.

والرسول ﷺ كان يقبل من الأعرابي إسلامه بالشهادتين وبإقراره بمبادئ الإسلام. ولا يطلب منه سوى ذلك. ولم يكن يسألهم عن تفاصيل صفات الألوهية، وصفات الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، فهي كلها داخلة في الشهادتين، وفيما يتلونه من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وما يجمع المسلمين بفرقهم المختلفة أكثر بكثير مما يفرقهم، ولكن الشيطان يغريهم بالعداوة والبغضاء والبحث عن أوجه الخلاف حتى يمزقهم كل ممزق، ويجعلهم لقمة سائغة لأولياءه من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان وعبدة الشيطان.

وممن انتهض لمهمة إذكاء روح الأخوة والمحبة بين فرق المسلمين الشيخ حسن بن موسى الصفار الذي ولد في مدينة القطيف من المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م. فقد جعل الشيخ حسن، زاده الله علماً وخلقاً، كل همه منذ حداثة سنه وميعة صباه، أن يدعو إلى الله بالموعظة الحسنة، وأن يزيل قدر المستطاع تراكمات الحزازات والإحن من القلوب بين طائفتين من طوائف المسلمين اقتتلا طويلاً، وتعادتا عبر الأزمان والقرون المتطاولة.. وهما طائفة الشيعة الإمامية الجعفرية وطوائف السنة.

واستمعت إلى خطبه العديدة في المناسبات والجمع وفي عاشوراء مسجلة، وقرأت كثيراً من كتبه فوجدت علماً وخلقاً، وتبصيراً لمن يستمع إليه بأخلاق المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه. وأخلاق آل بيته الكرام.

وكيف كانوا في القمة من السماحة ولين الجانب والعفو عن ظلمهم. فهذا هو الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه، يدعو الخوارج الذي أغلظوا له القول إلى الجادة بالحكمة والموعظة الحسنة، بل ويسمح لهم بالإصرار على موقفهم الظالم والخاطيء، طالما أنهم لم يسفكوا الدم الحرام.. فلما سفكوا الدم الحرام قاتلهم، ولكن لم يجهز على جريحهم ولم يستعبد أسيرهم، ولم يأخذهم وأموالهم غنيمة، بل عاملهم معاملة أهل البغي، كما فعل في كل حروبه «فهم إخواننا بغوا علينا» .

وتحدث عن موقف الحسين بن علي ربحانة رسول الله ﷺ والذي قال عنه ﷺ أنه سيد شباب أهل الجنة هو وأخيه الحسن ﷺ. وكيف تنازل الحسن ﷺ عن الخلافة لمعاوية مع يقينه أنه هو الأجدر والأحق بها، ولكنه فعل ذلك كله من أجل حقن دماء المسلمين وإقامة الصلح بين الفتتين.

وعندما سُمَّ الحسن وتقطعت أمعاؤه بفعل السم سأله أخوه الحسين عمن سمه فأبى أن يصرِّح باسمه حتى لا يثير فتنة.. وكذلك أوصى أخاه الحسين بأن يدفنه عند جده بعد أن أذنت السيدة عائشة إلا إذا أبى مروان وثارَت الفتنة، وطلب من أخيه أن لا تسفك فيه محجمة دم، وقَبِلَ أن يدفن بالبقيع، وفعل الحسين ذلك وآل بيته على مضض.

وكيف كانت أخلاق الحسين ﷺ، ثم كانت أخلاق علي زين العابدين، وماذا فعل لمن سبَّه وشتمه. ألم يعامله بالحسنى ويكرمه بالعطاء ويدعو له بالخير؟ وكذلك فعل محمد الباقر الذي بقر العلم، ثم جعفر الصادق الذي نشره في آفاق الأرض.. ثم موسى الكاظم الذي كظم غيظه وصبر على الأذى والحبس والظلم. ولم يكن منه إلا العطاء والبذل لكافة المسلمين والنصح لهم.

وهكذا في العترة كلها. فما أجدر أتباعهم أن يتخلّقوا بأخلاقهم، ويسيروا على هديهم ويقولوا بقولهم. فما عرف من أحد منهم قط أنه كان سبّاباً، بل تحمّلوا الأذى والسباب وسوء الخلق بتلك الأخلاق النبوية العالية، وكانوا منارات هدى ودعاة وحدة، وصبروا على الضيم حتى لا تتفرق الأمة وتتمزق كل ممزق. فكيف يدّعي من أتى بعدهم وانتسب إليهم أنه منهم وهو سبّاب لعنّان؟ ما هذه طريقتهم ولا هذه دعوتهم بل هم دعاة هدى ومنارات للوحدة والوئام.

وهكذا بذل الشيخ حسن الصفار جهده وعلمه في توضيح طريق الأئمة وجهادهم وصبرهم ورفيع أخلاقهم، وحرصهم على وحدة الصف، ولمّ الشعث، ووحدة الكلمة، مع ترفعهم عن السباب واللعان والصخب والممارة. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(١)</sup>. ثم إن معركتنا اليوم مع يهود وأشياعهم لا تسمح لأحد بأن يصرف أي جهد سوى في استنقاذ الأقصى من براثن هذه الطغمة الفاسقة الفاجرة. وهذا لا يعني أن الخلافات بين الفرق الإسلامية ستزول بين ليلة وضحاها.. ولكن المطلوب هو الالتقاء على ما يجمع ويقرب لا البحث عن نقط الاختلاف وتوسيع شقة الخلاف. وما يجمع فرق المسلمين كثير كثير..

والغريب حقاً أن رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي والأزهر الشريف قد أقامت حواراً بنّاءً مع الفاتيكان، بل وتعاونت معهم تعاوناً وثيقاً في مواجهة مؤتمر السكان العالمي، الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٩٤، والذي يدعو في بنوده وقراراته إلى إباحة الفاحشة بكل أنواعها، وإلى اعتبار الزنا واللواط (الشذوذ الجنسي) من الأمور الشخصية العادية. بل

(١) الفرقان ٦٣.

اعتبر حياة رجل مع رجل كما يعيش الرجل مع زوجته أسرة، وخاصة إذا تبناوا طفلاً، وكذلك معيشة المرأة مع المرأة، أو معاشرة رجل وامرأة خارج نطاق الزوجية.. وأصبحت أجهزة الإعلام تتحدث عن المثليين (المقصود الشاذين جنسياً) من الرجال والنساء وحقهم في ذلك.. وحق الأطفال في المعاشرة الجنسية مع الكبار، ومنع الزواج قبل سن الخامسة والعشرين حتى ينتشر التن والعضن.. والسماح بالإجهاض حسب الطلب.. وفرض العقوبات على الدول التي تخالف هذا التن، فلما تعاون الفاتيكان مع الهيئات الإسلامية من السنة والشيعية، استطاعوا أن يبطلوا هذه القرارات، وأن يفشلوا مؤتمر السكان في القاهرة، ومؤتمر المرأة في بكين..

وهكذا كان لهذا التعاون بين الفاتيكان (قيادة الكاثوليك في روما) والكنائس الأرثوذكسية التي تبعت الفاتيكان بعد ذلك من جهة، وبين المنظمات الإسلامية الرسمية وغير الرسمية، مثل الأزهر ورابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومجموعات رسمية من إيران من جهة ثانية، كان لهذا التعاون أبلغ الأثر في إيقاف الهجوم الكاسح الذي كانت تنظمه الهيئات والدول العلمانية على الأخلاق والقيم.

فإذا أمكن إيجاد تعاون بناء بين المسلمين والفاتيكان فلماذا لا يمكن أن يتم مثل ذلك التعاون وأكثر بين فرق المسلمين المختلفة؟

إن العقلاء وعلى رأسهم الشيخ حسن بن موسى الصفار يدعون لذلك. ويرون أن لا سبيل لنهوض الأمة وسلامتها من أمراضها وكبواتها سوى بهذا التعاون، وهذه الروح الخلاقة التي تدعو إلى السلم والوثام بين فئات المسلمين، ونبذ الفرقة والخصام، والالتفاف حول ما يجمع، والابتعاد عن كل ما يفرق.

وليس معنى هذا أن الخلافات بين المذاهب ستزول، ولكن معنى ذلك أن نتجاوز هذه الخلافات إلى ما يجمع وهو كثير.. وأن ندع للزمن أن يزيل أوجه الاختلاف تدريجياً. وعلى الجانبين أن يتعدا تماماً عن السب والتكفير والتفسيق.. وإذا كان الرسول ﷺ وآل بيته الكرام وصحبه الأعلام هم القدوة والمثل الأعلى، فعلى الجميع أن يستنّ بسنتهم ويهتدي بطريقتهم، فلم يكن أحد منهم سبباً ولا لعناً بل كان العفو وجميل الأخلاق شيمتهم، ﴿ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>. والجميع مطالب بذلك، وأن يُسمح للسنة بممارسة كافة أوجه نشاطهم في إيران، كما يُسمح للشيعه في المناطق الأخرى التي هم فيها أقلية بمثل ذلك. وأن يعامل الجميع بالعدل والإحسان. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والله أسأل أن يجمع القلوب على محبته وطاعته، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

جدة:

بتاريخ: ١٦/٦/١٤٢٢ هـ

الموافق: ٤/٩/٢٠٠١ م

(١) فصلت ٣٤.

(٢) النحل ٩٠.



## أول الحديث

هل الخطاب الإسلامي ثابت موحد في مختلف الظروف والمجتمعات؟  
أم أن تغير الزمان والمكان ينعكس أثرهما على هذا الخطاب؟  
لاشك أن القيم والمبادئ الإسلامية في جوهرها تمتلك صفة الثبات  
والدوام، لكن الخطاب الإسلامي يعني منهجية وأسلوب طرح تلك القيم  
وعرضها على الناس.

ولتفاوت مستوى الناس، واختلاف الظروف التي يعيشونها، لا بد أن يتغير  
الخطاب ويتنوع، من حيث أولويات التركيز والمعالجة، وأسلوب الطرح  
والتناول.

فالتخاطب مع الجمهور يختلف عنه مع النخبة العلمية، والحديث وسط  
تجمع ديني ملتزم، يختلف عنه ضمن وسط غير ملتزم دينياً. وأجواء الحرب  
والقتال تفرض لغة معينة للتعبئة والتحريض، بينما تقتضي الظروف الطبيعية  
لغة أخرى.

ولكل مجتمع مشاكله النابعة من طبيعة أوضاعه وواقعه، كما لكل عصر  
قضاياها الناتجة من مستوى تطور الحياة فيه. ولا يصح أن يتجاهل الخطاب  
الديني تلك المشاكل والقضايا، أو أن يعالج مشكلة لا وجود لها في ذلك

العصر أو المجتمع.

صحيح أن هناك قدراً مشتركاً من القضايا والحاجات الفكرية والسلوكية بين المجتمعات، لكن هناك تمايزاً أيضاً، يفرضه اختلاف الظروف والأوضاع. وحتى في القضايا المشتركة التي يحتاج كل مجتمع في كل عصر لمعالجتها، كالمسألة العقدية، فإن منهجية الطرح وأسلوبه قد تختلف من عصر إلى آخر، ومن مجتمع إلى سواه.

وفي حديث القرآن الكريم عن خطاب الأنبياء والرسول لأممهم وأقوامهم خير شاهد ودليل، فهم جميعاً يدعون إلى توحيد الله تعالى وعبادته، لكن نقطة التركيز، ومحورية الطرح، قد تختلف من نبي لآخر، حسب اختلاف أوضاع الشعوب والمجتمعات.

فنبى الله إبراهيم عليه السلام يركز في خطابه لقومه على وثنيتهم وعبادتهم للأصنام، حسبما تكرر ذلك في موارد عديدة من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾. الشعراء

أما نبى الله موسى عليه السلام فقد تصدى من بداية دعوته، وفقاً لما يسجله القرآن الكريم في أكثر من مشهد، لمواجهة استبداد فرعون وطغيانه. كقوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾. النازعات.

ورغم وجود الأصنام والأوثان في عصر نبى الله موسى عليه السلام كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى

أَصْنَامٌ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١﴾  
إلا أن اهتمام الدعوة كان منصباً على مواجهة فرعون واستبداده.

بينما نجد في رسالة نبي الله لوط ﷺ اهتماماً أساسياً بمقاومة الشذوذ الجنسي، والفساد الأخلاقي، باعتباره انحرافاً سائداً في المجتمع آنذاك. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ طَآءِذٌ لِّقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٢﴾..

وفي مواجهة الفساد والظلم الاقتصادي الشائع لدى قوم مدين ركزت دعوة نبي الله شعيب ﷺ على العدالة الاقتصادية ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتُكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴿٣﴾.

إن هذا التنوع في محاور التركيز والاهتمام في دعوات الأنبياء ﷺ لا تفسير له إلا اختلاف الظروف الاجتماعية التي انبثقت رسالاتهم في محيطها، واستوجبت أن يتصدى كل نبي للقضية الأهم، والمشكلة الأبرز في عصره ومجتمعه.

بل قد يتنوع الخطاب من قبل النبي الواحد عند اختلاف الظروف التي يعاصرها، فنبي الله موسى ﷺ كان تركيز دعوته في بدايتها على مواجهة استبداد فرعون وطغيانه، لكنه بعد هلاك فرعون، وخلص بني إسرائيل من ظلمه وسطوته، اتجه خطابه الرسالي إلى معالجة الثغرات ونقاط الضعف، في

(١) الأعراف.

(٢) الأعراف.

(٣) الأعراف.

بنية المجتمع الإسرائيلي.

ونجد ذلك أيضا في خطاب الرسالة الإسلامية، حيث تنقسم سور القرآن وآياته إلى قسمين: مكّي ومدني. والملحوظ أن هناك تفاوتاً وتمييزاً بين ما هو مكّي وما هو مدني. لجهة نوع القضايا المطروحة، وأسلوب الخطاب.

وقد اجتهد العلماء في بحث جهات التمايز، بين المكّي والمدني، ووضع ضوابط وقواعد تنتظمها. يقول الزركشي: «إن كل سورة فيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وليس فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهي مكية. وفي الحج اختلاف. وكل سورة فيها ﴿كَلَّا﴾ فهي مكية. وكل سورة أولها حروف المعجم فهي مكية. إلا البقرة وآل عمران. وفي الرعد خلاف. وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة. وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت.

وقال هشام -الكلبي- عن أبيه: كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية. وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية»<sup>(١)</sup>.

ويؤكد الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني على مراعاة النص القرآني للبيئة البشرية التي كان يتنزل فيها، يقول: «ونلاحظ أن أسلوب الآيات القرآنية في بيئة العهد المدني قد اختلف عن أسلوبها في بيئة العهد المكّي، فقد صارت البيانات الدينية تجمع في آيات طوال، وسور طوال، وصار فيها لجوء إلى التفصيل لما كان في العهد المكّي مجملاً، والى بيان الجزئيات التي كان يطوى الكثير منها في أسلوب العهد المكّي. وصار أسلوب العهد المدني يراعي طرائق تفكير البيئة المدنية التي فيها ثلاث قبائل من أهل الكتاب اليهود... وباستطاعة متدبر كتاب الله تمشياً مع مراحل التنزيل أن يكشف

(١) الزركشي: محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار الجيل - بيروت ١٩٨٨م، ج ١ ص ١٨٨.

من صور التلاؤم بين النص القرآني والبيئة التي نزل فيها، البشرية، والزمانية، والمكانية، والحالات النفسية، والفكرية، الفردية والاجتماعية، ما لا يمكن استيفاؤه بنظرات عامات، وعناصر محددات مفصلات»<sup>(١)</sup>.

تأسيساً على ما سبق فإن على الدعاة الإسلاميين أن يأخذوا أوضاع عصرهم بعين الاعتبار، فيلاحقون تطوراته العلمية، وتياراته الفكرية، ومشاكله الاجتماعية، ليكونوا أقدر على تقديم التوجيه المناسب لأبناء هذا العصر، والمؤثر فيهم.

من ناحية أخرى فإنه على الرغم من حالة التواصل والانفتاح العالمي بين المجتمعات البشرية، إلا أنه قد تكون لبعض البيئات والمجتمعات بعض الخصوصيات المحليّة، في قضاياها، وعاداتها، وفي مشاكلها، وتطلعاتها، فتحتاج إلى خطاب يلامس واقعها بشكل مباشر، ويقدم المعالجات والبرامج لما تعيشه من الآم وآمال.

ومما تعانيه بعض مجتمعاتنا أنه لا يتوفر لها دعاء مفكرون معاشون لأوضاعها، قادرون على تشخيص حاجاتها الفكرية والثقافية، لينتجوا لها الخطاب والتوجيه المناسب، الذي يمكن تلك المجتمعات من مواجهة التحديات القائمة أمامها، وشق طريق التقدم والنجاح.

صحيح أن وجود التوجيه الديني العام، بما يشتمل عليه من مواعظ وتذكير، وتعليم للأحكام الفقهية، أمر مفيد. لكن ذلك لا يملأ فراغ الحاجة إلى طروحات فكرية تجيب على التحديات التي يواجهها المجتمع في واقعه السياسي والثقافي والاجتماعي. والى برامج وخطط عمل تساعده على تجاوز

(١) حبكة الميداني: عبد الرحمن حسن، قواعد التدبر الأمثل، الطبعة الثانية ١٩٨٩م دار القلم - دمشق، ص ٥٦-٥٧.

نقاط ضعفه، وتنمي فيه عناصر القوة والارتقاء.

وقد يملأ هذا الفراغ بالاستفادة مما هو مطروح في ساحة مجتمعات أخرى، من أفكار وبرامج، دون ملاحظة للخصوصيات المحلية، مما يسبب نوعاً من الإرباك في بعض الأحيان.

فرب فكرة تكون مناسبة جداً لوضع مجتمع، لكنها لا تتلاءم مع واقع مجتمع آخر، أو يكون ذلك المجتمع أحوج إلى سواها، كما أن بعض البرامج والمناهج قد تصلح لظرف دون آخر، وليئة دون أخرى.

بالطبع نقصد بذلك ما ينبثق من خصوصية معينة، أو يتأثر باختلاف الأوضاع، أما الأفكار العامة، والبرامج العامة، التي تتجاوز الخصوصيات، فهي خارج سياق هذه الملاحظة.

وهذه الأحاديث التي بين يدي القارئ الكريم هي نتاج اجتهاد ومحاولة لتقديم خطاب ديني يتصف بمواكبة تطورات العصر، ويأخذ أوضاع المجتمع والبيئة المحلية بعين الاعتبار.

وهي في الأصل خطب ومحاضرات كنت ألقياها في المسجد كل أسبوع، على منبر الجمعة، ثم أكتبها لتنشر عبر موقعي على شبكة الإنترنت، وعادة ما يتم طبع وتصوير كمية منها أسبوعياً ليتداولها أبناء المجتمع.

وقد صدرت المجموعة الأولى من هذه الأحاديث متضمنة كلمات الجمعة لعام ١٤٢٠هـ من قبل مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر في بيروت.

وهذه المجموعة الثانية تحتوي على كلمات الجمعة لعام ١٤٢١هـ، مع إضافة بعض الكتابات المتفرقة والمقابلات الصحفية، لتوثيقها وحفظها من الضياع، وعسى أن يكون فيها شيء من الفائدة والنفعة.

ولابد لي هنا من تسجيل عميق شكري وتقديري للاخوة الأعزاء الذين  
عاضدوني وساعدوني في إنجاز هذا العمل بطباعة هذه الكلمات أسبوعياً  
ونشرها، ثم بتجميعها ضمن هذا الكتاب وإخراجه بهذا الشكل الجميل، أجزل  
اللّٰه لهم الأجر والثواب ووفقهم لأعمال الخير والصلاح.

كما أهيب بالسادة العلماء والخطباء والمفكرين أن لا يبخلوا عليّ  
بملاحظاتهم لنقد وتقويم هذه التجربة الثقافية والخطابية المتواضعة، أخذ اللّٰه  
بأيدينا جميعاً لما فيه الخير والصلاح. والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

١٣ رجب ١٤٢٢هـ



# المناسبات الدينية والقذوة الرسالية

كلمة الجمعة بتاريخ ١٦ محرم ١٤٢١ هـ



الحياة بالنسبة لكل إنسان تعتبر تجربة جديدة، فهو يأتي إليها لسفرة واحدة فقط، غير قابلة للتكرار، ويواجهها دون سابق خبرة أو معرفة، لذا فإن الفشل في تجربة الحياة لا يمكن تداركه أو تعويضه، وكما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾<sup>(١)</sup>.

ولكن كيف يُنجح الإنسان تجربته الواحدة والوحيدة في هذه الحياة، وهو يواجهها كمتاهة واسعة، مزروعة بالألغام، مليئة بالشهوات والمغريات، تتشعب فيها الطرق، وتتعدد الخيارات؟

إنه بأمس الحاجة إلى خريطة واضحة، تدله على طرق النجاة، وتنبهه على مناطق الخطر.. وذلك هو الدور الذي تؤديه الرسالات السماوية، التي تفضل الله تعالى بها على الإنسان لهدايته، وإنجاح تجربته.

لكن وجود الخريطة والبرنامج قد لا يكون كافياً وحده، بل هو بحاجة إلى تعزيز وتفعيل، يجعل الإنسان أكثر ثقة وأقوى إرادة، على انتهاج طريق الهدى والصواب.

وذلك عبر وجود القدوات، التي تجسّد أمام الإنسان برنامج الهداية والصلاح، وتقدم له تجربة حيّة ميدانية، في الالتزام بالقيم، وتحقيق الاستقامة. إن وجود قدوات صالحة ناجحة، أمام الإنسان، يحقق العديد من النتائج

---

(١) سورة الحج الآية ١١.

والأغراض، من أهمها ما يلي:

### التبشير بالقيم:

١- إن القيم الفاضلة، والمبادئ الحقة، تحتاج إلى من يتبنى نشرها في المجتمع الإنساني، ويشتر بها ويدعو الناس إليها، ولا يقوم بهذه المهمة على أفضل وجه، إلا من كان عارفاً بتلك القيم، مستوعباً لها، ملتزماً بها، ليكون صادقاً فيما يطرح، مخلصاً للوظيفة التي يؤديها.

### التجسيد الحي:

٢- تطبيق القيم والالتزام بالمبادئ يستلزم حالة من الصراع والصدام مع الأهواء والشهوات في نفس الإنسان، وهي متجذرة راسخة قوية، إلى حد يتصور فيه الإنسان نفسه عاجزاً عن مواجهتها، فيبرر ضعف إرادته، واستجابته لضغوط الهوى، بمختلف التبريرات، ومن أقواها تضليلاً وإغراءً لنفس الإنسان: القول بمثالية القيم والمبادئ، وأن الالتزام بها برنامج نظري خيالي، وأن تجسيدها وتطبيقها شيء غير ممكن ما دام الإنسان هو الإنسان بشهواته وأهوائه ورغباته.

ومثل هذا التصور (مثالية القيم) يرتاح له الإنسان، لأنه يشكل تبريراً لاعتدائه على هذه القيم، وخروجه عن حدودها، فهو لا يرى نفسه حينئذ مسؤولاً عن الالتزام بها، ولا يحاسب نفسه على احترامها، ما دام يعتقد أنها مجرد نظريات مثالية غير قابلة للتطبيق والالتزام.

وواضح كم هو خطير هذا التصور على سعادة المجتمع الإنساني، ولكن كيف ندرأ عنه هذا الخطر؟ لا يمكننا ذلك إلا إذا أثبتنا للإنسان خطأ

هذا التصور، وأقنعناه بواقعية تلك القيم، وإمكانية تجسيدها، وهذا لا يتم إلا بوجود مجموعة من الناس، يتحملون مسؤولية الالتزام بهذه القيم، وتجسيدها في الواقع الحياتي، في الوقت الذي يكونون فيه كسائر أفراد البشر من حيث امتلاك الغرائز والرغبات، والعيش في نفس الظروف والأجواء.

ووجود هذه الفئة التي تطبق القيم حرفياً، وتحمل كل الصعوبات في سبيل ذلك، يشكل دافعا قويا لسائر الأفراد للالتزام بالقيم، والإقتداء بتلك الفئة، وتقمص أدوارها ومواقفها.

### للّه الحجة البالغة:

٣- ومن ناحية أخرى فإن الله تعالى سيطلب الإنسان ويحاسبه يوم القيامة، على مدى تمسكه والتزامه بتلك القيم، فإذا كان الإنسان يعتقد مثالية تلك القيم، واستحالة تطبيقها، فستكون له الحجة على الله، وسوف لا يكون من حق الله تعالى، أن يحاسبه على الالتزام بشيء لا يرى نفسه قادرا على الالتزام به.

إذاً فلا بد وأن يقيض الله تعالى أفراداً من البشر، يقومون بدور التطبيق و التجسيد لهذه القيم.

ولهذا أوجد الله تعالى الأنبياء والأئمة، وهذا هو دورهم الرئيسي في الحياة، يقول الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(١)</sup>.

ولذلك نسمي الإمام حجة الله، ونطلق على الأئمة حجج الله على خلقه..

(١) سورة النساء الآية ١٦٥.

و الحديث التالي يوضح لنا هذه الحقيقة:

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتنت في حسنها فتقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت. (لاحظ كيف تعتبر الانحراف شيئاً طبيعياً لأنه لا يمكنها الالتزام مع وجود دواعي الإغراء)، فيجاء بمريم عليها السلام فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ قد حسناها فلم تفتن.

ويجاء بالرجل الحسن الذي قد افتن في حسنه فيقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت.

فيجاء بيوسف عليه السلام ويقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسناه فلم يفتن.

ويجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه. فيقول: يا رب شددت عليّ البلاء حتى افتنت. فيؤتى بأيوب فيقال: أبلبتك أشد أو بلية هذا؟ فقد ابتلي فلم يفتن<sup>(١)</sup>.

### التفاصيل والمنعطفات:

٤- وقد تكون العناوين العامة للقيم واضحة في أذهان بعض الناس، ويلتزمون بمراعاتها حينما يتوفر لهم الوضوح في المواقف والموارد، لكن هناك بعض الجوانب التفصيلية، وبعض الحالات الدقيقة، والمنعطفات الحساسة، تحتاج من الإنسان إلى شفافية كبيرة، وإرادة قوية، ونظر ثاقب، حتى لا تلتبس عليه الأمور، وتختلط الأوراق، ثم قد تتزاحم القيم والمبادئ في موقف من المواقف، فيرتبك الإنسان في الالتزام بأياها.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ١٢ ص ٣٤١.

وهنا يأتي دور القدوات الصالحة الناجحة القادرة على تشخيص المواقف، ومعرفة تفاصيل القضايا وتطبيقاتها، وتحديد الأولويات، ومعالجة الحالات الحساسة الخطيرة.

### الأنبياء والأئمة:

لكل ذلك فإن الله سبحانه وتعالى نصب الأنبياء والأئمة، إلى جانب إنزال الشرائع والكتب السماوية، ليكونوا قدوات للناس، على طريق الخير والهدى. إنهم قدوات للبشر على امتداد التاريخ، لذلك خلّد الله تعالى ذكرهم وسيرهم، عبر وحيه وقرآنه، ففي القرآن الكريم سور باسم الأنبياء والأولياء، كسورة آل عمران، وسورة يونس، وسورة هود، وسورة يوسف، وسورة إبراهيم، وسورة مريم، وسورة الأنبياء، وسورة لقمان، وسورة محمد، وسورة نوح، كما أن الحديث عن قصص الأنبياء ومواقف الأولياء، ماثوث في مختلف سور القرآن، وفي العديد من آياته.

إنه تعالى يأمر نبيه محمد ﷺ بأن يتحدث للناس عن حياة هؤلاء القدوات العظام كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾<sup>(١)</sup>. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وذكر سيرهم وقصصهم إنما هو لتقديمهم كنماذج وقدوات للبشر، كما

(١) سورة مريم الآية ١٦.

(٢) سورة مريم الآية ٤١.

(٣) سورة مريم الآية ٥٤.

(٤) سورة ص الآية ٤٥.

يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾<sup>(١)</sup>. ويقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

### القنوات الزائفة:

وفي هذا العصر بالذات ما أحوج المجتمعات البشرية إلى إبراز القدوات الصالحة، حيث أن إعلام الحضارة المادية، يصنع ويقدم للناس قدوات زائفة فاسدة، تتمثل في العناصر المتاجرة بجمالها ومفاتها، والمجاهرة بالانحراف والفساد الأخلاقي، فالمجلات والصحف تتسابق على نشر صور المغنين والمغنيات، والممثلين وعارضات الأزياء، وعلى متابعة أخبار هذه الطبقة بما فيها من مجون وخلاعة وفساد، وفي عصر العولمة، أصبحت هذه العناصر بترويج الإعلام لها شخصيات عالمية، تنتشر صورها وأخبارها في كل مكان.

ولا زال العالم يتذكر كيف شغلت «ديانا» في حياتها، مساحة واسعة من اهتمام الناس، في شتى بقاع الدنيا، وكيف كانت أخبارها تغطي بدقة ومتابعة، وكيف أصبحت وفاتها الحدث الأمل والأهم لفترة من الزمن، فبكاها الكثيرون، ورثاها الشعراء والأدباء، وتابع مراسم تشييعها مئات الملايين، ومعروف أنها كانت ذات مغامرات عاطفية لاشريعية حتى لحظة مقتلها بصحبة عشيق، وقد اعترفت بخيانتها لزوجها ولي عهد بريطانيا على مرأى ومسمع من العالم كله.. وهي بهذه السيرة تقدم كنموذج وشخصية رائدة!!.

(١) سورة الأنعام الآية ٩٠.

(٢) سورة الممتحنة الآية ٤.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١.

## المناسبات الدينية:

لعل من أهم فوائد المناسبات الدينية، التي تهتم مجتمعاتنا بإحيائها، كذكريات مواليد النبي والأئمة من أهل بيته ﷺ وذكريات وفياتهم، أنها تشكل فرصة جيدة لتعريف أجيال المجتمع بالقدوات الصالحة، ولتقديم سيرة النبي والطاهرين من أهل بيته، كنماذج للتأسي والإقتداء.

فإحياء هذه المناسبات، تذكير للأمة بالقدوات والنماذج الصالحة، وتوثيق للتواصل بين أبناء الأمة وتاريخهم الإسلامي المجيد، وهي إطلاقة على الصفحات المشرقة من سير الأولياء والسلف الطاهر.

وكم هو رائع ومفيد أن تجتمع هذه الحشود الضخمة من الناس، رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، للاحتفاء بذكرى استشهاد الإمام الحسين في عاشوراء، أو في المناسبات المشابهة، وان يتفاعلوا مع أحداث نهضته المباركة، ويصغوا إلى تفاصيل سيرته العطرة، ويظهروا تعاطفهم وتفاعلهم مع مواقفه المبدئية؟ إن ذلك يوفر في نفوسهم زخماً روحياً، وأصاله إيمانية، ويجعلهم أقرب إلى خط وسلوك أولئك الرجال الإلهيين الصالحين، وأبعد عن طريق مناويئهم من الظالمين والمنحرفين.

لذلك ينبغي أن توظف هذه المناسبات من أجل إنجاز هذا الهدف، بحيث يتعرف أبناؤنا على حياة أئمتهم الهداة، ويتحفزون للاقتداء بهم في التزامهم المبدئي، واستقامتهم الأخلاقية، وتمسكهم بالقيم الفاضلة.

وحتى ذكر مصائب أهل البيت ﷺ ينبغي أن يكون ضمن هذا السياق، وليس مجرد إثارة لعواطف الحزن والأسى.

## تطوير الوسائل:

في الماضي كانت الوسيلة المتاحة لتخليد ذكريات وسير الأنبياء والأئمة عليهم السلام هي التحدث الشفهي عنهم، بالخطابة أو إنشاد الشعر، وتلاوة كتب السير، أما الآن فقد توفرت وسائل أكثر تطوراً وتأثيراً في النفوس، وينبغي أن يستفاد منها في عرض حياة الأولياء، وإبراز مواقفهم المشرقة، ليملؤوا نفوس ومشاعر الجيل المعاصر كقدوات رائدة، ونماذج للتأسي والإتباع.

ومن أبرز تلك الوسائل: المسرح والفيلم والرواية، واقتحام وسائل الإعلام الحديثة، كالقنوات الفضائية، وشبكات الإنترنت، والصحافة اليومية. والجميع يعرف مدى الإقبال والتأثير الذي حققه فيلم (الرسالة) عن حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله. فلماذا لا يكون هناك توجه دائم، واهتمام مستمر، بإنتاج مادة إعلامية ثقافية متطورة عن حياة القادة الهداة؟

لقد كانت هناك محاولة رائدة لإنتاج مسرحية عن ثورة الإمام الحسين وشهادته، في القاهرة مطلع السبعينيات، لكنها أجهضت مع شديد الأسف، ولم تبذل جهود لإحيائها، وقد أشار إلى الموضوع السيد (فارس واكيم) ضمن مقال له في جريدة الحياة قائلاً:

«بعد شهر من التمرينات منعت الرقابة في مصر في مطلع السبعينيات عرض مسرحية «الحسين ثائراً والحسين شهيداً» للشاعر (عبد الرحمن الشرقاوي) على رغم سماحها بنشر النص في كتاب صادر عن هيئة نشر رسمية.

ومرد المنع إلى رفض الأزهر السماح بظهور شخصية الحسين على المسرح، ولما كان النص مقبولاً من الناحية الدينية، اقترح الشرقاوي إبقاء

المسرحية كما هي على أن يسبق الكلام الذي تقوله شخصية الحسين تنبيه من شخصية أخرى تعلن: قال الحسين.. لكن هذا الاقتراح قوبل بالرفض أيضا.

كنت في القاهرة في طريق العودة إلى بيروت طلب مني الشرقاوي عرض الأمر على الإمام موسى الصدر، قابلت الإمام وسلمته النص، قرأه وقال: إنه يرحب بعرض المسرحية في بيروت، لكن الحرب الأهلية نشبت في العاصمة اللبنانية، ثم غيب الصدر، ثم توفي عبدالرحمن الشرقاوي.. وطويت المسألة»<sup>(١)</sup>.

نأمل أن تهتم الجهات الدينية، ومسؤولو الأوقاف المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام، وكل من يعي أهمية إحياء ذكريات الأئمة الهداة عليهم السلام بهذه المسألة، لتتاح الفرصة لأجيالنا المعاصرة، ولأبنائنا الأعزاء، للاطلاع على حياة وسير القادة الإلهيين الهداة.

---

(١) فارس واكيم، جريدة الحياة- آفاق ٢٣ أيار ١٩٩٣ م.



## خطر العداوة

كلمة الجمعة بتاريخ 23 محرم 1421هـ



يحتاج الإنسان إلى أخيه الإنسان في بعدين:

### الأول: البعد المادي:

للتعاون في تسيير أمور المعيشة والحياة، حيث إن الإنسان لا يستطيع بمفرده أن يهيئ كل أمور حياته، بل لا بد له من التعاطي مع الآخرين من أبناء جنسه، فهو يحتاج إليهم وهم يحتاجون إليه، وكذلك الحال على مستوى المجتمعات والدول، فمهما كانت إمكانات أي دولة من الدول، لا تستطيع أن تعيش في عزلة عن المجتمع الدولي، وخاصة في هذا العصر، حيث وثقت تطورات الحياة التداخل والتشابك في المصالح بين مختلف الشعوب والدول. وكلما اتسعت وقويت علاقة الإنسان مع الآخرين، كانت أمور حياته أكثر يسراً وانتظاماً، وهذا أمر واضح ملموس، فإذا كانت هناك حاجة أو قضية، لدى شخص يمتلك شبكة من العلاقات والارتباطات، ونفس القضية لدى شخص آخر منعزل اجتماعياً، فإن الأول يكون أقدر على إنجاز حاجته وأسرع في معالجة قضيته من الثاني.

### الثاني: البعد النفسي:

حيث يأنس الإنسان بأخيه الإنسان، ولو توفرت لإنسان ما كل وسائل الحياة والرفاه، على أن يعيش منفرداً معزولاً، لما ارتاح لذلك، لذا فإن السجن

الانفرادي يعتبر من أقسى وسائل التعذيب والتنكيل في المعتقلات.

ويرى بعض اللغويين أن أصل اشتقاق اسم الإنسان من الأَنَس: «الإنسان فعلان عند البصريين لموافقته مع الأَنَس لفظاً ومعنى. قيل: سمي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بأَنَس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدني بالطبع، من حيث إنه لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه»<sup>(١)</sup>.

لذا فإن لمستوى علاقات الإنسان مع من حوله من أبناء جنسه، تأثيراً كبيراً في مدى ارتياحه النفسي، فكلما كانت في درجة أفضل، كان أشد سعادة وهناءً. من هذا المنطلق فإنه يجب أن يحرص الإنسان على علاقته بأخيه الإنسان، وان يسعى لتطويرها وتفعيلها بأكبر قدر ممكن، فذلك يخدم مصالحه المادية، ويريحها ويسعده نفسياً.

### التودد إلى الناس:

وفطرة الإنسان، وتفكيره المنطقي، يقوده إلى هذه الحقيقة، كما أن التعاليم الدينية تؤكد على أهمية حسن العلاقة بين الناس، وتعتبر نجاح الإنسان في علاقاته مع الآخرين مؤشراً على عمق تدينه ونضج عقله.

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خياركم أحسنكم أخلاقاً، الذين يألفون ويؤلفون»<sup>(٢)</sup>.

وعنه ﷺ: «قربكم مني غداً أحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس»<sup>(٣)</sup>.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢٦٤.

(٢) المصدر السابق ج ٧٤ ص ١٤٩.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٠.

وعنه أيضاً ﷺ: «لا خير فيمن لا يؤلف ولا يآلف»<sup>(١)</sup>.

ويقول كما روي عنه ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس»<sup>(٢)</sup>.

### العداوة ومضارها:

العداوة تعني وجود خلل في العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتعني حدوث حالة معاكسة ومناقضة لما يجب أن يكون، فبدل أن يأنس كل منهما بالآخر، ويتعاون في تسيير شؤون حياتيهما، تحصل حالة التباعد والكرهية، ثم تتطور لتصل إلى مستوى النزاع والاعتداء المتبادل.. فالبغض والكرهية يأخذ مكان المحبة والأنس، والاعتداء على المصالح يحتل موقع التعاون.

إنها حالة شاذة غير طبيعية، تخالف الفطرة والوجدان، وتصادم المنطق والعقل، وتشكل تهديداً وخطراً على بناء حياة الإنسان، وحماية مصالحه.

والنصوص الدينية تحذر الإنسان من خطر العداوة، وتنبهه حتى لا يتورط في مزالقتها.

عن رسول الله ﷺ: «ما كان جبرئيل ﷺ يأتيني إلا قال: يا محمد اتق شحنة الرجال وعداوتهم»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «ما عهد إليّ جبرئيل ﷺ في شيء ما عهد إليّ في معاداة الرجال»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق ج ٧١ ص ٣٩٣.

(٢) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ٣ ص ٩ حديث رقم ٥١٧٣.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي ج ٢ ص ٣٠١.

(٤) المصدر السابق ص ٣٠٢.

وعنه عليه السلام: «ألا إن في التباغض الحالقة، لا أعني حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين»<sup>(١)</sup>.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «لم يزل جبرئيل عليه السلام ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني عن شرب الخمر وعبادة الأوثان»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام: «ألا أنبئكم بشر الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من أبغض الناس وأبغضوه»<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «والعداوة القليل منها كثير»<sup>(٤)</sup>.

ويعتبر الإمام علي أن العداوة مع الناس قمة الجهالة يقول عليه السلام: «رأس الجهل معاداة الناس» و «معاداة الرجال من شيم الجهال»<sup>(٥)</sup>.

وفي كلمة أخرى يقول عليه السلام: «من زرع العدوان حصد الخسران»<sup>(٦)</sup>.

وللعداوة مضاعفات وأخطار كثيرة من أبرزها ما يلي:

### عذاب النفس:

أرأيت كيف يتعب الإنسان ويرهق حينما يحمل ثقلاً على جسده؟ كذلك فإن العداوات والخصومات تمثل عبئاً ثقيلاً، وحماًلاً باهضاً على نفس الإنسان، تجلب له الأذى والإزعاج، وتسبب له الهم والغم، وتضغط على قلبه وأعصابه.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٠٤ حديث رقم ١٦١٩٥.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم ١٦١٩٦.

(٣) النوري: ميرزا حسين، مستدرک الوسائل ج ٩ ص ٧٩ حديث رقم ١٠٢٦١.

(٤) المصدر السابق ص ٧٨ حديث رقم ١٠٢٥٩.

(٥) الأمدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم.

(٦) المصدر السابق.

إنك حينما تدخل مجلساً وترى فيه أحباباً وأصدقاء، ينشرح صدرك، وتجلس مرتاحاً مستأنساً، بينما إذا دخلت مجلساً آخر ووجدت فيه من بينك وبينه عداوة وحساسية، تنزعج نفسياً وتتأذى، وحينما تبقى في المجلس لا تشعر بالراحة والرضا.

وهكذا يكون وجود حالة عداة سبباً للتوتر النفسي، فمجرد مرور ذكره على خاطرك، أو مرور اسمه على سمعك، أو رؤيتك لشخصه، يثير في داخلك مشاعر الغضب والانعراج.

يقول الإمام علي عليه السلام: «إياكم والمرء والخصومة فإنهما يمرضان القلوب»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إياكم والخصومة فإنها تشغل القلب»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إياكم والخصومة فإنها تفسد القلب»<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام علي الرضا عليه السلام: «إياك والخصومة فإنها تردي بصاحبها»<sup>(٤)</sup>.

فالعداوة والخصومة عذاب للنفس، وضغط على الأعصاب، وهي تشغل القلب، وتمرضه، وتفسده، وتسبب الردى والهلاك لصاحبها، وكما قال الإمام علي عليه السلام: «من ساء خلقه فقد عذب نفسه».

### استهلاك الجهد:

بدل أن يشتغل الإنسان ببناء ذاته، ويوجه طاقته وجهده لإصلاح أموره،

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠١.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٨٦.

(٤) النوري: ميرزا حسين، مستدرک الوسائل ج ٩ ص ٧٧ حديث رقم ١٠٢٥٤.

ولتقدمه وتطور حياته، فإن حالة عدائه مع الآخرين، تقتطع جزءاً من اهتمامه وتفكيره، وطاقاته وإمكاناته، وذلك بالطبع لا يتوجه لحماية الذات من الآخر المعادي فقط وإنما لإيقاع الضرر به وتحطيمه، والقضاء على إمكاناته ومصالحه، كما يقوم الطرف الآخر بنفس المحاولة والدور، وبهذا تضع الجهود وتهدر الإمكانيات من الطرفين.

والمثال الأجلى والأوضح هو الحروب التي تنشأ بين الدول المتجاورة، كالحرب العراقية الإيرانية، والتي حطمت اقتصاد البلدين، وأثرت على البنية التحتية فيهما، وعوقت التطور والتقدم في الدولتين، مع الخسائر العظيمة في النفوس والأرواح.

### مرمى السهام:

حينما يعادي الإنسان الآخرين، فيجب أن لا يتوقع منهم باقات الورود، ولا رسائل الحب والاحترام، بل سيكون في مرمى سهامهم، ومعرض انتقامهم، وسيستخدمون ضده الأسلحة التي بأيديهم، خاصة وأن الناس يتفاوتون في مستويات تفكيرهم، وضوابط تصرفاتهم وممارساتهم، وعلى الإنسان أن يتوقع أسوأ الاحتمالات، من جانب المعادين له. قد تتعرض حياته للتصفية، وأمواله للنهب، وسمعته للشويه، ويعتدى على حقوقه، وتصنع له العوائق والعقبات في طريق أعماله ونشاطاته.

ولا يخلو الإنسان من نقاط ضعف، وثغرات خلل، عادة ما تكون مستورة خافية، فإذا ابتلي بأعداء وخصوم، فإنهم سينقبون عن أخطائه، ويفتشون عن ثغراته، وينفذون من خلال نقاط ضعفه، لإيقاع الضرر به، وتوجيه الأذى إليه. لذلك يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إياك وعداوة الرجال فإنها تورث

المعرّة، وتبدي العورة»<sup>(١)</sup>.

فالعداوة تسبب المعرّة أي الأذى، وتكشف العورة، أي نقاط الضعف والخلل.

وأوصى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أبناءه يوماً فقال لهم: «يا بني إياكم ومعاداة الرجال، فانهم لا يخلون من ضربين: من عاقل يمكر بكم، أو جاهل يعجل عليكم». ثم أنشأ يقول:

سليم العرض من حذر الجوابا      ومن دارى الرجال فقد أصابا  
ومن هاب الرجال تهيبوه      ومن حقر الرجال فلن يهابا<sup>(٢)</sup>

وقال عليه السلام في كلمة أخرى: «إن للخصومة قحما. وفسرها الشريف الرضي بقوله: يريد بالقحم المهالك، لأنها تقحم أصحابها في المهالك والمتالف في الأكثر»<sup>(٣)</sup>.

### الوقوع في الحرام:

بغض النظر عن مبررات العدا، فإن حالة العدا غالباً ما تدفع الإنسان، لارتكاب مختلف المعاصي والذنوب، من أجل تحقيق الانتصار على عدوه، وإيقاع أكبر قدر من الضرر به، فالكذب والغيبة والنميمة، والسب والشتم، والاعتداء والظلم والتآمر، وما شاكل من المحرمات، كلها وسائل يجد الإنسان نفسه مدفوعاً لاستخدامها في معارك خصوماته وعداواته.

وفي كلمة رائعة يصور الإمام علي عليه السلام موقف من تورط في عدا أو

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢١١.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٩.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، من غريب كلامه رقم ٣.

خصومة، بأنه بين أحد خيارين كلاهما مر، فإما أن يتنازل ويقصّر في المواجهة، فيعطي الفرصة لعدوه أن يتمكن منه ويتغلب عليه ويظلمه، وأما أن يدخل المعركة بكل ما أوتي من قوة، ويستخدم كل أسلحة المواجهة، مشروعة وغير مشروعة، وذلك يعرضه لارتكاب المعاصي والذنوب، ويبعده عن تقوى الله، فينال الإثم والسخط الإلهي. يقول عليه السلام: «من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم»<sup>(١)</sup>.

وعلق على هذه الكلمة أحد شراح نهج البلاغة بقوله: أشار عليه السلام في هذا الكلام إلى أن الخصومة داء لا دواء له، ولا يحصل منها إلا الضرر والخسار، فإن الداخل فيها إذا بالغ يآثم ويبتلى بالخسار الأخرى، وإن قصر ظلم ويبتلى بالخسار الدنيوي، ويصعب الوقوف بين هذين الحدين، ورعاية أصل التقوى في البين، فمن أراد النجاح فلا بد له من عدم الدخول في الخصومة، والوقوف دائما على الصلح والإصلاح<sup>(٢)</sup>.

وفي وصيته لمؤمن الطاق محمد بن النعمان يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «وإياك وكثرة الخصومات فإنها تبعدك عن الله»<sup>(٣)</sup>.

وضمن هذا السياق ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام: «وإياك والخصومة فإنها تورث الشك، وتحبط العمل، وتردي بصاحبها، وعسى أن يتكلم بشيء لا يغفر له»<sup>(٤)</sup>.

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - قصار الحكم ٢٩٨.

(٢) الخوئي: ميرزا حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ج ٢١ ص ٣٨٩.

(٣) الحراني: الحسن بن علي بن شعبه، تحف العقول ج ٢١ ص ٣٨٩.

(٤) النوري: ميرزا حسين، مستدرک الوسائل ج ٩ ص ٧٧.

## إضعاف المجتمع:

المجتمع الذي تسوده أجواء المحبة والوئام، وينشغل أبنائه بالعمل الإيجابي، والنشاط البناء، ويتعاونون فيما بينهم على خدمة مصالحهم، وتسيير أمورهم، هذا المجتمع تكون بنيته قوية، وكيانه متماسك ثابت، بينما المجتمع الذي تدبّ في أوساطه الخصومات، وتنتشر النزاعات والعداوات، فإنه يصاب بالضعف والهزال، ويبتلى بالتفكك والانحيار.

لذلك يحذر الله تعالى عباده المؤمنين من خطر التنازع والتعادي، وينذرهم بأن النتيجة الحتمية لذلك هو هدر إمكانات المجتمع، وذهاب قوته، وبالتالي فشل المجتمع في تحقيق مصالحه وأهدافه، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) سورة الأنفال ٤٦.



## أسباب العداوات

كلمة الجمعة بتاريخ ١ صفر ١٤٢١ هـ



لماذا يعادي الإنسان أخاه الإنسان؟ ولماذا يمارس العدوان ضده؟

إنها ظاهرة قديمة بدأت منذ الأيام الأولى لهبوط الإنسان على وجه الأرض، وضمن أول أسرة بشرية صغيرة لأبينا آدم عليه السلام حيث اشتعلت نار العداة والكراهية في نفس قابيل على أخيه هابيل، ودفعته إلى قتله وتصفية حياته!! ثم رافقت المجتمع الإنساني هذه الحالة المرضية طوال مسيرة حياته، فلا تخلو مسافة زمنية، ولا منطقة جغرافية، يعيش فيها بشر، من حالات العداة، وممارسات العدوان..

وقد لاحظ العلماء أن الإنسان أكثر من سائر الحيوانات توحشاً وقسوة في عدائه الضمنوعي حيث لا يوجد عدوان يؤدي للقتل بين الحيوانات من نفس النوع، فالذئب لا يقتل ذئباً، والأسد لا يقتل أسداً، لكن الإنسان يتجرأ على قتل أخيه الإنسان!! بل إن معاناة الإنسان وآلامه ومآسيه، التي تجرعه من أبناء نوعه وجنسه، هي أكبر بكثير مما لاقاه من كوارث الطبيعة، واعتداء سائر الحيوانات المفترسة..

وخالق الإنسان وهو الله سبحانه وتعالى حذره من مغبة هذه النزعة، منذ صدور القرار الإلهي بخروج آدم وحواء عليهما السلام من الجنة، وبدء حياتهما على سطح الأرض، يقول تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي

الأرض مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١﴾.

أما أسباب هذه الظاهرة، وتفسير هذه الحالة، فقد أصبحت ميداناً لبحوث العلماء، ومسرحاً لآرائهم المختلفة، ونظرياتهم المتعددة، ونشير إلى إبراز تلك النظريات والآراء.

### نظريات بيولوجية:

هناك مدرسة علمية تحليلية، ترى أن ظاهرة العداوة والعدوان، تعود إلى سبب تكويني في خلقة الإنسان وجسمه، فهي حتمية بيولوجية. ومن أبرز أعلام هذه المدرسة سيزار لومبروزو (١٨٣٦ - ١٩٠٩ م) وهو إيطالي، اختصاصي بعلم الجريمة.

ينطلق أساس نظرية (لومبروزو) من الحتمية البيولوجية للعدوان، وربط هذه الحتمية بسببين:

السبب الأول: يعود إلى مرحلة سابقة في التطور، هي مرحلة الإنسان البدائي المتوحش، إذ يرجع إجرام الشخص إلى ارتداده الوراثي لهذه المرحلة.

والسبب الثاني: يرتبط بالإنحطاطية المرضية، التي تنشأ من مرض الصرع الذي ينتقل بالوراثة.

وبرر السبب الأول، من خلال الفحوصات التي أجراها على عدد كبير من مجرمي وروؤوسهم، إذ وجد أن جمجمة المجرم تشبه في تركيبها التشريحي، ذلك التركيب التشريحي الذي تتميز به جمجمة الإنسان البدائي

(١) سورة البقرة الآية ٣٦.

المتوحش. كما برر السبب الثاني، بتكرار السلوك الإجرامي لدى مرضى الصرع. ويرى أن المجرمين يتميزون بخصال تشريحية ونفسية لا تتبدى لدى غيرهم.

وضمن هذه المدرسة، تبنى آخرون نظرية المورث الزائد، وتعتمد هذه النظرية على أن شذوذ الكرموزومات، وبالتحديد ذلك الشذوذ المتعلق بالمورث الذكري الزائد (Y) يؤدي إلى نتائج جسدية وعقلية خطيرة، وقد ساد الاعتقاد بأن المورث (Y) يسبب العدوان، نتيجة للملاحظات حول العلاقة بين الزيادة الشاذة لهذا المورث لدى البعض وتكرار السلوك العدواني لديهم.

وهناك دراسات وبحوث تربط بين العدوان وتخطيط المخ، وتشير إلى أن الأفراد الذين يعانون من انحرافات في مخططات أمخاخهم، يظهر عليهم العدوان، وتشير كذلك لوجود خلل عضوي يرافقه اختلال وظيفي.

### نظريات سيكولوجية:

يرى بعض العلماء أن السلوك العدواني لدى الإنسان والكائنات الحية الأخرى، ينبعث من قوة داخلية تسمى الغريزة العدوانية. وينظر لهذا الرأي (كونراد لورنز) - عالم نفس وحيوان، من النمسا ولد عام ١٩٠٣م - في كتابه الشهير (في العدوان) الذي صدر عام ١٩٦٣، مؤكداً غريزة العدوان، وأن هذه الغريزة تحتاج إلى تحرير أو إفراغ بين فترة وأخرى، من أجل تخفيف الضغط الداخلي الذي تسببه على صاحبها، وسبب هذا الضغط هو تراكم الطاقة العدوانية، بعد إفراغها بوقت معين. فالسلوك العدواني يتوقف حدوثه على تراكم هذه الطاقة داخل المتعضية (الكائن الحي) من جهة، وعلى درجة فعالية منبهات العدوان الخارجية من جهة أخرى. وكلما زاد تراكم هذه الطاقة،

عمل أضعف منبه خارجي للعدوان على إثارتها في شكل عدوان صريح. أما إذا مضى وقت كاف دون إفراغ هذه الطاقة، فإن العدوان يحدث تلقائياً في غياب المنبه الخارجي.

ويرى (لورنز): أن جميع المحاولات للقضاء على العدوان ستكون فاشلة، وأن الإجراء الأكثر فاعلية للتخفيف من العدوان، هو تحرير الطاقة العدوانية، من خلال ممارسات يقرّها المجتمع، كالرياضة والمنافسات غير الضارة.

ولعل من أشهر نظريات المدرسة النفسية لتفسير السلوك العدواني، نظرية الإحباط - العدوان - إذ ينظر للعدوان باعتباره نتيجة للإحباط دائماً. فكلما حدث موقف محبط، ظهر العدوان كاستجابة لهذا الإحباط.

والإحباط: عملية تتضمن إدراك الفرد لعائق يعوق إشباع حاجة له، أو توقع حدوث هذا العائق في المستقبل.. وينتهي الإحباط في الكثير من الحالات إلى العدوان، ويظهر المصاب بالإحباط شديد التوتر ميالاً إلى اقتناص أية فرصة تتاح له، للخلاص من ضغط التوتر لديه. وقد يتجه العدوان نحو مصدر الإحباط، وقد يتجه نحو آخرين.

### نظرية التعلم الاجتماعي:

وتعتمد هذه النظرية على المحيط الاجتماعي كأساس أو كأصل لنشوء حالة العداوة والعدوان، من خلال الملاحظة والمحاكاة.

ومن أبرز أعلام هذه النظرية (البورت بندورا) - ولد عام ١٩٢٥ م بكندا واختير رئيساً للجمعية النفسية الأمريكية ١٩٧٣ م وعمل مدرساً لمادتي علم نفس العدوان وتغيّر الشخصية - . وكان كتابه (العدوان: تحليل اجتماعي)

محاولة للإجابة على سؤال: لماذا يعتدي البشر؟.

ويرى (بندورا) أن السلوك البشري يكتسب من خلال ملاحظة النماذج السلوكية، التي تحدث في البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد أو الجماعة.. فإذا انتبه الطفل إلى نماذج عدوانية، خلال حياته العائلية، أو عبر مشاهدة أفلام عنف في التلفزيون مثلاً، فإنه يقوم بتخزين هذه النماذج السلوكية، والاحتفاظ بها في الذاكرة، فإذا ما حصل تعزيز أو تشجيع، تحوّل ذلك إلى سلوك عدواني. وعلى هذا الأساس، فالناس لا يولدون مزودين بغريزة للعدوان، بل انهم يتعلمونه مثل أي سلوك متعلّم آخر. فالأفراد الذين شاهدوا غيرهم يعتدي، تكون احتمالية اعتدائهم أكبر من أولئك الذين لم يشاهدوا النماذج العدوانية. هذه بعض النظريات حول تفسير ظاهرة العداوة والعدوان في المجتمع البشري، وهناك نظريات أخرى عديدة، ضمن هذه التوجهات أو غيرها، وقد استعرض أكثرها وناقشها الباحث الأستاذ أسعد النمر في كتابه القيم (في سيكولوجية العدوان)<sup>(١)</sup>، وحول كل نظرية هناك نقاشات وردود وملاحظات، للمهتمين بدراسة هذا الموضوع، يمكن الرجوع إليها في المراجع المختصة. وواضح انه لا يمكن القبول بالنظريات التي تعتبر العدوان حتمية بيولوجية، لأن ذلك يعني إنكار إرادة الإنسان واختياره، وبالتالي فإنه لا يتحمل مسؤولية عمله ما دام مجبوراً عليه، فلا يستحق بذلك عقاباً أو جزاء، كما لا جدوى إذاً من التصدي للسلوك العدواني، مما يعطي تبريراً أيديولوجياً لهذه الممارسات. كما أن العوامل النفسية تهيئ الفرد وتجعله مستعداً للسلوك العدواني، دون أن تشكل حتمية تلغي إرادته واختياره.

(١) النمر: أسعد، في سيكولوجية العدوان - الطبعة الأولى ١٩٩٥م المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت.

ولسنا مضطرين لتفسير العدوان برؤية أحادية، بل قد تتفاعل عوامل مختلفة لانبعاث حالة عدوانية، كما تتميز حالات عن أخرى في جذورها وأسبابها.

### تضارب المصالح:

وإذا ما تجاوزنا الحديث عن النظريات التحليلية، وفتشنا عن الأسباب الميدانية المباشرة، التي تنجم منها حالات العداء والعدواة بين الناس لوجدنا أن في طبيعتها: تضارب المصالح.

فلكل إنسان في هذه الحياة مصالحه وتطلعاته، التي تعبر عن احتياجاته ورغباته، فإذا ما حال أحد أو تصور أنه يحول بينه وبين حاجة له أو رغبة عنده، فسيأخذ منه موقف العداء، ويواجهه بالعدوان.

وأغلب الصراعات والنزاعات في عالم البشر، تحصل بسبب اصطدام المصالح، كالنزاع على السلطة والحكم، أو على الثروة والمال، أو على الامتيازات والمواقع.

ثم قد تحدث هذه النزاعات بين أفراد وقد تكون بين فئات وجماعات، وبين دول وحكومات.

إن سعي الإنسان لتحقيق مصالحه، وإشباع حاجاته ورغباته، أمر مشروع، لكن ذلك يجب أن يكون ضمن حدود الاحترام لحقوق الآخرين، وحریتهم في السعي لخدمة مصالحهم، مما يستلزم وجود نظام وقانون عادل، ينظم سير الناس وتنافسهم في توفير شؤون حياتهم، ومتعلقات ميولهم ورغباتهم.

وغياب ذلك القانون، أو تحيزه لبعض دون آخر، أو عدم وضوحه، قد

يكون مسبباً لحالات من التصادم والتضارب في المصالح.

وفي أحيان كثيرة تدفع الأطماع والرغبات أصحابها، إلى تجاوز الحدود، وانتهاك حقوق الآخرين، وهم يعلمون أن ما يقدمون عليه مخالف للنظام والقانون، ومدان من قبل الضمير والوجدان، لكن الطمع والرغبة تقود الإنسان إلى الظلم والعدوان، ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «حبك للشيء يعمي ويصم»<sup>(١)</sup>.

### عداوات الأقارب:

علاقة الإنسان مع أرحامه وأقربائه يفترض أن تكون وثيقة متينة، فهناك ارتباط وجودي تكويني تثبتته الجينات والمورثات، والتي أصبح العلم يعتمدها للتأكد من الانتساب والانتماء العائلي، وبالتعبير الشعبي إنها علاقة لحم ودم. وأيضاً فهي صحبة عمر حيث يبدأ الإنسان حياته في أحضان عائلته، ورعاية أسرته، ويبقى في ظل هذه العلاقة يلوذ بها وخاصة عند عواصف الزمن، وشدائد الحياة، وهناك الوشائج العاطفية، التي تشده إلى أرحامه وأقربائه.

هذه العلاقة المتجذرة والعميقة، من المؤسف جداً أن تعصف بها في بعض الأحيان، رياح الأطماع وتضارب المصالح المادية الزائلة، فتنسفها وتجتثها، حتى بين الأخوان الأشقاء المنحدرين من صلب أب واحد، ورحم أم واحدة!!

والعداوة بين الأقرباء من أسوأ أنواع العداوات، لما تتركه في النفس من عظيم الألم، وعمق الجراح، ولما تخلفه من قطع الأرحام، ووشائج القربى، وتمزيق العوائل والأسر، ولأن الأقرباء أقدر على الإضرار ببعضهم، لمعرفتهم

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الانوار ج ٧٤ ص ١٦٤.

نقاط الضعف فيما بينهم.. لذلك روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «عداوة الأقراب أمّض من لسع العقارب»<sup>(١)</sup>.

وكم نجد في مجتمعاتنا من عداوات بين الأقرباء بسبب الخلاف على الإرث؟ وكم من إخوة أشقاء أو غير أشقاء خاضوا ضد بعضهم معارك العداة والكراهية، وانفصمت بينهم عرى الأخوة ووشائج الرحم لاختلافهم على شيء من تركة أبيهم؟

---

(١) الأمدى التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم.

# الإمام الحسن ورعاية الفقراء

كلمة الجمعة بتاريخ ٨ صفر ١٤٢١ هـ



من المعالم البارزة في سيرة الإمام الحسن (عليه السلام)، والصفات المميزة لشخصيته العظيمة، اهتمامه برعاية الفقراء، وجوده وسخاؤه، على المحتاجين والمعوزين، حتى اشتهر بصفة (كريم أهل البيت) وكلهم كرماء أسخياء، لكن الظروف الاجتماعية ساعدت على بروز هذه الصفة الجليلة في شخصيته أكثر.

### ظروف تنتج الفقر:

صحيح أنه لا يكاد يخلو مجتمع من وجود الفقر والفقراء، الذين لا يستطيعون تأمين احتياجاتهم بجهودهم الذاتية، إما لعجز لديهم يمنعهم من العمل والكسب، أو لأن ظروفًا اجتماعية تحرمهم فرص الحركة والإنتاج، أو تعوق نشاطهم الطبيعي.

لكن بعض الظروف الاجتماعية غير العادلة، قد تزيد من رقعة الفقر، وتضاعف عدد الفقراء، وهذا ما حصل في عهد الإمام الحسن (عليه السلام).

١. فالسياسة الاقتصادية التي اعتمدها الأمويون، كانت على حساب مصالح الناس وأرزاقهم، وكانت مخالفة لسياسة الخلافة الراشدة التي عرفها المسلمون قبل الحكم الأموي.

يتحدث الشيخ أبو الأعلى المودودي في كتابه (الخلافة والملك) عن التغيرات التي أحدثتها الأمويون بعد الخلافة الراشدة فيقول تحت عنوان

(التغير في وضع بيت المال):

«والتغير الثالث - وهو تغير هام - وقع في تصرف الخلفاء في بيت المال، فلقد كان بيت المال - كما هو في التصور الإسلامي - أمانة الخلق والخالق لدى الخليفة وحكومته، لا حق لأحد - أياً كان - في التصرف فيه حسب مزاجه، فما كان في استطاعة الخليفة أن يدخل فيه أو يخرج منه مليمًا واحدًا خلافاً للشرع، فالخليفة هو المسؤول عن إدخال أو إنفاق كل مليم في بيت المال، ولكن لا حق له فيه سوى راتبه فقط، الذي يكفي لمعيشة متوسطة لا فقيرة ولا مترفة. أما في عصرهم فقد تبدل هذا التصور وأصبحت خزانة الدولة ملكاً للسلطان وأسرته وما على الرعية سوى أن تدفع له الخراج دون أي حق في المساءلة..»

يروى ابن الأثير أن عمال الحجاج بن يوسف - والي الأمويين على العراق - كتبوا إليه: «إن الذميين يدخلون في دين الله أفواجا، ثم ينزحون ليقيموا في البصرة والكوفة، فتنقص بذلك الجزية والخراج، فأمر الحجاج بطردهم من المدن، وفرض عليهم الجزية، كما كانت قبل دخولهم في الإسلام. فلما نفذ حكم الحجاج في هؤلاء المسلمين الجدد، كانوا وهم خارجون من البصرة والكوفة يبكون ويصرخون: وامحمداه.. وامحمداه، دون أن يعرفوا إلى من يرفعون شكواهم من هذا العسف، الذي وقع عليهم، ولقد استنكر علماء وفقهاء البصرة والكوفة هذا، وبكوا معهم وهم يرحلون من المدن»<sup>(١)</sup>.

ويقول المؤرخ الدكتور حسن إبراهيم حسن: «زادت الضرائب في عهد بني أمية على ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين. فلم يراع الخلفاء

(١) المودودي: أبو الأعلى، الخلافة والملك ص ١٠٢ - ١٠٤، الطبعة الأولى ١٩٧٨ م دار القلم - بيروت.

الأمويون القواعد التي قررها أسلافهم، بل جاوزوا حدودها، وقد كتب معاوية إلى وردان عامله على مصر: «أن زد على كل امرئ من القبط قيراطاً، فكتب إليه وردان: كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزداد عليهم؟» وكانت الحال كذلك في سائر الولايات الإسلامية، وقد صادر أحد إخوة الحجاج أملاك الأهالي ببلاد اليمن، وأثار حنقهم وسخطهم بفرضه ضريبة معينة عدا العشر الذي قرره الإسلام»<sup>(١)</sup>.

٢. من ناحية أخرى فقد حصدت معارك الحرب التي نشبت في عهد الإمام علي عليه السلام عشرات الألوف من المسلمين، فحرب الجمل بلغ عدد ضحاياها حوالي عشرين ألفاً، وحرب صفين أكثر من سبعين ألفاً، وحرب النهروان ما يزيد على أربعة آلاف، وقد خلف هؤلاء الضحايا، أسرهم أرامل وأيتاماً، في حاجة للمساعدة والرعاية.

٣. كما أعلن معاوية الحرب الاقتصادية على أتباع أهل البيت عليهم السلام، حيث كتب إلى عماله وولاته على جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه<sup>(٢)</sup>.

وكثيراً ما كان الأنصار يمكنون بلا عطاء ولا ذنب لهم إلا أنهم ينصرون أهل البيت عليهم السلام وكان من جملة الأساليب التي أتبعها معاوية لحمل الحسين على بيعه يزيد - بولاية العهد - حرمان جميع بني هاشم من عطائهم حتى

(١) حسن: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام ج ١ ص ٤٧٤، الطبعة السابعة ١٩٦٤ مكتبة النهضة المصرية.

(٢) ابن أبي الحديد: عبد الحميد، شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٤٥ دار الجيل - بيروت ١٩٨٧ م.

يباع الحسين<sup>(١)</sup>.

## رعاية الإمام:

هكذا وجد الإمام الحسن عليه السلام نفسه في مجتمع كثر فيه المعوزون وذوو الحاجات، والضمير الإنساني الذي يحمله الإمام، ومعرفته الحقيقية والكاملة بمبادئ الدين ومقاصده، وموقعيته القيادية كإمام وراع حريص على مصلحة الإسلام والمسلمين.. كل ذلك يجعله في موقع المهتم والمتصدي لهذه الحالة الاجتماعية، ولا يمكنه أن يأخذ موقف اللامبالاة، أو الاهتمام الجزئي المحدود، لذا نذر الإمام نفسه، ووظف إمكانياته وما تحت يده، لمساعدة من حوله من فقراء المجتمع ومحتاجيه.

وحينما اضطرت الظروف للصلح مع معاوية، كان مستقبل هؤلاء الفقراء والمحتاجين، وخاصة الذين جاءت معاناتهم كإفراز لتلك الظروف غير العادلة، كان ذلك ماثلاً في تفكيره ورؤيته، لذا نجد الإمام يخصص مادة من بنود اتفاقية الصلح، لمصلحة هؤلاء المتضررين، بالنص على التزامات مالية محدودة. كما جاء في المادة الرابعة من معاهدة الصلح ما يلي: «استثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف، فلا يشمل تسليم الأمر، وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألفي ألفي درهم، وان يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل، وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم، وان يجعل ذلك من خراج دار أجرد»<sup>(٢)</sup>.

ودار أجرد: أراضي واسعة بفارس على حدود الأهواز، فتحها المسلمون

(١) شمس الدين: شيخ محمد مهدي، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية ص ٥٧ دار الأندلس - بيروت.

(٢) آل ياسين: الشيخ راضي، صلح الحسن ص ٢٥٣ مطبعة الزهراء - بغداد ١٩٥٣ م.

عنوة، فخر اجها أبعء عن شبهاا الضرابا الظالمة والأموال الملوثة.

بالطبع فإن معاوية لم يف للإمام بلك الشروط، ولم ینفء بنود المعاهءة، لكن الإمام كان ینذل ما فی وسعه لتخفیف معاناة المءءابین، وینقل المؤرخون بعض الصور والمواقف من سءاء الإمام الحسن ؑ وءوءه، نسلل منها اللقطاء الآلیة:

١. أءرء أبو نعیم فی حلیة الأولیاء بسنده: «أن الحسن بن علی رضی اللہ عنه ٱرء عن ماله مرآین، وقاسم اللہ آعالی ماله آلال مرآة» .

٢. وروی الشبلنجی فی نور الأبصار، وابن ٱللكان فی وفیات الأعیان: أن الإمام الحسن سئل: لأی شیه نراك لا آرد سائلاً، وإن كنت علی فاقه، فقال: «إنی للہ سائل، وفیه راغب، وأنا أسآءی من أن أكون سائلاً، وارء سائلاً، وإن اللہ آعالی عوءنی أن یفیض نعمه علیّ، وعوءآه أن أفیض نعمه علی الناس، فأءشى إن قطعت عاءآی، أن یمنعنی عاءآه» .

٣. وأءرء ابن کثیر عن محمد بن سیرین قال: «ربما أءاز الحسن بن علی الرجل الواحد بمائة ألف» .

٤. قال سعید بن عبد العزیز: سمع الحسن رجلاً إلى آانبه یءعو اللہ أن یملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعآ بها إليه.

٥. وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسوء یأكل من رغیف لقمه، ویطعم كلباً هناك لقمه، فقال له: ما حملك علی هذا؟ فقال: أنى أسآءى أن أكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا آبرء من مكانك آآى آآیک، فذهب إلى سیءه فاشآراه واشآرى الحائط (البستان) الذى هو فیه، فأعآقه وملكه الحائط.

٦. وروى الشبلنجي: أن رجلاً شكّا إلى الإمام الحسن حاله، فدعا الحسن رضي الله عنه وكيله، فجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها، وأحضر له ما فاض عن ذلك، وقدره خمسون ألف درهم، ثم قال له: ما فعلت بالخمسة دينار التي معك؟ قال: عندي، قال الحسن رضي الله عنه: فأحضرها. فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير إلى الرجل، واعتذر منه. وأخرج الياضي في مرآة الجنان: أن الإمام الحسن قال للرجل: أتت بجمال تحمل لك، فأتى بجمال فأعطاه طيلسانه، وقال: يكون كراء الجمال من قبلي.

٧. وقد روي أنه رضي الله عنه اشترى بستاناً من الأنصار بأربعمائة ألف، ثم بلغه بعد ذلك أنهم قد احتاجوا إلى ما في أيدي الناس، فرده إليهم. هذه اللقطات نقلناها من مصدر واحد<sup>(١)</sup>.

٨. وكان ﷺ يقول:

إذا ما أتاني سائل قلت مرحباً      بمن فضله فرض علي معجل  
ومن فضله فضل على كل فاضل      وأفضل أيام الفتى حين يسأل

٩. جاءه أعرابي سائلاً فقال ﷺ: أعطوه ما في الخزانة، وكان فيها عشرة آلاف درهم، فقال له الأعرابي: يا سيدي هلا تركتني أبوح بحاجتي، وانشر مدحتي؟ فأجابه الإمام:

نحن أناس نوالنا خضل      يرتع فيه الرجاء والأمل  
تجود قبل السؤال أنفسنا      خوفاً على ماء وجه من يسأل

(١) مهران: الدكتور محمد بيومي، الإمام الحسن بن علي ص ١٤١ دار النهضة العربية - بيروت ١٩٩٠م.

١٠. وجاءه فقير يشكو حاله، ولم يك عنده ﷺ في ذلك اليوم شيء فعز عليه الأمر، واستحى من رده، فقال ﷺ له: أني أدلك على شيء يحصل لك منه الخير، فقال الفقير: يا ابن رسول الله ما هو؟ قال ﷺ اذهب للوالي فإن ابنته قد توفيت وانقطع عليها، وما سمع من أحد تعزية بليغة، فعزه بهذه الكلمات يحصل لك منه الخير، قال: يا ابن رسول الله حفظني إياها. قال ﷺ: قل له: الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها، ولم يهتكها بجلوسها على قبرك، وحفظ الفقير الكلمات وجاء إلى الوالي فعزاه بها، فذهب عنه حزنه، وأمر له بجائزة وقال له: أكلامك هذا؟ قال: لا وإنما هو كلام الإمام الحسن. قال: صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى.

وهذه اللقطات من مصدر آخر<sup>(١)</sup>.

### إخراج الفقراء من الفقر:

ما هي مسؤولية المجتمع تجاه الفقراء؟

إن تعاليم الدين واضحة في رفض حالة الفقر ومكافحتها، بنفس درجة رفض الكفر ومقاومته، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً»<sup>(٢)</sup> وكان يقول ﷺ: «اللهم أني أعوذ بك من الكفر والفقر» فقال رجل: أيعدلان؟ قال ﷺ: «نعم»<sup>(٣)</sup> وعنه ﷺ: «الفقر أشد من القتل»<sup>(٤)</sup>.

(١) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسن ج ١ ص ٣١٦.

(٢) الهندي: علي المتقي، كنز العمال حديث رقم ١٦٦٨٢.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم ١٦٦٨٧.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٤٧.

وقال الإمام علي عليه السلام: «الفقر الموت الأكبر»<sup>(١)</sup>.

إن بقاء الفقراء على حالة الفقر يكشف عن خلل كبير في التوازن الاجتماعي، وعن فقدان العدالة والتكافل، ذلك أن الله تعالى الذي خلق الناس تكفل بمعيشة ورزق كل واحد منهم، بل وكل كائن حي.. يقول تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾<sup>(٢)</sup>. ويقول الإمام علي عليه السلام: «عياله الخلق، ضمن أرزاقهم، وقدر أقاتهم»<sup>(٣)</sup>. وهذا الرزق مودع في كنوز الكون وخيراته، فعلى كل إنسان أن يعمل لاستخراج حصته، ولكن من لا تساعد ظروفه الجسمية أو الاجتماعية على أن يأخذ حصته من خيرات الكون مباشرة، هل يسقط حقه ويعيش محروماً؟ كلا.. وإنما فرض الله تعالى على القادرين أن يعطوا ذلك الفقير ما يسد حاجته، يقول تعالى ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾<sup>(٤)</sup>. فإذا امتنع القادرون عن إعطاء الفقراء حاجتهم ومعيشتهم، فذلك ظلم واعتداء. يقول الإمام علي عليه السلام: «إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متّع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك»<sup>(٥)</sup>.

والمطلوب ليس فقط تقديم شيء من المساعدة للفقير، وإنما إخراجه من حالة الفقر، وهذا ما نلاحظه من سيرة الإمام الحسن عليه السلام وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإذا ما جاءهم فقير، أعطوه بسخاء، ما يستعين به على تسيير أمور حياته، وما كانوا يعطون الفقراء (قوت لا يموت) على حد التعبير الشعبي، أو

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - حكم ١٦٣.

(٢) سورة هود الآية ٦.

(٣) المصدر السابق، خطبة رقم ٩١.

(٤) سورة الذاريات الآية ١٩.

(٥) المصدر السابق، حكم ٣٢٨.

بالقطارة.. واللقطات التي ذكرناها عن كرم الإمام الحسن عليه السلام شاهد على ذلك. إن الفقير في الاصطلاح الشرعي هو «من لا يملك مؤونة السنة له ولعياله» فعلاً أو قدرة على الكسب، والمؤونة شاملة لكل احتياجاته من «دار السكنى والخادم وفرس الركوب المحتاج إليه بحسب حاله، ولو كانت متعددة مع الحاجة إليها، وكذا الثياب والألبسة الصيفية والشتوية، السفرية والحضرية، ولو كانت للتجمل، وأثاث البيت، من الفروش والظروف، وسائر ما يحتاج إليه..»<sup>(١)</sup>.

ومن فتاوى فقهاء الإسلام حول الزكاة والخمس يتبين أن المفترض أن يعيش الإنسان ضمن (حد الكفاية) وليس (حد الكفاف) فقط، و (حد الكفاف) هو الحد الأدنى للمعيشة من مأكّل وملبس ومأوى، مما بدونه لا يستطيع المرء أن يعيش وينتج، فهو غير قابل للنقصان، ولا يختلف باختلاف القوى الشرائية في كل زمان ومكان، أنه يعني الضروريات الأساسية فقط. بينما (حد الكفاية) يعني أن يعيش ضمن المستوى المعيشي السائد في المجتمع، ومن ثم فهو يختلف باختلاف مستوى التقدم في كل زمان ومكان، وحسب موقعية الفرد ومكانته.

بل أفتى السيد الزدي في الزكاة أنه «يجوز أن يعطى الفقير أزيد من مقدار مؤونة سنته دفعة، فلا يلزم الاقتصار على مؤونة سنة واحدة، وكذا في الكاسب الذي لا يفي كسبه بمؤونة سنته، أو صاحب الضيعة التي لا يفي حاصلها، أو التاجر الذي لا يفي ربح تجارته بمؤونة سنته لا يلزم الاقتصار على إعطاء التمة، بل يجوز دفع ما يكفي لسنتين، بل يجوز جعله غنياً عرفياً وإن كان

(١) الزدي: السيد محمد كاظم، العروة الوثقى مسألة ٣ - أصناف المستحقين للزكاة.

الأحوط الاقتصار»<sup>(١)</sup>.

وكل الفقهاء المسلمين يرون إعطاء الفقير كفايته لسنة، ويرون إعطاء من كان له دخل من عمل أو تجارة لكن دخله لا يكفي لحاجات حياته حسب مستوى المعيشة السائد في المجتمع، لكن الخلاف في إعطاء ما يزيد على كفاية السنة الكاملة.

### المطلوب: كفاية الفقير

تقوم الجمعيات الخيرية في بلادنا بدور إيجابي فعال لمساعدة الفقراء، والتخفيف من معاناتهم، وكذلك لجان كافل اليتيم، حيث تهتم برعاية الأيتام، كما تأسست صناديق خيرية للزواج، وهي أنشطة تستحق الشكر والتقدير، فالقائمون عليها متطوعون يبذلون جهدهم ووقتهم لخدمة هذه الفئات الضعيفة في المجتمع، فجزاهم الله خير الجزاء، لكن ما ينبغي التفكير فيه هو الوصول بالفقراء والمحتاجين إلى حد الكفاية، وليس مجرد تقديم المساعدة المحدودة لهم..

فمثلاً تعطي الجمعيات الخيرية - في المنطقة - للعائلة المكونة من حوالي عشرة أشخاص مبلغاً يتراوح بين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ ريال في السنة عدا المساعدات الطارئة الموسمية، وواضح أن هذا المبلغ لا يكاد يكفي لمصروفات شهر واحد لعشرة أشخاص إذا أخذنا مستوى المعيشة في بلدنا بعين الاعتبار!!

كما تقدر الجمعيات مبلغ كفاية اليتيم شهرياً ٢٠٠ ريال عدا المساعدات الأخرى.

(١) المصدر السابق مسألة ٢.

وتعطي صناديق الزواج الخيرية مبلغاً لا يغطي ثلث نفقات الزواج!!  
بالطبع فإن ذلك راجع إلى محدودية ميزانيات هذه المؤسسات الخيرية،  
والمطلوب أن يتفاعل أهل الخير أكثر مع هذه المؤسسات ليرتفع مستوى  
إيراداتها، والعاملون ضمن هذه المؤسسات عليهم أن يضاعفوا جهدهم  
ونشاطهم لتوفير أكبر قدر من الإيرادات، كما أن على المتصددين للحقوق  
الشرعية من الزكوات والأخماس أن يلتفتوا أكثر لحاجات الفقراء والمعوزين  
في المجتمع. حتى ينالوا الرعاية الكاملة، ويتوفر لهم حد الكفاية في معيشتهم،  
ولا يحتاج الواحد منهم إلى بذل ماء وجهه أمام أكثر من جهة وشخص،  
فالاهتمام بالفقراء والمحتاجين هو مقياس التدين الصادق، كما يقول تعالى:  
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ  
الْمَسْكِينِ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) سورة الماعون الآية ١، ٢، ٣.



# ثورة الحسين وثروة المعرفة

كلمة الجمعة بتاريخ ١٥ صفر ١٤٢١هـ



إن أهمية أي حدث من الأحداث إنما تتحدد وفقاً لحجم آثار ذلك الحدث ومستوى التفاعلات التي يخلقها في الحياة الاجتماعية. فالآثار الأكبر تكسب الحدث أهمية أعظم.

وتتفاوت الأحداث في مدى تأثيراتها من حيث المساحات الزمانية والمكانية والاجتماعية، فالمدى الأوسع للتأثير يعطي حجماً أكبر للحدث المؤثر.

ولا تقتصر هذه المعادلة على الجانب الديني بل إنها فاعلة حتى في المجال الديني وعالم الثواب والعقاب في الآخرة، لما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً»<sup>(١)</sup>.

ومثله ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «من سن سنة عدل فأتبع كان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن سنة جور فأتبع كان له مثل وزر من عمل به من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»<sup>(٢)</sup>.

(١) السندي: أبو الحسن الحنفي، شرح سنن ابن ماجه ج ١ ص ٩٠ دار الجيل - بيروت

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٢٥٨

انطلاقاً من هذه الحقيقة فإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام تفرد في عالم الأحداث والثورات بما أفرزته من آثار كبيرة، وانعكاسات واسعة، تجعلها في صدارة الأحداث الأهم في تاريخ الأمة الإسلامية بل والتاريخ البشري بشكل عام.

لقد تجاوزت تفاعلات ثورة الحسين حدود المكان، وحواجز الزمان، واختلاف الشعوب والأقوام، ولا تزال تموجاتها متلاحقة متتابعة في مختلف بقاع الأرض، وعلى مساحة بشرية كبيرة متنوعة في أعراقها وقومياتها، رغم مرور أربعة عشر قرناً من التاريخ.

### التأثير الفكري والثقافي:

لم تكن قضية الإمام الحسين صراعاً على سلطة أو ملك، ولا مواجهة تستهدف عائلة أو شخصاً في موقع الحكم، إذ لا انتهت بانتهاك طرفي الصراع والمواجهة، كما هو حال سائر النزاعات السياسية والمصلحية.

بل كانت قضية رسالة ومبدأ، ثار الحسين للدفاع عنها، ونهض للتبشير بها، حيث رأى أمة جده تنسلخ من رسالة الإسلام، وتسودها أجواء مخالفة لقيمه ومفاهيمه، وتحكمها فئة مخالفة لهديه وتشريعاته.

فانطلق صادعاً بالحق، داعياً إليه، مبيناً معالمه، وكانت سيرته ومواقفه عليه السلام، التي توجهها بالشهادة في سبيل الله، أفضل أنموذج وشاهد يقدمه للأمة والتاريخ على صدق نهجه، وسلامة خطه.

كان الإمام الحسين حريصاً على توعية الأمة بدينها وبواقعها السياسي، وكان يهيمه تبين حقائق الإسلام وشرائعه، لينطلق الناس منها في حياتهم ومواقفهم، لذلك حفل سجل النهضة الحسينية بالكثير من الخطب والرسائل

والكلمات والمحادثات، والشعارات وأراجيز الشعر ومقاطععه.  
إنها ثورة فكرية ثقافية قبل أن تكون سياسية عسكرية، تريد العودة بالأمة  
إلى أصول الرسالة، ومبادئ الدين، وأنظمة الشريعة وقوانينها.  
لذلك أنتجت حركة فكرية ثقافية واسعة تطال مختلف جوانب المعرفة  
والحياة.

### على الصعيد الديني:

أعادت طرح موقعية أهل البيت عليهم السلام في الأمة، بعد فترة من التجاهل والتنكر  
لحقهم ولدورهم، رغم تأكيد القرآن الكريم على طهارتهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ  
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup> وعلى مودتهم كأجر  
للمرسالة ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup> وعلى رغم  
الأحاديث والوصايا المتكررة من رسول الله ﷺ في حق أهل بيته، كالحديث  
الصحيح الذي أورده مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال: «قام رسول الله  
ﷺ يوماً فبينا خطيباً، بماء يدعى خُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه،  
ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول  
ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا  
بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله، ورغب فيه. ثم قال: وأهل  
بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل  
بيتي»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

(٢) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٣) القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ باب  
فضائل علي عليه السلام.

وقد بلغ التجاهل والتنكر لأهل البيت ﷺ ذروته حينما آل الأمر لبني أمية فخططوا لمحو ذكرهم، وتشويه سمعتهم وصورتهم أمام الرأي العام، بتشجيع وضع الأحاديث، وخلق التهم والافتراءات، والإشادة بغير أهل البيت لصرف الأنظار عنهم.

لكن هول المأساة التي حصلت في كربلاء أحدثت صدمة عنيفة، لعقول ومشاعر أبناء الأمة الإسلامية، ولفتت أنظارهم واهتمامهم وعواطفهم صوب أهل البيت ﷺ، من هنا يمكن القول أن خط أهل البيت ومذهبهم إنما تبلور وتميّز من خلال واقعة كربلاء، والتأثير الذي تركته في وجدان الأمة وأفكارها.

### على المستوى السياسي:

أعادت ثورة الإمام الحسين فتح ملف الخلافة والحكم، والمواصفات التي يجب أن تتوفر في قيادة الأمة، والمنهج الذي يجب أن تسير عليه، وموقف الأمة من انحراف الحكم عن شريعة الله وقيم الدين.

فالحسين الذي تربى في أحضان جده رسول الله ﷺ، ونهل من نعيم علمه وأدبه، وهو سبطه وحيبيه، وقد قال في حقه بمرأى ومسمع من الأصحاب ما أورده ابن ماجة في سننه عن يعلى بن مرة، أنه ﷺ قال: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسياب» وفي الزوائد: إسناده حسن رجاله ثقات، وأخرجه الترمذي وقال: حديث حسن<sup>(١)</sup>.

الحسين هذا، لا يمكن أن يقدم على حركة بهذا الحجم من المستوى والتأثير، إلا أن يكون له منطلق شرعي سليم، ورؤيا مبدئية واضحة. وقد شكل

(١) السندي: أبو الحسن الحنفي: شرح سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٥ باب فضائل الحسن والحسين.

ذلك دافعاً لطلائع الأمة ونخبها الواعية، بأن تتجاوز الأجواء التي صنعها الأمويون، لكي تقبل الأمة بحكمهم كأمر واقع، وتخضع لهم كولاة للأمر، وأن تتم مراجعة رأي الإسلام ورؤيته في الخلافة والحكم على ضوء الكتاب والسنة.

### في الجانب الاجتماعي:

قدمت حركة الإمام الحسين منظومة مناقبية جديدة، تنبثق من روح المسؤولية والالتزام الأخلاقي، في مقابل سيطرة الروح الأنانية والمصلحية والانتهازية، وتتجلى هذه المقابلة والمواجهة في أخلاقيات المعسكرين: أنصار الإمام الحسين، الذين رفضوا الإغراءات والمساومات، ووقفوا وقفة عز وفداء، دفاعاً عن الدين والمصلحة العامة، وفي الطرف الآخر: الجيش الأموي، الذين دفعتهم المطامع والمصالح لارتكاب أفظع الجرائم والآثام، وكانوا يتسابقون إلى المناصب والغنائم على حساب ضمائرهم ومبادئهم وأمتهم.

### المعارف الحسينية:

هذا التأثير الفكري الثقافي الكبير الذي تركته ثورة الإمام الحسين في أوساط الأمة، خلق موجاً هائلاً، وحركة معرفية ضخمة، لا تزال تتواصل وتنمو وتتراكم، ضمن مختلف أبعاد المعرفة.

مما وفر للإسلام والأمة ثروة معرفية كبيرة، لها مؤسساتها الخاصة، وتمويلها الأهلي الذاتي، ومدارسها المتخصصة، ومواسمها الدائمة والمتكررة، وتقاليدها وأعرافها.

فالحسينية أو المآتم هي في الحقيقة مؤسسة ثقافية اجتماعية، وخطباء المنبر الحسيني هم شريحة متفرغة للتوجيه والتثقيف الاجتماعي، والأوقاف الضخمة باسم الإمام الحسين (عليه السلام)، هي مصدر ثابت لتمويل هذا النشاط المعرفي المتجدد.

أما في الحقل الأدبي فحدثت عن الإنتاج والإبداع فيه ولا حرج، حيث فجّرت واقعة كربلاء بمآسيها المفجعة وبطولاتها الملهمة، قرائح الشعراء، ومواهب الأدباء، منذ الأيام الأولى للواقعة، وتواصلت على مدى الأجيال، وبمختلف الألسنة واللغات، وضمن شتى ألوان الأدب وأشكاله من نثر أو شعر.

كما تشتمل هذه الثروة المعرفية على رصيد ضخم من الكتابات والبحوث التاريخية التي اهتمت بنقل أحداث السيرة الحسينية، وما يرتبط بها من تراجم الأشخاص، وتحديد الأمكنة والبقاع، وتصوير القضايا والأوضاع.

وفي المجال العقائدي والديني تضمنت المعارف الحسينية الكثير من المفاهيم والرؤى، التي حوتها الأحاديث والروايات ونصوص الزيارات الواردة لمشاهد وأضرحة شهداء كربلاء.

ومما يعطي لهذه الثروة المعرفية أهمية فريدة من نوعها، تجاوب الجمهور الشعبي معها، حيث يتفاعل جمهور عريض واسع من أبناء الأمة، المحبين لأهل البيت (عليهم السلام)، مع مناسبات ومواسم الذكرى الحسينية، كعاشوراء والعشرين من صفر، وسائر أوقات الزيارات المندوبة، حسب ما ورد في آثار أهل البيت (عليهم السلام).

هذا التفاعل الجماهيري الهائل، الذي يحصل بان دفاع ذاتي، ومن قبل كل

الشرائح الاجتماعية: الرجال والنساء، والكبار والصغار، والأثرياء والفقراء، والمثقفون والعاديون.. لا تكاد تجد شبيهاً له في أي برنامج اجتماعي ثقافي، لدى أي أمة من الأمم. مما يكسب المعارف الحسينية حركية مميزة، وتفاعلاً إنسانياً شاملاً، وليس كسائر المعارف والعلوم التي قد يتم التعاطي معها ضمن نخبة أو طبقة معينة.

### التنظيم والتحقيق:

هذه الثروة المعرفية الضخمة، التي هي نتاج لثورة الحسين، وصدى لحركته المباركة، تحتاج إلى اهتمام واستثمار لتأخذ موقعها المناسب في عالم المعرفة والثقافة الإنسانية، خاصة ونحن نعيش الآن في عصر الاتصالات والثورة المعلوماتية.

إن المعارف الحسينية بحاجة إلى تنظيم يجمع شتاتها المتناثر على مساحات الأزمنة والأمكنة واللغات والأقوام، وإلى برمجة لتصنيف المفردات والمضامين.

كما هي بحاجة إلى تحقيق علمي عميق، يبرز كل جانب منها في إطار موضوعي مناسب، ويتناول أبعادها المتنوعة بالتحليل والتمحيص. وتلك مهمة خطيرة شاقة لا يغامر بالتفكير فيها والإقدام عليها كل أحد.. بل تحتاج إلى همة قعساء، ورأي ناضج، وخبرة علمية واسعة..

وفي حوزاتنا العلمية رعاها الله علماء أفاض، وعقول نيّرة، تعشق العلم والمعرفة، وتتقن التمحيص والتحقيق، إلا أنها تحصر اهتمامها في الغالب ضمن حدود البحوث الأصولية والفقهية، تفريراً لمسائلها، واستقراءً لأدلتها، ومناقشة للآراء المطروحة والمفترضة فيها.. كل ذلك بعمق علمي، ودقة

متناهية. تثير الدهشة والإعجاب.

لكن ما يبعث على التساؤل هو تزامن هذه العقول الجبارة وإقبالها على حقل علمي واحد هو الفقه وأصوله، والعزوف عن بقية حقول العلم والمعرفة الإسلامية والإنسانية، مما جعل إنتاج حوزاتنا العلمية في تلك المجالات محدوداً.

وحينما تخطى بعض أقطاب الحوزة العلمية مجالي الفقه والأصول، ومارس اجتهاده وإبداعه في الحقول المعرفية الأخرى، قدم للأمة والعلم إنتاجاً مميزاً سد فراغاً خطيراً، كما هو الحال في توجه العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي لتفسير القرآن، حيث يعتبر كتابه (الميزان في تفسير القرآن) من أروع التفاسير وأعمقها..

والعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني الذي توجه لبحث موضوع الإمامة فألف موسوعته الخالدة (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) والعلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني، الذي اهتم بتراث أتباع أهل البيت وتراجم أعلامهم، فأصدر موسوعته المهمتين (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) و (طبقات أعلام الشيعة) والإبداع العلمي الذي قدمه الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر في (فلسفتنا) و (اقتصادنا) و (الأسس المنطقية للإستقراء)..

لقد كان علماؤنا السابقون يعيشون أفقاً واسعاً، واهتماماتهم العلمية كانت شاملة، لذلك خلفوا لنا تراثاً علمياً في مختلف مجالات المعرفة، وكان الفقه والأصول من مجالات اهتماماتهم، لكن لا على سبيل الانكفاء ضمنه، والانحصار في دائرته، كما يتضح ذلك لمن يقرأ آثار الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشريف الرضي، والشيخ الطوسي، والعلامة المجلسي وغيرهم.

إنه لا يمكن الاستهانة بعلمي الفقه والأصول، ولا التقليل من شأن الجهود الجبارة التي بذلها العلماء المحققون في بحث مسائل هذين العلمين وبلورتها، لكن الانحصار فيهما حرم الأمة والعلم من إسهام العلماء المجتهدين في تطوير سائر حقول المعرفة والفكر، سوى توجه بعض من أشرنا إليهم من العلماء المجددين.

### الإنجاز الرائع:

وعلى خطا العلماء الموسوعيين الرواد، تأتي مبادرة العلامة الشيخ محمد صادق الكرباسي، في التصدي لهذه المهمة الخطيرة الشاغرة: تنظيم وتحقيق المعارف الحسينية، حيث ألهمه الله العزم، ومنحه التوفيق، لاتخاذ قرار إصدار دائرة المعارف الحسينية، وكان ذلك القرار يعني أن يهب حياته ووجوده، وأن يجند وقته وطاقته، للقيام بهذه المهمة العظيمة، وحقاً إنه قرار عظيم وجريء، ويشكل إنجازاً فتحاً كبيراً في عالم المعرفة، وخدمة جليلة لمقام سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام.

إن الرقم الذي وصلت إليه مجلدات (دائرة المعارف الحسينية) حسب مخططها يزيد على الخمسمائة مجلد، وقد يصل إلى سبعمائة مجلد، وهي بهذا تضرب الرقم القياسي في تاريخ الموسوعات من الشرق والغرب، فأكبر موسوعة تتحدث عنها المصادر في تاريخ العالم هي موسوعة (الدراسة العامة للآثار الأدبية) التي أصدرها في الصين (مادوانلين) عام ١٢٧٣ م وبلغت ٣٤٨ مجلداً.

وإذا ما تجاوزنا الكم إلى الكيف، فإن ما صدر من مجلدات (دائرة المعارف الحسينية) يحكي عن علم غزير، وقدرة تحقيقية هائلة، واطلاع

معرفي واسع، ومقدمة كل باب أو فصل تشكل منهجية إبداعية في بحث ذلك الموضوع، كما أن جزالة التعبير والأسلوب، تعكس مستوى متقدماً من الأدب الرزين، والمعالجة الموضوعية، لأبحاث بعضها شائك حساس.

### المعاذلة والدعم:

هذه المبادرة العظيمة، والإنجاز الرائع، الذي يسعى الشيخ الكرباسي لتحقيقه، والذي استبشر الوسط العلمي والأدبي ببعض ثماره اليانعة، ممثلة في المجلدات القليلة المطبوعة، إن ذلك يحمل الواعين من أبناء الأمة، ومحبي الإمام الحسين عليه السلام، مسؤولية المعاذلة والدعم، إن تراث كربلاء والمعارف الحسينية متناثرة في مختلف البقاع والأصقاع، ولدى مختلف المجتمعات والشعوب، وبعضها ذهب أدراج الرياح، والبعض الآخر معرض للضياع والإهمال، وما دام قد قيض الله تعالى لهذا التراث المعرفي الضخم، من يتصدى للمّ شمله وجمع شتاته، وتنظيم فنونه وأبوابه، وعرضه للعالم بشكل حضاري لائق، فعلينا جميعاً كل في موقعه وحسب قدرته، أن نأخذ موقف المعاذلة والدعم.

والجدير بالذكر أن هناك أوقافاً كثيرة باسم الإمام الحسين في مختلف البلدان والمناطق، ولها دخل مالي كبير، ومن المناسب جداً أن يصرف شيء من وارد تلك الأوقاف في هذا المشروع الحسيني الحضاري، بل لعله من أفضل المصارف.

كما يتسابق الكثيرون من محبي الإمام الحسين إلى البذل والعطاء في خدمة الشعائر الحسينية، من إقامة العزاء، والإطعام، والزيارة، وهي برامج هامة ينبغي المحافظة عليها

والتشجيع باتجاهها، لكن ينبغي بالإضافة إليها أن نوجه أنظار هؤلاء المحبين، إلى أن قضية الإمام الحسين، تحتاج في هذا العصر، إلى طرح علمي حضاري، وهذا المشروع (دائرة المعارف الحسينية) يأتي ضمن هذا السياق، فيجب أن يتوجه المحبون العاشقون للحسين عليه السلام نحو هذا المشروع بالبذل والعطاء، استمراراً لهذه المسيرة الحسينية المباركة عبر أجيال التاريخ، وحتى نسلم الأمانة لأبنائنا وأجيالنا القادمة بالشكل اللائق والمناسب.



**الشباب: أسرع إلى كل خير**

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٢ صفر ١٤٢١ هـ



يتصور البعض أن طبيعة مرحلة الشباب بما يواكبها من عنفوان عاطفي، واستيقاظ للغرائز والشهوات، تسبب عزوفاً عن الدين، وميلاً إلى اللهو واللعب، والانفلات من الضوابط والالتزامات.

لكن الحقيقة تشير إلى عكس ذلك، فمرحلة الشباب، تبرز فيها كافة الميول والرغبات والملكات الطبيعية الكامنة في ذات الإنسان، سواء منها الشهوانية المادية والروحية المعنوية.

فإلى جانب استيقاظ غريزته الجنسية يتبلور وعيه وعقله، وتنمو التوجهات الفطرية والخيرة في نفسه، وتتصب أمام ذهنه تساؤلات وعلامات استفهام حول وجوده ووجود الكون والحياة، بعد أن كان في مرحلة الطفولة غير ملتفت ولا مهياً للتفكير الجاد في هذه الأمور، فيصبح على مفترق طرق، وأمام عدة خيارات، والبيئة التي يعيش فيها، والأجواء التي يحياها، لها دور في ترجيح كفة هذا الميل أو ذاك في نفسه.

لذلك يعتبر الإسلام فترة البلوغ هي سن التكليف الشرعي وتحمل المسؤولية. (ويعتقد جميع العلماء أن هناك ميولاً أخرى إلى جانب المعرفة الفطرية والضمير الأخلاقي، تتوضح معالمها بشكل طبيعي في الإنسان لدى بلوغه سن الثانية عشر، أي مع بداية مرحلة الحداثة والفتوة، ومن جملة هذه الميول، الميل إلى المعرفة الدينية، وهذا الميل يزداد ويشد تدريجياً مع تفاعل

العوامل الطبيعية للبلوغ حتى يصل ذروته في سن السادسة عشر. يقول (جان. بي. كايزل): لقد أثبتت الاختبارات أن الإيمان بالدين يبدأ تفاعله في أعماق الإنسان من سن الثانية عشر. أما (موريس دبس) - أستاذ في جامعة ستراسبورغ - فيقول: «يبدو أن هناك إجماعاً بين علماء النفس على وجود علاقة بين أزمة البلوغ والثوب المفاجئ للحس الديني لدى الإنسان. وفي هذه الفترة يلاحظ وجود نوع من النهضة الدينية والوعي الديني حتى عند أولئك الذين لم يكونوا ليعيروا اهتماماً من قبل بكل ما يتعلق بالدين والإيمان. وهذا الحس الديني يبقى يتفاعل في أعماق الإنسان حتى يصل في سن السادسة عشر إلى ذروته»<sup>(١)</sup>.

### الشباب طليعة المؤمنين:

ولو استقرأنا تاريخ الرسائل السماوية لرأينا بوضوح أن الشباب كانوا هم السباقين للإيمان بها، وللاستجابة للرسول الكرام، وحمل الدعوة والجهاد من أجلها والدفاع عنها.

فنبى الله نوح عليه السلام يعيره قومه بأنه لم يستجب له إلا الضعفاء والشباب ﴿وَمَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ﴾<sup>(٢)</sup>، «لأن معظمهم من الشباب المطهرة قلوبهم الذين يحسون بضيء الحقيقة في قلوبهم، ويدركون بذكائهم وبحتمهم عن الحقيقة دلائل الصدق في أقوال الأنبياء عليهم السلام وأعمالهم»<sup>(٣)</sup>.

ونبي الله موسى عليه السلام إنما التف حوله شباب قومه متحدين أجواء الاستبداد

(١) فلسفي: محمد تقي، الشاب بين العقل والعاطفة ج ١ ص ٣٢٩ الطبعة الأولى ١٩٩٤

مؤسسة الأعلمي للطبوعات بيروت.

(٢) سورة هود الآية ٢٧.

(٣) الشيرازي: ناصر مكارم، تفسير الأمثل ج ٦ ص ٤٧٨.

والقمع كما يقول تعالى ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> والذرية هم الأبناء.

ونبينا محمد ﷺ كان طليعة المؤمنين به من الشباب لذلك ورد عنه ﷺ أنه قال: «أوصيكم بالشبان خيراً فإنهم أرق أفئدة، وأن الله بعثني بشيراً ونذيراً فحالفني الشبان، وخالفني الشيوخ، ثم قرأ ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾»<sup>(٢)</sup>.

وكان مما أثار شيوخ قريش على رسول الله ﷺ إقبال أبنائهم الشباب على دعوته، وصرحوا بذلك في شكواهم إلى أبي طالب حيث قالوا: «إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وسفّه أحلامنا وأفسد شبابنا»<sup>(٣)</sup>.

فعلي بن أبي طالب أول الناس إسلاماً كان عمره ثلاثة عشر سنة، وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري ومصعب بن عمير وبلال بن رباح وأمثالهم من الصحابة رضي الله عنهم، اعتنقوا الإسلام في مرحلة شبابهم، وحملوا رايته وأشادوا كيانه.

ومرة سأل الإمام جعفر الصادق ﷺ تلميذه محمد بن النعمان المعروف بمؤمن الطاق، وكان مهتماً بنشر تعاليم الإسلام ومعارف أهل البيت ﷺ سألته الإمام: كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الأمر ودخولهم فيه؟ فقال: والله إنهم لقليل. فقال له الإمام جعفر: عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير<sup>(٤)</sup>.

وفي العصر الحاضر فإن الشباب هم جمهور الصحوة الإسلامية المباركة،

(١) سورة يونس الآية ٨٣.

(٢) فريد: مرتضى، روايات من مدرسة أهل البيت ج ١ ص ٣٤٩.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ١٨ ص ١٨٠.

(٤) المصدر السابق ج ٢٣ ص ٢٣٦.

فالإقبال على الاتجاه الديني، والتحرك الإسلامي يأتي أكثر من أوساط شباب المسلمين في هذا العصر.

### في لبنان - انتصر شباب الإسلام:

تعيش الأمة الإسلامية هذه الأيام أفراح النصر المؤزر الذي تحقق في جنوب لبنان، باندحار القوات الإسرائيلية الغاشمة، بعد احتلال دام اثنتين وعشرين سنة، هذا النصر العظيم إنما تحقق على أيدي شباب الإسلام أبناء المقاومة الإسلامية الباسلة، كان في لبنان وجود فلسطيني كبير وقوة فلسطينية هائلة، تمتلك السلاح والعتاد والإمكانات والدعم الشعبي اللبناني والعربي، لكن إسرائيل تمكنت من مواجهة الفلسطينيين وإخراج قيادتهم من لبنان بشكل مذل مهين، وكان في لبنان حركة وطنية واسعة تضم مختلف الأحزاب اليسارية والقومية، لكنها لم تصمد أمام القهر الإسرائيلي، وهبت رياح الإسلام والإيمان، وانطلقت المقاومة الإسلامية، بقوة العقيدة والدين، وبروح الشهادة والتضحية، فاستجاب لها شباب الإسلام، وتحذوا كل أجواء الإغراء والإغواء والفساد والإفساد.

وكلنا يعرف طبيعة الأجواء الحرة المفتوحة في لبنان، حيث تتوفر كل وسائل الميوعة وأساليب الابتذال، فإذا كان بعض شبابنا تؤثر فيهم أفلام وصور ومشاهد يرونها من خلال قنوات البث التلفزيوني والفضائيات، فإن الشباب المؤمنين في لبنان يعايشون هذه الحالات واقعاً يتحرك أمامهم، كما أن إسرائيل وعبر إعلامها الموجه إلى لبنان، وأجهزة مخابراتها (الموساد) كانت تعمل بكل وسيلة لإفساد شباب لبنان وتمييعهم واستمالتهم، لكن الشباب المؤمنين تجاوزوا كل تلك التحديات، وتمسكوا بدينهم، وناضلوا

من أجل عزة أمتهم وكرامتها، حتى حقق الله النصر على أيديهم، وشاهدنا وشاهد العالم لأول مرة جيش إسرائيل الذي يتشدد بأنه لا يقهر، وقد اضطر للإسحاب بالخيبة والذلة، وفر جنوده تحت جناح الظلام بهزيمة نكراء، والحمد لله رب العالمين.

أنه في الوقت الذي نبارك فيه لإخواننا اللبنانيين انتصارهم الكبير، فإننا يجب أن ندرك بأن الحالة الإيمانية الواعية هي سر انتصارهم، وأن الشباب هم طليعة هذه الحالة الإيمانية.

### دوافع الدين عند الشباب:

هناك أكثر من دافع وراء ظاهرة إقبال الشباب على الدين:

١. في مرحلة الشباب يتشكل وعي الإنسان، ويتفتح تفكيره على الحياة، فترتسم أمامه تساؤلات ملحة، تطرحها عليه فطرته، ويشيرها عقله، وتنبثق من خلال تأمله وملاحظته الفاحصة لما حوله من قضايا وأوضاع، ولأن الدين يقدم إجابات واضحة، تنسجم مع الفطرة، وتتفق مع بديهيات العقل، فإن الشاب يجد في الدين ضالته، وكنفه الذي يأوي إليه، فيمنحه الاطمئنان النفسي، والاستقرار الفكري.

وحين لا تتوفر للشباب فرصة التعرف على الدين، والإطلاع على مبادئه وتعاليمه، فإنه قد يعيش فراغاً فكرياً ونفسياً يسبب له الكثير من القلق والاضطراب، وقد يصبح عرضة للتوجهات الخاطئة والمنحرفة، من هنا جاء التأكيد الديني على الاهتمام بالناشئين والشباب من قبل عوائلهم، والواعين من أبناء المجتمع، لحماية جيل الشباب من الفراغ والضياع.

يقول الإمام علي عليه السلام: «وإنما قلب الحَدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها

من شيء قبلته»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة»<sup>(٢)</sup> من الفرق المنحرفة.

٢. يكون الشاب مرهف المشاعر والأحاسيس، صافي الفكر والسريرة، لذا يتحسس بدقة نقاط الضعف والثغرات في الواقع الاجتماعي المعاش، ولأنه يفكر في بناء مستقبله وحياته ضمن هذا الواقع الاجتماعي، فإن المشاكل والأزمات الحاضرة ترعجه وتشعره بالقلق على مستقبله، وقد يرى أن تطلعاته وطموحاته تتعثر في مجال التعليم أو العمل أو بناء الأسرة وترتيب شؤون الحياة، بسبب بعض المشاكل القائمة، مما يجعله باحثاً عن الطروحات والمناهج التي يعقد عليها آمال الخلاص ويرى فيها سبيل المستقبل الأفضل.

والدين ينمي في الإنسان روح التطلع إلى الأفضل، ويشحذ همته لمقاومة مساوئ الواقع المعاش، وعدم الخضوع لمفاسده ومشاكله، ويشجعه على العمل من أجل الإصلاح والتغيير، وهذا ما تنشده نفوس الشباب وتتجاوب معه.

فشباب مكة والمدينة إنما استجابوا لله ورسوله، واندفعوا نحو الإسلام، لأنهم رأوا فيه رسالة تغيير، وثورة إنقاذ، من الجهل والشرك والفساد الاجتماعي.. وشباب الإسلام في هذا العصر إنما تفاعلوا مع الصحوة الإسلامية، لما شعروا به من مرارة واقع أمتهم، حيث التخلف الحضاري، والهيمنة المعادية، وأوضاع الاستبداد والفساد الشامل، فلجؤوا للإسلام

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - كتاب ٣١.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب، فروع الكافي ج ٦ ص ٤٧.

كسفينة نجاة، ومشروع إنقاذ وإصلاح.

٣. بمرور الزمن قد تتراكم الأخطاء وتحدث الانحرافات حتى في المجتمعات الصالحة، لذلك تحتاج المجتمعات إلى نفضات وانتفاضات تجديدية، تطور من خلالها برامج حياتها، وتتجاوز الأخطاء والسلبيات، لكن جيل الكبار قد تصعب عليهم هذه المهمة، فهم قد ألفوا الواقع المعاش، وتعودوا على طرقه وأساليبه، وهم يخشون من مضاعفات أي تغيير، ولا يمتلكون روحية المغامرة والطموح غالباً.

أما الشباب فارتباطهم بالواقع المعاش ناشئ ومحدود، وانشدادهم النفسي إليه ضعيف حين لا يرضي طموحاتهم، وفورة الشباب تدفعهم للمغامرة واقتحام المجهول بحثاً عن الأفضل.. والدين في حقيقة مفاهيمه وتعاليمه دعوة دائمة إلى الإصلاح والتجديد، وحث وتحريض على تغيير المنكر وقرار المعروف في أي مجال من مجالات الحياة.. وتلك سمة تستقطب الشباب وتستهوهم من الدين.

### المسؤولية تجاه الشباب:

هذه الدوافع التي توفرها مرحلة الشباب نحو الدين، لا تعني حدوث حالة التدين بشكل تلقائي لدى الشباب، وإنما وجود الاستعداد والتهيؤ الذاتي، والذي يحتاج إلى استثمار وتفعيل خارجي.

وهنا تأتي مسؤولية العائلة والمجتمع في توفير أجواء الهداية والتوجيه السليم، ويبدو لي أن من الأمور الأساسية للأخذ بيد الشباب الأعمام نحو الدين والصالح أمران:

١. التوعية والتثقيف المناسب: فأبناؤنا اليوم يعيشون عالماً متقدماً في

وسائله وأوضاعه عن العالم الذي عاشه آبائهم، فهم منفتحون على ما يجري في العالم كله عبر وسائل الاتصالات والإعلام المتطورة، ويشعرون بالثقة بالذات، والرغبة في التحرر، فلا بد وأن تعرض عليهم مفاهيم الدين وتعاليمه، بشكل مناسب، ولغة معاصرة، وأسلوب واضح جذاب، قادر على استقطابهم ومعالجة ما يواجهونه من تساؤلات وتحديات.

٢. الإقبال عليهم والاهتمام بهم من قبل الجهات الدينية، إنهم بحاجة إلى من يفتح لهم قلبه وييدي لهم الاحترام والتقدير، ويتحمل إشكالاتهم وبعض الأخطاء التي تبدو من سلوكياتهم، إن مجاميع كثيرة من الشباب كانوا في البداية غافلين عن الدين، تتقاذفهم مختلف التوجهات والمسلكتيات الخاطئة، لكن توجه بعض علماء الدين الواعين لهم، وإقبالهم عليهم واهتمامهم بهم، أوجد منعطفاً كبيراً في حياتهم، وحولهم إلى شباب صالحين مصلحين، يتفانون في خدمة دينهم ومجتمعهم. إن التصدي من قبل علماء الدين لرعاية الجيل الشاب يعتبر من أهم المسؤوليات في هذا العصر، حيث يواجه الشباب طوفاناً جارفاً من الثقافة المادية والإغراءات الفاسدة، وإنقاذ أي شاب وهدايته هو أفضل مصداق لقوله ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»<sup>(١)</sup>. واهتمام عالم الدين بالشباب مؤثر على إخلاصه، فالوسط الشبابي لا يعطي بروزاً وظهوراً، ولا تتوفر لديه الامتيازات والإمكانات كما هو الحال في أوساط الكبار ورجال الأعمال، كما لا يحظى منهم بمظاهر الاحترام والتقدير التي يبديها

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٦١.

الكبار عادة لعالم الدين، والتعاطي مع الشباب امتحان لرحابة الصدر وسعة الأفق، كل ذلك يجعل الثواب الإلهي أجزل وأوفر في الاهتمام بهذا الجيل الناشئ.

وبالإضافة إلى الثواب الإلهي فإن من يقبل على الشباب ويهتم بهم، سيرى ثمار جهده يانعة وفيرة، من خلال إقبال الشباب وتجاوبهم وتفاعلهم، مصداقاً لقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنهم أسرع إلى كل خير». فنفسهم شفافة، وقلوبهم رقيقة كما قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنهم أرق أفئدة»، لم تتراكم عليها الذنوب بعد، ولم تعقدوا المصالح والسلبيات. وما قد نراه من مسلكيات خاطئة عند بعض الشباب إنما هو نتيجة للفراغ وضعف التوجيه والتوعية.

ونحن في هذه الأيام على أعتاب العطلة المدرسية الصيفية، والتي يكون فيها للشباب من فتيان وفتيات متسع كبير من الوقت، يجب أن تتوفر لهم فيه برامج مفيدة، ينمّون من خلالها كفاءاتهم وطاقاتهم، ويتعرفون على معالم دينهم، وما ينفعهم لديانهم وآخرتهم، وإذا ما تركوا للفراغ فإنهم سيكونون عرضة لمختلف التوجهات المنحرفة والفاصلة، فالفراغ خطير، ودافع للكثير من المسلكيات الضارة على الفرد والمجتمع.

والمأمول أن يتوجه العلماء الواعون، والناس المهتمون بمصلحة المجتمع، وخدمة الدين، لاحتواء هؤلاء الشباب في عطلتهم المدرسية، ووضع البرامج المفيدة لتوعيتهم وتربيتهم وتوجيههم.



# زكاة العلم

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٩ صفر ١٤٢١ هـ



الزكاة لغة: النمو والزيادة. يقال: زكا الزرع: إذا نما وزاد، وزكت النفقة: إذا بورك فيها. وقد تطلق بمعنى الطهارة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾<sup>(١)</sup>. أي طهرها عن الأدناس. ومثله قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾<sup>(٢)</sup>. جاء في لسان العرب: «وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة وفي حديث الباقر عليه السلام أنه قال: «زكاة الأرض يُبسها، يريد طهارتها من النجاسة كالبول وأشباهه بأن يجف ويذهب أثره»<sup>(٣)</sup>.

ومن فلسفة الزكاة في التشريع الإسلامي يظهر أن المعنيين قد أخذوا فيها بعين الاعتبار، فإتاء زكاة المال يطهر نفس الإنسان من الأنانية والبخل والحرص، لشعور الإنسان بأن المال الذي يحصل عليه ملك له وحده، وتحت سيطرته وتصرفه هو فقط، وإعطاؤه للزكاة تشذيب وتعديل لهذه المشاعر والأحاسيس، لذلك يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

في ذات الوقت فإن إخراج الزكاة ينمي المال ويزيده، ببركة الله وفضله، وحتى وفق المنظور الاجتماعي والاقتصادي فإن رعاية الفقراء يوفّر الأمن الاجتماعي، حيث يمنع من تشكّل حالات الإجرام والعدوان الناتجة من

(١) سورة الشمس الآية ٩.

(٢) سورة الأعلى الآية ١٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ج ٣ ص ٣٦.

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٣.

الفقر والحرمان، كما أن تدوير الثروة في المجتمع، يحرك الوضع الاقتصادي، ومردوده سيكون على أصحاب رؤوس الأموال أيضاً. من هنا نرى الدول الكبرى في العالم تقدم شيئاً من الدعم والمساعدة للدول الفقيرة المتخلفة، والتي إذا تحرك اقتصادها فستستهلك من إنتاج تلك الدول المتقدمة.

والنصوص الدينية تشير إلى دور الزكاة والصدقة في تنمية المال والثروة كما ورد عن رسول الله ﷺ: «إذا أردت أن يثري الله مالك فزكه»<sup>(١)</sup> وقول الإمام محمد الباقر (عليه السلام): «الزكاة تزيد في الرزق»<sup>(٢)</sup>.

### لكل شيء زكاة:

ليس امتلاك الإنسان للثروة فقط هو الذي يشعره بالأنانية والبخل، بل إن كل إمكانية يتوفر عليها الإنسان تسبب له هذا الشعور، وتشيعه في نفسه وسلوكه، لذلك فهو في حاجة لترشيد مشاعره وتصرفاته تجاه كل ما يتحصل عليه من إمكانيات ومكاسب في هذه الحياة، ليتجه لتوظيفها في خدمة المصلحة العامة.

من هنا تشير النصوص الدينية إلى أن لكل شيء زكاة، فكما يجب على الإنسان أن يعطي حصة من ماله - حسب الضوابط الشرعية - لصالح الفقراء والخدمات العامة، فإن عليه أن يوظف شيئاً من قدراته وإمكاناته المختلفة لصالح الشأن العام وخدمة أبناء جنسه ومجتمعه. يقول الإمام علي (عليه السلام): «لكل شيء زكاة»<sup>(٣)</sup>.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٤.

(٣) الأمدى التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم - حرف اللام.

والعلم والمعرفة من أكبر الإمكانيات وأهم المكاسب، وإذا ما توفّر إنسان على مستوى وقدر من العلم، فقد يأخذه الغرور والتعالي على من حوله، وتسيطر عليه الأنانية فيحتكر العلم والمعرفة لنفسه، ويخل بها على الآخرين، إلا في حدود خدمة ذاته ومصالحه. لذا جاءت التعاليم الدينية تؤكد على مسؤولية العالم تجاه الناس، وتوجب عليه بذل علمه للمحتاجين إليه والمنتفعين به.

وبذل العلم هي زكاته. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام علي عليه السلام: «زكاة العلم بذله لمستحقه»<sup>(٢)</sup>.

إن بذل العلم للناس يزكي نفس العالم ويطهرها من الأنانية والبخل، ويؤكد لديه الشعور بالمسؤولية، فالعلم ليس تشریفاً فقط وإنما هو مسؤولية وتكليف.

من ناحية أخرى فإن بذل العلم يزيده وينميّه، كما يقول الإمام علي عليه السلام: «والعلم يزكو على الإنفاق»<sup>(٣)</sup> أي يزيده وينمو.

ذلك أن إبداء المعلومات يرسخها في ذاكرة الإنسان، فالفكرة أو المعلومة التي تطرحها عدة مرات مثلاً تصبح أكثر حضوراً في ذهنك، وأبعد عن الغفلة والنسيان.

وطرح الأفكار والآراء أمام الآخرين يعطي الفرصة والمجال لتمحيصها ونقدها ومناقشتها، فقد ينطوي الإنسان على نظرية ما معتقداً صحتها وصوابها،

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٥.

(٢) الأمدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم - حرف الزاء.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة.

فإذا ما طرحها للتداول العلمي والفكري بين الناس، فإنها قد تثير شيئاً من التساؤل والأخذ والرد، يدعو صاحبها لإعادة النظر فيها، بمعالجة الثغرات ونقاط الضعف في النظرية، مما يعمقها ويقوّيها، أو بالتراجع عنها إذا انكشف له بطلانها، وذلك مكسب هام وفائدة كبيرة، لا تحصل بانطواء العالم على علمه، وإنما ببذل العلم ونشره.

من ناحية أخرى فإن بذل العلم ينشط الحركة الفكرية والعلمية في المجتمع، وذلك من صالح العالم نفسه، حيث أن انتماءه لمجتمع حيوي له حركة معرفية، يزيد في نشاطه العلمي، ويدفعه أكثر للتفاعل والتقدم. لكل ذلك يكون بذل العلم زكاة له أي سبباً لنمائه وبركته.

### بذل العلم:

إنما يتوجه الإنسان لدراسة العلوم الدينية، والمعارف الشرعية، من أجل أن يمتلك هو البصيرة في دينه أولاً، ويعرف التكاليف الموجهة إليه، ولكي يقوم بهداية الآخرين وإرشادهم ثانياً، يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

والمهمة الثانية تترتب بشكل طبيعي وقهري على إنجاز المهمة الأولى، فإذا ما علم الإنسان وفقهه، فإنه يتحمل مسؤولية تعليم الآخرين وتفقيهم، وإن لم يكن يستهدف ذلك منذ البداية.

بالطبع هنالك نصوص تتحدث عن المسؤولية تجاه العلم بشكل مطلق، أي كل علم يحتاج إليه الناس، ويستفيدون منه، في أمور دينهم أو دنياهم. روي

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢.

عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «من أوجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئاً ينفعه لا من دنياه ولا من آخرته»<sup>(١)</sup>.

وجاء في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من حقائق الإيمان... وبذل العلم للمتعلم»<sup>(٢)</sup>.

وبذل العلم له عدة قنوات ووسائل من أبرزها: التدريس والتأليف والخطابة. ونسلط الأضواء بشكل سريع على هذه المجالات الثلاث، التي سلكها العلماء، لنشر علمهم وبثه وبذله في المجتمعات البشرية.

### التدريس والتعليم:

هو الطريق لتوارث العلم بين الأجيال، وانتقال الخبرات والمعارف، حيث يلتزم العالم مجموعة من الراغبين في العلم، ويواظب على تدريسهم وتعليمهم، ضمن منهج وبرنامج محدد، يختلف من عصر إلى آخر.

والتدريس التزام يأخذ من جهد العالم ووقته، وهو من أبرز مصاديق بذل العلم، وأظهر تجليات القيام بمسئوليته. لذلك يحذر الإمام جعفر الصادق عليه السلام من التهاون في أداء هذا الواجب حيث يقول فيما روي عنه: «إن من العلماء من يحب أن يخزن علمه ولا يؤخذ عنه فذاك في الدرك الأول من النار»<sup>(٣)</sup>.

وما نودّ الإشارة إليه ضرورة اتساع نطاق تدريس العلوم الدينية، لغير طلاب العلم المتفرغين، ففي مجتمعاتنا شريحة من المثقفين والمهتمين بالقضايا الفكرية والاجتماعية، لكن معرفتهم بالعلوم الدينية محدودة، وكأنها حكر

(١) الحكيمي: الحياة ج ٢ ص ٣٣٨.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ١٥.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ١٠٨.

على أبناء الحوزات العلمية، وهذا من أسباب الانفصال بين المثقفين وعلماء الدين، فينبغي أن يفتح المجال، وأن يتصدى العلماء والفضلاء، لتشكيل الدروس في التفسير والعقائد والفقه والأصول وغيرها، لهذه المجاميع من الشباب ولو في بعض أيام الأسبوع، لتصبح لدينا طبقة مثقفة مستوعبة لمبادئ الإسلام ومفاهيمه وتشريعاته.

### الكتابة والتأليف:

لأن الإسلام مشروع حضارة، ودين علم ومعرفة، فقد أولى وسائل العلم وأدوات الثقافة، كل اهتمام ورعاية، لذا أشاد القرآن الكريم بالقلم والكتابة، وجعله عنواناً لسورة من سوره، وهي سورة (القلم)، والتي أقسم الله تعالى في مطلعها بالقلم والكتابة ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. كما أن أول آيات القرآن نزولاً على رسول الله ﷺ كانت دعوة إلى القراءة، وتذكيراً بنعمة القلم ودوره في تعليم الإنسان، كأعظم نعمة على الإنسان بعد نعمة خلقه وإيجاده. يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(١)</sup>.

والقلم كأى نعمة أخرى تحتاج إلى استثمار وتوظيف، إن الكثيرين ممن يمتلكون القابلية والاستعداد للكتابة والتأليف، قد لا يترجمون تلك القوة فعلاً في حياتهم، فلا يشهرون القلم سلاحاً في الدفاع عن مبادئهم، ووسيلة لحفظ أفكارهم وتجاربهم، ونقلها إلى الآخرين.

مع أن الإسلام في تعاليمه يؤكد على كل من أوتي نصيباً من العلم، أن يحفظه بالكتابة لنفسه وللأجيال القادمة. فقد ورد في الحديث عن رسول الله

(١) سورة العلق الآية ١-٥.

ﷺ أنه قال: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ»<sup>(١)</sup>.

ولا أكثر من أن يعتبر رسول الله ﷺ دور الكتابة والتأليف أهم وأرجح من دور القتال في سبيل الله حتى الشهادة، حيث ورد عنه ﷺ أنه قال: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء»<sup>(٢)</sup>.

انطلاقاً من هذه التوجيهات الإسلامية العظيمة، وإدراكاً لأهمية دور القلم في بث العلم ونشر المعرفة، بادر علماؤنا الأخيار لتحمل مسؤولياتهم المبدئية في هذا المجال، وأثروا حركة الفكر البشري بإنتاجهم العلمي الغزير، في مختلف مجالات المعرفة والحياة.

ورغم أن بعضهم كان يعيش ظروفاً بالغة القسوة، وكانت تواجهه الصعوبات والعقبات، إلا أن الهمة العالية، وروح التضحية والعطاء، وأخلاقية المثابرة والاجتهاد، كل ذلك كان حافزاً لتجاوز التحديات والمعوقات.

فالكتابة والتأليف يجب أن تكون جزءاً من برنامج حياة العالم إلى جانب سائر مهامه والتزاماته، ولا ينبغي الاعتذار بالإنشغالات المختلفة عن هذه المهمة الحساسة.

وفي هذا العصر والبشرية تعيش ثورة المعلومات والمواصلات، والعولمة الثقافية والإعلامية، فإن الأمة الإسلامية تواجه تحديات كبيرة في الحفاظ على هويتها، والتمسك بأصالتها، ومواكبة تطورات الحياة، ومعرفة الرؤية الدينية تجاه المشاكل الاجتماعية المعقدة، مما يستلزم حركة علمية وثقافية جادة واسعة.

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ١٠ ص ٢٤٩ حديث رقم ٢٩٣٣٢.

(٢) الريشهري: المحمدي، ميزان الحكمة ج ٦ ص ٤٥٧.

وإذا كان العلماء السابقون قد كتبوا عن القضايا والمسائل المطروحة والمشاركة في عصورهم، فإن علماءنا اليوم مطالبون بالتوجه لمعالجة مشاكل الحياة المعاصرة.

ولا شك أن أجواء البحث والكتابة، وظروف التأليف والنشر، أصبحت الآن أكثر تهيئاً وتوفرًا من الأزمان الماضية، مما يعني أن يكون العطاء الفكري، والإنتاج العلمي، أغزر وأوسع لعلماء ومفكري هذه العصور.

### الخطابة:

وإذا كان التدريس والتأليف متوجهاً للنخبة ولفئة محدودة من المجتمع، فإن الخطابة هي جسر تواصل العالم مع الجمهور وعامة الناس، وكما كان الأنبياء والرسل يبلغون دعوة الله تعالى للناس كافة، فإن علماء الدين وهم ورثة الأنبياء وحملة رسالتهم، لا بد وأن يتخاطبوا مع جميع الناس، ولقد فرض الإسلام خطاب الجمهور كجزء من الصلاة في صلاة الجمعة والعيدين.

وخطاب الجمهور يقتضي البساطة والوضوح، فهو ليس كالدرس أو الكتابة، ضمن مستوى معين، وبمصطلحات علمية خاصة. لقد كان رسول الله ﷺ وهو أعلم البشر يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم، يخاطب كلاً منهم بما يفهمون، ويحدثهم بما يعلمون، ولذلك قال ﷺ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود في سننه حديث رقم ٤٨٣٩ أن كلام رسول الله ﷺ كان فصلاً يفهمه كل من سمعه<sup>(٢)</sup>.

(١) الصالحى الشامى: محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٩٤.

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ١٢٩.

ومن الخطأ ما يشيع في بعض الأوساط العلمية من تنافي دور الخطابة الجماهيرية مع المقام العلمي الرفيع، وأن الخطابة عمل احترافي تقوم به فئة متفرغة له من ذوي المستوى العلمي المحدود، أما كبار العلماء فلا يناسب ذلك مقامهم وشأنهم!! وقد تحدث الشهيد السيد مهدي الحكيم في مذكراته أنه لما بدأ إلقاء المحاضرات الجماهيرية، جاء بعض العلماء إلى والده المرجع السيد الحكيم لينصحه بترك ذلك، لأنه لا يليق بشأنه ومكانته!!

إن في تاريخنا علماء فطاحل مارسوا الوعظ والإرشاد الجماهيري فكان لذلك أعظم الأثر في مجتمعاتهم كالمحقق الشيخ جعفر الشوشتری (توفي ١٣٠٣هـ) الذي يقول عنه السيد الأمين: كان عالماً من أعلام العلماء فقيهاً واعظاً، له شهرة واسعة، واشتهر بالوعظ والخطابة، وكانت تجتمع الألوف تحت منبره لسماع مواعظه.. رجع إلى بلده تستر في إيران رئيساً مطاعاً مرجعاً في التقليد والأحكام، وأخذ في الوعظ في شهر رمضان وغيره، ونبغ في ذلك بحيث لم يعهد له نظير، وترتب على وجوده آثار جليلة.. وحصل من وعظه هداية كثير من الناس<sup>(١)</sup>.

هكذا وعبر هذه الوسائل والقنوات، من تدريس وتأليف وخطابة، يمارس العالم دوره في خدمة الدين والأمة، ويعمل لنشر العلم والمعرفة، وبذلك يؤدي زكاة علمه، وفي هذا العصر وحيث تعصف بالأمة التحديات، وتحقق بها المشاكل والأخطار، فإنه ينبغي إعلان حالة الطوارئ في حياة علماء الدين، بمضاعفة جهودهم، وتكثيف نشاطهم العلمي والثقافي والاجتماعي، حتى تتجاوز الأمة حالة الخطر الداهم.

(١) الأمين: السيد محسن، أعيان الشيعة ج ٤ ص ٩٥.



## اختلاف الرأي لا يوجب العداوة

كلمة الجمعة بتاريخ: ٦ ربيع الأول ١٤٢١ هـ



قد تعادي شخصاً لأنه أساء لك أو اعتدى على حق من حقوقك، وهذا موقف مفهوم مشروع، وقد تعادي شخصاً لأنه ينافسك أو يزاحمك على مصلحة من المصالح أو مكسب من المكاسب، وهو أمر وارد وقابل للنقاش، أما أن تعادي شخصاً لأن له رأياً يخالف رأيك في قضية علمية أو دينية أو سياسية، فذلك موقف لا يسوّغه لك الشرع ولا العقل.

### الرأي: شأن خاص

والرأي كما في اللغة: هو الاعتقاد، والجمع آراء. أي ما اعتقده الإنسان وارتآه. تقول رأيي كذا، أي اعتقادي. والاعتقاد والعقيدة: ما عقد عليه القلب والضمير، وما تدبّن به الإنسان واعتقده.

وبذلك فالرأي من شؤون قلب الإنسان، وهو من أخص خواصه الذاتية الشخصية، فلا يحق لأي أحد أن يتدخل في هذا الشأن بالقسر والقوة، كما أن التدخل في هذه المنطقة المحرّمة لا يجدي ولا يؤثر، فإذا ما حاولت أي قوة أن تفرض على إنسان رأياً أو تمنعه من رأي، فإنها لن تستطيع إلا إخضاعه ظاهراً، أما قراره الداخلي، وإيمانه القلبي، فيستعصي على الفرض والإكراه.

لذلك فإن الله سبحانه وتعالى ينفي إمكانية الإكراه على الدين وينهى عنه يقول تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾<sup>(١)</sup>.

(١) البقرة، ٢٥٦

ورائع جداً ما قاله العلامة الطباطبائي حول هذه الآية الكريمة قال: وفي قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، نفي الدين الإجباري، لما أن الدين وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنها اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار، فإن الإكراه إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والأفعال والحركات البدنية المادية، وأما الاعتقاد القلبي فله علل وأسباب أخرى قلبية من سنخ الاعتقاد والإدراك، ومن المحال أن ينتج الجهل علماً، أو تولد المقدمات غير العلمية تصديقاً علمياً، فقوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، إن كان قضية إخبارية حاكية عن حال التكوين أنتج حكماً دينياً ينفي الإكراه على الدين والاعتقاد، وإن كان حكماً إنشائياً تشريعياً كما يشهد به ما عقبه تعالى من قوله ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، كان نهياً عن الحمل على الاعتقاد والإيمان كرهاً، وهو نهى متك على حقيقة تكوينية، وهي التي مر بيانها أن الإكراه إنما يعمل ويؤثر في مرحلة الأفعال البدنية دون الاعتقادات القلبية<sup>(١)</sup>.

من هذا المنطلق فإن التظاهر بالكفر إذا كان ناتجاً عن ضغط وإكراه، فهو مشروع ولا يناقض الإيمان المستقر في القلب، يقول تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>(٢)</sup> ويعبر عن ذلك في الاصطلاح الشرعي بالتقيّة، والتي هي: التحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق، اقتباساً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الطباطبائي: السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٣٤٧.

(٢) النحل، ١٠٦.

(٣) آل عمران، ٢٨.

فالرأي والاعتقاد لا يغيّره الضغط والقهر، والتظاهر بالتخلي عن ذلك الرأي لا يزيله من قرارة نفس الإنسان، بل قد يزداد ثبوتاً ورسوخاً، بدافع التحدي ورد الفعل.

كما ينقل عن قصة العالم الإيطالي (غاليليو غاليلي ١٥٦٤-١٦٤٢م) والذي اعترضت الكنيسة المسيحية وعلماء اللاهوت على آرائه العلمية حول حركة الأرض وأنها ليست مركز العالم، ولا هي ساكنة، بل تتحرك وتدور يومياً، وأن الشمس هي المركز، واتهم بالهرطقة والخروج عن الدين، وجلبوه إلى روما للمثول أمام محكمة التفتيش، فاعتقل في الحال، ثم استنطق وحقق معه بعد شهرين، وهدد بالتعذيب، ثم أصدرت المحكمة حكمها بأن يعلن (غاليليو) التوبة، ويتنكر لآرائه العلمية، فحضر أمام المحفل الكنسي، وركع على ركبتيه وراح يقرأ ما أجبر على قوله، لكنه عند خروجه من المحكمة عقّب قائلاً: (ومع ذلك فهي تدور) يقصد الأرض<sup>(١)</sup>.

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى المجال للإنسان في هذه الحياة ليمارس حرية الرأي والمعتقد، فلم يفرض عليه الإيمان به عنوة، بل أنار له طريق الهداية، وترك له حرية الاختيار ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولم يسمح الله تعالى حتى لأنبيائه أن يصادروا من الإنسان حرية رأيه واختياره، فهم يعرضون رسالة الله على الناس، دون فرض أو إكراه ﴿فَذَكَّرْ

(١) حوحو: المهندس أسامة، مآثر العلماء ص ٢٥٢ الطبعة الأولى ١٩٩٤م مؤسسة بحسون بيروت.

(٢) الإنسان، ٣.

(٣) الكهف، ٢٩.

إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿١﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي  
الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وإذا كان للرأي هذه الخصوصية في نفس الإنسان، والموقعية في شخصيته، فكيف يحق لك أن تتدخل في هذه الخصوصية، وأن تعادي إنساناً أو تسيء إليه لأنه يمارس شأنه الخاص به في أعماق نفسه؟

إننا نعتزف للآخرين بخصوصيتهم في سائر المجالات، كالأكل والشرب مثلاً، فلو رأيت إنساناً يعادي شخصاً لأنه لا يرغب في نوع معين من الطعام، أو يعزف عن لون آخر، لاستنكرت عليه ذلك، على اعتبار أن هذه الرغبات شأن خاص لا علاقة للآخرين بها، والحال أن الرأي أكد خصوصية، وأشد التصاقاً بنفس الإنسان.

### اجعل نفسك ميزاناً:

وأنت حينما تعادي زيداً أو عمراً لأنه يخالفك في هذا الرأي أو ذاك، هل ترضى أن يعاديك الآخرون على هذا الأساس؟ إنك لا تقبل أن يسيء إليك أحد لأنك تحمل رأياً معيناً، حيث تعتبر ذلك شأناً خاصاً بك، وتعتقد بأحقية رأيك، وعليك أن تعرف أن الآخرين يرون لأنفسهم ما ترى لنفسك.

وفي وصيته الخالدة لابنه الحسن عليه السلام يقول الإمام علي عليه السلام: «يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسب كما تحب أن يُحسب إليك، وأستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس ما ترضاه

(١) الغاشية، ٢١ - ٢٢.

(٢) يونس، ٩٩.

لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك»<sup>(١)</sup>

إنها قواعد أساسية هامة في تعامل الإنسان مع الآخرين، ترجعه إلى ضميره ووجدانه، قبل أي شيء آخر.

### احتمال الخطأ والصواب:

يبالغ بعض الناس في التعصب لآرائهم، ويفرطون في الثقة بها، بحيث لا يفسحون أي مجال ولا يعطون أي فرصة للرأي الآخر، فهم على الحق المطلق دائماً، وغيرهم على الباطل في كل شيء.

وينتج عن هذه الحالة - غالباً - موقف التطرف والحديّة تجاه المخالفين، وحتى في الاختلاف عند بعض القضايا الجزئية، والأمور البسيطة الجانبية.

إنه خلق يخالف تعاليم الإسلام الذي يربي أبنائه على الاستماع لمختلف الآراء ومحاکمتها على أساس الدليل والمنطق، لا التعصب والانفعال. يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأكثر من ذلك فإن رسول الله ﷺ والذي لا يشك في أحقية دعوته بمقدار ذرة واحدة، يخاطب المشركين بمتنهي التواضع والموضوعية قائلاً ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>. إنه منهج تربوي عظيم، يصوغ شخصية الإنسان على أساس احترام الآخرين، ومركزية العقل والوجدان.

والتعصب المطلق للرأي، والحديّة والتشنج تجاه آراء الآخرين، يمنع

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - كتاب ٣١.

(٢) الزمر، ١٧ - ١٨.

(٣) سبأ، ٢٤.

الإنسان من الانفتاح على الرأي الآخر، واستماعه والإطلاع عليه، وربما كان هو الرأي الصحيح والصائب. ثم أن ذلك قد يجعل الإنسان في موقف حرج مستقبلاً إذ قد يتبين له خطأ رأيه، فكم من إنسان تراجع عن رأيه، وتغيرت قناعاته؟ وتلك حالة طبيعية قد تحصل للإنسان تجاه مختلف المسائل والقضايا.

يقول شاعر المهجر إيليا أبو ماضي:

رُبَّ فِكْرٍ بان في لوحة نفسي وتجلَّى

خلته مني ولكن لم يقم حتى تولى

مثل طيف بان في بئر قليلاً واضمحلا

كيف وافى ولماذا فرّ مني؟ لست أدري

وقد رأينا أناساً كانوا يبالغون في التعصب لأرائهم حول بعض المسائل والأشخاص والجهات، ويعتبرون القول بهذا الرأي هو الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، أو يعتقدون أن الولاء لهذا الشخص أو لهذه الجهة هو مقياس الحق والباطل، ويعادون الناس ويناوئونهم على هذا الأساس. لكنهم بعد فترة من الزمن تغيرت قناعاتهم وآراؤهم، مئة وثمانين درجة، مما أوقعهم في حرج مع أنفسهم وتجاه الناس.

إن الاعتدال والوسطية هو المنهج السليم، فلا يكون الإنسان متطرفاً ولا متشنجاً حاداً في مواقفه مع الآخرين، وعلى هذا المعنى يحمل قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أحب حبيبي هوناً ما، عسى أن يكون بغضك يوماً ما، وأبغض بغضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبي يوماً ما»<sup>(١)</sup>

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - قصار الحكم ٢٦٨.

وجميل ما قاله أحد العلماء: إن رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب.

### تفهم مواقف الآخرين:

حينما تعتقد أحقية رأي معين، وتجد آخرين يخالفون هذا الرأي الحق - في نظرك - فإن عليك قبل أن تتهمهم بالعناد والجحود والمروق، وأن تتخذ منهم موقفاً عدائياً، عليك أن تتفهم ظروفهم وخلفية مواقفهم.

فلعل لديهم أدلة مقنعة على ما يذهبون إليه.

أو لعلهم يجهلون الرأي الحق، لقصور في مداركهم ومعلوماتهم.

أو لعلهم يعيشون ضمن بيئة وأجواء تحجب عنهم الحقائق.

أو لعلّ هناك شبهات تشوّش على أذهانهم وأفكارهم.

وتجاه مثل هذه الاحتمالات فإن المطلوب منك هو دراسة موقف الطرف الآخر، ومعرفة وجهة نظره، والدخول في حوار موضوعي معه، ومساعدته على الوصول إلى الحقيقة.

ونشير هنا إلى ملاحظة دقيقة هي: أن الإنسان قد يؤمن برأي من الآراء، ويعتبره حقيقة واضحة، تصل إلى مستوى المسلمات والبديهيات، لأنه قد أشبع الأمر بحثاً، وانشد إليه نفسياً، وعاش ضمن محيط قائم على أساس ذلك الرأي، فالمسألة أمامه واضحة جلية لا نقاش فيها، لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للآخرين.

«إن وضوح الفكرة لدينا لا يعني أن الآخرين ينظرون إليها بنفس الوضوح، فربما كنا نتطلع إليها من خلال الجوانب المضيئة عندنا، بينما يكون عنصر

الضوء غير متوفر في الجوانب الأخرى التي يعيش فيها الآخرون، لأنهم لا يملكون ما يهبئ لهم ذلك، تماماً كما يكون الصحو في بعض الآفاق مجالاً للانطلاق مع إشعاع الشمس، بينما تجعل السحب الدكناء الآفاق الأخرى في ظلام دامس. وقد يبدو هذا طبيعياً عندما نلاحظ اختلاف وجهات النظر في فهم بعض الأشياء العادية في الحياة، كنتيجة طبيعية لاختلاف العادات والظروف والأفكار. ولعل قيمة هذا الاتجاه، في ملاحظة موقعنا تجاه الآخرين، تبرز في إتاحة الفرصة لنا في الانطلاق نحو موضوعية أكثر وفهم أرحب، في سبيل تعرف وجهة النظر الأخرى، من حيث طبيعة الفكرة التي يؤمنون بها من جهة، ومن حيث طبيعة الموقف الذي يتخذونه منا، من جهة أخرى، الأمر الذي يجعلنا أكثر قدرة على الحركة بوعي، وعلى ضوء الأجوبة الصحيحة لما يرد من التساؤلات، ومعالجة القضايا المعروضة في مجالات البحث»<sup>(١)</sup>.

ويرينا القرآن على هذا النهج الموضوعي حينما يتحدث عن فئات من الراضين لرسالات الأنبياء، بأن سبب ذلك الرفض هو الجهل وعدم العلم، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾<sup>(٤)</sup>.

فنبى الله نوح ﷺ في بدء رسالته يخاطب قومه مبدياً تفهمه لظروفهم التي تجعلهم يرفضون رسالته، بسبب التشويش على أذهانهم، ووجود الشبهات التي تعيق تفكيرهم، مع أنه يحمل إليهم الدعوة الصادقة، والحجة الواضحة

(١) فضل الله: السيد محمد حسين، خطوات على طريق الإسلام ص ٣٥٧ الطبعة الأولى ١٩٧٧م دار التعارف بيروت.

(٢) التوبة، ٦.

(٣) الأنعام، ٣٧.

(٤) النجم، ٣٠.

مطالباً لهم بتجاوز تلك الحواجز ليروا الحق. يقول تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ  
إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلَزْتُ مَكْمُومَهَا  
وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي لفظة تربوية معبرة يتحدث القرآن الكريم عن بني إسرائيل بعد نجاتهم  
من الغرق مع نبي الله موسى ﷺ، وطلبهم منه أن يجعل لهم أصناماً كما  
للمشركين أصنام!! ومع سخافة الطلب ومخالفته الواضحة للدين، إلا أن نبي  
الله موسى ﷺ أرجع ذلك إلى جهلهم، ثم صار يقرر عليهم حقيقة التوحيد من  
جديد، يقول تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ  
أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ  
إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ  
فَضَّلَكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وصلوات الله تعالى على نبينا نبي الرحمة محمد ﷺ الذي كان يدعو الله  
تعالى لهداية قومه قائلاً: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

### مسؤولية الرأي على صاحبه:

إذا ما أصر إنسان على رأي خاطئ، ورفض قبول الحق والصواب، فإنه  
هو الخاسر بالدرجة الأولى، وسيدفع ثمن خطئه، ويتحمل مسؤولية رأيه، وما  
على المهتمدين للحق إلا إرشاده وتوضيح الحقائق له، ثم هو بعد ذلك له كامل  
الحرية والاختيار، فإن استجاب فقد نفع نفسه، وإن أبى فهو المتضرر.

فمن يريد الذهاب إلى السوق لكنه يسلك طريقاً معاكساً فإن مسؤوليتك

(١) هود، ٢٨.

(٢) الأعراف، ١٣٨ - ١٤٠.

تنتهي عند حدود تبين الطريق له، فإذا ما أصر على سلوك الطريق المعاكس، فإنه لن يصل إلى السوق التي يريد، والطبيب مهمته أن يقدم العلاج للمريض لكنه إذا لم يلتزم بالعلاج، فسيدفع الثمن من صحته.

ولا داعي لكي يزعج الإنسان نفسه، ويدخل في معارك العداة مع الآخرين لأنهم لم يقبلوا الرأي الذي يراه حقاً.

إن البعض يأخذهم الحماس لمبادئهم وآرائهم بحيث يضغظون على أعصابهم ويتأزّمون نفسياً ويتجاوزون الحدود في التعامل مع الناس، وكأن لهم الوصاية والسيطرة على أفكار الآخرين وتوجهاتهم، وهذا خطأ فظيع.

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على هداية قومه، إلى حد أنه كان يجهد نفسه أكثر من اللازم، فجاءه التوجيه من الله سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. أي مهلك نفسك.

ومرة أخرى يخاطبه الباري جلّ وعلا: ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾<sup>(٢)</sup>. أي ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا<sup>(٣)</sup>.

وفي القرآن آيات كثيرة تؤكد على أن مهمة النبي والداعية تنتهي عند حدود التبليغ والإرشاد، ولا يصح تجاوز هذه المهمة إلى حد ممارسة الوصاية والضغط على الآخرين. يقول تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ

(١) الشعراء، ٣.

(٢) طه، ١ - ٣.

(٣) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، تفسير فتح القدير ج ٣ ص ٤٤٣ المكتبة العصرية - بيروت ١٩٩٧ م.

تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿١﴾.

ويقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢).

وهناك روايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تؤكد على تجنب العداة والخصومة مع الآخرين على أساس الاختلاف في الدين والرأي كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «ياكم والخصومة في الدين» (٣).

وورد عنه في رواية أخرى: «فلا تخاصموا الناس لدينكم فإن المخاصمة ممرضة للقلب، إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء. وقال: أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. ذروا الناس فإن الناس أخذوا عن الناس» (٤).

إن هذه التوجيهات الربانية والمفاهيم القرآنية، وسيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام تردع الإنسان عن أن يكون حاداً متشجعاً مع من يخالفه في الدين والرأي، أو أن يجعل اختلاف الرأي سبباً ومبرراً للعداء والخصومة.

### العداوة تمنع التأثير:

إذا كنت مخلصاً لأفكارك، ومتحمساً لنشرها، واستقطاب الآخرين باتجاهها، فإن الطريق لذلك هو الانفتاح على الآخرين، وخلق جو من الاحترام والودّ معهم.

(١) النساء، ٨٠.

(٢) آل عمران، ٢٠.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ١٢٨.

(٤) المصدر السابق ص ١٣٣.

فوجود علاقة لك بهم، وتواصل بينك وبينهم، يتيح لك الفرصة لعرض أفكارك وآرائك عليهم، أما القطيعة والعداء، فإنها تسلب منك هذه الإمكانية، وتفقدك الرغبة والاندفاع في تكرار محاولة التأثير عليهم.

من ناحية ثانية فإن حالة العداء وما تفرزه من سلوكيات منفرة تحول بين الطرف الآخر وبين الإقبال والاستجابة.

فالعاقل الواعي الذي يريد خدمة أفكاره، وأن تشق طريقها إلى قلوب الناس، هو الذي يمتلك سعة الصدر ورحابة الأفق، ولا ينفعل تجاه الرأي المخالف، حتى ولو تعامل معه الآخرون بشكل سيء، فإنه يمارس أعلى درجات ضبط النفس، والتحكم في الأعصاب، بحيث يقابلهم باللطف والإحسان، فيمتص التشنجات، ويستوعب الاستفزازات.

وبهذه المنهجية الأخلاقية يدفعهم لإعادة النظر في موقفهم تجاهه، ويشجعهم على الانفتاح على أفكاره، مما قد يغيّر قناعاتهم، ويستقطبهم إلى جانبه وإلى صف رأيه.

ويؤكد القرآن الكريم تأثير أسلوب الرفق والإحسان وأنه يساعد على تغيير المواقف والنفوس لصالح الدعوة والرسالة، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فالمنهجية الحسنة القائمة على أساس اللطف والاحترام والود مع الآخرين، تختلف في نتائجها عن المنهجية السيئة المعتمدة على الشدة والقطيعة والعداء، فالأولى تفتح الطريق أمام التأثير والكسب، بينما الثانية

(١) فصلت، ٣٤ - ٣٥.

تسبب النفور وتزيد هوة التباعد.

لكن المنهجية الحسنة لا تتوفر إلا لمن يروض نفسه على الصبر تجاه الإساءات والاستفزازات، ويمتلك نصيباً عظيماً من الأخلاق الفاضلة.

وينهى الله سبحانه عباده المؤمنين من أن يتحدثوا مع المخالفين لهم في الدين إلا بأفضل أسلوب، وأحسن طريقة، رعاية لمشاعرهم يقول تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد واجه رسول الله ﷺ في بداية الدعوة معارضة ومخالفة عنيفة من قبل المشركين، ولكنه تغلب على كل ذلك بأخلاقه العظيمة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ولولا ذلك الخلق الرفيع لما تمكن الرسول ﷺ من هداية ذلك المجتمع الجاهلي الغارق في الفساد والتخلف، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فإن على من يعتبرون أنفسهم حملة للحق، وذوي الفكر الصحيح والرأي الصائب، أن يتحللوا بمصداقية أخلاقية في التعامل مع الناس، وخاصة المخالفين لهم في المذهب أو الرأي أو الموقف، فإن القطيعة والعداوة والإساءة، تخالف تعاليم الدين، وتصادم توجيهات العقل، وتشوّه دعوة وفكرة أصحابها، وتنفر الناس منهم.

### منهج الإسلام وسيرة السلف:

من الظواهر المؤسفة في بعض الأوساط الدينية، سوء التعامل مع المخالفين في الدين أو المذهب أو الاتجاه، حتى أصبحت الغلظة والفظاظة

(١) العنكبوت، ٤٦.

(٢) آل عمران، ١٥٩.

والتجهم والتشدد سمة من سمات التدين عند هؤلاء، وأصبح حتى الاختلاف على بعض المسائل الجزئية الاجتهادية سبباً للقطيعة والعداء.

وهذا مخالف لنهج الإسلام، ولسيرة السلف الصالح، من أئمة أطهار وصحابة أخیار. فالقرآن الكریم یشجع المسلمین على حسن التعامل والبر بالكافرين غير المحاربین والمعتدين يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

«أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أفاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينصبوا لقتالكم في الدين، والإخراج من دياركم. فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتمهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا تبعة»<sup>(٢)</sup>.

وفي سيرة رسول الله ﷺ أروع الصور الإنسانية، وأسمى المواقف الأخلاقية في التعامل مع الكافرين من يهود ونصارى ومشركين، ليس في العهد المكي فقط، وإنما في العهد المدني وبعد أن جاء نصر الله والفتح.

وفي معالجة نقدية لظاهرة التشدد عند بعض المتدينين تجاه مخالفيهم كتب الباحث السعودي الدكتور عبد الله الحامد مقالة جميلة تحت عنوان (هل ينبغي أن نكون أكثر سلفية من السلف؟) نقتطف منها ما يلي: «ويبدو

(١) الممتحنة، ٨ - ٩.

(٢) السعدي: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكریم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٤٥٥ دار الذخائر - مؤسسة الريان بيروت ١٩٩٧.

تعامل الخليفة الراشد، علي بن أبي طالب مع الخوارج، نموذجاً واضحاً، لا ليل فيه ولا ضباب، لاسيما أنه خليفة راشد مجتهد، يدرك علاقة القاعدة بالنموذج، وعلاقة النص بالتطبيق.

ولعل من المفيد - قبل استنباط التعريف من موقفه - أن نتذكر ما اشتمل عليه مذهب الخوارج من مخالفات واضحات، لأمر قطعية الثبوت والدلالة: أولها: أنهم اعتبروا مرتكبي كبائر الذنوب كفاراً، مخلدين في جهنم، إن لم يتوبوا قبل الممات، وهذا الاعتقاد مخالف لنصوص الكتاب والسنة.

ثانيها: أنهم يردون الأحاديث الواردة، عن طريق عثمان وعلي رضي الله عنهما، ومن شايعهما.

ثالثهما: أنهم كفروا الصحابة المشهود لهم بالجنة، كعثمان وعلي، وطلحة والزبير، وكفروا أصحاب الجمل، والحكمين ومن رضي بحكمهما، وكثيراً من الصحابة.

رابعها: أنهم استحلوا دماء المسلمين وأموالهم، إلا من خرج معهم واستحلل دم المسلم محرم بالكتاب والسنة والإجماع. وفي ذلك إخلال كبير خطير بالقطعيات.

وعلى رغم كل هذه الانحرافات الفكرية والسلوكية، لم يكفرهم الخليفة، ولا جمهور الصحابة، على رغم أن تكفيرهم، هو ظاهر الأمر عند عدد آخر، من الفقهاء والعلماء، فقد وردت أحاديث صحيحة في ذمهم، منها أنهم (يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية) وكان يمكن لعلي أن يستثمر الأحاديث التي توحى بكفرهم، لأن مروق الإنسان من الدين، كما يمرق السهم من الرمية،

ظاهره الخروج من الدين.

ولكن علياً كان أوعى وأدرى بأحكام التكفير، وكان على درجة فريدة من إنصاف الأعداء والخصوم، فهذا الرجل الذي عاقب الذين غلوا في حبه حتى ألَّهوه، لم يُكفِّر الذين كفَّروه وقاتلوه، وإنما قاتلهم لأنهم بغاة محاربون، ولم يقاتلهم على اعتبار أنهم كفار، ولما سئل أكفار هم؟ قال: «من الكفر فروا»، لما سئل أمنافقون هم؟ قال: «المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً» ولما قيل له: [إذن] من هم قال: «إخواننا بغوا علينا».

وبدعة الخوارج تعتبر أشد أنواع الابتداع في الإسلام، كما قال أحمد بن حنبل، رحمننا الله وإياه: «لا أعلم قومًا [أي من أهل الابتداع] شرًا من الخوارج».

وإنما اعتبر الخوارج غير كفار، لأن بدعهم بدع تأويل، وليست بدع إنكار، لأن تأويل القطعيات «ما لم تكن من أصول الدين، كالصلاة والحج» غير مكفر، أما إنكارها من دون تأويل فهو مكفر.

وموقف علي وجمهور الصحابة، من انحراف الخوارج الفكري، يضرب نموذجاً إسلامياً فذاً، في التسامح مع المخالفين، وبذلك يتمظهر الإسلام أكثر إنصافاً، وإقراراً للحقوق الإنسانية، من دعاة الحرية العلمانية، الذين قال أحد زعمائهم الفرنسيين (سان جوست) (لا حرية لأعداء الحرية)، أي لا ديموقراطية لأعداء الديموقراطية.

دستور الدولة الإسلامية - كما نمذجه علي بن أبي طالب - يعترف بكل فئة موجودة في الساحة، حتى الذين لا يعترفون به يعترف بهم، حتى الذين يريدون استئصاله وإسقاطه، مثل دعاة الاستئصال في الفكر الإسلامي (كقدامي

الخوارج والمعتزلة، والمتأثرين بردود أفعالهم)، كالديانات الأخرى، التي لا تعترف بالإسلام.

وهذا يدل أيضاً على سعة أفق الإسلام وسماحته، تجاه أهل البدع، وتجاه الأفكار والآراء، وتجاه النقد بالكلمة الحرة. وأنه لا يجيز النيل من أجسادهم، ولا أعراضهم ولا أموالهم، ولا يجيز التضييق عليهم، أو حبسهم حتى يتوبوا، بل ولا يجيز حرمانهم من حقوقهم المدنية، ولا سيما الحقوق الوظيفية والمالية، فقد أعلن علي للخوارج، وهو يخطب على المنبر: أن لهم حقاً في بيت المال، لن يمنعهم إياه، (وهم يقاطعون الخطبة بتكفيره)!

ويأتي تطبيق علي رضي الله عنه، كالشمس قوة وإضاءة، للنص النظري، للاعتبارات الآتية:

■ أنه ثاني الأربعة الكبار من الصحابة (عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس)، الذين برزوا في الفقه العام والقانوني.

■ أنه حاكم الدولة، الذي يدرك العلاقة بين النص والتطبيق.

■ أنه أطول الخلفاء الراشدين خبرة عملية، فقد عاش معهم تحت ظلال الوحي، وتطبيق الرسول ﷺ، ثم كان مستشاراً كبيراً للخلفاء الثلاثة من قبله.

■ أنه فعل ذلك، وهو في حال الصراع، التي تختلط فيها الأشياء، وتجرح الناس إلى الحدة والشدة، ويصعب على الناس العاديين أن يتجردوا من الذاتية، حين يتحرون الموضوعية، وكان بإمكانه أن يستل سيف التعزيز، وأن يمتطي مطية المصالح المرسلة، وأن يفعل ما يقول بعض الفقهاء العباسيين: يجوز قتل ثلثي الناس لاستصلاح الثلث الباقي!.

ولكنه يدرك أن النجاح والذكاء السياسي، لا ينبغي أن يتما على جثة الصدقية الأخلاقية، لأن الأشخاص يموتون، والمبادئ العادلة المستنيرة تحيا، لكي تحيا بها الأمم، فكان هذا الموقف تجسيدا حيا، للديموقراطية الإسلامية<sup>(١)</sup>.

وأخيراً:

فإن اختلاف الرأي ظاهرة طبيعية في حياة البشر، ولا يصح أن تكون سبباً للتعادي والتخاصم، بل ينبغي أن تستثمر لصالح تكامل المعرفة، واكتشاف الحقيقة، وإثراء الساحة الثقافية.

وأفضل خدمة تقدمها للرأي الذي تؤمن به، حسن تعاملك مع الآخرين، لتقدم بسلوكك الطيب أنموذجاً مقبولاً لأفكارك، ولتكون بسيرتك الصالحة داعية لآرائك، أما أسلوب العداوة والتشدد، فهو يسيء إلى التوجه الذي تنتمي إليه أولاً، وإليك ثانياً.

---

(١) جريدة الحياة عدد ١٣٥٦٤، يوم الاثنين ١ أيار ٢٠٠٠م الموافق ٢٦ محرم ١٤٢١هـ ص ٢١.

## التحاسد نتاج وتكريس للتخلف

كلمة الجمعة بتاريخ ١٣ ربيع الأول ١٤٢١ هـ



نعرف جميعاً أهمية سلامة الجسم وعافيته، وندرك كم تسبب الإعاقة والأمراض الجسمية من متاعب وعراقيل في حياة الإنسان، لكن الأشد أهمية هو صحة النفس وسلامتها، وإعاقات الجسم وأمراضه يمكن تحملها والتكيف معها، كما يمكن تجاوز تأثيراتها ومضاعفاتها الحياتية عبر تنمية وتفعيل سائر المواهب والقدرات المتعددة التي يمتلكها الإنسان، فكم من معاق أو مبتلى بمرض مزمن قطع أشواط النجاح في هذه الحياة، وحقق إنجازات تفوق بها على الأصحاء. وفي قائمة العلماء والعظماء أسماء لامعة كثيرة لمعلولين وفاقدين لبعض أعضائهم أو حواسهم.

لكن المعاق في نفسيته بعاهة أو مرض فتاك تتحول حياته إلى جحيم وشقاء، فهو لا يهنأ ولا يسعد في حياته، ولا يستطيع التعايش والانسجام مع الآخرين. بالطبع هناك فارق أساس هو أن إعاقات الجسم قدر مفروض على الإنسان، خارج إرادته واختياره، بينما عاهات النفس ضمن سيطرته وفي نطاق إرادته وقدرته، وإلا لما استحق عليها الدم والتوبيخ، والتعرض للجزاء والعقاب.

ومن الأمراض النفسية الخطيرة ما يشعل نار العداوة، ويؤجج لهيبها، ويجعل الإنسان في صدام دائم مع الآخرين، فيشقى هو بذلك أولاً، ويسبب المشاكل والمتاعب لمن يقع عليه أذاه.

وفي رأس قائمة تلك الأمراض الفتاكة: الحسد، وهو موضوع حديثنا في هذه الكلمة.

### التنافس الإيجابي:

حينما يرى الإنسان أشخاصاً ناجحين في الحياة، يتمتعون بنعم وإمكانات، ويحققون إنجازات ومكاسب، فإن ذلك ينبغي أن يدفعه إذا كان سليم القلب معافى النفس إلى أن يتطلع هو إلى مثل تلك الحالة، ويسعى إلى تحقيقها في ذاته، عبر العمل وبذل الجهد، وبالتوجه إلى الله تعالى المالك لكل شيء والمعطي لكل خير.

فالإنسان من حبه لذاته، يريد حيازة الخير لها، ويرغب أن يكون متفوقاً على من حوله، وذلك تطلع مشروع، واندفاع طبيعي، يساعد على إعمار الأرض، وتسخير ثروات الكون، وتفجير طاقات الإنسان، وتحقيق كماله وتقديمه.

إن التسابق نحو خير الدنيا والآخرة مطلوب، يقول تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>. ويقول تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾<sup>(٢)</sup>. ويقول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. والتنافس في ميدان العمل مرغوب، يقول تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهناك فقرات في العديد من الأدعية الماثورة توجه الإنسان إلى أن يطلب

(١) سورة الحديد الآية ٢١.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٨.

(٣) سورة الواقعة الآية ١٠-١١.

(٤) سورة المطففين الآية ٢٦.

من ربه التفوق والتقدم على الآخرين، وأن ينال الأكثر من عطاء ربه ونعمه. كما ورد في الدعاء المشهور الذي يرويه كميل بن زياد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك وأقربهم منزلة منك وأخصهم زلفة لديك». وفي دعاء مكارم الأخلاق المروي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام نقرأ ما يلي: «وبلِّغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وائته بنيتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال».

هكذا يتطلع المؤمن إلى الأكمل والأفضل والأحسن، ويرغب في التفوق والتقدم على الآخرين. وإذا رأى الإنسان ناجحين و متمكنين و متنعمين في الحياة المادية أو المعنوية فإن ذلك يثير عنده حافز التطلع، وأن يحقق مثل ما حققوا وينال مثل ما نالوا، دون أن يعني ذلك الكراهية لهم أو الاستياء من تنعمهم، وهو ما تطلق عليه النصوص الدينية عنوان «الغبطة» كما يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن المؤمن يغبط ولا يحسد»<sup>(١)</sup>.

وذلك يعني أن يكثف الإنسان نشاطه، ويزيد فاعليته، ليسابق الآخرين، ويحرز ما أحرزوا، فالتطلع المجرد، والتمني الفارغ لا ينتج ولا يثمر شيئاً.

### الاقتراب من الناجحين:

إن النجاح والتفوق في أي مجال من المجالات، هو ثمرة صفات وسمات معينة، كما ينتج خبرات وتجارب نافعة، فإذا ما رأيت إنساناً ناجحاً متفوقاً في جانب يحظى باهتمامك فعليك أن تقترب منه، لتدرس تجربته، وتستفيد من خبرته، ولتري كيف يمكنك أن تكسب من خلال حالته المتقدمة.

وهذا يستلزم أن تنفتح عليه نفسياً، فتكون نظرتك له إيجابية، فهو عضو

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٥٠.

في أسرتك البشرية، ومجتمعك الإنساني، ونجاحه وتفوقه في ميادين الخير والعطاء يصب في صالح التقدم العام، وما قد يكون لديه من مواصفات طيبة وعوامل ساعدته على النجاح تستحق الإشادة والتقدير.

هذه النظرة الإيجابية تشجعك على الاقتراب منه، وما ينتج عنها من سلوك وتعامل سيدفعه هو الآخر للتعاطي معك، وتلك هي أرضية الصداقة والعلاقة النافعة المثمرة.

### الحسد عدوان بلا مبرر:

في الحالة السوية المستقيمة يكون وجود المتفوقين والناجحين حول الإنسان، دافعاً إلى الطموح والتطلع، وسبباً لتوثيق العلاقة والصداقة، أما في الحالة المرضية فإنه يشعل نار العداوة والبغضاء، ويؤدي إلى الفتنة والخطر. حيث يزعج الإنسان ويسخّطه وجود شخص متميز عليه في محيطه، فينظر إليه نظرة عدائية، ويتمنى زوال النعمة عنه، وقد يسعى لإيقاع الضرر به، ويطلق على هذه الحالة مصطلح «الحسد».

والحسد - كما عرفه اللغويون وعلماء النفس والأخلاق - هو تمنى زوال نعمة الغير. جاء في لسان العرب: الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه. وجاء في (معجم علم النفس والطب النفسي) بأنه: «مشاعر غير سارة تتولد عن الرغبة في تملك ما يمتلكه شخص آخر مثل الثروة أو الجمال أو المكانة»<sup>(١)</sup>.

يصف الإمام علي عليه السلام الحسد بأنه: «شر الأمراض» وأنه «رأس الرذائل».

(١) جابر: د. جابر عبد الحميد - كفاي: د. علاء الدين، معجم علم النفس والطب النفسي ج ٣ ص ١١٤٩ دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٠م.

فهو إساءة واعتداء غير مبرر على الغير بلا جرم اقترفه أو ذنب فعله، إلا أنه حظي بنعمة، أو نال مكانة وأحرز مكسبا، يقول الإمام علي عليه السلام: «الحاسد مغتاز على من لا ذنب له»<sup>(١)</sup>.

فهاييل ابن آدم لم تصدر منه أي إساءة تجاه أخيه قابيل، إلا أن الله تعالى تقبل قربانه دون قربان أخيه قابيل، بسبب إخلاصه وتقواه، فثارت حفيظة قابيل، وامتلاّت نفسه حنقاً وغيظاً، حسداً لأخيه على مكانته عند الله، واندفع ليرتكب أول جريمة قتل في تاريخ البشر، بتصفية حياة أخيه هاييل. يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۖ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ورد عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أنه قال: «الحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هاييل».

ويوسف بن يعقوب لم يكن له أي ذنب يستوجب عداء أخوته له إلا ما خصه به أبوه من المحبة والودّ، لتمييزه على سائر إخوانه بصفات الكمال ومؤهلات النبوة، فقادهم حسدهم إلى الكيد به والتآمر عليه بتلك الطريقة البشعة التي سجل القرآن الكريم تفاصيلها لتبقى عظة وعبرة للأجيال: ﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٥٦.

(٢) سورة المائدة الآية ٢٧-٣٠.

(٣) سورة يوسف الآية ٨-٩.

## آفاق التقدم:

فرص التقدم المادي والمعنوي متوفرة ومتاحة أمام كل إنسان، ونعم الله تعالى مبذولة للجميع ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾<sup>(١)</sup>. ومن تراه متمتعاً بنعمة من النعم، فتلك حصته التي لا تؤثر على نصيبك ولا تلغي دورك، فشمر عن ساعدك، وابذل جهدك، لتنال من فرص الحياة بمقدار ما تسعى وتتحرك. وابتحث عن نقاط قوتك، وفجر مواهبك الخاصة، فقد تكون مرشحاً لدور آخر وتفوق جديد تمتاز به عن الآخرين.

لكن مرض الحسد الخبيث ينحرف بتفكير الإنسان عن هذا المنحى السليم، لينحدر به إلى منزلق المشاعر العدائية، وليخلق في نفسه حالة الإحباط، فيبقى متخلفاً يراوح مكانه، يعيش التأزم النفسي، ويتكسر لديه العجز والفسل. الآخرون يتقدمون ويواصلون زحفهم، فيحقد عليهم لأن تقدمهم يكشف تخلفه، وتكاملهم يبدي نقصه، وبدل أن يقتحم ميدان الجد والاجتهاد، وساحة التنافس والسباق، ينشغل باجتراح الأحقاد، وتمني فشل الآخرين، والعمل من أجل إعاقة تحركهم وعرقلة مسيرهم.

لذلك يصف الإمام علي عليه السلام الحسد بأنه سجن لروح الإنسان، من أن تنطلق في الأفق الرhib يقول عليه السلام: «الحسد حبس الروح» وفي عبارة أخرى يصفه بأنه «دأب السفّل» أي مهمة الفاشلين الفاقدين للهمة العالية. من هنا فإن «الحسود لا يسود» كما يقول الإمام علي عليه السلام.

فالحاسد لا يفكر كيف يتقدم هو؟ بل يصبح همه الأول في الحياة سقوط

(١) سورة الإسراء الآية ٢٠.

الآخرين وزوال نعمهم. يقول الإمام علي (عليه السلام): «الحاسد لا يشفيه إلا زوال النعمة» و «الحاسد يفرح بالشر ويغتم بالسرور» و «الحاسد يرى أن زوال النعمة عمن يحسده نعمة عليه» .

### غضب على القدر:

وإذا كانت بعض النعم والامتيازات تصل إلى الإنسان دون كسب منه، كالصفات الخلقية، والانتماء العائلي، أو الإمكانيات التي يرثها من أرحامه، أو المواقع القيادية الرسالية، فإنها تقدير إلهي، وقسمة ربانية، فلماذا ينزعج الحاسد من ذلك؟ إنه حينئذ يعترض على تقدير ربه وحكمته، يقول تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(١)</sup>. وفي الحديث القدسي عن الله عز وجل: «فإن الحاسد ساخط لنعمي، صاّد لقسمي الذي قسمت بين عبادي»<sup>(٢)</sup>. وعلى حد تعبير الإمام علي (عليه السلام): «الحسود غضبان على القدر» .

وقديماً قال أحد العرفاء:

أقل لمن كان لي حاسداً      أتدري على من أسأت الأدب  
أسأت على الله في فعله      إذا أنت لم ترض لي ما وهب

### تحطيم للذات:

الحسد مرض خطير فتاك تبدأ مضاعفاته المدمرة على نفس حامله أولاً، حيث يعيش مأزوماً محبطاً قلقاً، يرى الأمور والأحداث من خلف نظارة سوداء، وفي الوقت الذي ينعم فيه الآخرون بإنجازاتهم ومكاسبهم، يبقى

(١) سورة النساء الآية ٥٤.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٤٩.

هو يجتر الهموم والحسرات، فلا يرتاح ولا يهنأ بدنياه، وهو في آخرته أخسر وأشقى. يقول الإمام علي عليه السلام: «لله در الحسد فما عدله بدأ بصاحبه فقتله» و «الحسد مطية التعب» و «ثمره الحسد شقاء الدنيا والآخرة» و «ما رأيت ظالماً أشبهه بمظلوم من الحاسد» و «الحسد لا يجلب إلا مضرة وغيظاً يوهن قلبك ويمرض جسمك» .

### أعراض اجتماعية:

قد يكون الحسد مرضاً فردياً محدوداً يبتلى به بعض الأفراد من المجتمع، فيصطلون بنار أضراره وشقائه، وقد يكون ظاهرة سائدة في بعض المجتمعات، تبرز أعراضه ومضاعفاته على مستوى العلاقات بين أفراد المجتمع وفئاته.

ولعل من أبرز أعراض الحسد كظاهرة مرضية اجتماعية، هو ما يتجلى في طريقة التعاطي والتعامل مع الكفاءات والقدرات من أبناء المجتمع، ففي الوضع الصحي السليم تلقى الكفاءة والطاقة، في أي مجال من المجالات العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، ترحيباً من أوساط المجتمع، وتشجيعاً وإشادةً، ومساعدةً ودعمًا، يدفعها إلى المزيد من التقدم والعطاء، والنمو والظهور. أما في الحالة المرضية، فان نظرات التنكر والتجاهل، وإثارة الشكوك والارتياب، وتطلب العثرات والأخطاء، هذه النظرات تلاحق أي كفاءة تبرز، وأي قدرة تظهر، من أبناء المجتمع. وهذا عرض وأثر يدل على انتشار مرض الحسد في النفوس.

وغالباً ما تعشش هذه الحالة المرضية في المجتمعات المتخلفة والمقهورة، فبروز الكفاءة يذكر الآخرين بنقصهم، وذلك أمر يزعجهم، فيتمنون عدم ظهور أي كفاءة (لأن البلية إذا عمت طابت). كما أن التخلف

والقهر يكرس الأنانية الجوفاء الملتوية في نفس الإنسان، فينظر إلى المتميزين والمتفوقين وكأن تقدمهم جاء على حسابه، وأنه الأولى والأحق منهم بتلك المكاسب والإنجازات التي أحرزوها، نتيجة لتضخم الذات، وانتفاخ الأنا، دون سعي أو حركة.

وتلك هي الأرضية التي تنبت منها العداوات، وتفرخ فيها الأحقاد، وتجد كفاءات المجتمع نفسها محاطة بأجواء العداة والصراع، مشغولة بتخطي العراقيل والعقبات المصطنعة في طريقها.

وما يواجه هذه الحالة هو الوعي الحضاري والتربية الأخلاقية، ليدرك أبناء المجتمع دور وأهمية أي كفاءة تبرز في تعزيز مكانتهم جميعاً، وشق طريق التقدم أمامهم، وأن ظهور أي طاقة عالماً أو خطيباً أو أديباً أو مهندساً أو تاجراً أو موظفاً كبيراً أو رجل أعمال.. هو مكسب لكل المجتمع.

وساحة التنافس والاجتهاد مفتوحة للجميع، ونعم الله واسعة وخيراته كثيرة، فلماذا التحاسد؟ ولماذا التباغض؟



# حركة الوعي والثقافة في المجتمع

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٤٢١ هـ



يقاس مستوى تقدم أي مجتمع من المجتمعات، بمقدار فاعلية حركة الوعي والثقافة في أوساطه، فعلى أساسها تتحدد مكانة المجتمع، وتصاغ شخصيات أبنائه.

والوعي كما يقول علماء اللغة العربية هو: حفظ القلب الشيء. ووعي الشيء والحديث يعيه ووعياً وأوعاه: أي حفظه وفهمه. وفلان أوعى من فلان أي أحفظ وأفهم. وفي الحديث: نصّر الله امرأً سمع مقالتي ووعاها. أي فهمها. وفي حديث أبي أمامه: لا يعذب الله قلباً وعى القرآن. قال ابن الأثير: «أي عقله إيماناً به وعملاً، فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده فإنه غير واع له»<sup>(١)</sup>. وإنما سمي الإناء إناءً لأنه يحفظ ما يوضع فيه.

وجاء في القرآن الكريم: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وذلك في سياق الحديث عن أخبار الأمم السالفة، وكيف كان مصيرهم إلى الدمار، بسبب انحرافهم عن منهج الله وفسادهم الاجتماعي. حيث تشير الآية الكريمة إلى أن هذه الأخبار والمعلومات التاريخية ليست للتسلية أو للترف الفكري، وإنما المقصود منها حصول الوعي بفهم سنن الحياة وقوانين التاريخ، وعبر بالآذن الواعية لأن السمع هو نافذة الإنسانية على أخبار التاريخ الماضي غالباً، وهي مجرد جهاز توصيل، والفهم والإدراك يتم فيما وراء الأذن حيث

(١) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب.

(٢) سورة الحاقة الآية ١٢.

قلب الإنسان وفكره، هو الوعاء الذي تجتمع فيه المعلومات وتختمر لتتحول إلى فكرة ورؤية واستنتاج.

أما الثقافة لغة فهي من ثَقَفَ الشيء أي حدقه وفهمه. ورجل ثَقِفَ أي حاذق الفهم. وقال ابن السكيت: رجل ثَقِفَ لَقِفَ إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به. ويقال: ثَقِفَ الشيء وهو سرعة التعلم. وقال ابن دريد: ثَقِفْتُ الشيء: حدقته، وثقفته إذا ظفرت به. قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثَقَفَنَّهْمُ فِي الْحَرَبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي إذا أدركتهم وسيطرت عليهم. وفي حديث الهجرة: وهو غلام لَقِنَ ثَقِفَ أي ذو فطنة وذكاء<sup>(٢)</sup>.

واصطلاحاً للثقافة تعريفات كثيرة تزيد على مئة تعريف، وأشهرها تعريف «تايلر» عالم الانثروبولوجيا البريطاني، والذي عرّف الثقافة بأنها: ذلك الكل المركب من المعلومات والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات والتقاليد التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع.

### الثقافة والوعي في حياة الإنسان:

يدرك كل إنسان دور الجانب المادي في حياته، فبه ينظم شؤون معيشته من غذاء ولباس وسكن وما شابه، لكن دور الوعي والثقافة ليس واضحاً لدى الكثيرين، حيث لا يعتبرونها من أساسيات الحياة، بل هي شأن كمالٍ زائد. والواقع أن حياة الإنسان تتأثر بثقافته ووعيه، وكلما كان أكثر ثقافةً ووعياً، كانت حياته أرقى وأفضل، وانخفاض المستوى الثقافي يقابله تدنٍ وانحطاط في المستوى الحياتي العام.

(١) سورة الأنفال الآية ٥٧.

(٢) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب.

فمثلاً في الجانب الصحي هناك فرق واضح بين من يحمل ثقافةً ووعياً صحياً، ومن يفتقد ذلك، ويتجلى الفارق في نوعية الغذاء، وفي أسلوب الحياة، والتعامل مع الأمراض والحوادث، بل في تعاطي الإنسان مع أعضاء جسمه، فكم من مرض خطير يحصل بسوء تصرف وممارسة خاطئة ناتجة عن الجهل وعدم الوعي.

وفي الجانب المالي فإن أفضل المستثمرين هم من يعتمدون على متابعة حركة الاقتصاد، وفهم تأثير الأحداث والتطورات فيها، فوعي الإنسان وثقافته في هذا المجال تجعله أقدر على استثمار الفرص، وتحقيق المكاسب، بينما تفوت غير المتابع المطلع فرص كثيرة، ويخسر مصالح ومكاسب.

وكمثال بسيط على ذلك ما ذكرته بعض التقارير الاقتصادية من أن العرب يخسرون سنوياً في أوروبا أكثر من ٢٥٠ مليون دولار، نتيجة جهلهم وغفلتهم عن قانون استرداد الضريبة المضافة، ففي دول الاتحاد الأوربي تؤخذ ضريبة على كل بضاعة أو سلعة بالنسبة للمواطن والمقيم، أما السائح فإن بإمكانه استرجاع ضريبة البضائع التي يشتريها ويخرج بها من ملابس وهدايا وأجهزة، بتقديم فواتيرها لجهة خاصة في المطار عند المغادرة، لكن الكثيرين لا يعرفون ذلك أو لا يهتمون به فيخسرون مبالغ كبيرة.

ونجد الآن في مجتمعاتنا كيف أن بعض الناس يمتلكون مبالغ كثيرة، كالمتقاعدين الذين يستلمون ادخارهم وحقوقهم من الشركات عند سن التقاعد لكنهم لا يعرفون كيف يوظفونها ويستثمرونها، فتتخر من أيديهم هنا وهناك.

كما نلاحظ أن بعض الأشخاص يعيشون وضعاً اقتصادياً سيئاً مع أن لهم

دخلاً، إلا أنهم لا يعتمدون التخطيط والتدبير في نفقاتهم ومصروفاتهم.  
ومثل ذلك يجري في الحياة العائلية والعلاقات الاجتماعية حيث للثقافة  
والوعي دور أساس في نجاحها وارتقائها، بينما يصيبها التدهور والتأزم بسبب  
الجهل وانعدام الوعي غالباً.

### الوعي الديني:

للووعي والثقافة في المجال الديني أهمية خاصة، لأن تدين الإنسان يجب  
أن يكون نتيجة قناعة منه، وإيمان واندفاع ذاتي، وليس حالة من الاسترسال  
والانسحاق الوراثي أو الاجتماعي.

كما أن للدين قيماً ومبادئ، ومقاصد وغايات، فإذا لم يتوفر للإنسان  
الوعي بذلك، يصبح تدينه مظاهر وممارسات قشرية فارغة.

وضعف الوعي بالدين يعرض الإنسان لأخذ خطرين بليغين: أما الانسلاخ  
من الدين، وخاصة حينما تعصف به الشبهات والتيارات المضادة، فلا يجد ما  
يعتصم به من وعي ومعرفة راسخة.

أو أن يُستغل باسم الدين من قبل زعامات مصلحية، و قوى انتهازية،  
ففي بداية هذا العام ٢٠٠٠م حصلت مأساة مروعة في جنوب غرب أوغندا،  
على يد قس ينتمي إلى الكنيسة الكاثوليكية، يقود حركة دينية باسم (مجموعة  
إحياء الوصايا العشر) وقد أقنع أتباعه بأن نهاية العالم وشيكة، وستقوم القيامة،  
ودفعهم إلى بيع بيوتهم وممتلكاتهم، ليشتروا عبْره أماكن لهم وقصوراً في  
الجنة، وحدد لهم يوماً معيناً وساعةً محددةً ليدخلوا الكنيسة ويضعوا حداً  
لحياتهم بأيديهم لتلتحق أرواحهم بالملكوت الأعلى، وهو سيسافر إلى أوروبا  
ومنها يسبقهم إلى الجنة ليستقبل أرواحهم!! وبالفعل دخل حوالي ٤٧٠

شخصاً كنيستهم، وأغلقوا عليهم الأبواب والنوافذ، وثبتوا المسامير فيها حتى لا يفكر أحد في الهرب والخروج ويخسر فرصة الانتقال إلى الفردوس، وصبّوا الوقود في أنحاء الكنيسة وأشعلوا النار، وماتوا كلهم اختناقاً واحترقاً، وفيهم عدد من النساء والأطفال!!.

وقد تناقلت الخبر وكالات الأنباء، وتباينت التفسيرات والتحليلات حول دوافع الحدث وتفاصيله.

إن هذا الحدث نموذج صارخ للتضليل والاستغلال الديني، والجهل وضعف الوعي والثقافة يوفّر الفرصة لظواهر وممارسات من هذا القبيل، وضمن كل دين أو مذهب قد تظهر وتنمو قوى ومراكز تستغل الدين لاستعباد الناس واستخدامهم، ورأينا حتى في عصرنا الحاضر كيف انبثقت جماعات وحركات منحرفة باسم الإسلام، دفعت أتباعها إلى أبشع الممارسات الإرهابية، والسلوكيات الرجعية المتخلفة.

إن الوعي الديني الصحيح والثقافة السليمة هو ضمانة الاستقامة، وتجاوز محاولات الاستغلال والتضليل. جاء في صحيح البخاري عن أبي عبد الرحمن عن علي ابن أبي طالب عليه السلام قال: بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم سرية -فرقة صغيرة من الجيش- فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب -ذات يوم- فقال: أليس أمركم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا. فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها. فقال: ادخلوها، فهّمّوا وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه. فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «لو دخلوها ما

خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف»<sup>(١)</sup>.

إذاً فالثقافة والوعي لها تأثير كبير على حياة الإنسان في مختلف المجالات، وكلما كان الإنسان أكثر ثقافة ووعياً كانت حياته أرقى وأفضل، فهي ليست أمراً ترفيهاً كمالياً، لأن الإنسان تنطلق ممارساته ومواقفه من قناعاته وأفكاره، والثقافة الأفضل تنتج قناعات ورأياً أفضل، ينعكس على سلوك الإنسان وتصرفاته.

### رؤية الدين:

النصوص الدينية تعطي لقضية الوعي والثقافة اهتماماً كبيراً لا يعدله أي اهتمام، فالقرآن الكريم يقرر أن هناك فارقاً مائزاً لا ينكر بين العالمين الواعين وغيرهم، ويتساءل على سبيل التقرير والإثبات ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ويكفي أن نعلم أن أول آية نزلت من القرآن الكريم هي دعوة إلى الثقافة والوعي يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(٣)</sup> إنها أمر بالقراءة أي الفهم والمعرفة، وإشادة بالقلم كأداة للعلم والتعليم. وهناك سورة أخرى باسم سورة القلم، يبدأها الله تعالى بالقسم بالقلم وما يخطه، في مجتمع كانت تسوده الأمية، ومن يستطيعون القراءة والكتابة فيه عددهم محدود جداً، يقول تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهناك أحاديث وروايات كثيرة تعتبر فهم الإنسان ومعرفته هي المقياس

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري - كتاب المغازي.

(٢) سورة الزمر الآية ٩.

(٣) سورة العلق الآية ١-٥.

(٤) سورة القلم الآية ١.

لمستوى تدينه ومكانته عند الله، كالحديث الوارد عنه ﷺ: «أفضل المؤمنين إيماناً أفضلهم معرفة» وكالحديث المروي عن أئمة أهل البيت ﷺ: «إن بعضكم أكثر صلاةً من بعض، وبعضكم أكثر صوماً من بعض، وبعضكم أكثر حجاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقة من بعض، وأفضلكم أكثركم معرفة» .

وورد عن النبي ﷺ: «ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاماً»<sup>(١)</sup>.. وجاء عن الإمام جعفر الصادق ﷺ: «فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة»<sup>(٢)</sup> ونقرأ في مفاتيح الجنان المخصص للأدعية والزيارات والنوافل والأوراد لمؤلفه المعروف بالورع والتقوى الشيخ عباس القمي رحمه الله، عن أعمال ليلة القدر، وبعد ذكره للعديد من المستحبات فيها من صلوات وأدعية وأذكار لليلتي الحادي والعشرين والثالث والعشرين من شهر رمضان، يقول: «وقال شيخنا الصدوق فيما أملى على المشايخ: ومن أحيأ هاتين الليلتين بمذاكرة العلم فهو أفضل»<sup>(٣)</sup>.

### التثقيف الذاتي:

إدراك قيمة الوعي والثقافة، والاستجابة لتوجيهات الدين، يعني أن يهتم كل إنسان بتثقيف نفسه، وتحصيل أكبر مستوى من الوعي لذاته، خاصة ونحن نعيش عصرًا توفرت فيه وسائل العلم والمعرفة، وفرص التثقيف والوعي.

فالإنترنت مثلاً وهو من أهم إنجازات البشرية في هذا العصر يفتح أمام الإنسان آفاق العلم والمعرفة لمن يتطلبها، لكن المؤسف أن البعض يسيء الاستفادة من هذه الوسيلة الهامة، فيستخدمها في الاتجاهات السيئة.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٨.

(٣) القمي: الشيخ عباس، مفاتيح الجنان.

في بداية سنة ٢٠٠٠م بلغ عدد المشتركين في شبكة الإنترنت على مستوى العالم ٢٤٨ مليون مشترك. ومن البلاد العربية التي يبلغ تعداد نفوسها أكثر من ١٥٠ مليون عربي، وصل عدد المشتركين في الإنترنت ٤٩٠ ألفاً، بينما وصل عدد المشتركين في الكيان الإسرائيلي الغاصب الذي لا يزيد عدد سكانه على خمسة ملايين إلى ٨٠٠ ألف مشترك!! وفي ذلك مؤشر على ضعف وتخلف مستوانا الثقافي.

كما أن واقع حركة الكتاب في بلداننا يكشف هو الآخر عن مدى هذا التخلف والضعف، فالعالم الآن يستهلك سنوياً ٨٠ مليون طن من الورق لصناعة الكتب والمطبوعات، حيث يطبع سنوياً مليون كتاب جديد في عشرين بليون نسخة، إضافة إلى نصف مليون مطبوعة دورية في مائتي بليون نسخة، ويقال أن هذا المقدار من الورق الذي يستهلكه العالم في المطبوعات يكفي لتغليف الكرة الأرضية سبع مرات ومعلوم أن مساحتها تبلغ ١٣٦ مليون كيلومتر مربع.. فما هو نصيبنا نحن من حركة الكتاب على مستوى العالم إنتاجاً وقراءة؟

إننا ننتمي إلى أمة يبدأ دينها بالدعوة إلى القراءة ﴿أَقْرَأْ﴾ فإلى أي حد تأخذ القراءة حيزها في برامج حياتنا وأوقاتنا؟. الكتاب مصدر من مصادر الوعي والثقافة، فينبغي أن يهتم كل واحد بعلاقته مع الكتاب، وأن نربي عوائلنا وأبناءنا وبناتنا على الارتباط بالكتاب، في البلاد الغربية أصبحت المكتبة جزءاً من لوازم البيت والعائلة، لذلك فإن أي تخطيط أو تصميم لترتيب المنزل وتأثيره لابد وأن يحتوي على رفوف للكتب، ولأن طريقة التصميم والتأثير عندنا مستوردة منهم، فإن في غالب بيوتنا الآن مكاناً للكتب، لكنها قد تشغل بأشياء أخرى، لضعف التوجه والاهتمام لدينا بالقراءة والثقافة.

## الحركة الثقافية:

اهتمام أبناء المجتمع بالثقافة يتأثر بمستوى النشاط والحركة الثقافية العامة في البلاد، فإذا كانت هناك فاعلية ونشاط ثقافي، فإنها تخلق أجواء دافعة ومشجعة باتجاه الوعي والثقافة، لدى أكبر عدد وأوسع رقعة اجتماعية.

ومن مفردات تنشيط الحركة الثقافية في المجتمع ما يلي:

١. التشجيع والتوجيه نحو الثقافة من قبل وسائل الإعلام، وعلماء الدين، وخطباء المنبر، ومعلمي المدارس.. ومن قبل كل ذي تأثير ونفوذ.

٢. توفير المجال وإتاحة الفرصة أكثر للأنشطة الثقافية المختلفة، من قبل الأجهزة الرسمية المعنية كوزارة الإعلام ورعاية الشباب ووزارة المعارف، ومن قبل الجهات الأهلية المتصدية، ففي كل منطقة يوجد نادٍ رياضي، ومسجّل على لوحته أنه رياضي اجتماعي ثقافي، وللنشاط الثقافي في الأندية مستحقات ومخصصات من قبل رعاية الشباب، لكن المطلوب من إدارات الأندية أن تولي الجانب الثقافي اهتماماً أكبر. كما أن المساجد والحسينيات يمكنها أن تلعب دوراً أكبر في تنشيط الحركة الثقافية، ضمن الضوابط والقوانين الشرعية.

٣. تسهيل حركة الكتاب تأليفاً وطباعةً ونشراً. ووجود المكتبات العامة للمطالعة والبحث يعتبر معلماً من معالم الحركة الثقافية في المجتمع، فينبغي الاهتمام بالمكتبات العامة، وإلفات النظر إليها، ففي القطيف مثلاً لدينا مكتبتان لا يعرف عنهما كثير من الناس، لذا فإن الاستفادة منهما محدودة، لدينا المكتبة العامة بالقطيف، وتقع في المنطقة الخامسة، تأسست عام ١٤٠٨هـ من قبل وزارة المعارف، وتحتوي على عشرة

آلاف كتاب، ومساحتها جيدة، ولها ١٣ موظفاً، يداومون على فترتين صباحاً ومساءً. والمكتبة الأخرى في مركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف وتضم خمسة آلاف كتاب.

### إمكانات ومقومات:

تتوفر في مجتمعنا إمكانات ومقومات عديدة، تساعد على انطلاق حركة ثقافية فاعلة.

أولاً: تقدم المستوى التعليمي فقد انخفضت نسبة الأمية في بلادنا والحمد لله إلى أدنى حد، وكل أبنائنا وبناتنا متعلمون.

ثانياً: توفر وسائل الاتصالات والمعلومات التقنية والتكنولوجية، من تلفزيون، وأجهزة التقاط فضائي، وكمبيوتر، وفاكس، وإنترنت..

ثالثاً: الماضي العلمي والثقافي العريق لمجتمعنا، فمن قديم الزمان كانت لدينا حوزات علمية، وعلماء كبار، وأدباء مشهورون، وحركة علمية أدبية تتحدث عنها المصادر التاريخية بإشادة وإكبار.

رابعاً: وجود الكفاءات والقدرات العلمية والأدبية في مختلف المجالات، فعندنا الآن جيل جديد من طلاب العلوم الدينية، وفيهم من نال مرتبة عالية، وقطع شوطاً علمياً جيداً، وعندنا خطباء يُفخر بمستوى خطاباتهم، وأدباء بارعون، وكفاءات متخصصة في أكثر من حقل علمي كالطب والهندسة...

خامساً: توفر القدرة المالية، فالحركة الثقافية تحتاج إلى تمويل وانفاق. وعندنا أثرياء متمكنون، ورجال أعمال مقتدرون، ونرى أن هناك

إقبالاً على أعمال الخير في بلادنا كبناء المساجد والحسينيات،  
ومساعدة الفقراء والضعفاء، وما نحتاجه هو التوجيه إلى أهمية  
الإنفاق والعطاء في الأنشطة الثقافية، وأن ذلك مورد لثواب الله  
تعالى ورضاه، وسبب لصالح المجتمع وتقدمه.

كما أن الحقوق الشرعية من أخماس وزكوات، والأوقاف الخيرية  
والدينية، وهي متوفرة في المجتمع، ينبغي أن تقوم بدور أكبر في دعم النشاط  
الثقافي، وتفعيل حركة الوعي والمعرفة.

هذه المقومات يمكنها أن تشكل أرضية مناسبة لنهضة ثقافية واعية، ترفع  
مستوى المجتمع، وتطور حياته في مختلف المجالات، وتمكنه في الإسهام  
في بناء الوطن ورفعته شأنه.



# مشاكل الحياة بين الانفعال والاستيعاب

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٤٢١ هـ



من طبيعة هذه الحياة الدنيا أنها زاخرة بالمشاكل والمصاعب، بمقدار ما هي مليئة بالملذات والشهوات، وفرص المكاسب والإنجازات، وأرادها الله تعالى كذلك لتكون قاعة ابتلاء وامتحان للإنسان، وفي الاختبار لا بد من توقع الأسئلة الصعبة، ولإعطاء رخصة قيادة السيارة يمتحن بالسير في طرق ذات منعطفات ومتعرجات.

ولمشاكل الحياة ووظيفة أخرى هي صقل إرادة الإنسان، واستثارة قدراته وطاقاته، فالتحديات دافع التقدم والتكامل.

لذلك يؤكد القرآن الكريم على حتمية العناء والصعوبة في هذه الحياة يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾<sup>(١)</sup>. والكبد هي المعاناة والتعب الشديد. وفي آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>. والكدح هو العمل والسعي بمشقة.

الناس الذين يفكرون بأنهم يجب أن يرتاحوا في حياتهم، ولا تزعجهم المشاكل والمصاعب، هؤلاء واهمون لا يعرفون طبيعة الحياة.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «الراحة لم تخلق في الدنيا ولا لأهل الدنيا، إنما خلقت الراحة في الجنة ولأهل الجنة، والتعب والنصب خلقا في الدنيا

(١) سورة البلد الآية ٤.

(٢) سورة الانشقاق الآية ٦.

ولأهل الدنيا»<sup>(١)</sup>. وفي حديث للإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال لأصحابه: «لا تتمنوا المستحيل! قالوا: ومن يتمنى المستحيل؟! فقال: ألستم تمنون الراحة في الدنيا؟ قالوا: بلى. فقال: الراحة للمؤمن في الدنيا مستحيلة»<sup>(٢)</sup>.

والإنسان في أي موقع كان، وضمن أي حالة في هذه الحياة، معرض للمشاكل والابتلاء، فقد يتصور الفقير أن الأغنياء يعيشون راحة تامة، أو يتصور المحكومون أن الحاكمين لا يواجهون ما يزعجهم ويقلقهم، أو أن أهل تلك البلاد لا شيء ينغص عليهم صفو راحتهم، لكن هذه التصورات جميعها بعيدة عن الواقع، فلا أحد في هذه الحياة حاكماً أو محكوماً، غنياً أو فقيراً، عالماً أو جاهلاً، من مواطني العالم الثالث أو الأول، لا أحد يعيش راحة تامة، نعم قد تتفاوت المشاكل، ويختلف مستوى المعاناة، ومدى توفر إمكانيات المواجهة والعلاج.

فقد تأتي المشكلة من خلال البيئة الطبيعية المحيطة بالإنسان، وقد تنبع من داخل جسمه أو حالته النفسية، وقد تنبثق من الظروف الاجتماعية التي ينتمي إليها.

إن الراحة الكاملة، والسعادة التامة، لا تتوفر إلا في الجنة حسبما يخبرنا الله تعالى عنها، هناك حيث لا أمراض، ولا نزاعات ولا منغصات ولا نواقص ولا شيء يسبب ذرة من العناء أو الانزعاج، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ. وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ. لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) المجلسي: محمد باقر، ج ٧٠ ص ٩٢.

(٢) الريشهري، محمدي ج ٤ ص ٢٠٤.

(٣) سورة الحجر الآية ٤٥ - ٤٨.

وإذا كان خيار تغيير طبيعة الحياة ليس متاحاً للإنسان، فهي كما يقول  
الشاعر العربي:

طبعت على كدر وأنت تريدها      صفواً من الأقداء والأكدار  
ومكلف الأيام ضد طباعها      متطلب في الماء جذوة نار

إلا أن طريقة تعامل الإنسان مع هذه الطبيعة يفتح أمامه أكثر من خيار،  
ويمكننا أن نلاحظ في تعاطي الناس مع مشاكل الحياة، أن هناك نمطين  
مختلفين: الأول حالة التشنج والانفعال. والثاني منهجية الاستيعاب.

### التشنج والانفعال:

التشنج لغة من الشَنَج وهو تقبُّص الجلد والأصابع وغيرهما، وفي  
الحديث: «إذا شخَصَ البصر وشَنِجَتِ الأصابع، أي انقبضت وتقلصت»<sup>(١)</sup>  
بحيث يصعب بسطها وتحريكها.

واللغويون يعبرون بذلك عن حالة مرضية، يطلق عليها الأطباء: تشنِجاً  
عضلياً ويعرفونها بأنها حالة مفاجئة لا إرادية تصيب العضل فتمنعه من أداء  
وظيفته مع ألم شديد.

أما التشنج كحالة نفسية فيعرفه علماء النفس: بأنه حالة يفقد فيها الإنسان  
الإدراك الواعي ويصاحبها تقلصات في العضلات، وهي وسيلة هروبية حينما  
تعجز الذات عن مواجهة ضغط من الضغوط أو موقف من المواقف بطريقة  
واعية سليمة.

ومن التعريفات السابقة يمكننا التعبير عن التشنج كظاهرة أخلاقية، بأنه

---

(١) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب.

الانفعال الزائد عن الحد تجاه حدث سيء أو شخص مسيء. يدفع إلى مواقف أو تصرفات سريعة دون تفكير موضوعي.

هذا الانفعال المتطرف يحدث حالة من الانقباض في إرادة الإنسان وتفكيره، فتعوقه عن الحركة والسعي لتجاوز المشكل، كما تسبب له الكثير من التأزم والتألم في مشاعره وأحاسيسه، تماماً كما هي آثار التشنج العضلي على مستوى الجسم.

### مظاهر وأعراض:

لحالة التشنج مظاهر وأعراض في شخصية الإنسان يمكن أن نرصد منها ما يلي:

١. السلبية والتشاؤم: فالحياة فيها أحداث جيدة وأخرى سيئة، فيها الحلو والمر، ويحصل فيها ما يبعث على الأمل والتفاؤل، كما يحدث ما يوجب التشاؤم، فلا بد من الاعتدال والتوازن، والنظر إلى الأمور بموضوعية. لكن الشخصية المتشنجة وبسبب ما قد يمر بها من مشاكل ونكسات تميل إلى السلبية والتشاؤم غالباً، وتقرأ الأحداث بهذه النفسية، فتتكرس لديها حالة اليأس والقنوط، وتسيطر عليها حالة الإحباط، وذلك يعوق الانطلاق والحركة والسعي.

إن التعاليم الدينية تربي في الإنسان روح الأمل والتفاؤل، وتنهيه عن النزوع نحو اليأس والتشاؤم مهما عصفت به المشاكل والأزمات، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة يوسف الآية ٨٧.

ويقول تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(١)</sup> وفي واقعة الخندق يقدم الرسول ﷺ مثلاً رائعاً في التطلع إلى الخير، وتجاوز ضغط الأزمات والمشاكل، حيث تذكر كتب السير والتاريخ: أنه لما حاصر المشركون وحلفاؤهم من اليهود المدينة المنورة، وكانوا أكثر من عشرة آلاف مقاتل، مدججين بالسلاح والعتاد، ولم يكن للمسلمين قوة مكافئة، لذلك قرروا حماية المدينة بحفر خندق حولها، حتى لا يستطيع الأعداء الهجوم عليها، فهم في موقع الدفاع، وأثناء حفر الخندق، اعترضتهم صخرة قوية شق عليهم كسرهما، فبادر الرسول ﷺ وأخذ المعول وضرب على الصخرة ولشدة ضربته لمعت برقة منها، وتكرر ذلك ثلاث مرات، وفي كل مرة كان ﷺ يكبر فيكبر معه المسلمون، ثم قال لهم: في الأولى فتح الله عليّ بها اليمن، وفي الثانية فتح الله عليّ بها الشام والمغرب، وفي الثالثة فتح الله عليّ بها المشرق.. فقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويخبركم أنه يبصر في يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق، ولا تستطيعون أن تبرزوا<sup>(٢)</sup>.

وفي بعض الأحيان تكون المبالغة في السلبية والتشاؤم نوعاً من التبرير لموقف التقاعس والكسل وعدم تحمل المسؤولية، بحجة عدم الفائدة والجدوى، وغلبة السوء والشر.

### الحماس للهدم دون البناء:

٢. من أعراض ظاهرة التشنج والانفعال أن يبقى أصحابها في دائرة السخط

(١) سورة الشرح الآية ٥-٦.

(٢) الحسن بن علي فضل الله، سيرة الرسول وخلفائه ج ٣ ص ٣١٤ الطبعة الأولى ١٩٨٤ م مؤسسة الوفاء بيروت.

والاعتراض تجاه المشكل، دون أن يتجاوزوا ذلك إلى صنع الحلول، وتقديم العلاج. إنهم يفتشون عن المشاكل ليجتروا الكلام حولها، ولا يكلفون أنفسهم عناء التفكير في معالجتها، والسعي لمواجهتها. وقد ترى في بعض المجالس أشخاصاً يتبارون في استعراض المشاكل، ويزيدون على بعضهم في الحماس لها والغضب منها، لكنك إذا ما طرحت عليهم السؤال عن طريقة الحل وأسلوب العلاج، يواجهونك بالفطور والبرود، والتهرب من تحمل أي مسؤولية!!

لماذا نتكلم عن المشاكل والقضايا فقط، ولا نعتصر أذهاننا من أجل ابتكار الحلول، وابتداع طرق الخلاص؟

فإذا ما وقع حادث اعتداء على أحد من المجتمع، أو حصلت جريمة اخلاقية، أو أساء أحد إلى الدين أو المذهب، يصبح ذلك هو حديث المجالس، وتسود المجتمع أجواء الحماس والانفعال، وينشغل الناس بذلك لفترة، ثم تهدأ النفوس، وينتهي الحماس، في انتظار مشكلة أخرى.. وهكذا!!

لماذا لا نتحمس للفعل الإيجابي بدل الحماس كرد فعل فقط لمشكلة هنا وهناك؟

ولماذا لا تتحول ردود أفعالنا تجاه المشاكل إلى خطط عمل وبناء بدل الاكتفاء باجترار المآسي والحسرات؟

يقول الدكتور محمد جابر الأنصاري: أن بإمكانك أن تستشير الألوفا من الناس لكي يخرجوا بمظاهرة يقطعون فيها عدة كيلومترات تحت حرارة الشمس، لكن هل تستطيع أن تقنع أحداً منهم بتنظيف عدة أمتار أمام باب بيته!!

## البحث عن الأخطاء:

٣. الشخصية الانفعالية المتشنجة غالباً ما تبحث عن النواقص، وتفتش عن الأخطاء ونقاط الضعف، في أي عمل أو مشروع، ولدى أي شخص أو جهة، ليس من أجل إسداء النصيحة، ولا لمساعدة في الترميم والإصلاح، وإنما لإثارة التشكيك، وللتشهير بالآخرين وإنجازاتهم.

إن الإيجابيات ونقاط القوة في أي نشاط، ومن قبل أي شخص لا تسترعي انتباههم، ولا تستقطب أنظارهم، لكن أقل خطأ وأبسط نقص، يجلب اهتمامهم، ويتضخم لديهم، وتقوم قيامتهم ولا تقعد اعتراضاً عليه!!  
إن المنصف المخلص لبني نوعه أو مجتمعه هو من يشيد بالإيجابيات، ويقدم النقد البناء، والنصيحة الطيبة تجاه النواقص والسلبيات..

فمثلاً عندنا مؤسسات خيرية تعمل في المجتمع كالجمعيات الخيرية، ولجنة كافل اليتيم، ومهرجانات الزواج الجماعية، وصناديق الزواج الخيرية، والأندية الرياضية، والأنشطة الدينية والثقافية، وكلها بجهود تطوعية اختيارية، يقدمها أفراد من أبناء المجتمع خدمة للمصلحة العامة، وابتغاءً لثواب الله ورضوانه، وهم بشر غير معصومين، قد يصدر منهم الخطأ والنقص، وقد تكون لديهم وجهة نظر في تصرف ما.

وما قد يقوم به البعض من موقف تجاه هذه المؤسسات الخيرية التطوعية، وما شاكلها من أنشطة في المجتمع، بحجة حدوث هذا الخطأ، أو وجود ذلك النقص، إنما هو مظهر وعرض لتلك النفسية الانفعالية المتشنجة.

## القسوة في ردة الفعل:

٤. قد يتعرض الإنسان لمواقف مثيرة من قبل الآخرين، بأن تصدر منهم إساءة تجاهه، أو يرتكبون خطأ أو ذنباً بشكل عام، وهنا كيف يكون رد الفعل على هذا المثير؟ إن حالة التشنج والانفعال تدفع الإنسان إلى ردة فعل قاسية عنيفة، تعود عليه بالمزيد من الانزعاج والتأزم النفسي، وتنسف الجسور بينه وبين الآخرين، وقد تجعل الطرف الآخر يتمادي في خطئه من منطلق التحدي ورد الفعل أيضاً..

بينما يكون للحلم والتسامح الكثير من النتائج الإيجابية الطبيعية، فبذلك يمتص الإنسان حالات التشنج، ويحافظ على هدوئه واستقراره النفسي، ويكسب مودة الآخرين، والتأثير في نفوسهم وسلوكهم.

إننا بحاجة إلى أن يحتمل بعضنا بعضاً، وأن لا نكون قاسين عنيفين على بعضنا، وإذا ما أخطأ واحد منا، فعلينا أن نساعد على تجاوز خطئه بالنصيحة واللطف، لا أن ندفعه للارتكاس والتمادي أكثر..

وقد ورد في الحديث المروي عن رسول الله ﷺ إن من حقوق المسلم على أخيه المسلم: «ويقبل عثرته» فإذا سقط في دين أو دنيا أقاله، كأنه لم يحدث له سقوط<sup>(١)</sup>.

وجاء في رواية أن رجلاً في عهد رسول الله ﷺ شرب الخمر فجاءوا به إلى الرسول ﷺ فأقام عليه الحد، ولما خرج وقع الجالسون فيه، قال أحدهم: اللهم العنه، وقال آخر: اللهم أخزه، فالتفت إليهم رسول الله ﷺ قائلاً: «لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم» قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال ﷺ:

(١) الشيرازي: السيد محمد، إيصال الطالب إلى المكاسب ج ٣ ص ١٣١.

«قولوا: اللهم اهده، اللهم أصلحه، اللهم اغفر له» .

لماذا يتلقف الواحد منا عشرة أخيه وكأنه أدرك مكسباً أو حقق أمنية؟  
ولماذا يستغل البعض أنفه الأسباب ليدخل معركة مع الآخرين؟

لقد كان أئمة الهدى عليهم السلام يتسامون على الإساءات، ويتجاوزون عن الأخطاء، ليعلموننا الرزاة أمام المثيرات، كما نقل في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام أنه مر برجل فبادر الإمام بالسب والشتم، فمشى الإمام معرضاً عنه كأنه غير مقصود بكلامه، فاقرب إليه الرجل قائلاً: «إياك أعني» وأجابه الإمام فوراً: «وعنك أغضي» وانصرف عنه. ومرة أخرى افتري عليه رجل وبالغ في سبه، فالتفت إليه الإمام عليه السلام بهدوء وبرودة أعصاب قائلاً: «إن كنا كما قلت: فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت: فغفر الله لك»<sup>(١)</sup>.

### أسباب وخلفيات:

هناك أسباب وخلفيات وراء هذا السلوك الانفعالي المتشنج، لعل من أبرزها ضعف الوعي والمعرفة بطبيعة الحياة والبشر، أو الغفلة عن ذلك وسيطرة التفكير المثالي، حيث إن بعض الناس يرسمون في أذهانهم صوراً مثالية للأمر والأشخاص، ويرون الواقع لا يتطابق مع تلك التصورات المثالية، فتصدمهم تلك المفارقة بين المثال والواقع.

ويكرر بعض الناس دائماً عبارة: المفروض كذا والمفروض كذا حينما يُقَوِّمون الآخرين وأعمالهم، لكنهم ينسون أنفسهم ومطالبتها بالمفروضات عليها، قبل مطالبة الآخرين.

(١) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام زين العابدين ص ٧٧.

كما أن حالة القهر والاستضعاف قد تنمي في نفس الإنسان الانفعالية والتشنج تجاه أنداده أو من هم دونه، كرد فعل لما يختزن من غضب وسخط تجاه المسيطرين عليه، حيث لا يستطيع مجابتههم.

وللتربية العائلية والبيئة الاجتماعية دور مؤثر في تكوين وتكريس هذه الحالة، فتعامل العائلة مع الطفل، وسلوكها أمامه، يصوغ شخصيته بنفس الاتجاه، وكذلك البيئة المحيطة بالإنسان تنعكس أخلاقياتها على نفسه وسلوكه.

### منهجية الاستيعاب:

كما أن التشنج والانفعال أمام المشاكل والأزمات خطأ مرفوض، فإن الاستسلام والخضوع للمشكلة ليس هو المطلوب، وإنما الصحيح استيعاب المشكلة عبر فهمها أولاً بخلفياتها وحجمها وحدودها، دون تضخيم أو تهويل، وفي المرحلة الثانية: التفكير في مواجهة المشكلة بموضوعية وتأن، ودون تسرع وارتجال، وثالثاً وأخيراً: حشد الطاقة والقدرة لتجاوز المشكلة.

هذه المنهجية هي التي تمكن الإنسان من تخطي مشاكل الحياة وعقباتها، وتحول المشاكل والتحديات وسائل ودوافع لتفجير مواهبه وتنمية طاقاته.

وقد نجد في مصطلح (شرح الصدر) الوارد في النصوص الدينية ما يعبر عن هذه المنهجية، في مقابل ضيق الصدر الذي يعبر عن حالة التشنج والانفعال.

يقول تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ

يُضِلُّهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴿١﴾.

وأول نعمة يمتن الله تعالى بها على نبيه محمد ﷺ نعمة سعة الصدر التي استوعب بها ﷺ مشاكل الدعوة، ومواجهة المشركين، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ﴿٢﴾.

وحينما أمر الله نبيه موسى ﷺ أن يذهب إلى فرعون، ليردعه عن طغيانه، وليدعوه إلى طاعة ربه، فإن موسى ﷺ طلب من الله أن يمنحه شرح الصدر ليستوعب مضاعفات وأعباء هذه المهمة الضخمة: ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿٣﴾.

وكلما كان طموح الإنسان أكبر، ودوره أرفع، احتاج إلى مستوى أعلى من سعة الصدر، لاستيعاب المشاكل والصعوبات، يقول الإمام علي ﷺ: «آلة الرياسة سعة الصدر».

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٥.

(٢) سورة الشرح الآية ١.

(٣) سورة طه الآية ٢٤-٢٥.



## إرادة العمل

كلمة الجمعة بتاريخ ٥ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ



لا تزال مجتمعاتنا في العالم الثالث تواجه نقصاً وتخلفاً في شتى مجالات حياتها، فالبنية التحتية، والاحتياجات الأساسية، لم تستكمل بعد في مختلف المرافق، فضلاً عن الطموح للالتحاق بركب الحضارة، والدخول في نادي المجتمعات الصناعية المتقدمة.

ويكفي أن نعلم أنه حتى في الجانب الغذائي وهو من أشد ضرورات الحياة ومقوماتها هناك عجز واضح ونقص خطير.

فالتقديرات التي أعدتها المنظمة العربية للتنمية الزراعية، تؤكد أن البلدان العربية لا زالت تتكل على استيراد الجزء الأهم من احتياجاتها الغذائية الأساسية، وطبقاً للأرقام المتوافرة فإن العجز في إنتاج الحبوب يصل إلى حوالي ٢٣ مليون طن سنوياً، في الوقت الذي لا يزيد فيه مستوى الاكتفاء عن ٤٨ في المائة، وتقدر قيمة ما تدفعه الدول العربية سنوياً لاستيراد ما تحتاجه من الحبوب من الخارج بين ٦ و ٨ مليارات دولار، وفق تطور الأسعار في السوق العالمية.

وفي السياق نفسه فإن إنتاج الدول العربية من السكر، وهو إحدى المواد الغذائية الأساسية، لا يغطي أكثر من ٣٦ في المائة فيما يقدر العجز الذي تتم تغطيته بواسطة الاستيراد من الأسواق العالمية بحوالي ٣,٧ مليون طن، بأكلاف تتراوح بين ١,٣ و ٢ مليار دولار.

وفي مجال إنتاج الزيوت الصالحة للاستهلاك، تستورد الدول العربية ١,٧٥٠ مليون طن سنوياً، فيما لا تزيد نسبة الاكتفاء الذاتي عن ٤٣ في المائة. وفي تقديرات أخرى فإن الفاتورة التي تدفعها الدول العربية سنوياً لتأمين الحد الأدنى من احتياجاتها الزراعية، قد تصل بالنسبة إلى المواد الأساسية إلى حوالي ١٧ مليار دولار، في حين يمكن أن ترتفع إلى حوالي ٦٠ مليار دولار، إذا احتسبت كلفة استيراد السلع الغذائية، واللحوم والأسمك<sup>(١)</sup>.

وقال وزير التجارة المصري أحمد جويلي خلال افتتاحه المؤتمر السنوي الـ ٣٤ لاتحاد غرف التجارة العربية: «أن الدول العربية تدفع ما لا يقل عن ٤٠ مليون دولار يومياً ثمناً للمواد الغذائية المستوردة من الخارج وان المواطن العربي أصبح يعتمد على الخارج للحصول على ٦٥٪ من احتياجاته من القمح، و ٧٤٪ من السكر و ٦٢٪ من الزيوت النباتية».

وأضاف: «يعني هذا أن الدول العربية أصبحت في مجموعها، أكثر مناطق العالم عجزاً في الغذاء»<sup>(٢)</sup>.

وحالة العجز هذه تواجه العالم العربي والإسلامي في مختلف المجالات والجوانب، من اقتصاد وعلوم وتكنولوجيا وثقافة، حيث نستورد معظم احتياجاتنا من الخارج.

### وفرة الإمكانيات:

لكن هذا النقص والعجز ليس بسبب ندرة المواد وشح الإمكانيات، فعدا الثروات النفطية والمعدنية، والمواقع الجغرافية الاستراتيجية، يتمتع العالم

(١) الوسط: مجلة أسبوعية، لندن - العدد ٢٧٧ بتاريخ ١٩، ٥، ١٩٩٧ م.

(٢) الحياة: جريدة يومية، لندن - العدد ١٢٤١٥ بتاريخ ١٧، ١٠، ١٤١٧ هـ.

العربي والإسلامي بإمكانات وافرة هائلة، لكنها في الأغلب غير مستثمرة ولا مستغلة.

وتقول تقديرات علمية إن الدول العربية لا تستثمر حالياً أكثر من ١٠٪ من أراضيها الزراعية، فيما لا يزيد مستوى الإفادة من الأمطار عن ١٥٪ بينما يذهب ما يقدر بحوالي ٣٨٪ من مياه الري نتيجة تدني كفاءة شبكات الري والنقل وارتفاع معدل التسرب الذي تعاني منه.

وكنموذج للإمكانات الوفيرة التي لا تستغل، نشير إلى تحقيق نشرته مجلة (الاقتصاد) التي تصدرها غرفة تجارة وصناعة المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، تحت عنوان (الأسماك ثروة مهدرة). ومما جاء فيه نقتطف الفقرات التالية:

■ تمتاز منطقة الخليج بسواحلها المترامية الأطراف، والتي تمتد لحوالي ٣٥٠٠ كيلومتر كما أن الرصيف القاري لها يحتل مساحة تقدر بـ ٢٥٠ كيلومتراً مربعاً. وتدلل هذه الأرقام على أن ثروة سمكية هائلة توجد في هذه المسطحات المائية الشاسعة، وان إمكانية استغلال هذه الثروة الاستغلال الأمثل ليس بعيد المنال.

■ وتنفرد المملكة بامتلاكها لأطول شريط ساحلي في منطقة الخليج العربي حيث تبلغ سواحلها ٢٣٢٠ كيلومتراً منها ١٧٦٠ على البحر الأحمر غرباً، ٥٦٠ كيلومتراً على الخليج العربي شرقاً.

■ وتم تسجيل أكثر من ١٨٠ نوعاً من الأسماك والروبيان في مياه المملكة.

■ وصل إنتاج الأسماك في المملكة عام ١٩٩٣م إلى ٥٠ ألف طن، ويغطي من ٥٠-٦٥ في المائة فقط من الاستهلاك المحلي الكلي وقد

بلغ الاستيراد أكثر من ٢٨ ألف طن عام ١٩٩٤م. فهناك فجوة كبيرة تتجاوز ٣٥ في المائة بين الإنتاج والاستهلاك.

■ إن دول الخليج لا تستغل إلا نسبة ١٤ في المائة فقط من المخزون السمكي الممكن استغلاله سنوياً، وهذا أدى بدوره إلى الاعتماد المتزايد على استيراد هذه السلعة الغذائية الهامة حيث بلغت الواردات الخليجية حوالي ١٠٤ آلاف طن عام ١٩٩٢م<sup>(١)</sup>.

■ وتشير بعض الإحصائيات الرسمية إلى أنه يبلغ عدد صيادي الأسماك في المنطقة الشرقية (المرخصين) ٦٨٤٨ صياداً منهم ١٠١٩ سعودي بينما يصل عدد الصيادين الأجانب ٥٨٢٩ أغلبهم من العمالة الهندية، بالرغم من أن صيد الأسماك من المهن التقليدية في المنطقة.

وإلى جانب توفر الثروات الطبيعية، والإمكانات الهائلة، هناك سيولة مادية، وملاءة نقدية، يمكن بها تمويل مشاريع الاستثمار والتنمية والتصنيع، فحجم الأموال العربية المستثمرة في الخارج تقدر بحوالي ٨٥٠ مليار دولار، وتتجاوز الاستثمارات الخليجية وحدها ٣٥٠ مليار دولار، بالأسواق المالية الدولية.

ونقرأ في بيانات أرباح المصارف والبنوك في بلادنا ما يدل على حجم تلك السيولة النقدية، فقد أظهرت النتائج المالية أن الأرباح الصافية للمصارف السعودية وعددها (١١) مصرفاً، والتي أصدرت بيانات مالية، ارتفعت إلى ١,٤ مليار ريال (٧,١ مليار دولار) في النصف الأول من عام ١٩٩٩م<sup>(٢)</sup>.

(١) الاقتصاد: مجلة شهرية، عدد (٢٧٢) نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٥م.

(٢) الحياة: جريدة يومية، لندن ١٥، ٧، ١٩٩٩م.

## فرص العمل:

ولوجود الإمكانيات الهائلة، والسيولة النقدية، ولتقدم نسبة النمو السكاني حيث تشير الإحصاءات الرسمية إلى أنه يبلغ ٤٪ سنوياً في المملكة، فإن فرص العمل متوفرة في بلادنا لسد الاحتياجات وتقديم الخدمات في مختلف المجالات، لذا تستقطب بلادنا الملايين من الخبراء والعاملين، وقد بلغ حجم التحويلات المالية التي بعث بها العمال الأجانب في السعودية إلى أوطانهم الأم أكثر من ١٧ مليار دولار سنة ١٩٩٥م أي ما يساوي ٣٧٪ من الدخل السعودي من النفط. ويزيد عدد الوافدين للعمل في السعودية على ستة ملايين عامل ينتمون إلى ١٩٠ جنسية، وقد أكد وزير الداخلية السعودي أن المملكة هي من أكثر بلاد العالم استخداماً للعمالة الوافدة بالنسبة إلى عدد السكان. ولا تزيد العمالة الوطنية في قطاع الصناعة لدى مؤسسات القطاع الخاص عن ٤٪ وفي قطاع الخدمات ١٢٪<sup>(١)</sup>.

لقد بلغ عدد العاملين الذكور في منشآت القطاع الخاص عام ١٩٩٧م حوالي ٥٣٢ ألف عامل بينما بلغت العمالة الوافدة من الذكور في تلك المنشآت لنفس العام ٢ مليون عامل، وتشير التوقعات إلى ازدياد الطلب على العمالة الوافدة خلال الأعوام القادمة<sup>(٢)</sup>.

ونسوق القصة التالية كمثال على توفر فرص العمل: حيث كشفت الجهات المختصة في السعودية عن أن عاملاً هندياً دخل البلاد قبل ١٥ عاماً تحت كفالة طبيب سعودي، وفتح مركزاً طبياً أهلياً بعمالة طاقمها من الهند، الأطباء والممرضات والعاملين، وتوسع نشاط العامل بعد النجاح

(١) الوسط: أسبوعية سياسية- لندن، ص ٣٨-٣٩ عدد ٢٠٣ بتاريخ ١٨، ١٢، ١٩٩٥م.

(٢) اليوم: جريدة يومية- الدمام، عدد ٩٦٢١- بتاريخ ١٨ اكتوبر ١٩٩٩م.

الذي حققه ليفتح فيما بعد مستوصفاً في الرياض والقصيم والشرقية وجدة، وخميس مشيط، حتى وصل إجمالي المستوصفات التي يديرها الهندي إلى ١٨ مستوصفاً، يديرها العامل مقابل تسليم الكفيل السعودي ٢٥٠٠ ريال عن كل مستوصف يودعها في حسابه البنكي يومياً دون تدخل الكفيل السعودي. في حسابات الربح والخسارة وإجارات المباني والمعدات ورواتب العاملين. وتصل عوائد الكفيل السعودي من المستوصفات الـ ١٨ إلى ٣، ١ مليون ريال شهرياً بينما تصل عوائد العامل الهندي وصافي أرباحه إلى ٨، ١ مليون ريال شهرياً<sup>(١)</sup>.

### سؤال يفرض نفسه:

أمام هذه المعادلة التي ترسمها الحقائق والأرقام، من وجود إمكانيات هائلة، وسيولة نقدية، ونمو سكاني، وفرص عمل كبيرة، فلماذا لا تزال بلادنا تفتقر إلى الاكتفاء الذاتي؟، ولماذا نستورد أغلب احتياجاتنا من الخارج؟، بل ولماذا نعيش التخلف والنقص في أساسيات ومقومات الحياة؟.

وما يجعل السؤال أكثر إلحاحاً هو نمو ظاهرة البطالة في بلادنا بحيث وصلت إلى ٣٥٪ من قوة العمل حسب بعض التقارير، وأصبحت مصدر همٍ وقلق للمسؤولين والمواطنين..

ظاهرة بطالة في بلد يستقطب أكثر من ٧٠ ألف يد عاملة سنوياً.. ويحتضن أكثر من ستة ملايين عامل أجنبي.. ويزخر بفرص عمل غنية تشخص لها الأبصار من وراء البحار والمحيطات..

إن ذلك يكشف عن خلل كبير يطال أكثر من جهة وجانب، ويستلزم

(١) الاقتصادية: جريدة يومية، بتاريخ ١١، ٢، ٢٠١٤هـ، ٢٦، ٥، ١٩٩٩م.

الاستنفار العام، وإعلان حالة الطوارئ في مجال السياسات التعليمية، والأنظمة الاقتصادية، والتربية العائلية، والتوجيه الإعلامي، والثقافة العامة.

وفي بحثنا هذا سنقصر الحديث على عنصر هام، وبعُد أساس، في واقع هذه المشكلة، وهو ما يتعلق بخلق إرادة العمل في نفس الإنسان - المواطن، ودفعه لاقتحام ميدان السعي والحركة بجد واجتهاد، من أجل تحقيق ذاته، وتفجير مواهبه وكفاءاته، وليشارك في بناء وطنه ورفعته مجتمعه وأمته.

### مسؤولية التربية:

يأتي الإنسان إلى هذه الحياة كمادة خام، تقوم التربية والتنشئة بتصنيعه نفسياً وسلوكياً، لذلك فإن دراسة الواقع العائلي في مجتمعاتنا، وطبيعة تعاطيه التربوي مع الجيل الناشئ، وملاحظة الظروف الحياتية التي يعيشها أبناء هذا الجيل في طفولتهم، تكشف لنا عن خلفيات وجذور سلوكياتهم، وطرائق تفكيرهم وتعاملهم مع الحياة.

كانت ظروف الحياة القاسية في بلادنا قبل عقود قليلة من الزمن، تدفع العائلة إلى حياة الكدح والنشاط، ويفتح الطفل عينه ليرى أفراد عائلته نساءً ورجالاً، كباراً وصغاراً، وهم يعملون ويكدحون، لتحصيل لقمة العيش، وتسيير شؤون المنزل، ولم يكن هناك شيء من وسائل الرفاه، أو أجواء التنعم والرخاء إلا ضمن نطاق محدود.

فيتربى الطفل على الكدح والعمل مع عائلته من نعومة أظفاره، حيث يصحب أباه ويشاركه في بعض أعماله، كما تساعد البنت أمها منذ حداثة سنها في تحمل مهامها ووظائفها المنزلية والعملية.

يستيقظ الطفل مبكراً كوالديه، ويتدرب على العمل تحت إشرافهم،

ويواجه مثلهم إلى حد ما الصعوبات والمشاق، ويتربى على تحمل المسؤولية في سن مبكر.

لكن تطورات الحياة الحديثة فرضت تغييراً في نمط المعيشة، حيث توفرت حالة من الرخاء على المستوى العام، ولم يعد الطفل يشهد شيئاً من العناء والكدح في حياة والديه، فالآباء يعملون في وظائفهم وأعمالهم بعيداً عن أجواء المنزل والعائلة، والأمهات يستخدمن مختلف الوسائل والأجهزة السريعة المريحة في خدمات المنزل، بل تستعين بعضهن بالخدمات والشّغالات.

ويعيش الأولاد ذكوراً وإناثاً عقدين من أعمارهم كضيوف شرف مدللين مخدومين في منازلهم غالباً، خلال فترة الدراسة، وإلى أن يشقوا طريقهم للعمل والوظيفة.

وتبالغ بعض العوائل وخاصة الموسرة في توفير أجواء الرخاء والرفاه لأبنائها، بتلبية كل مطالبهم الكمالية فضلاً عن الضرورية، وتوفير السيولة النقدية بأيديهم، ليصرفوا وينفقوا دون أن ينالهم شيء من عناء الكسب.

هذه الظروف التي يعيشها أبناء هذا الجيل في نشأتهم ومقتبل أعمارهم، تترك آثارها في نفوسهم، رغبة في الراحة والدعة، وعزوفاً عن الكدح والعناء. وينقل عن عرب مكة أنهم كانوا وقبل الإسلام، يدفعون أولادهم الصغار إلى العوائل البدوية في الصحراء، ليتدربوا على مواجهة الصعاب، بعيداً عن رخاء الحاضرة ورفاهها.

إننا يجب أن نلاحظ في تربية أبنائنا إعدادهم لما ينتظرهم من مشاق الحياة، وتهيئتهم لتحمل مسؤوليات العمل والبناء، فنهتم بالتوازن بين إراحتهم

والعطف عليهم، وبين صقل شخصياتهم وشحذ هممهم وإرادتهم.

### دور الثقافة:

قد يندفع الإنسان للعمل تحت ضغط الحاجة ولتوفير متطلبات الحياة، فيسعى ويكدح ضمن هذه الحدود، وقد ينطلق في حركته ونشاطه بدافع ثقافي معرفي، حينما يعي طبيعة الحياة، ويدرك دوره الطبيعي الخلاق، ويهتم بموقع أمته ووطنه، على خارطة العالم. وهنا يكون الانطلاق في أفق حضاري رحيب، تتفجر على أساسه الطاقات، وتنمو المواهب والقدرات، ويبدل الإنسان أقصى جهوده وإمكاناته، ليكون على مستوى التنافس والصراع بين الأمم والحضارات.

وتحتاج مجتمعاتنا، وخاصة الأجيال الناشئة منها، إلى الثقافة الدافعة نحو العمل، والمحركة باتجاه الإبداع والانطلاق.

ويمكن للتوجيه الديني أن يقوم بدور أساس في هذا المجال، لأن مفاهيم الإسلام وتعاليمه تستهدف بناء شخصية الإنسان العامل الكادح، الذي يتطلع إلى عمارة الأرض وتسخير الكون، وتحقيق خلافة الله تعالى في هذه الحياة.

لكن المشكلة هو ما حصل من انفصال بين التوجيه الديني وشؤون الحياة لدى بعض الأوساط الدينية، حيث غابت هموم المعيشة وقضايا الحياة عن لغة الخطاب الديني، والذي أصبح مهتماً بالتوجيه إلى قضايا الآخرة وتحصيل الجنة وحوار العين فيها، بل بالغ بعض الواعظين والمرشدين في تثبيط همم الناس عن الكدح والعمل، نتيجة خطئه في قراءة بعض المفاهيم الدينية كالزهد والتقوى والورع، وذم حب المال والدنيا، فعرضت هذه المفاهيم كباعث للعزوف عن المصالح الدنيوية، والإعراض عن تحقيق المكاسب المادية.

وذلك انحراف واضح عن استقامة الإسلام، وتوازن تعاليمه بين مكاسب الدنيا وثواب الآخرة، فالمؤمن الحقيقي يتطلع للتقدم والنجاح في الدارين، ويقول كما علمه الله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾<sup>(١)</sup>.  
وكما يرشده خالقه بقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>(٢)</sup>. وجاء في الحديث الشريف: «من لا معاش له لا معاد له».

أما التقوى والورع والزهد وسائر المفاهيم العظيمة، فهي كوابح وضوابط لتنظيم حركة الإنسان في الحياة، حتى لا يقع في المزالق والمهالك، ولا يفقد توازنه، أو يبغى ويعتدي على أبناء جنسه.

إن آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول المصطفى ﷺ، والأئمة الهداة من أهل بيته، والأخيار الكرام من صحابته، كلها توجيه ودفع للجد والاجتهاد، والعمل والسعي، والكدح والحركة، وعلى هدي هذه التوجيهات شقت الأمة الإسلامية طريقها نحو التقدم والرفعة، وصنعت حضارتها المشرقة الزاهية، وحينما حصل التحريف والتزييف في طرح مفاهيم الإسلام وأفكاره، وعادت أحكامه وشرائعه مجرد طقوس وتقاليد لا روح فيها، ولا تفاعل لها مع واقع الحياة، حينئذٍ تراجعت مسيرة الأمة، وانتكست حضارتها، وأصبحت في ذيل القافلة، بعد أن كان بيدها معقد الزمام.

إننا بحاجة ماسة إلى نفض غبار التخلف الذي تراكم على جوهر تراثنا، وحقائق مفاهيم ديننا، ليعود الإسلام كما كان مشروع حضارة وبناء، ومنهج حركة وإبداع.

(١) سورة البقرة الآية ٢٠١.

(٢) سورة القصص الآية ٧٧.

وعلماء الدين وخطباء المنبر، تقع عليهم مسؤولية بعث روح العمل والنشاط، وإذكاء همم الإنتاج والعطاء.

ووسائل الإعلام يجب أن تأخذ دورها الإيجابي في التثقيف العام الذي يدفع أبناء الوطن إلى التطوع والطموح، وتنقل لهم تجارب الآخرين، ومدى سعيهم في مجالات العلم والتكنولوجيا والتصنيع.

ومؤسف أن أغلب وسائل الإعلام، وبدل أن تشارك في صياغة نفسية المواطن على أساس الجد والمسؤولية والالتزام، فإنها تنشر ثقافة الميوعة والهبوط الأخلاقي، وتبشر بحياة الترف واللهات خلف الملذات والأهواء، ولا تنقل لأبنائنا صور النضال العلمي، والنشاط العملي الدائب في المجتمعات المتقدمة، بل تروج لمشاهد الخلاعة والفساد والانحراف، الذي يحصل هناك، ويشكل جانب الضعف في تلك المجتمعات.

كما أن الأجواء العامة السائدة في المجتمع، من أمثلة شعبية، وأخبار متداولة، وأحاديث في المجالس والمنتديات، ينبغي أن تستهدف التركيز والتأكيد على تشجيع المبادرات الإيجابية، والإشادة بالتجارب العملية الناجحة، وأن تشحن النفوس بحب العمل، والرغبة في الكدح، وتجاوز العقبات والصعوبات التي تعترض طريق العاملين.

وما نراه في بعض الأوساط الاجتماعية من انتشار أجواء سلبية، تستهين بهذا العمل أو ذاك، وتشكك في جدوائية الأنشطة والمبادرات، وتضخم النواقص والثغرات، هذه الأجواء إنما تكرر تخلف المجتمع، وتثبط الهمم والعزائم في نفوس أبنائه، وتضر بمستقبله ومصالحته.



**واقع الإنسان بين الأمل والعمل**  
كلمة الجمعة بتاريخ ١٢ ربيع الثاني ١٤٢١هـ



هناك ثلاثة عوالم تحيط بشخصية الإنسان وتتفاوت من حيث التأثير على واقع حياته، وهي:

■ عالم الآمال والتطلعات.

■ عالم الأفكار والمعتقدات.

■ عالم السلوك والأعمال.

ويهمنا في هذا البحث استقراء وتلمس مدى ارتباط كل واحد منها بواقع الإنسان وتأثيره على صنع وضعه ومجريات حياته.

### الآمال والتطلعات:

من إشراقات نور العقل الذي اختص الله تعالى به الإنسان، القدرة على التخيل والتطلع، فالواقع الذي يعيشه الإنسان لا يشكل سقفاً لأشعة تفكيره، بل إن ذهنه يحلّق بعيداً متجاوزاً معطيات الواقع المعاش.

لذا يمتاز الإنسان بحالة الأمل والتمني، وهي وليدة ملكة الخيال، فحينما يتخيل شيئاً يتمناه، ويأمل الوصول إليه، ويتطلع لتحقيقه.

وأكثر منجزات الإنسان العلمية ومكاسبه الحضارية، كانت في بدايتها خيالات وأحلام، وآمال وتطلعات، حتى أصبح عندنا لون من ألوان الأدب الإبداعي، يطلق عليه قصص الخيال العلمي، حيث ينطلق الفكر لدى بعض

الأدباء محلقةً في سماء الخيال والتمني، لينسج أحداثاً وأوضاعاً تتخطى الواقع المعاش، وليرسم صوراً ولوحات تتجاوز الإمكانيات المتاحة، ولكنها قد تتحقق فيما بعد وتصبح ظواهر حية مألوفة.

إن ارتياد الفضاء والسفر إلى القمر، الذي أنجزه إنسان القرن العشرين، كان حلماً وخيالاً داعب عقل الإنسان من القرن الثاني للميلاد، حيث كتب (لوسيان) السوري كتاباً باللغة اليونانية بعنوان «قصة حقيقية» كما كتب فيما بعد الفرنسي (سيرانودي برجرانك) في القرن السابع عشر متخيلاً رجالاً يطيرون في الفضاء في سفن وصواريخ متعددة الطوابق، وكتب الفلكي الألماني (يوهانس كيبلر) قصة (رحلة إلى القمر). ومن عجيب ما يذكر أن المخبرات الأمريكية أصيبت بالشك والحيرة حين نشر الكاتب الأمريكي (كارتميل) عام ١٩٤٤م قصته (الموعد النهائي) التي تشير إلى صنع قنبلة ذرية. ومردّ هذا الشك وهذه الحيرة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تجدّ في ذلك الوقت في صناعة القنبلة الذرية في جوّ من السرية التامة، وثبت من التحقيقات التي أجرتها المخبرات الأمريكية أن الكاتب لم يطلع على هذا السر، وإنما كان ذلك من بنات أفكاره وأعمال خياله<sup>(١)</sup>.

وعن المدى الواسع لتطلعات الإنسان وآماله، يقول الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام: «الأمّل لا غاية له»<sup>(٢)</sup>.  
«الآمال لا تنتهي»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الحسين: د.زيد بن عبد المحسن، مبتكرات العصر وليدة خيال، الفيصل: مجلة ص ٤ عدد ٢٢٢ مايو ١٩٩٥م الرياض.  
(٢) الريشهري: المحمدي، ميزان الحكمة ج ١ ص ١٣٠ مكتب الإعلام الإسلامي، قم ١٤٠٣هـ.  
(٣) المصدر السابق ص ١٣٠.

«لا تخلو النفس من الأمل حتى تدخل في الأجل»<sup>(١)</sup>.

إن أهمية الأمل والتطلع عند الإنسان تتحقق عندما يكون وقوداً للحركة، وطاقته للسعي، وعندما يخلق حالة الاندفاع نحو العمل، وبنفس القدر يكون مؤثراً في حياة الإنسان وفاعلاً في واقعه.

أما إذا تحول الأمل والتطلع إلى تمنيات فارغة، وتخيلات ساذجة، يكتفي الإنسان بالتلذذ باجتراح صورها في مخيلته، والأنس بتكرارها على مسرح ذهنه، فسوف لن يكون لذلك أي تأثير على واقعه، ولن يلامس شيئاً من أوضاع حياته.

فمجرد التمني لشيء دون السعي نحوه لا يعطيك ذرة من الحق في الوصول إليه، يقول تعالى: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾<sup>(٢)</sup>.

ذلك أن السعي وحده هو طريق الإنجاز، يقول تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾<sup>(٣)</sup>.

### الأفكار والمعتقدات:

المعتقدات الدينية للإنسان تعني الإجابات التي يتوصل إليها عن التساؤلات التي ترسم أمامه عن وجوده ومصيره ومساره في هذه الحياة.

وقد تكون تلك الإجابات - المعتقدات - نتيجة بحث وتفكير ذاتي من الإنسان، أو تكون نتيجة تقليد واتباع ومحاكاة.

بالطبع تتفاوت المعتقدات من حيث إصابتها للحقيقة والواقع أو مفارقتها

(١) المصدر السابق ص ١٣٠.

(٢) سورة النجم الآية ٢٤.

(٣) سورة النجم الآية ٣٩-٤١.

لذلك، وفي درجة الإصابة أو المخالفة.

وإذا كان الوصول إلى العقيدة الصحيحة ضرورياً ومهما للإنسان، فإن ما يهمننا في هذا البحث، هو رصد مدى تأثير تلك العقيدة الصحيحة على واقع حياة الإنسان وأوضاعه.

فالإيمان بعقيدة صحيحة لا يعني إنتاج واقع صحيح دائماً وأبداً، إلا بمقدار ما تنعكس تلك العقيدة على سلوك الإنسان وعلمه، والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الإيمان يقرنه غالباً بالعمل الصالح، للتأكيد على مصداقية الإيمان وأثره في حياة الإنسان.

يقول تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

ونجد هذا التلازم بين الإيمان والعمل مكرراً في أكثر من سبعين آية في القرآن الكريم، لكي يؤكد حقيقة هامة، هي ضرورة انعكاس الإيمان عملياً على حياة الإنسان وسلوكه، وأنه لا قيمة له إذا كان مجرد نظريات حبيسة في الذهن، أو قناعات مختزنة في النفس.

ولا يصح أبداً أن يتوقع الإنسان المؤمن أن تشفع له عقيدته الصحيحة في ترتيب شؤون حياته، وفي أخذ موقع متقدم على الآخرين، دون أن يكون

(١) سورة المائدة الآية ٦٩.

(٢) سورة الكهف الآية ٨٨.

(٣) سورة الرعد ٢٩.

مستحقاً لذلك بكفاءته وسعيه.

ففرص التقدم في الحياة متاحة للجميع، والسنن الإلهية الحاكمة لا تقبل المحاباة ولا المحسوبيات. إن القدرة على السباحة في البحر تنجي الإنسان من الغرق، مؤمناً كان أو كافراً، فإذا لم يتقن المؤمن السباحة فإنه سيغرق إنفاذاً لسنة الله، ولا يشفع له إيمانه وتدينه في النجاة، وإذا كان الكافر قادراً على السباحة فسيصل إلى ساحل البحر بسلام رغم كفره، يقول تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوًّا لَاءَ وَهُوَ لَاءٌ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مَحْظُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

فعطاء الله تعالى في الدنيا ليس خاصاً بالمؤمنين، وإنما هو مبذول لهم وللكافرين على حدٍ سواء، وليس محظوراً على أحد، بسبب بطلان عقيدته أو مذهبه.

ويخاطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من يراهنون على قوة الفكر والخطاب، مع ضعفهم في مجال العمل والحركة بقوله: «إنكم إلى إعراب الأعمال أحوج منكم إلى إعراب الأقوال»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً عليه السلام: «الشرف عند الله سبحانه بحسن الأعمال لا بحسن الأقوال»<sup>(٣)</sup>.

وفي معركة أحد نجد مصداقاً جلياً لهذه المعادلة الحياتية، والسنة الإلهية، فمع أن المسلمين هم أصحاب الدين الصحيح، والعقيدة الصادقة، وكان فيهم

(١) سورة الإسراء الآية ٢٠.

(٢) التميمي: عبد الواحد الأمدي، غرر الحكم ودرر الكلم ج ١ ص ٢٦٢ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الأولى.

(٣) الريشهري: المحمدي، ميزان الحكمة ج ٧ ص ٨ مكتب الإعلام الإسلامي، قم الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

رسول الله ﷺ وهو أشرف خلق الله، وأحبهم إليه، إلا أن ذلك لم يشفع لهم في الانتصار على العدو الكافر، ذي العقيدة الفاسدة، حينما قصرُوا في العمل ولم يلتزموا بخطة المعركة، حيث نزل الرماة من أعلى الجبل وأعطوا للعدو فرصة الالتفاف عليهم.

### الأعمال والسلوك:

إن سعي الإنسان هو الذي يصنع واقعه في هذه الحياة، وإن عمله ونشاطه هو الذي يحدد درجة مستواه الحياتي. وإذا ما رأينا الناس تتفاوت مستوياتهم، كأفراد وكأمم ومجتمعات، فهناك من يصنف ضمن فلك العالم المتقدم، وهناك من يزرح تحت وطأة التخلف، فلا بد أن نبحث عن سبب هذا التفاوت في المجال السلوكي العملي.

فالنجاح والفشل والتقدم والتأخر، ليس نتيجة لتفاوت مستوى التطلعات والآمال، ولا هو أثر حتمي للمعتقدات والأفكار المجردة، وإنما هو إفراز طبيعي لمستوى العمل والسعي والنشاط.

ويقرر القرآن الحكيم، في آيتين كريمتين، أن عمل الإنسان هو الذي يحدد درجته ومستواه في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
ويقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن درجة ومستوى كل إنسان، فرداً كان أو مجتمعاً، لا تتحدد من وحي

(١) سورة الأنعام الآية ١٣٢.

(٢) سورة الأحقاف الآية ١٩.

تخيلاته وآماله وتطلعاته، ولا من خلال أفكاره ومعتقداته وإنما ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي أن درجته تتحدد عبر سعيه وعمله.

وعلى الإنسان أن يثق بقيمة العمل وجدواه، فالإدارة الإلهية للكون حكيمة مهيمنة عادلة، لا تسمح بانفلات ذرة من الجهد والنشاط خارج المعادلات والسنن. ذلك أن ضياع شيء من الجهد والعمل، إنما يحدث إما خطأ بسبب الغفلة وعدم الانتباه، وهذا منفي حتماً عن الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وإما عمداً وذلك ظلم وبخس يتنزه الله تعالى عنه: ﴿وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ﴾.

إن البعض من الناس، بسبب الجهل، أو بدافع الكسل، يتوانى عن العمل والحركة، تشكيكاً منه في جدوى العمل وتأثيره، حيث يصاب بحالة من الإحباط والعزوف عن الفاعلية. لهؤلاء يتوجه القرآن الكريم مؤكداً خطأ تصوراتهم، ومقرراً حتمية تأثير أي ذرة من العمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة خيراً كان أو شراً.

يقول تعالى: ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

### أعداؤنا عبرة لنا:

شراذم من اليهود اجتمعوا من أنحاء مختلفة من العالم، ليغتصبوا أرضاً

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٥.

(٢) سورة الزلزلة الآية ٧-٨.

ليست لهم، وطردها منها أهلها بقسوة وبشاعة، ثم أشادوا لهم كياناً عدوانياً سموه (إسرائيل)، واستخدموا كل أساليب المكر، لجلب أشباههم من شتى البلاد، وبالكاد وصل عددهم إلى حوالي ٥ مليون نسمة، يعيشون في محيط عربي وإسلامي كبير يناهز عمقه الإسلامي أكثر من مليار وربع المليار من البشر، كلهم ينظرون إلى شراذم اليهود المحتلين الغاصبين نظرة الرفض والكرهية والعداء، وليس في الأرض التي احتلوها (فلسطين) إمكانات وثروات مادية متميزة..

لكن هؤلاء اليهود، رغم حداثة دولتهم المصطنعة، والتي لا يزيد تاريخها على نصف قرن من الزمن، ورغم أنهم خليط غير متجانس، وأن الظروف المحيطة بهم قلقة غير مستقرة، إلا أنهم استطاعوا أن يجعلوا من كيانهم قوة ترهب دول المنطقة، وتسعى للهيمنة عليها، وحققوا تقدماً وتطوراً علمياً وصناعياً وإنتاجياً مدهشاً.

صحيح أنهم مدعومون من الشرق والغرب وخاصة أمريكا، ولكن الأصح أن هذا الدعم لم يأت لسواد عيون اليهود، وإنما لأنهم فرضوا أنفسهم بفاعليتهم ونشاطهم، ومن يقرأ عن دور اللوبي الصهيوني في أمريكا وروسيا وأوروبا يدرك هذه الحقيقة، كما أنهم بفاعليتهم استوعبوا هذا الدعم، وترجموه إلى بناء قوي، ووظفوه بأقصى حد ممكن في تثبيت وجودهم العدواني.

لقد سرقوا وغصبوا قطعة أرض صغيرة ولكنها مقدسة عالية وعزيزة، من أرض الإسلام الكبيرة الواسعة المترامية الأطراف، ثم أشادوا عليها بناءً قوياً متقدماً بالعلم والحركة والنشاط، بينما تعاني الكثير من أراضي المسلمين وبلدانهم من التأخر والضعف والتخلف.

فكيف يعمل الغاصبون الدخلاء بفاعلية ونشاط في أرض ليست لهم؟! وكيف يتقاعس المسلمون في أوطانهم؟.

تقول إحدى الإحصائيات المؤلمة: إن دخل إسرائيل القومي عام ١٩٩٤م (٧٨, ١) بليون دولار، وعدد سكانها (٥, ٤) مليون نسمة، بينما يصل عدد سكان مصر وسورية والأردن وفلسطين إلى (٨٣, ٣) مليون نسمة، لكن دخلهم جميعاً يقل عن دخل إسرائيل!!.

وبعد أن كانت إسرائيل ولعدة عقود تعد دولة نامية، تتلقى مساعدات مالية دولية، أصبحت ومنذ العام ١٩٧٦م - أي بعد حوالي ٢٨ سنة من تأسيسها - تعتبر دولة متقدمة غير مستحقة لقروض البنك الدولي.

وقد وصل معدل الناتج الإجمالي للفرد الإسرائيلي عام ١٩٩٥م إلى (١٦, ٠٠٠) دولار أمريكي، وهو رقم مقارب لبريطانيا البالغ (١٨, ٧٠٠) دولار.

وفي عام ١٩٩٧م وحسب تصريحات وزير المالية الإسرائيلي، فقد وصل الناتج المحلي الإجمالي للفرد في السنة إلى (١٧, ٠٠٠) دولار، بعد فترة نمو كبيرة خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٦، وصل إلى ٦٪ بسبب التوسع في المجالات ذات القيمة المضافة العالية التقنية إجمالاً والإلكترونيات بشكل خاص.

وهناك حالياً أكثر من (١٠٠) شركة إسرائيلية مدرجة في بورصة (ناسداك) في نيويورك في أمريكا، المشهورة بشركات التقنية العالية، مما يجعلها الدولة الأولى في عدد الشركات المدرجة في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(١)</sup>.

إن المسلمين هم الأولى والأجدر بحالة الحركة والنشاط، استجابةً

(١) الشرق الأوسط، جريدة يومية - لندن: ١٠، ٧، ١٩٩٩م ص ١٤.

لتعاليم دينهم، وليكونوا في موقع الريادة والتأثير، كما يريدهم الله سبحانه  
﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> وليصبحوا في المستوى الأفضل، إذا التزموا  
بمقتضيات إيمانهم ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٩ .

## العمل: عز وقوة

كلمة الجمعة بتاريخ ١٩ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ



إنما خلق الله تعالى الإنسان في هذه الحياة، ليكدر ويعمل، فهو مزود بطاقات وقدرات لا بد من تفعيلها بالسعي والحركة، وإلا كان وجودها عبثاً ولغواً، كما أن الفاعلية والنشاط هو الطريق إلى استئثار قدرات الإنسان وبلورة مواهبه، ومن دون ذلك تبقى كامنة معرضة للضمور والتلاشي.

وكلما زاد سعي الإنسان، واشتدت حركته، ظهرت كفاءاته، وانصقلت شخصيته، من خلال كدحه وعمله، فيجب أن يكون في حالة سعي وكدر دائم، ما دام على قيد الحياة، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾<sup>(١)</sup>.

ومطلوب من الإنسان إعمار الكون، استثمار خيراته ونعمه، فالأفلاك والمجرات التي تسبح في الفضاء، والخزائن الكامنة في أعماق الأرض، والثروات التي تملأ قاع البحر، وكل هذا الوجود الكوني العظيم مسخر لمصلحة الإنسان، ومهيأ لكي يمارس في ربوعه الإنسان دور القيادة والسيادة، كخليفة من قبل الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة الانشقاق الآية ٦.

(٢) سورة هود الآية ٦١.

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

وذلك يستلزم إعمال الفكر، وبذل الجهد، وتكثيف العمل والنشاط، لتحمل مسؤولية الخلافة، والقيام بدور الإعمار والقيادة، لذا نجد بعض الأحاديث تحث على العمل لإعمار الأرض، وبعث الحياة في الوجود، كالحديث المروي عن رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»<sup>(٣)</sup>.

والعمل هو مضمار التنافس بين بني البشر، لتحديد مكانتهم في الدنيا والآخرة، فالقرب من الله تعالى، والفوز بجنته، ونيل رضاه، لا يتحقق إلا بالعمل الصالح، والتقدم في الدنيا، وإحراز المكاسب أيضاً لا يتأتى إلا عن طريق العمل.

فالعمل هو الذي يصنع واقع الإنسان في الدنيا والآخرة ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

بل إن مهمة الحياة إظهار كفاءة الإنسان وجدارته، عن طريق التنافس

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٥.

(٢) العسقلاني: ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٥، ص ٥ رقم ٢٣٢٠ دار السلام - الرياض، دار الفيحاء - دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م

(٣) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١، ص ١١ رقم ٩، الطبعة الرابعة ١٩٨٥ م المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت.

(٤) سورة الكهف الآية ٤٩.

(٥) سورة الأعراف الآية ٤٣.

العملي، يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

### العمل مصدر قوة:

حينما يعمل الإنسان ويتحرك، يبدو له وكأنه صرف من جهده وطاقته، واستهلك من قوته وراحته، وفي الحقيقة فإنه في ذات الوقت الذي أعطى فيه يكون قد أخذ أكثر مما أعطى. ذلك أن العمل والحركة مصدر قوة للنفس والجسم.

فعضلات الإنسان، وأجهزة جسمه، لا تتوفر على القوة بالخمول والاسترخاء، بل إن ذلك يصيب الجسم بالترهل، ويعرضه لمختلف الأمراض، وملحوظ في هذا العصر، كيف أن مجموعة من الأمراض المنتشرة، كالسمنة والكولسترول والسكر والروماتيزم وغيرها، مما يطلق عليه أمراض العصر، تنشأ من قلة حركة الإنسان وضعف نشاطه.

ومن الناحية النفسية: فإن العمل يملأ الفراغ النفسي، والذي يسبب الكآبة والضجر، ويرفع معنويات الإنسان، عبر شعوره بأن له دوراً وإنتاجاً، كما يجعله أكثر تفاعلاً مع الطبيعة والحياة والمحيط الاجتماعي.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «من يعمل يزدد قوة من يقصر في العمل يزدد فترة»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الملك الآية ٢.

(٢) سورة الكهف الآية ٧.

(٣) الريشهري: المحمدي، ميزان الحكمة ج٧، ص ٨ مكتب الإعلام الإسلامي قم - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

وعن التأثير النفسي للعمل يقول ﷺ: «من قصر في العمل أبتلي بهم»<sup>(١)</sup>.  
وباعتبار ما ينتجه العمل من مكاسب للإنسان فإن تراكمها يعني المزيد من  
القوة في واقع الإنسان. وقد كان فلاسفة العصور الوسطى يقولون: إن للعمل  
مهمة مزدوجة لأنه لا بد للعامل من أن يحقق شيئاً من جهة، كما انه لا بد له من  
أن يصنع ذاته حين يعمل من جهة أخرى، وحين تحدث موينير (Mounier)  
زعيم النزعة الشخصانية في فرنسا، عن أبعاد الفعل الأربعة، فإنه كان يعني  
أن الفعل يعدل من الواقع الخارجي ويصنع ذاتنا، ويقربنا من الناس، ويشري  
عالم القيم.

### العمل في حياة الأنبياء والأئمة:

الأنبياء والأئمة ﷺ كانوا يفهمون الدين عملاً ونشاطاً، ويمارسون التدين  
كمنهج للكدر والحركة في هذه الحياة، وهم القدوات الذين يجب أن يتأسى  
بهم الإنسان المسلم.

كانوا يعرفون قدرهم وفضلهم عند الله تعالى، وكانت نفوسهم ممتلئة  
بمعرفة والاعتقاد به، لكنهم لم يتكلوا على ذلك ولم يكتفوا به عن بذل الجهد  
وتحمل عناء العمل.

فقد روي عن رسول الله ﷺ: «كان ليقوم - أو ليصلي - حتى ترم قدماه - أو  
ساقاه - فيقال له، فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وفي رواية: لم تصنع هذا يا  
رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون

(١) المصدر السابق: ص ٣٠.

عبداً شكوراً»<sup>(١)</sup>.

ورد أنه ﷺ: «كان ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغبر بطنه»<sup>(٢)</sup>.

وحينما يكون النبي ﷺ في بيته لم يكن يجلس متكئاً مستريحاً منتظراً خدمة أهله له، بل كان يشارك أهله الخدمة في البيت، فقد سئلت السيدة عائشة زوجته عما كان النبي يصنع في أهله؟

قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى عن أم المؤمنين عائشة «يخسف نعله ويخيط ثوبه ويرقع دلوه»<sup>(٤)</sup>.

وقد روت خديجة أم المؤمنين ﷺ: عن رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحي ترك كل راحة وكان يدأب ليل نهار في العبادة والعمل، فقلت له: يا رسول الله ألا تستريح ألا تنام؟ فقال: لقد مضى عهد النوم يا خديجة<sup>(٥)</sup>.

والإمام علي بن أبي طالب ﷺ وهو التلميذ الأول لرسول الله ﷺ كانت حياته وسيرته تجسيدا للفاعلية والعمل والحركة في مختلف الأبعاد والمجالات.

(١) العسقلاني: ابن حر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨، ص ٧٤٣ رقم ٤٨٣٦ دار السلام - الرياض، دار الفيحاء - دمشق الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.

(٢) المصدر السابق: ج ٧، ص ٤٩٩ حديث رقم ٤١٠٤.

(٣) المصدر السابق: ج ١٠، ص ٥٦٦ حديث رقم ٦٠٣٩.

(٤) المصدر السابق: ج ١٠، ص ٥٦٦ حديث رقم ٦٠٣٩.

(٥) الشيرازي: السيد محمد، السبيل إلى إنهاض المسلمين ص ١٤٧ الطبعة الثانية ١٩٨٦ م مؤسسة البلاغ - بيروت.

فقد ورد أنه عليه السلام أعتق ألف مملوك من كديده<sup>(١)</sup>.

ويقول عنه حفيده الإمام محمد الباقر عليه السلام: «كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يخرج في الهاجرة في الحاجة قد كفاها يريد أن يراه الله يتعب نفسه في طلب الحلال»<sup>(٢)</sup>.

ويتحدث الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: كان أمير المؤمنين عليه السلام يضرب بالمر - أي المسحاة - ويستخرج الأرضين<sup>(٣)</sup>. وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز<sup>(٤)</sup>.

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يخرج ومعه أحمال النوى، فيقال له: يا أبا الحسن، ما هذا معك؟ فيقول: نخل إنشاء الله فيغرسه فما يغادر منه واحدة<sup>(٥)</sup>. لذا لم يكن الإمام علي عليه السلام يأكل شيئاً من بيت المال بل كان طعامه نتاج زرع وعمله، يقول عليه السلام: «إني أعيش على ما يأتي من ينبع وأستغني به عن بيت المال»<sup>(٦)</sup>.

وتأكيداً لذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: «كان علي عليه السلام لا يأكل مما هنا

---

(١) الطوسي: محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام ج ٦، ص ٣٢٦ الطبعة الثانية ١٩٦٠ مطبعة النعمان - النجف.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة ج ١٧، ص ٢٣، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٠.

(٥) المصدر السابق: ص ٤١.

(٦) الشرقاوي: عبد الرحمن، علي إمام المتقين ج ٢، ص ٢٨ الطبعة الأولى ١٩٨٥ م مؤسسة الوفاء - بيروت.

-من العراق- حتى يؤتى به من ثم -يعني الحجاز- (١).

وكان الإمام علي عليه السلام يقوم بشراء لوازم بيته بنفسه من السوق، ويحمل ما اشتراه بطرف رداءه، وذات مرة رآه الناس فتبادروا إليه وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نحمله. فقال: رب العيال أحق بحمله. وكثيراً ما كان يحمل التمر والملح بيده، ويقول: لا ينقص الكامل من كماله ما جرّ من نفع إلى عياله (٢).

### فلسفة العمل:

وإذا كان عادة الرجال المرموقين أن يريحوا أنفسهم من عناء العمل في الظروف القاسية، فإن الواعين المؤمنين منهم لا يتركون الجهد والكدح حتى مع صعوبة الظروف.

يقول محمد بن المنكدر: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر (الباقر) محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام وكان رجلاً بادناً ثقيلاً، وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا؟ أما إنني لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي بنهر وهو يتصاب عرقاً.

فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا!! أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحالة ما كنت تصنع؟ فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال، جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله عز وجل، أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٤٠، ص ٣٢٥ الطبعة الثانية ١٩٨٣ م مؤسسة الوفاء - بيروت.

(٢) المدرسي: السيد هادي، أخلاقيات أمير المؤمنين ص ١١٤ الطبعة الأولى ١٩٩١ م مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

أخاف أن لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله عز وجل، فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني<sup>(١)</sup>.

هكذا يقدم لنا الإمام الباقر عليه السلام درساً بليغاً في أهمية العمل لكل إنسان، مهما كان موقعه وشرفه، ومهما كانت الظروف المحيطة به.

وهناك قصة شبيهة تنقل عن ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: استقبلت أبا عبد الله عليه السلام في بعض طرق المدينة في يوم صائف شديد الحر، فقلت: جعلت فداك حالك عند الله عز وجل، وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت تجهد نفسك ومثل هذا اليوم؟! فقال: يا عبد الأعلى خرجت في طلب الرزق لأستغني عن مثلك<sup>(٢)</sup>.

والعمل عند الأولياء ليس في حدود الحاجة، بل ضمن الإمكان والقدرة، فما دمت قادراً على العمل فعليك أن تعمل، وإن لم تكن محتاجاً لتتاج العمل، أو حتى وإن كنت لا تدرك نتاجه.

فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أن تحوّل الفسيلة إلى نخلة مثمرة يحتاج إلى سنوات، لكن الرسول صلى الله عليه وآله يشجع من يرى قيام الساعة أن لا يتردد في غرس فسيلته، رغم أنه لن يستفيد منها شيئاً.

---

(١) الطوسي: محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام ج ٦، ص ٣٢٥، مطبعة النعمان - النجف، الطبعة الثانية ١٩٦٠م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١، ص ١١ حديث رقم ٩، الطبعة الرابعة المكتب الإسلامي ١٩٨٥م.

وروى ابن جرير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غداً.

فقال له عمر: أعزم عليك لتغرسنها؟ فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي<sup>(١)</sup>.

وفي هذا السياق هناك رواية جميلة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام فعن محمد بن عذافر عن أبيه قال: أعطى أبو عبد الله أبي ألفاً وسبعمئة دينار فقال له: اتَّجِرْ لي بها، ثم قال: أما إنه ليس لي رغبة في ربحها وإن كان الربح مرغوباً فيه. ولكن أحببت أن يراني الله عز وجل متعرضاً لفوائده. قال: فربحت فيها مائة دينار ثم لقيته فقلت له: قد ربحت لك فيها مائة دينار. قال: ففرح أبو عبد الله عليه السلام بذلك فرحاً شديداً، ثم قال: أثبتها لي في رأس مالي<sup>(٢)</sup>.

ويشير الإمام الصادق عليه السلام إلى أن العمل له تأثير في إنضاج فكر الإنسان ورأيه، وفي تنمية إمكاناته وقدراته، حيث أعرب له أحد أصحابه وهو معاذ بن كثير، وكان تاجراً للألبسة، في رغبته ترك العمل في السوق، لاكتفائه المادي قائلاً: قد هممت أن أدع السوق وفي يدي شيء. فقال له الإمام جعفر: إذن يسقط رأيك ولا يستعان بك على شيء<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى سأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام صاحبه معاذ بن كثير: يا معاذ أضعفت عن التجارة؟ أو زهدت فيها؟ قلت: ما ضعفت عنها ولا زهدت فيها. قال: فما لك؟ قلت: عندي مال كثير وهو في يدي، وليس لأحد علي

(١) المصدر السابق: ص ١٢.

(٢) الطوسي: محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام ج ٦، ص ٣٢٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٢٩.

شيء، ولا أراني آكله حتى أموت، فقال: لا تتركها فإن تركها مذهبة للعقل<sup>(١)</sup>.  
وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إني لأركب في الحاجة التي كفانيها الله، ما  
أركب فيها إلا لالتماس أن يراني الله أضحى في طلب الحلال، أما تسمع قول  
الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ  
اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن من يعزف عن العمل وتحصيل الإمكانيات فإنه يبرهن على افتقاده  
لصفة الخير في نفسه، يقول الإمام الصادق عليه السلام: لا خير فيمن لا يحب جمع  
المال من حلال<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة ج ١٧، ص ١٤ رقم ٢١٨٥٩  
مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٣ م.  
(٢) المصدر السابق: ص ٢٨.  
(٣) المصدر السابق: ص ٣٣.

## إتقان العمل

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٦ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ



لا تقف المعادلة عند حدود أن تعمل أو لا تعمل، فمتطلبات الحياة ومستلزماتها تفرض عليك حداً من العمل والحركة، لكن المعادلة الأصعب والأعمق تكمن في التنافس على مستوى العمل ودرجة إتقانه.

فالسباق والتنافس الشديد بين دول العالم اليوم ليس في مجال القدرة على الإنتاج أو كمية الإنتاج فحسب، وإنما الأهم من ذلك هو السعي للتفوق في الجودة والإتقان. وبذلك استطاعت بعض الصناعات اليابانية منافسة مثيلاتها من المنتجات الأمريكية في داخل أسواق أمريكا.

وإذا كان التنافس في الماضي يتم ضمن رقعة وحدود معينة، فإنه الآن يجري على مستوى العالم والذي أصبح قرية واحدة. فالمنتج لا يقارن اليوم بأمثاله على مستوى منطقة إنتاجه، بل يدخل معركة التنافس مع ما يشاكله من مختلف بلدان العالم.

من هنا تبرز أهمية تأكيد القرآن الكريم على الارتقاء بالعمل إلى المستوى الأفضل والأحسن، وليس مجرد أداء العمل في أي مستوى كان.

١ . فالإنسان في هذه الحياة جاء ليواجه تحدي التفوق والتقدم يقول تعالى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup>

(١) سورة الكهف الآية ٧.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup>.

٢. وحينما يريد الإنسان المؤمن أن يقدم أفكاره ومعتقداته للآخرين، ويعرضها عليهم، فعليه أن يجتهد في اختيار أفضل أسلوب، وأحسن طريقة للطرح والتقديم، وإلا فإن عرضه سيكون ضعيفاً غير مقنع، أو سيئاً منفراً. يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣. وإذا تحمل الإنسان مسؤولية الإشراف على ثروة يتيم قاصر، فعليه أن يتوخى إدارة أمواله بأفضل نحو ممكن للحفاظ عليها وتنميتها يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤. وتخاطب الإنسان مع من حوله، وكلامه لهم، لا ينبغي أن يأتي كيفما اتفق أو من وحي الانفعالات والأحاسيس، وإنما يجب أن يختار الإنسان أجمل الكلمات، وأنسب المعاني في تحدّثه مع الآخرين، يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٤)</sup>.

٥. ومجمل تعامل الإنسان وتعاطيه مع الآخرين، عليه أن يجتهد لجعله في أرقى مستوى، وأفضل صيغة، مهما كانت مواقفهم نحوه، يقول تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٥)</sup>.

٦. ولتركيز قيمة الإثقان، والارتقاء بالعمل إلى أفضل مستوى، فإن القرآن

(١) سورة الملك الآية ٢.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٢.

(٤) سورة الإسراء الآية ٥٣.

(٥) سورة فصلت الآية ٣٤.

الكريم يؤكد على ثبوت هذه الصفة للفعل الإلهي، وما على الإنسان إلا أن يتأمل في عظمة خلق الله تعالى، ليرى أن كل شيء صنعه البارئ جل وعلا، فهو في غاية الكمال والإتقان. يقول تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَعَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

وبلغة واثقة حاسمة يتحدى القرآن الكريم أبناء البشر، على مدى أجيالهم الصاعدة، وتقدم مستوياتهم العلمية والتكنولوجية، أن يجدوا ثغرة أو نقطة ضعف أو خلل في كمال وجمال آفاق هذا الكون البديع، والذي تخضع كل ذرة فيه لنظام متقن رصين. يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَؤُوتٍ فَاَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ اَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

### مقاييس الجودة والإتقان:

للتنافس الشديد على تسويق المنتجات، وللاهتمام العالمي بمسألة الجودة والإتقان، أصبحت هناك أنظمة ومؤسسات لتحديد مواصفات الجودة، وتقرير مدى انطباقها على أي منتج من المنتجات. ويوجد الآن ما يعرف بـ(إيزو ٩٠٠٠) وهو نظام للمواصفات القياسية في الجودة.

ومن الدول المتقدمة في الاهتمام بالتدقيق في المواصفات القياسية

(١) سورة النمل الآية ٨٨.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٤.

(٣) سورة السجدة الآية ٧.

(٤) سورة التين الآية ٤.

(٥) سورة الملك الآية ٣-٤.

للجودة هي اليابان، ويذكرون أن هذا الاهتمام عندهم مر بثلاث مراحل تاريخية:

■ المرحلة الأولى: من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦٥ م وهي التي ركزوا فيها على الجودة النسبية، بالتقليل من نسبة الخطأ والثغرات في المنتج، فمثلاً في إنتاج السكر، يكون التفاضل بخفض أكبر نسبة للشوائب فيه، بحيث تصبح نسبة الشوائب ١٠٪ أو ٥٪ أو ما أشبهه. فالمصانع تتنافس على تقليل نسبة الخطأ.

■ المرحلة الثانية: من عام ١٩٦٥ إلى ١٩٧٥ م انتقلوا لمرحلة انعدام الخطأ، بحيث يكون المنتج سليماً ١٠٠٪.

■ المرحلة الثالثة: ما بعد ١٩٧٥ م وهي مرحلة الجودة النوعية، حيث تتنافس المنتجات على إحراز أكبر قدر من الميزات الإضافية.

إن خلوص العمل من الخلل والنقص هو الحد الأدنى لإتقانه وجودته، لكن هناك مستويات ومقاييس أخرى، تؤخذ الآن بعين الاهتمام والاعتبار، ومنها مدى سرعة الإنجاز، فقد تجد أمامك خيارات عديدة لتصنيع منتج معين، أو إنشاء بناء أو مشروع، وقد تتساوى عروضها من حيث المواصفات والتكلفة، لكنها تتفاوت في جانب توقيت الإنجاز والإكمال، فيكون لذلك دخل في ترجيح الأسرع والأقل استهلاكاً للزمن.

كما أصبح التطوير، وإضافة المزيد من الامتيازات، مضمراً للتنافس على الجودة والإتقان، في مختلف مجالات العمل والإنتاج.

## كيف نتعامل مع العمل؟

في بلداننا تنفق ميزانيات ضخمة، وتصرف أوقات كثيرة، وتستهلك جهود طائلة، على القيام بمشاريع، وأداء أعمال، من قبل القطاع العام والخاص، لكن الملحوظ غالباً هو ضعف الاهتمام والعناية بجودة العمل وإتقانه، لذلك تكثر الثغرات والخلل في المشاريع، ويتأخر إنجازها، كما لا تحقق العديد من الأعمال النتائج المرجوة منها، وتفشل بعض المنتجات في ميدان منافسة البضائع المستوردة.

فقد نصرف ميزانية كبيرة على رصف شوارع وطرق لا تلبث أن تصبح متشققة محفّرة.. وقد بنى عمارة أو بيتاً بمبلغ ضخم، لكنه بعد فترة بسيطة تظهر فيه العيوب والنواقص.. ونقرأ مثلاً في الجرائد المصرية بين فترة وأخرى عن انهيار بعض العمارات والعقارات التي لم يمض على إنشائها إلا فترة قصيرة.. وتكثر الأخطاء الطبية في العديد من مستشفياتنا ومؤسساتنا الصحية.. وهكذا نعاني في مختلف المجالات من تدني مستوى الإنتاج والعمل، وإن كنا لا نستطيع التعميم، فهناك محاولات وتجارب رائدة يفخر بها، إلا أنها محدودة في مقابل الحالة العامة السائدة في بلدان العالم الثالث.

إن أكثرنا ينجز العمل كيفما اتفق، دون أن يهتم بالجودة والإتقان.

ولعل من أبرز الأسباب والعوامل التي تكرر هذه الحالة ما يلي:

### ضعف الرغبة والإخلاص:

حيث يقوم البعض بعمله وكأنه مكره عليه، ومضطر إليه، فلا يتوفر لديه اندفاع ورغبة داخلية لأداء العمل، فيمارسه بتثاقل وكسل، وكما قال

الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الكسل يضرّ بالدين والدنيا»<sup>(١)</sup>. وقال عليه السلام: «عدو العمل الكسل»<sup>(٢)</sup> ويذم الله تعالى المنافقين على صلاتهم، لأنهم لا يؤدونها بإخلاص واندفاع، بل بتثاقل وكسل، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾<sup>(٣)</sup>.

إن الإنسان في عمله يصرف من جهده ووقته، فلماذا يستهين بما يستهلك من ذاته؟ ولماذا يقبل بإضاعة طاقته وجهده في مستوى متدن هابط؟  
حقاً إن من يحترم نفسه يحترم عمله، وإن من يقدر جهده ووقته يهتم بإتقان أدائه وإنتاجه.

وفي نظر الإسلام فإن العمل والكدح لإدارة شؤون الحياة أمر مقدس، وهو في درجة العبادة، بل درجة الجهاد في سبيل الله، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»<sup>(٤)</sup>.

وروى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة تبوك استقبله سعد الأنصاري فصافحه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال له: ما هذا الذي أكتب يديك (أي أخشنها)؟ قال: يا رسول الله أضرب بالمرّ والمسحاة فأنفقته على عيالي، فقَبِلَ يده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: هذه يد لا تمسّها النار<sup>(٥)</sup>.

إن الموظف والعامل ورجل الأعمال والعالم والخطيب حينما ينطلق إلى عمله بعشق ورغبة، فسيتعامل معه بإخلاص، ويؤديه بجودة وإتقان.

(١) الحكيمي: محمد رضا، محمد، علي، الحياة ج ١ ص ٣٠١.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٩.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٢.

(٤) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج ٥ ص ٨٨.

(٥) الفلسفي: محمد تقي، الشاب بين العقل والعاطفة ج ٢ ص ٣١١-٣١٢.

## ضعف الوعي الاجتماعي والوطني:

كلنا نمارس النقد، ونظهر التذمر من المستوى المتدني للإنتاج، وأداء الأعمال في مجتمعاتنا، لكننا في الواقع نتذمر من أنفسنا، وندين سلوكنا، لأننا شركاء في صنع هذه الحالة العامة، كل في موقعه، ومن خلال دوره وعمله.

سمعت مرة بعض المواطنين يشكون من تقصير أحد الموظفين في إنجاز أعمال المراجعين، واتفق بعد فترة أن رأيت ذلك الموظف نفسه يعلن الشكوى والانزعاج من موظف احتاج هو إلى مراجعته في موقع آخر، فقلت: سبحان الله ما للواحد منا يشعر بتقصير الآخرين نحوه ولا يشعر هو بتقصيره تجاه الآخرين؟ يرى الخلل حينما ينعكس على مصلحته المباشرة، ويتجاهله حينما يضر بمصالح الآخرين؟

إن الإصلاح والتغيير في أوضاع مجتمعاتنا، يبدأ من كل فرد منا، لأن كل واحد يؤدي دوراً ما، فإذا أتقن دوره يكون قد أسهم في معالجة جزء من الخلل، ويصبح أنموذجاً للآخرين ومشجعاً لهم على ذلك.

## غياب المحفزات:

فالمجتمعات التي تهتم بالجودة والإتقان، تخضع لقوانين عادلة موضوعية، تقدر الكفاءات، وتحترم الجهود والعطاء، وتقدم المحفزات وعناصر التشجيع للمتفوقين، والأكثر عطاءً وإتقاناً. وذلك عامل مهم للتطوير والتقدم.

أما حينما تسود معادلة المحسوبيات، والتمييز بين الانتماءات والولاءات، ويتفشى الفساد الإداري، فسوف يكون ذلك على حساب الكفاءة والتطوير.

وسيضن العامل بجهده وطاقته إذا لم يجد التقدير والمكافأة، أو رأى أن عطاءه يجير لصالح رؤسائه ومسؤوليه.

### انعدام الرقابة والتقويم:

لأن التستر على الأخطاء، وغض الطرف عن الثغرات والنواقص، وسيادة أجواء المجاملة والمحابة، كل ذلك يكرس حالة الإهمال والاسترسال، واستمرار التدني في العمل والإنتاج.

إن لمؤسسات الرقابة والتفتيش، ووسائل الإعلام، ومناخ التنافس الحر، ووعي الناس الذي يدفعهم للتقويم والتمييز بين منتج وآخر، وبين طرح وآخر، إن لذلك أثراً واضحاً في تسليط الأضواء على مكامن النقص والخطأ، والدفع باتجاه المعالجة والتصحيح.

فعالم الدين والخطيب والموظف والعامل وسواهم، إذا شعر كل واحد منهم بأن دوره وإنتاجه يخضع للتقويم والمناقشة، وأنه يشكر ويقدر إذا أحسن وأتقن، ويحاسب ويعاتب إذا أساء وقصر، فإنه سيكون أكثر اهتماماً ورعاية لمستوى عمله وإنتاجه، أما إذا لم يلحظ شيئاً من ذلك، وأن «كل شيء يمشي» حسب التعبير المتداول. فالنتيجة المتوقعة هي هذه الحالة السائدة.

تأثير الأجواء العامة: حينما يعيش الإنسان ضمن محيط سليم، يخضع للنظام والقانون، وتسوده حالة الانضباط والإتقان، فإنه غالباً ما يتربى على ذلك، ويتفاعل مع هذا الاتجاه السائد، بينما إذا أحاطت به أجواء متسببة، فسينجرف معها. ونسمع كثيراً عن أشخاص يبدوون مسيرة عملهم بالتزام وانضباط في المؤسسات أو القطاعات التي يلتحقون بها، ثم ما يلبثون أن يفقدوا تلك الحالة الإيجابية، ويصبحون جزءاً من الوضع الفاسد المنحرف،

والسبب في ذلك هو تأثيرهم وتكيفهم مع المحيط العام.

وقد عايش مجتمعنا في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية تجربة حيّة على هذا الصعيد، تتمثل في أجواء الانضباط والالتزام التي حكمت العمل في شركة (أرامكو) منذ تأسيسها، حيث تربي العاملون فيها على التقيد بأوقات العمل دون أقل تباطؤ أو تأخير، وبالمواظبة على العمل دون تغيب حتى في أقسى الظروف، وبإتقان أداء المهام والوظائف بدقة وترتيب، كان معظم العاملين أميين غير متعلمين، ولا يمتلكون الخبرات الفنية الكافية، لكن الإدارة الحازمة والمنظمة في الشركة، صنعت محيطاً وأجواء منضبطة متقنة، تربي من خلالها أولئك العاملون.

### ثقافة الإتقان:

يحتاج المجتمع إلى توجيه مكثف وثقافة عامة تدفع نحو الإتقان، وأن يؤدي الإنسان أي عمل يقوم به وإن كان بسيطاً بدقة وضبط، وترتيب واهتمام. لذلك وردت النصوص والأحاديث الدينية التي تؤكد على هذه الأخلاقية الهامة، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسن»<sup>(٢)</sup>.

وتحمل لنا حادثة مشاركة الرسول ﷺ في دفن الصحابي الجليل سعد بن معاذ، أروع توجيه في الالتزام بالدقة والإتقان، حيث ورد أن رسول الله ﷺ

(١) الهندي: حسام الدين المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٩١٢٨.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم ٩١٢٩.

نزل حتى لحد سعد بن معاذ وسوى اللبن عليه، وجعل يقول: ناولني حجراً، ناولني تراباً رطباً، يسدّ به ما بين اللبن، فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوى قبره، قال ﷺ: إني لأعلم أنه سيبلى ويصل إليه البلاء ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه<sup>(١)</sup>.

هكذا يهتم رسول الله ﷺ بترتيب وضع اللحد والقبر، مع عدم رجاء فائدة من ذلك، وإن مصيره إلى الخراب والتلف، لكن المطلوب هو تركيز هذه الحالة من الإتقان في سلوك الإنسان.

### تربية الأحكام والتعاليم:

وإذا تأملنا التعاليم الدينية والأحكام الشرعية التي ترتبط بالعبادات والمعاملات، ولاحظنا دقتها في التفاصيل، وشموليتها لمختلف الجوانب المتعلقة بها، لوجدنا أنها تشكل مدرسة تربية، تدرّب الإنسان المسلم على الدقة والضبط وتنمي في نفسه رعاية الإتقان والترتيب.

فمثلاً موضوع التخلي والتخلص من فضلات الجسم، هذا الأمر على حقارته وبساطته عند الإنسان، له في الشريعة الإسلامية عشرات المسائل والأحكام بين واجب وحرام ومكروه ومستحب، لكي يؤدي الإنسان هذا العمل البيولوجي الطبيعي على أفضل وجه ودون أي مضاعفات وأضرار عليه وعلى الآخرين والبيئة.

وفي كتاب واحد من كتب الحديث هو (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) للفقهاء المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (توفي ١١٠٤ هـ) هناك (١٧٤) حديثاً حول موضوع التخلي لقضاء الحاجة.

(١) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ٧ ص ٢٩.

وعبادة الصلاة التي يؤديها المسلم خمس مرات يومياً تنتظمها مجموعة كبيرة من الأحكام والضوابط، من حيث مكانها وزمانها وحركاتها وألفاظها، واللباس الذي يلبس خلالها، وسائر الشروط والمقدمات والأجزاء، وقد أحصى الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العاملي (٧٣٤-٧٨٦هـ) ألف واجب في الصلاة ضمن كتاب أطلق عليه (الألفية).

فليس مقبولاً أداء الصلاة على أي وجه وكيفما اتفق، بل لا بد من مراعاة الضوابط والأحكام، وإلا فإن الإخلال والتساهل عمداً بأي شرط أو جزء من الصلاة، ولو كان حرفاً واحداً يبطلها ويجعلها لاغية.. وهكذا الأمر في عبادة الصوم وفريضة الحج.

ونشير أخيراً إلى حديث رسول الله ﷺ حول تذكية الحيوان وذبحه، والتعاليم والآداب التي ينبغي مراعاتها في هذا المجال، حيث يقول ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته»<sup>(١)</sup>.

### النماذج والقدوات:

إن على كل واع في المجتمع، وخاصة من يكون في موقع القيادة والمسؤولية، أن يجعل من نفسه إنموذجاً وقدوة في مجال ضبط العمل وإتقانه، فالوالدان في البيت يؤثران بسلوكهما في صنع نفوس الأبناء وأخلاقهم، فالأب المنظم في حياته، والملتزم بالدقة في أعماله، عادة ما تنطبع أخلاقياته هذه في شخصيات أبنائه، والأم التي تدير دفة شؤون المنزل بترتيب وإتقان، يحاكيها أبنائها غالباً في سلوكهم بهذا الاتجاه.

(١) القشيري: مسلم، صحيح مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح.

والمؤسسة التي يقودها مدير منضبط ملتزم، تسود تلك الصفة أجواءها،  
وتحكم أداء العاملين فيها.

إن بعض المدراء والمسؤولين في الأجهزة والمؤسسات، يعتبرون  
أنفسهم فوق قانون المؤسسة وغير ملزمين به، ولكنهم يضغطون على العاملين  
لديهم للتقيّد بالنظام والقانون، ولا تثمر هذه الازدواجية إلا الفشل في العمل،  
وسوء العلاقة بين الإدارة والأفراد.

يقول الله تعالى: ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ  
اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وجميل جداً ما أوصى به رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود حين قال له:  
«يا ابن مسعود فلا تكن ممن يشدد على الناس ويخفف على نفسه، يقول الله  
تعالى ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. يا ابن مسعود، لا تكونن ممن يهدي الناس  
إلى الخير، ويأمرهم بالخير وهو غافل عنه»<sup>(٣)</sup>. ويقول الإمام جعفر الصادق  
عليه السلام: «كونوا دعاة الناس بأعمالكم»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة الآية ٤٤.

(٢) سورة الصف الآية ٢-٣.

(٣) الحكيمي: محمد رضا- محمد- علي، الحياة ج ١ ص ٢٨٦.

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٠.

## احترام مشاعر الناس

كلمة الجمعة بتاريخ ٣ جمادى الاول ١٤٢١ هـ



لشخصية الإنسان صورتان:

الأولى: مادية تتمثل في جسمه المكوّن من لحم ودم وعظم..

الثانية: معنوية تتجلى في مكانته الاعتبارية عند الناس، وما تنطوي عليه نفسه من عواطف ومشاعر وأحاسيس.

وكما أن للجانب الأول من شخصية الإنسان حدوداً وحقوقاً تجب مراعاتها واحترامها، فلا يصح الاعتداء على جسمه بالقتل أو الضرب أو الجرح، ولا الاعتداء على أمواله وممتلكاته بالتهب أو السرقة أو الغصب.

كذلك فإن للجانب المعنوي حرمة وحصانة، فلا يجوز إسقاط الشخصية الاعتبارية للإنسان، بتشويه سمعته، ولا يجوز خدش عواطفه ومشاعره وأحاسيسه.

وإذا كان متعارفاً بين الناس رعاية الحرمات المادية، فلا يضرب أحدٌ أحداً أو يجرحه، ولا ينهب منه ماله أو يسرقه، إلا ضمن حالات الخصام أو الإجمام، وهي محدودة شاذة، فإن رعاية الحرمات المعنوية لا تحظى بالاهتمام المطلوب، وغالباً ما تنتهك وتتجاوز، حتى في أوساط المتدينين والملتزمين.

فالبعض من المتدينين يحسب ألف حساب قبل أن تمتد يده لخدش جسم إنسان آخر، أو لأخذ فلس واحد من مال الغير، ولكنه قد لا يتردد كثيراً في جرح مشاعر الآخرين، وإيذاء أحاسيسهم وعواطفهم.

إن جراحات الجسم يظهر أثرها فوراً وبشكل واضح من خروج دم، أو حدوث كسر، أو تغيير لون. لكن جراح المشاعر تكون في أعماق النفس، وتختمر تفاعلاتها وتتأجج في قلب الإنسان، بعيداً عن المشاهدة والعيان. وهي بذلك أشد إيلاماً، وأقسى وقعاً، ونتائجها أسوأ وأخطر. وقد تتحول إلى عقد متراكمة، وأحقاد مضطربة، تتفجر في المحيط الاجتماعي ناشرة الويل والدمار.

لذلك يقول الإمام علي عليه السلام: «رُبَّ كلام كالحسام»، «رُبَّ كلام أنفذ من سهام»، «زلة اللسان أشد من جرح السنان»، «طعن اللسان أمضى من طعن السنان»<sup>(١)</sup>.

وقال الشاعر:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان  
ولو خيّرت أي إنسان بين جرح جسمه أو جرح كرامته، لما أختار الثانية على الأولى إن كان مستقيماً سوياً. ومشاعر الإنسان رقيقة شفافة تحتاج إلى دقة في المراعاة والاحترام.

من هنا ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال في تعريف المسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»<sup>(٢)</sup>.

فالمسلم الحقيقي هو من لا يعتدي على شيء من حقوق الآخرين المعنوية أو المادية، ونجد أن الحديث الشريف قدّم الحرمة المعنوية على المادية، حيث قال: (من لسانه) أولاً، واللسان هو أداة التجريح المعنوي.

(١) الأمدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ١ ص ١٤٩.

«والمراد بالمسلمين هنا كل الناس، وإنما خص المسلمين بالذكر لأن الحديث صدر في بيئة إسلامية، ويدل على إرادة العموم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(١)</sup> هذا إلى جانب الأحاديث الكثيرة الآمرة بكف الأذى عن الناس إطلاقاً»<sup>(٢)</sup>.

### التخاطب مع الناس:

التخاطب هو وسيلة التواصل بين الناس، وتبادل الآراء والافكار، والتعبير عن المشاعر والأحاسيس، فبكلامك يعرف الآخرون ما يدور في عقلك، وما تنطوي عليه نفسك تجاههم. يقول الإمام علي عليه السلام: «صورة الرجل في منطقه»<sup>(٣)</sup>.

والخطاب هو المرأة التي تكشف نظرتك للناس، وموقفك نحوهم، وهو أداة التعامل مع المشاعر والعواطف. فاحترامك للناس ينعكس على تخاطبك معهم، وكلامك إياهم. لأن الكلمة الطيبة تشرح النفوس، وتسر القلوب، يقول الإمام علي عليه السلام: «ما من شيء أجلب لقلب الإنسان من لسان»<sup>(٤)</sup>.

وعلى العكس من ذلك: الكلمة السيئة فإنها تجرح المشاعر، وتمزق العواطف.

لذلك تؤكد التعاليم الدينية على ضرورة الحرص على انتقاء أفضل الكلمات، وأجمل التعبيرات، وأحسن الألفاظ، عند التخاطب مع الناس. ففي

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٢) مغنية: محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٨٩ الطبعة الثالثة ١٩٧٩م دار العلم للملايين - بيروت.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٢٩٣.

(٤) الأمدى التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم.

القرآن الكريم آيات عديدة تحدد المواصفات التي يجب أن يتسم بها الخطاب مع الناس، نستعرض بعضاً منها:

١. القول المعروف: عليك أن تتحدث مع الآخرين بما ترتاح له نفوسهم، وأن تبعد عن كل كلمة تسبب الإزعاج والنفور. وحتى بالنسبة لمن يعانون نقصاً أو ضعفاً في شخصيتهم لصغر سنهم أو خفة عقلهم، فإن الإسلام يسلبهم حق التصرف في أموالهم، حفاظاً على مصلحتهم، لأنهم سيهدرون ثرواتهم وإمكانياتهم في غير مصارفها الصحيحة، لكن الولي عليهم، والمسؤول عن حفظ وإدارة أموالهم، يجب أن يتخاطب معهم بلطف واحترام، وبالكلام المقبول. يقول تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(١)</sup>.

فكونه غير ناضج، ولا يوثق بسلامة تصرفه في ماله، لا يعني التجاهل لمشاعره وعواطفه. وكما يقول العلامة الطباطبائي: (فإن هؤلاء وإن كانوا سفهاء محجورين عن التصرف في أموالهم، غير أنهم ليسوا حيواناً أعجم، ولا من الأنعام السائمة بل بشر يجب أن يعامل معهم معاملة الإنسان، فيكلموا بما يكلم به الإنسان لا بالمنكر من القول)<sup>(٢)</sup>.

وتكرر الأمر بالقول المعروف في عدة آيات أخرى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَقُلْنَا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء الآية ٥.

(٢) الطباطبائي: السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ج ٤ ص ١٧٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٥.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٢.

٢. القول السديد: فالإنسان الذي يخشى ربه، عليه أن يحسب حساباً لكلامه مع الناس، فالكلام السيئ المسيء مخالف لتقوى الله، والمتقي لله يتكلم مع الناس برزانة واحترام. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>(١)</sup>. ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> والقول السديد هو الصواب المحكم الذي لا خلل فيه ونلاحظ في الآيتين الكريمتين الارتباط بين تقوى الله والقول السديد.

٣. القول الميسور: والضعيف الذي يقصدك في حاجة، أو يطلب منك مساعدة أو معونة، وأنت لا تستطيع الاستجابة له، فعليك أن تقابله بالكلام الرقيق الجميل ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾<sup>(٣)</sup>. و(ميسور) مشتقة من (يسر) وهي بمعنى الراحة والسهولة، ويشمل كل كلام جميل وسلوك مقرون بالاحترام والمحبة.

وحتى لو كان هذا السائل المحتاج ملحاحاً فلا تجابهه بالخشونة والغلظة ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾<sup>(٤)</sup>.

٤. القول الحسن والأحسن: أساساً ينبغي للإنسان أن لا يتلفظ للآخرين وعنهم بكلام سيئ، بل يلتزم بإبداء القول الجميل مع كل الناس يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾<sup>(٥)</sup>. بل عليه أن يسعى لاختيار أحسن القول والكلام، وأن ينتقي أجمل العبارات أسلوباً ومحتوى ﴿وَقُلْ

(١) سورة الأحزاب الآية ٧٠.

(٢) سورة النساء الآية ٩.

(٣) سورة الإسراء الآية ٢٨.

(٤) سورة الضحى الآية ١٠.

(٥) سورة البقرة الآية ٨٣.

لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾.

وحتى مع المناوئين والمخالفين في الدين، يجب الحرص على أدب التخاطب والتحدث معهم، ليكون على أفضل وجه، ومن لا يجد في نفسه القدرة على المناقشة مع الآخرين بأحسن أسلوب، فليترك هذه المهمة لغيره. يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢).

هكذا يحدد القرآن الكريم سمات الخطاب والحديث مع الناس، بأن يكون خطاباً معروفاً سديداً ميسوراً حسناً.

### الكلام الجارح:

في حالات الغضب والانفعال، وفي مواقع القدرة والقوة، على الإنسان أن يكون أكثر سيطرة على لسانه، وتحكماً في حديثه وكلامه، ولا تتأتى هذه الملكة والصفة للإنسان إلا إذا درّب نفسه وعودها على أمرين أساسيين:

الأول: التفكير قبل الكلام، فلا يتكلم اعتباطاً وارتجالاً، ولا تستدرجه الإثارات والانفعالات، بل يتأمل ويتدبر فيما يريد قوله. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا همّ بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه» (٣).

وفي أكثر من آية في القرآن الكريم يصف الله تعالى عباده الصالحين

(١) سورة الإسراء الآية ٥٣.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦.

(٣) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١١٠، دار المعرفة-بيروت.

بأنهم لا يستجيبون لإثارات الكفار والجاهلين، حينما يشتمونهم ويسبونهم، بل يتسامى المؤمنون عن الانحدار والإسفاف إلى مستوى الجهل والكلام السيئ. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(١)</sup> واللغو هو الساقط من القول والمقصود به هنا: الشتم والأذى من الكفار. وفي آية أخرى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أن يجعل الإنسان نفسه مقياساً، فيضعها مكان الطرف الآخر، فلا يقول للآخرين كلمة حتى يستفتي مشاعره وعواطفه نحوها، هل يرتضيها هو لنفسه؟ وهل يقبل أن تقال له أم لا؟.

يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام: «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم»<sup>(٤)</sup>.

ويقول الإمام علي عليه السلام: «اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، وأحبّ لغيرك ما تحب لنفسك، وكره له ما تكره لها، لا تظلم كما لا تُحب أن تُظلم، وأحسن كما تُحب أن يُحسن إليك، واستقبِح لنفسك ما تستقبِحه من غيرك، وارض من الناس ما ترضى لهم منك»<sup>(٥)</sup>.

جاء في السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وآله سخط على أحد اصحابه المجاهدين لأنه تلفظ بكلام جارح لأحد المشركين رداً على استهزائه برسول الله صلى الله عليه وآله. وذلك في الطريق إلى بدر أولى معارك الإسلام الفاصلة، لقي المسلمون رجلاً

(١) سورة القصص الآية ٥٥.

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٢.

(٣) سورة الفرقان الآية ٦٣.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣١٠.

(٥) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب رقم ٣١.

من الأعراب، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلم على رسول الله ﷺ، قال: أوفيكُم رسول الله؟ قالوا: نعم، فسلم عليه، ثم قال: إن كنت رسول الله فاخبرني عما في بطن ناقتي هذه. قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله، وأقبل عليّ فأنا أخبرك عن ذلك، نزوت عليها، ففي بطنها منك سخلة، فقال رسول الله ﷺ: مه، أفحشت على الرجل، ثم أعرض عن سلمة<sup>(١)</sup>.

هكذا لم يرض رسول الله ﷺ بصدور كلام بذيء وإن كان لمشرك مستهزئ بالرسول ﷺ.

وسمع الإمام علي (عليه السلام) يوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين، فقال لهم:

«إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتهم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، واصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»<sup>(٢)</sup>.

ونقل ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة أنه: خرج حُجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران البراءة من أهل الشام، فأرسل علي (عليه السلام) إليهما: أن كُفّا عما يبلغني عنكما، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا محقّين؟ قال: بلى.

قالا: أوليسوا مبطلين؟

(١) ابن هشام: عبد الملك المعافري: السيرة النبوية ج ٢ ص ١٨٧ دار الجيل - بيروت.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، باب الخطب ١٩٩.

قال: بلى.

قالا: فلم منعنا من شتمهم؟

قال: كرهت لكم أن تكونوا العائنين شتامين تشتمون وتبرؤون، ولكنكم لو وصفتم مساوي أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لعنكم إياهم، وبراءتكم منهم: اللهم أحقن دماءهم ودماءنا، واصلح ذات بينهم وبيننا، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان منهم من لهج به، لكان أحب إليّ، وخيراً لكم.

فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظتك، ونتأدب بأدبك<sup>(١)</sup>.

لاحظوا أن المسألة ليست أن هذا الطرف يستحق السب واللعن أم لا يستحق، وإنما يجب النظر في الانعكاسات والآثار التي يخلفها ذلك على مشاعر الآخرين وعواطفهم، وإلا فإن أحداً لا يشك في سوء مصير أبي جهل، وكونه من أهل النار، لكن رسول الله ﷺ بعد أن دخل مكة فاتحاً هرب منها عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن، خوفاً من أن يقتله رسول الله ﷺ، وكانت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة لها عقل وكانت قد اتبعت رسول الله ﷺ، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن ابن عمي عكرمة قد هرب منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فأمنه، قال ﷺ: قد آمنت بأمان الله فمن لقيه فلا يتعرض له، فخرجت زوجته في طلبه، فأدركته في ساحل من سواحل تهامة، وقد ركب البحر، فجعلت تلوح إليه وتقول: يا ابن عم جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك فأمنك،

(١) ابن أبي الحديد: عبد الحميد، شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٨١ دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٥ م.

فقال: أنت فعلت ذلك؟ قالت: نعم أنا كلمته فأمنك.

فرجع معها فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: يأتاكم عكرمة مهاجراً فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ<sup>(١)</sup>.

وفي النصوص والتعاليم الدينية نهي وتحذير عن كل ألوان الكلام الجارح من سب أو شتم أو تعبير أو سخرية وتحقير أو غيبة وبهتان..

### حسن الاستقبال والتعامل:

الإنسان كتلة من العواطف والمشاعر والأحاسيس، تعصف به التقلبات، وتعرض عليه الانفعالات، كما تضغطه مشاكل الحياة، وعلاقته مع أبناء جنسه هي ملاذ وملاجؤه، فإذا توفر له المحيط الاجتماعي الصالح، الذي يتعامل معه بالاحترام والتقدير، ويساعده على امتصاص واستيعاب تأثيرات ضغوط الحياة والتوترات النفسية، ويرفع معنوياته في مقابل المشاكل والأزمات، عندها يجد الكثير من الراحة والسعادة.

أما إذا عاش في وسط اجتماعي يفتقد أجواء المحبة والود، ويعاني من الجفاء والجفاف العاطفي والأخلاقي، فإن ذلك سيضعف عليه العناء، ويملاً حياته ونفسه بالألم والشقاء.

إنك حينما ترى إنساناً عليك أن تنفذ إلى ما وراء جسمه ومظهره، وتضع في بالك حالته النفسية، وكيانه العاطفي، وتتعاطى مع أحاسيسه ومشاعره، بما يستلزم ذلك من رقة ومحبة واحترام.

والقرآن الكريم حينما يتحدث عن العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٤٤.

المؤمنين يصفهم بأنهم: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي يرحم بعضهم بعضاً.

ويشير الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى دفء العلاقة التي يجب أن تكون بين المؤمنين، وما يوفره كل واحد منهم للآخر من راحة نفسية فيقول: (إن المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن الظمان إلى الماء البارد)<sup>(٢)</sup>.

وتقدم التعاليم الإسلامية توجيهات مفصلة شاملة لجميع جوانب التعاطي والتعامل بين أبناء المجتمع على أساس من الاحترام والمحبة والاهتمام. بدءاً من السلام وإلقاء التحية، أو إجابتها بأفضل منها، إلى المقابلة بالبشاشة والاستبشار، إلى الإفراح له في المجلس، والإصغاء لحديثه، ومواساته والتعاطف معه في همومه، ومساعدته وقضاء حاجته.. إلى العشرات من النقاط والتوصيات التي تصنع أفضل علاقة، وتوفّر أجمل رعاية للمشاعر والأحاسيس.

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب بن إسحاق، الأصول من الكافي ج ٢ ص ٢٤٧.



## احترام الناس من أهم العبادات

كلمة الجمعة بتاريخ ١٠ جمادى الأولى ١٤٢١ هـ



للدين مهمتان رئيسيتان في حياة الإنسان:

**الأولى:** تنظيم علاقة الإنسان مع ربه، بأن يتعرف على خالقه، ويؤمن به وبوحدانيته، ويلتزم بعبادته والخضوع له. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup>.

**الثانية:** تنظيم علاقة الإنسان مع أبناء نوعه، بحيث تكون قائمة على العدل، والاحترام المتبادل للحقوق ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالعلاقة الإنسان مع الناس قضية جوهرية من صميم الدين، وهي ليست متروكة لمزاج الإنسان وأهوائه، فلست حراً في أن تتعامل مع الآخرين كما تحب وتشاء، بل أنت مقيد بضوابط شرعية تلزمك بمراعاة حقوق الآخرين، واحترام مصالحهم المادية والمعنوية.

وإذا آمن الإنسان بربه والتزم بأداء الواجبات العبادية لله من صلاة وصوم وحج وما شابه، فإن ذلك لا يحقق له حالة التدين، ولا يوفر فيه مصداقية العبودية لله تعالى، ما لم يقترن بحسن علاقته مع الناس، وأدائه لحقوقهم.

فكما امرك الله تعالى بالصلاة والصيام وسائر العبادات، امرك أيضاً

(١) النحل ٣٦.

(٢) الحديد ٢٥.

بالعدل والإحسان، والتعامل الصحيح مع المحيط الاجتماعي، ولا يصح لك أن تأخذ بجزء وتترك الجزء الآخر.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم إن الإيمان بالله، وأداء الشعائر والعبادات، ثمرتهما ونتيجتهما يجب أن تظهر وتنعكس على سلوك الإنسان وتعامله مع الناس، وإلا فما جدوى ذلك الإيمان الذي لا يردع عن الظلم؟ وما قيمة تلك العبادة التي لا تدفع إلى الخير؟

### الإساءة إلى الغير ظلم عظيم:

في رؤية الدين لا شيء أسوأ من أن يعتدي الإنسان على حقوق الآخرين، أو يسيء إليهم مادياً أو معنوياً، إن الله تعالى قد يغفر للإنسان إذا ما قصر أو أخطأ تجاه خالقه شرط التوحيد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>. ولكنه تعالى لا يتساهل ولا يغفر للإنسان تقصيره وخطأه تجاه الآخرين.

ويصنّف الإمام علي عليه السلام أنواع الظلم إلى ثلاثة أصناف ويعتبر أن ظلم الناس هو الظلم الأخطر بعد الشرك بالله تعالى يقول عليه السلام:

«ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله.. وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم

(١) النحل ٩٠.

(٢) النساء ٤٨.

بعضاً، القصاص هناك شديد»<sup>(١)</sup>.

ويقول ﷺ في كلمة أخرى: «من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده» .

إن إيذاء أي إنسان بجرح مشاعره أو إهانة كرامته، أو تشويه سمعته، يعتبر ظلماً لا يترك، بل يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة حساباً عسيراً.

والإساءة إلى الغير قد تكون بكلمة أو تكون بحركة وتصرف معين، فقد ورد أن رجلاً ثرياً جاء إلى رسول الله ﷺ، وكان يلبس ثياباً أنيقة، فجلس إلى رسول الله ﷺ، ثم جاء رجل فقير ثيابه رثة قديمة، فجلس إلى جنب الثري، فقام الثري بحركة لفتت انتباه النبي ﷺ، حيث قبض ولمّ ثيابه من تحت فخذه، حتى لا تلامس شيئاً من ثياب ذلك الفقير.

فقال الرسول ﷺ: أخفت أن يمسك من فقره شيء؟

قال: لا.

قال ﷺ: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟

قال: لا.

قال ﷺ: فخفت أن يوسخ ثيابك؟

قال: لا.

قال ﷺ: فما حملك على ما صنعت؟

فاعترف الرجل الثري بخطئه واعتذر من الفقير باذلاً له نصف أمواله، لكن

---

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، حكم ١٧٦.

الفقير رفض أن يأخذ منه شيئاً قائلاً: أخاف أن يدخلني ما دخلك<sup>(١)</sup>.

كان سعد بن معاذ صحابياً جليلاً مجاهداً في سبيل الله حتى أصيب بجرح خطير في المعركة واستشهد بعد فترة من المعاناة والألم، وقد شهد الرسول ﷺ في حقه حين عاده في مرضه قائلاً:

«اللهم إن سعداً قد جاهد في سبيلك، وصدق رسولك، وقضى الذي عليه، فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحاً» وعند وفاته شارك الرسول في تشييعه ودفنه، ومع هذه المكانة والمنزلة إلا أنه أصابته ضمة - أي عصرة في قبره - على حد قول رسول الله ﷺ لأنه كان في خلقه مع أهله سوء<sup>(٢)</sup>.

فإيمان سعد وجهاده وصحبته للرسول ﷺ وشهادته في سبيل الله كل ذلك لم يسقط عنه جزاء سوء أخلاقه مع أهله وعائلته.

فلنكن حذرين جداً في تعاملنا مع الآخرين، وحتى عوائلنا وأبنائنا، فإننا محاسبون أمام الله تعالى عن تصرفاتنا مع الناس، ولن تغني عنا صلاتنا ولا عبادتنا إذا ما قصرنا أو تجاوزنا على حقوق الآخرين المادية أو المعنوية.

### ممارسات خاطئة:

يبالغ بعض المتدينين في أدائهم لبعض الشعائر والأعمال العبادية، بطريقة تسبب إيذاءً ومزاحمة للآخرين، ويتصورون أنهم بتلك المبالغة ينالون الأجر والثواب من الله تعالى، وفي الحقيقة إنهم يحملون أنفسهم الوزر والإثم من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

فمثلاً: ما يحدث في الحج من محاولة بعض الحجاج الاقتراب من الكعبة

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٣١.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٠.

في الطواف أو استلام الحجر الأسود، بطريقة المغالبة والمزاحمة، مما يؤدي إلى الإضرار بالنفس وبالآخرين، وإيذاء الغير حرام بينما تقبيل الحجر الأسود مستحب وكذلك الاقتراب من الكعبة، وهل يصح أداء المستحب بارتكاب المحرم؟

وقد نجد بعض الناس يحرصون على أن يكونوا في الصفوف الأولى لصلاة الجماعة، وذلك مستحب بلا ريب، وفيه أجر كبير لكنه إذا استلزم إيذاء الآخرين ومدافعتهم، وجرح مشاعرهم، فإنه يتحول إلى سبب لللاثم والوزر.

وضمن هذا السياق ما تعارف عليه البعض من رفع صوت المكبرات والسّماعات (الميكروفونات) أثناء تلاوة القرآن، أو قراءة الأدعية، ومجالس العزاء، في أوقات راحة الناس المجاورين للمسجد أو الحسينية أو المنزل مع عدم الحاجة إلى ذلك فالمستمعون عدد محدود داخل المكان، وصوت المكبّرة يخترق المسافات، مما يزعج راحة المجاورين، وقد يكون فيها مرضى أو أطفال أو ما أشبهه، أو أن صوت المكبّرة يزعج مجلساً آخر ومسجداً آخر، فتعارض الأصوات وتتداخل مما يعطي انطباعاً سلبياً عن الحالة الدينية، وأغلب المساجد في بلادنا يستخدمون مكبّرة الصوت أثناء صلاة الجماعة، وبشكل مزعج، رغم تحذير وزارة الأوقاف من ذلك، حتى أصبح البعض من الناس يهربون من مجاورة المساجد، بسبب ذلك الإزعاج.

إن مثل هذه الممارسات خطأ، يكسب أصحابها الإثم، لأنه لا يطاع الله من حيث يعصى، ولا يرضى الله تعالى بإيذاء الآخرين وإزعاجهم.

### بين حقوق الله وحقوق الناس:

يهتم الإنسان المسلم بالتزاماته العبادية مع الله كالصلاة والصوم والحج...

ويحرص على تأديتها حسب الأحكام الشرعية، متقرباً بذلك إلى الله تعالى. وما ينبغي التأكيد عليه هو أن احترام مشاعر الناس، ورعاية حقوقهم المعنوية، لا يقل أهمية عند الله تعالى من تلك العبادات والشعائر الدينية، بل يظهر من بعض النصوص والأحكام أولوية حقوق الناس. كما ورد عن الإمام علي (عليه السلام): «جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة على حقوقه، فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله»<sup>(١)</sup>.

ونذكر بعض الموارد التي يتبين منها موقعية احترام مشاعر الناس في الإطار العبادي.

١. إن المبادرة للصلاة إذا حان وقتها أمر مطلوب من الناحية الشرعية وإذا أقيمت الصلاة للجماعة تكون أكثر تأكيداً، ورسول الله ﷺ هو الأحرص على هذه الالتزامات الشرعية، لكن الرواية الواردة عن أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة ورجل يناجي رسول الله ﷺ فما زال يناجيه حتى نام أصحابه، ثم قام فصلى<sup>(٢)</sup>.

٢. ويصلي رسول الله ﷺ بالمسلمين جماعة، فيطيل في سجوده أكثر من المعهود فيسأله القوم بعد الصلاة: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، كأنما يوحى إليك. فقال ﷺ: لم يوح إليّ، ولكن ابني - الحسن بن علي - كان على كتفي فكرهت أن أعجله حتى نزل<sup>(٣)</sup>.

(١) الأمدى التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ج ٨ ص ٨٠ كتاب الاستئذان - باب طول النجوى.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٩٤.

٣. ويسمع رسول الله ﷺ بكاء طفل وهو يصلي بأصحابه جماعة، فيخفف صلاته رحمة بذلك الطفل، ورعاية لعواطف أمه. روى أبو قتادة عن النبي ﷺ قوله: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عنه ﷺ: «فأتجوّز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس بن مالك: وإن كان ﷺ ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخاف أن تفتن أمه<sup>(٣)</sup>.

٤. عن أبان بن تغلب قال: كنت مع أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام في الطواف، فجاء رجل من إخواني، فسألني أن أمشي معه في حاجته. ففطن بي أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا أبان من هذا الرجل؟ قلت: رجل من مواليك سألتني أن أذهب معه في حاجته. قال: يا أبان اقطع طوافك، وانطلق معه في حاجته فاقضها له. فقلت: إني لم أتم طوافي. قال: احص ما طفت وانطلق معه في حاجته. فقلت: وإن كان طواف فريضة؟ فقال: نعم وإن كان طواف فريضة.

---

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ج ١ ص ١٨١ باب من أخف الصلاة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

إلى أن قال عليه السلام: لقضاء حاجة مؤمن خير من طواف وطواف، حتى عدّ عشر.

فقلت له: جعلت فداك فريضة أم نافلة؟

فقال: يا أبا ن إنما يسأل الله العباد عن الفرائض لا عن النوافل<sup>(١)</sup>.

٥. وللصوم المستحب فضل عظيم وأجر كبير، لكنك إذا دعيت للطعام من قبل أحد إخوانك المسلمين، فإن استجابتك له أرجح عند الله تعالى من إكمال الصيام.

ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «من نوى الصوم ثم دخل على أخيه فسأله أن يفطر عنده فليفطر، فليدخل عليه السرور، فإنه يحتسب له بذلك اليوم عشرة أيام»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث آخر: «من دخل على أخيه وهو صائم تطوعاً فأفطر كان له أجران: أجر لنيته لصيامه، وأجر لإدخال السرور عليه»<sup>(٣)</sup>.

إن هذه الأحكام والتوجيهات الدينية تريد تربية الإنسان المسلم على احترام مشاعر الآخرين، وحفظ كرامتهم ومكانتهم، وأن ذلك مورد لرضى الله سبحانه، ومخالفته توجب سخطه، والمتدين الذي يهتم بضبط أحكام وضوئه وصلاته، عليه أن يكون أكثر اهتماماً بضبط أسلوب تعامله وعلاقته مع الناس. فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة ج ١٣ ص ٣٨٠ حديث رقم

١٨٠١١ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم.

(٢) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٥١ حديث رقم ١٣٠٨٤.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم ١٣٠٩١.

فقال ﷺ: «هي في النار»<sup>(١)</sup>.

## الرسول القدوة:

إن سيرة الرسول ﷺ وأخلاقه العظيمة في تعامله مع الناس، يجب أن تكون مدرسة يستلهم منها المسلمون أروع المناهج والبرامج في تشكيل وصياغة علاقاتهم الاجتماعية، فمع عظيم قدره ومكانته، ومع موقعته القيادية في مجتمعه، كان يتعامل مع جميع الفئات والأصناف بمتهى الرقة والعطف، وغاية التقدير والاحترام.

كان من صفاته ﷺ أنه لا يقطب وجهه، وإذا قال إنسان شيئاً يكرهه لم يجابهه بذلك، بل كان يقول: ما بال أقوام يصنعون كذا ويقولون كذا؟ فينهى بدون أن يسمي فاعل الأمر.

وكان يتفقد أصحابه، ويعطي كل واحد من جلسائه نصيبه، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه.

ومن جالسه لحاجة صبر له حتى يكون هو المنصرف عنه.

ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول. وكان ﷺ يقول: «ردوا السائل بشيء قليل، أو بقول جميل».

وقد روى بعض خدمه أنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف قط، وما قال لشيء صنعته، لم صنعته؟ ولا لشيء تركته، لم تركته؟ وكان من عاداته أنه يجيب الناس الذين ينادونه بأحسن جواب، فكان إذا

---

(١) القزويني: حسن مرتضى، الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق ص ٢٧٣ الطبعة الأولى ١٩٩١ م دار البيان العربي-بيروت.

ناداه أحد قال له: لبيك.

وعن جرير بن عبد الله قال: ما حجبني رسول الله ﷺ قط منذ أسلمت، ولا رأني إلا تبسّم، وكان يمازح أصحابه، ويخالطهم، ويحدثهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة من دعاه، ويعود المرضى حتى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر، ولا يرتفع على أحد حتى عبيده وإمائه في مآكل ولا ملبس.

وروى بعض أصحابه أنه ﷺ إذا فقد الرجل من أصحابه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده، وكان لا يدع أحداً يمشي معه إذا كان راكباً حتى يحمله معه، فإن أبي قال: تقدم أمامي وأدركني في المكان الذي تريد.

وكان يتعاون مع أصحابه، كأنه أحدهم لا يترفع عليهم في قليل ولا كثير. فقد كان في سفر فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله عليّ ذبحها، وقال آخر: عليّ سلخها، وقال آخر: عليّ طبخها، فقال ﷺ: وعليّ جمع الحطب. فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك، فقال ﷺ: قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميّز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه. ثم قام فجمع الحطب.

وكان إذا استمع إلى أحد لا ينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه.

وكان إذا أخذ بيده أحد، لا يرسل يده حتى يرسل ذلك الإنسان يده. وما قعد إلى رجل قط فقام حتى يقوم ذلك الرجل، ولم ير مقدماً ركبته بين يدي جليس له، وكان يبدأ من لقيه بالسلام حتى الأطفال والنساء، ويبدأ

أصحابه بالمصافحة.

ويكرم من دخل عليه، وربما بسط إليه ثوبه، ويؤثره بفراشه الذي تحته، ويكنّي أصحابه، ويدعوهم بأحب أسمائهم، تكرمة لهم، ولا يقطع على أحد حديثه.

وقد روى سلمان الفارسي رضي الله عنه: دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة، فألقاها إلي. ثم قال: يا سلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم فيلقي له الوسادة إكراماً له إلا غفر الله له.

وإذا كان يصلي وجاء إليه أحد خفف صلاته حتى يفرغ منها مسرعاً ليسأله عن حاجته، ثم يعود إلى صلاته.

وكان يؤتى بالصبي الصغير فيدعو له بالبركة، أو يسميه، أو يؤذن في أذنه، فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله، وربما بال الصبي عليه فيصيح عليه بعض من رآه حين بال، فيقول ﷺ: لا تترموا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته أو أذانه. فيبلغ بذلك سرور أهله إلى ما شاء الله، حيث يرون أنه لا يتأذى ببول صبيهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه.

وكان إذا جلس إليه أحد تزحزح له شيئاً، وذات مرة قال له رجل: يا رسول الله في المكان سعة، فقال: نعم، لكن من حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس أن يتزحزح له<sup>(١)</sup>.

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة متوجهاً إلى الحج في السنة العاشرة، ومعه خلق كثير، فلما انتهى إلى ذي الحليفة أدرك أسماء بنت عميس زوجة أبي

(١) الشيرازي: السيد محمد الحسيني، السبيل إلى إنهاض المسلمين ص ٤١٠-٤١٤ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ، قم.

بكر المخاض، فعطل رسول الله سفره وأقام تلك الليلة ومعه كل المسلمين من أجلها، وولدت محمد بن أبي بكر<sup>(١)</sup>.

وجاء إعرابي فبال في جانب من المسجد فزجره الناس فنهاهم النبي ﷺ فلما قضى بوله أمر النبي ﷺ بذنوب من ماء فأهريق عليه<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية قام إعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي ﷺ: دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين<sup>(٣)</sup>.

ومرّ ﷺ ذات يوم بصبي فرآه حزيناً ولما سأله عن السبب قال: إن بلبله قد مات فعزاه وخفف عنه<sup>(٤)</sup>.

واستقصاء أخلاقيات رسول الله ﷺ وروائع سيرته العطرة تحتاج إلى مجلدات، وإنما أردنا تقديم بعض الصور والنماذج، لتأكيد أهمية حسن التعامل والعلاقة مع الناس، وضرورة احترام مشاعر الآخرين وأحاسيسهم وعواطفهم.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٨٩.

(٢) البخاري: محمد ابن إسماعيل، صحيح البخاري ج ١ ص ٦٥ باب صب الماء على البول في المسجد.

(٣) المصدر السابق.

(٤) القزويني: حسن مرتضى، الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق ص ٢٢٠.

## الهروب من العداوات

كلمة الجمعة بتاريخ ١٧ جمادى الأولى ١٤٢١ هـ



حالة العداوة مع أي أحد من الناس ليست ممتعة ولا مريحة، فهي عبء على نفس الإنسان، واستهلاك لاهتماماته وجهوده، وهدر لطاقات المجتمع، وتمزيق لوحده وانسجامه.

لذلك على الإنسان العاقل الواعي أن يتجنب العداوات والخصومات، فلا يبادر أحداً بخصومة، ولا يصدر منه ما يسبب نزاعاً أو عداً من قول أو فعل.

وإذا ما حاول أحد أن يستدرجه لعداوة أو صراع، فليتحلى بالذكاء وضبط النفس كي لا يقع في الفخ، فإن العداوة نفق لا يعرف الإنسان إذا دخله كيف يخرج منه؟

إنّ من صفات المؤمنين الواعين، التي يشيد بها القرآن الكريم، أنهم لا يستجيبون لإثارات العداة الصادرة من الجاهلين والمخالفين، بل يعرضون عنها كأنها لم تكن، ولا يقفون عندها بل يمرون عليها مرور الكرام، ويرفعون تجاهها شعار المسالمة والموادعة.

١. إن افتعال المشاكل مع الناس حالة سلبية عبثية يقوم بها الجاهلون الفارغون، أو المنحرفون المغرضون، وإذا ما تفاعل الإنسان مع حركاتهم العدوانية، وأبدى بها اهتماماً، ورد فعل، فإنه يحقق غرضهم، ويساعد في إنجاح خططهم لإيجاد المشكلة معه، وتوريطه فيها. لذا فإن

المؤمن الواعي يفوّت عليهم الفرصة، ويتجاهل محاولاتهم لاستدراجه للصراع. يقول تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

واللغو هو ما لا فائدة فيه. روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ قال عليه السلام: هو أن يتقول الرجل عليك بالباطل، أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله. وقال مقاتل: هو الشتم فإن كفار مكة كانوا يشتمون النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه فنهوا عن إجابتهم<sup>(٢)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾<sup>(٣)</sup>.

يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه، وقيل: مرورهم كراماً هو أن يمروا بمن يسبهم فيصفحون عنه<sup>(٤)</sup>.

ويعبر عن هذا الموقف المتسامي قول الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

٢. وإذا كانت نفس الجاهل المغرض تطفح بالمساوىء والرذائل، فيلهج لسانه بكلمات الإثارة، وعبارات الطعن والتجريح، فإن نفس المؤمن الواعي مطمئنة بالخير والهدى، فما يفيض على لسانه إلا حديث الخير والصلاح، فلا يجابه كلمات السفه والعداء، إلا بمنطق السلم والتسامي

(١) سورة المؤمنون الآية ١-٣.

(٢) الطبرسي: الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن ج ١٨ ص ١٣٦ منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت.

(٣) سورة الفرقان الآية ٧٢.

(٤) الطبرسي: الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن ج ١٩ ص ١٣٠ منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت.

عن اللغو والجهل.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فهم يعرضون عن أصحاب الكلام السيئ التافه، على أساس الالتزام بمنهجيتهم المستقيمة، وحتى لا ينزلقوا في طريق السوء والانحراف ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ كما أنهم يرفعون شعار المسالمة، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ولا يضمرون في أنفسهم حقداً يدفعهم للانتقام والتشفي. وقد يكون ذلك تعبيراً عن الترك والانصراف فهو سلام وداع، إنهم يعلنون إنهاء اللقاء ولكن بإبداء تحية الوداع ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

يقول العلامة الطباطبائي: «أي إذا خاطبهم الجاهلون خطاباً ناشئاً عن جهلهم مما يكرهون أن يخاطبوا به أو يثقل عليهم، كما يستفاد من تعلق الفعل بالوصف، أجابوهم بما هو سالم من القول، وقالوا لهم قولاً سلاماً خالياً عن اللغو والإثم»<sup>(٢)</sup>.

وتكرر آيات عديدة في القرآن هذا المعنى تأكيداً لأهمية هذا السلوك الواعي، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(٣)</sup>.  
﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة القصص الآية ٥٥.

(٢) الطباطبائي: السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ج ١٥ ص ٢٣٩.

(٣) سورة الفرقان الآية ٦٣.

(٤) سورة الزخرف الآية ٨٩.

## ضبط الانفعالات:

الإِنسان كائن حي زوده اللّهُ تعالى بغرائز وشهوات، منها تنطلق انفعالاته، وبها يحقق لذّاته ومصالحه.

ومن الغرائز العميقة في نفس الإنسان ووجوده غريزة الغضب، والتي تتحرك وتثور حينما يتعرض للخطر والعدوان، أو تنتصب في وجهه العوائق والعقبات لتحول بينه وبين تحقيق رغباته ومتطلباته.

وبالانفعالات الصادرة عن هذه الغريزة، يدافع الكائن الحي عن نفسه، ويصد الخطر عن وجوده ومصالحه.

إن الإساءات التي تقع على الإنسان من الآخرين، تأخذ دور المنبّه والمثير لهذه الغريزة الكامنة في النفس، وعلى أساس هذه الإثارة تحصل الاستجابة الانفعالية، وترجم في الواقع الخارجي ممارسة عدائية انتقامية. فهناك إذن جوانب ثلاثة:

١. كائن حي - إنسان - يمتلك قوة غريزية غاضبة.

٢. حدث أو تصرف يكون منبهاً مثيراً لتلك الغريزة.

٣. استجابة انفعالية تجاه تلك الإثارة.

وإذا كان وجود غريزة الغضب أمراً طبيعياً وضرورياً لحياة الإنسان، فإن الناس يتفاوتون في مدى الاستجابة للمنبهات والمثيرات التي تتجه صوب هذه الغريزة.

فالبعض من الناس تكون استجاباتهم الانفعالية خفيفة سريعة، فأقل كلمة تشعل نار الغضب في نفوسهم، وأبسط تصرف تقوم من أجله قيامتهم،

ويندفعون للانقضاض على الطرف الآخر بأي وسيلة انتقامية متاحة لديهم.  
وهذا الصنف من الناس يصعب عليهم الانسجام مع الآخرين، ويعجزون  
عن كسب الأصدقاء والمحبين، ويعيشون حياة شقية قاسية مليئة بالعداوات  
والخصومات.

إنهم يطلقون العنان لغريزة الغضب، فتضعف الإرادة ويتراجع العقل  
أمامها.

وقد يندفع الإنسان الغاضب لأعمال وممارسات يندم فيما بعد على  
ارتكابها، حيث لا يفيد الندم. فكم من أب ينزعج من تصرفات أطفاله الصغار،  
فينهال عليهم ضرباً مبرحاً يسبب لهم أضراراً وإعاقات جسمية، يتحمل هو  
فيما بعد عناء معالجتها إضافة إلى الإثم وسخط الرب، وعذاب الضمير؟

وكم من زوج يتفجّر بركان غضبه لخطأ ما صدر من زوجته تجاهه،  
فتضطرب حياته العائلية، وينهدم كيان أسرته، أو يصاب بشرخ عميق؟ وقد  
يحصل مثل ذلك من قبل الزوجة تجاه زوجها.

وكم من إنسان خسر صديقاً نافعاً مخلصاً لعدم احتمالته نقص أو تقصير  
صدر منه، فواجهه بغضب وانفعال؟

وكم من شخص أوقع نفسه في صراع غير متكافئ مع جهة قوية غاشمة،  
لأنه لم يفكر في نتائج انفعالاته؟

إن العقلاء الواعين من الناس هم الذين يجعلون عقولهم حاكمة على  
غرائزهم، ويفسحون المجال لإرادتهم لضبط انفعالاتهم. فيتحلّون بالرزانة  
والوقار أمام المثيرات والمنبهات، ولا يستجيبون لشيء منها إلا بقرار عقلي  
سليم، وعبر أدوات وأساليب مناسبة.

هذا الضبط للانفعالات، تطلق عليه في مدرسة الأخلاق عدة عناوين:  
كالحلم وكظم الغيظ والعفو والتسامح والصبر.

وبه يتجاوز الإنسان الضغوط النفسية التي تسببها الإثارات المسيئة، كما  
يتجنب الوقوع في فخ العداوات والخصومات، بل ويكسب القلوب والمواقف  
في المحيط الاجتماعي.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«جمال الرجل حلمه»

«من حلم ساد»

«بالحلم تكثر الأنصار»<sup>(١)</sup>.

إن من تعيش معهم بشر، فيهم أمزجة مختلفة، وطباع متفاوتة، وفيهم  
جهال ومغرضون، فحدوث الإساءات والأخطاء من قبلهم أمر وارد ومتكرر،  
فعلى الإنسان أن يستوعب الآخرين، ويتحمل أخطأهم وإساءاتهم ليكون  
أقدر على التعايش معهم.

وإمكان الإنسان أن يروض نفسه ويدربها على الاحتمال والتجاوز وأن  
لا ينفعل أمام أي إثارة، بل يتسامى ويغض الطرف عن الأخطاء، ليوفر قوته  
وغضبه للموارد التي تتطلب ذلك وتستحقه.

إن الحساسية المرهفة عند البعض من الناس تجعله في حالة استنفار  
وانفعال دائم تجاه الآخرين، حيث تتضخم لديه الأمور البسيطة، ويغضب  
للمسائل التافهة. فينزلق إلى أحوال الأزمات والمشاكل. يقول الإمام علي

---

(١) الأمدى التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم.

ﷺ: «من عاتب أخاه على كل ذنب كثر عدوه» .

## أخلاق أئمة الهدى:

وتطرق أسماعنا قصص عظيمة، ومواقف رائعة، من حياة الرسول محمد ﷺ وأئمة الهدى من أهل بيته ﷺ، في سموهم وتساميهم على إثارات الجاهلين والمغرضين، ومقابلتهم للإساءة بالإعراض والصفح، والحلم والعفو، لكننا غالباً ما نكتفي بهز رؤوسنا طرباً وإعجاباً بتلك الأخلاق الحضارية الرفيعة، بينما المطلوب استلهام الدروس والعبر من تلك القصص والمواقف، وجعلها في موضع التأسي والإقتداء.

١ . روي أن الإمام علي ﷺ كان جالساً في أصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال ﷺ: إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبأبها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليامس أهله، فإنما هي امرأة كامرأته.

فقال رجل من الخوارج: «قاتله الله كافراً ما أفقهه» . فوثب القوم ليقتلوه، فقال ﷺ: رويداً إنما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب<sup>(١)</sup>.

وسمع أمير المؤمنين ﷺ رجلاً يشتم قنبراً - خادمه - وقد رام قنبر أن يردّ عليه، فناده أمير المؤمنين ﷺ: مهلاً يا قنبر! دع شاتمك مهاناً ترضي الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك، فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه<sup>(٢)</sup>.

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكم ٤٢٠.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٤٢٤.

٢. وكان الإمام الحسن بن علي عليه السلام راكباً فاستقبله رجل من أهل الشام، صار يسب الإمام ويشتمه، والحسن لا يرد عليه بشيء، فلما فرغ أقبل عليه الإمام مسلماً عليه وقائلاً: أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبّهت، فلو استعبتنا أعتبنك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت محتاجاً أغنياناك، ولو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفاً إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك.

فخجل الرجل من نفسه وتغيّر موقفه من الإمام.

٣. خرج الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام إلى المسجد يوماً فسبّه رجل، فأسرع الناس للانتقام منه، فنهاهم الإمام عن ذلك، وأقبل عليه قائلاً: ما ستره الله عنك أكثر ألك حاجة نعينك عليها؟

واستقبله يوماً رجل آخر يكيل له السب والشتم، فأجابه الإمام: يا فتى إن بين أيدينا عقبة كؤودا، فإن جزت منها فلا أبالي بما تقول، وإن أتحيّر فيها فأنا شر مما تقول.

ومرة أخرى كان الإمام زين العابدين ماشياً فاعترضه شخص معتدياً عليه بالسب والشتم، لكن الإمام أشاح بوجهه عنه، فصرخ الرجل في وجه الإمام: إياك أعني!

فأجابه الإمام فوراً: وعنك أغضي.

وفي موقف آخر: افترى عليه رجل وبالغ في الإساءة والشتم، فقال عليه السلام: إن كنا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك<sup>(١)</sup>.

(١) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام زين العابدين ج ١ ص ٧٦-٧٧ الطبعة الأولى ١٩٨٨ م دار الكتاب الإسلامي - قم.

٤. قال الإمام محمد الباقر عليه السلام لأحد أصحابه ومحبيه علقمة الحضرمي:  
إني أراك لو سمعت إنساناً يشتم علياً فاستطعت أن تقطع أنفه فعلت.

قلت: نعم

قال: فلا تفعل، ثم قال: إني لأسمع الرجل يسبّ علياً واستتر منه بالسارية،  
وإذا فرغ أتيته فصافحته<sup>(١)</sup>.

إن مثل هذه المواقف دروس نستوحي منها القدرة على التحكم في  
انفعالاتنا، وأن لا تستدرجنا الاستفزات والإثارات للدخول في معارك  
جانبية، وصراعات طفولية.

### عز الحلم وذل الانفعال:

يتصور البعض من الناس بأن غض الطرف عن الإساءة، والتجاوز عن  
الخطأ، يجعله في موقع الضعف والمذلة تجاه الآخرين.

وتلك وسوسة شيطانية، وعزة آثمة، تحرّض انفعالات الإنسان، وتدفعه  
للاسترسال مع غريزة الغضب الجامحة، وماذا ستكون النتيجة. إلا التورط  
أكثر في الخصومات والوقوع في مأزق العداوات؟ ويصبح الإنسان بعدها في  
موقع ضعف حقيقي. بينما لو اعتصم بالحلم وكظم الغيظ للحظات لو فرّ على  
نفسه عناءً طويلاً، واكتسب عزاً حقيقياً.

لذلك يقول الرسول ﷺ فيما روي عنه: إن العفو يزيد صاحبه عزاً فاعفو  
يعزكم الله<sup>(٢)</sup>.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٤٠٠.

(٢) المصدر السابق ج ٦٨ ص ٤١٩.

ويعتبر الرسول ﷺ ضبط الإنسان لانفعالاته علامة على القوة والشجاعة، يقول ﷺ فيما يروى عنه: ليس الشديد بالصرعه إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.

وخرج ﷺ يوماً وقوم يدحرون حجراً فقال ﷺ: أشدكم من ملك نفسه عند الغضب، وأحلمكم من عفا بعد المقدرة<sup>(١)</sup>.

إن خلافات وصراعات كثيرة تحدث في المجتمع بسبب الحساسية المفرطة تجاه بعض الكلمات أو التصرفات، وإن عداوات ضارة يتورط فيها الإنسان لاستجابته لبعض الإثارات والاستفزازات.

فلنحذر هذه المزالق، ولنتسلح بشجاعة الحلم للهروب من عناء وأخطار العداوات التي لا تستحق أن ينشغل بها الإنسان.

نسأل الله تعالى أن يمنحنا وإياكم قوة الإرادة، وسعة الصدر، وملكة الحلم، وأن يجنبنا العداوات والأحقاد، أنه سميع مجيب.

---

(١) المصدر السابق ج ٧٤ ص ١٤٨.

**المعلم: أقدس مهنة وأخطر دور**  
كلمة الجمعة بتاريخ ٣ جمادى الثاني ١٤٢١ هـ



إذا كانت المهن والوظائف تتفاوت في قيمتها تبعاً لتفاوت مدى تأثيرها في المجتمع الإنساني، فإنه يمكن اعتبار التعليم من أهم المهن والوظائف خطورة وقداسة، وقد سبق أن أعلنت منظمة اليونسكو عند إقرارها لليوم العالمي للمعلم - الخامس من أكتوبر كل عام - أن المعلم صاحب أهم مهنة في العالم.

وقبل ذلك قال أحمد شوقي في قصيدته الخالدة:

أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبنى وينشئ أنفساً وعقولاً

وبمناسبة بدء السنة الدراسية الجديدة، حيث سيزحف أبناؤنا وبناتنا غداً السبت ٤/٦/١٤٢١هـ إن شاء الله إلى مدارسهم، مستقبلين عاماً دراسياً جديداً، نرجو لهم فيه كل خير وتوفيق ونجاح، بهذه المناسبة نخصص كلمتنا للحديث عن دور المعلم ومسئوليته.

صحيح أن قضية التعليم ترتبط بأطراف عديدة، ولها أبعاد وجوانب مختلفة، بدءاً من السياسات والخطط، والمناهج والمقررات، إلى استعداد الطالب وجدّيته، ودور العائلة واهتمامها، ومروراً بمستوى الإدارة والخدمات والأجواء المدرسية، وتأثيرات المحيط الاجتماعي. إلا أن المعلم يحتل موقع المحور الأساس والعنصر الرئيس في العملية التعليمية.

فالمعلم الجاد المخلص يمكنه المساعدة في سدّ الثغرات، ومعالجة

النواقص، وتجسير الهوة بين المستلزمات المطلوبة والإمكانيات المتاحة، بينما تعجز أفضل الوسائل وأرقى الإمكانيات عن تحقيق النجاح والتقدم على يد معلم فاشل.

### بين المهنة والرسالة:

قد ينظر البعض إلى التدريس باعتباره مهنة ومصدراً للرزق، حيث يتمتع المدرس براتب مناسب، ويحظى بإجازة سنوية مريحة.. لكن ما يجب التأكيد عليه هو خطورة المسؤولية التي يتحملها المدرس.

فهو المؤتمن على مستقبل أبناء المجتمع، وهو الجهة التي يوكل إليها تشكيل عقل الجيل الصاعد، وصياغة نفسيته، وتفجير قدراته وكفاءاته.

إن المهمة الملقاة على عاتق المعلم هي تأهيل هؤلاء الطلاب ليكونوا أعضاء فاعلين وصالحين في مجتمعهم، ومساعدتهم للنجاح في حياتهم. وإن تقصير المعلم في أداء هذه المسؤولية، يهدد بظهور جيل ناقص الأهلية، ضعيف القدرات، قاصر عن مواكبة تطورات الحياة.

وأفراد هذا الجيل الذين سيمثلون غداً على مقاعد الدراسة أمام المعلمين، هم مجتمع الغد، وسيصبحون بعد فترة من الزمن جزءاً من المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه المعلم، ويتعاطى ويتفاعل معه.

فأحد هؤلاء الطلاب سيكون مسؤولاً في إدارة يرتبط بها شأن من شؤونك أيها المعلم، وأحدهم قد يصبح صهراً لك بزواجه من ابنتك أو أختك أو إحدى قريباتك، وأحدهم سيكون مدرساً ومعلماً لابنك، وأحدهم قد يصبح زميلاً لولدك ورفيقاً له. ففي أي مستوى تريد أن يكون مسؤولو الأجهزة والإدارات الحكومية في بلدك؟ وما هو السلوك والسيرة التي ترجوها من صهرك وزوج

ابنتك؟ وماذا تتوقع من المعلم الذي يدرس ابنك؟ وما نمط الشخصية التي تحب صداقتها لولدك؟

ضع هذه الصورة أمامك وتعامل مع طلابك على هذا الأساس، واعلم أن منهجية تعاطيك معهم الآن ستؤثر إلى حد كبير في تشكيل شخصياتهم، وصنع مستوياتهم المستقبلية.

### الإخلاص وإتقان العمل:

إن أول وأبرز ما يطلب من المعلم ويتوقع منه: أداء مهمته التعليمية بشكل متقن صحيح، فهناك منهج مقرر، ومادة دراسية، يجب شرحها وتبيينها للطلاب حتى يفهموها ويستوعبوها، ولأن مواد التعليم حلقات متسلسلة متواصلة، فإن ضعف استيعاب الطالب في أي نقطة منها، ينعكس على فهمه لل فقرات المترتبة عليها.

ومع ملاحظة تفاوت مستوى الذكاء والاستيعاب عند الطلاب، وكون بعض المواد الدراسية فيها شيء من الدقة والصعوبة بطبيعتها، ومع ما يثار من إشكاليات ونقود على العديد من المناهج والمقررات، فإن كل ذلك يضاعف مسؤولية المعلم لكي يبذل أقصى ما لديه من جهد و طاقة، في توضيح المادة للطلاب، وتقريبها لأذهانهم وأفهامهم.

وذلك يستلزم من المدرس ما يلي:

١. الإعداد والتحضير الجيد للدرس، فلا يصح للمدرس أن يعتمد على معرفته المسبقة بالمادة، وأن يقدم درسه بشكل روتيني، وكدور مهني يؤديه، غير مهتم بعد ذلك بمدى فهم الطلاب واستيعابهم للدرس.

- بل على المدرس أن يعتصر ذهنه، ويصرف جزءاً من وقته قبل  
الدرس للتفكير في أفضل طريقة لطرح المادة المقررة.
٢. الاجتهاد في الشرح والتبيين ومراعاة متوسطي المستوى، والتأكد من  
وضوح الفكرة لجميع الطلاب، بالاستعانة بمختلف وسائل الإيضاح  
من كتابة ورسوم وصور وحركات وما أشبه.
٣. استثارة فكر وعقل الطالب، بتحريضه على المناقشة، ودفعه للتساؤل،  
وإدارة الحوار بين الطلاب أنفسهم حول الموضوع، وتدريبهم على  
النقد والتفكير العلمي، لأن الاعتماد على الحفظ والتلقين طريقة كسولة  
خاطئة، تخلق حالة من التبلد الذهني، وتند قدرات الإبداع والابتكار.
٤. تشويق الطلاب وترغيبهم في المادة الدراسية، بأن يكون الطرح حيويًا،  
فيه تجديد وطراوة، وأن يتحدث لهم عن الموضوع بأسلوب يثير  
رغبتهم وشوقهم لمعرفته ومتابعة تفاصيله.
- إن كثيراً من العلماء والنابعين في مختلف حقول المعرفة،  
يتحدثون عن دور معلمهم في انشادهم وانجذابهم نحو المادة  
التي نبغوا وتفوقوا فيها. وسمعت من بعض الطلاب كراهيتهم لبعض  
المواد الدراسية، بسبب طريقة مدرسيهم في عرضها وطرحها.
٥. الاهتمام بحالات الضعف والنقص عند أي طالب، والتعرف على  
أسبابها وجذورها، وتلمس طرق المعالجة والإصلاح، لمساعدة  
الطالب على تجاوز تلك الحالة.

## الدور التربوي:

إلى جانب الأسرة فإن المدرسة هي المؤسسة التي تحتضن أبناء المجتمع منذ السنوات الأولى لتفتق وعيهم وإدراكهم، وتحتويهم في فترة مراهقتهم. ويقضي الطالب في المدرسة نصف نهاره كل يوم، وهو في حالة تلقي واستقبال نفسي وذهني، وينظر إلى المعلم باعتباره جهة مؤثرة عليه يرتبط به تدريسه وعلاماته ونجاحه.

وذلك يعني إمكانية القيام بدور تربوي أساس من قبل المعلم تجاه طلابه، فالإلى جانب مهمته التعليمية يقع على عاتقه دور تربوي إرشادي، من هنا تطلق أكثر الدول عنوان وزارة التربية والتعليم على المؤسسة التعليمية، فالتربية أولاً والتعليم ثانياً.

وهذا ما سلكه القرآن الكريم عند الحديث عن وظائف النبي محمد ﷺ يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(١)</sup> فالتركيز قبل التعليم وأهم من التعليم.

وفي هذا العصر نعرف جميعاً مدى الحاجة الملحة لتربية الأبناء وتهذيب نفوسهم وتشذيب سلوكهم، حيث تتعرض القيم الدينية والاجتماعية للاهتزاز، ويعاني المجتمع من خطر انفلات أبنائه الناشئين، بسبب حالة الانفتاح الإعلامي والثقافي، الذي يبث ويروج لأنماط من الحياة والسلوك تخالف النظام القيمي في مجتمعاتنا، ويحرض على التسبب والميوعة والانحلال، وحيث تعصف بجيل الشباب شتى الأزمات والمشاكل الواقعية والمفتعلة. فإين هو دور المعلم في خضم هذه الظروف والأجواء الحساسة الخطيرة؟

(١) سورة الجمعة الآية ٢.

إن الشعور بالمسؤولية الدينية والاجتماعية يجب أن يدفع المعلم لاستنفار كل طاقاته وقدراته، واستغلال موقعيته للإسهام في تربية هذا الجيل، الذي تحدى به الأخطار من كل جهة وجانب.

وإذا كان الإسلام يوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الجاهل، وهداية الآخرين، فإن المعلم هو في أفضل موقعية تتيح له ممارسة هذا الدور، وأداء هذا الواجب العظيم.

١. فهو بشخصيته وسلوكه يجب أن يكون نموذجاً وقدوة طيبة لتلامذته. فإذا ما ظهر عليه الالتزام بالدين، وحسن الخلق والسلوك، وطيب التعامل والاحترام، فإن ذلك يغرس في نفوسهم هذه المواصفات، ويدفعهم إلى تقمصها بداعي المحاكاة والاقتراب.

ومما يثير القلق حقاً كون بعض المعلمين يعانون من نواقص في شخصياتهم وسلوكياتهم، ومؤهلهم للتعليم لا يعدو شهادة التخرج، دون خبرة أو نضج، وهذه الشريحة من المدرسين تشكل مصدر خطر على شخصيات وسلوك الطلاب. لكنها شريحة محدودة ويمكن تلافي تأثيراتها السيئة بوعي الإدارة وسائر المدرسين.

٢. أن يغتنم الفرص لتوجيه الطلاب وإرشادهم عبر مادة الدرس، أو بالتعليق على حدث ما أو مناسبة ما، وباستخدام أفضل الأساليب المؤثرة كالقصص والأمثلة والنكت الهادفة.

ولدينا مقررات المواد الدينية والأدبية يمكن أن تستثمر في التربية والإرشاد، شرط اجتهاد المدرس في طرحها بشكل حيوي جذاب، يلامس هموم الطلاب وتطلعاتهم ويقرب من أجواء حياتهم

وقضاياهم.

وكل المواد الأخرى أيضاً تعطي للأستاذ أكثر من فرصة ومجال لتأكيد القيم الصالحة، والنزعات الخيرة في نفوس طلابه.

٣. تشجيع الطلاب ودفعهم نحو الأجواء النافعة والبرامج المفيدة، فتشويقهم للمطالعة والقراءة، والذهاب إلى المساجد ومجالس العلماء والأدباء، والانخراط في سلك الجمعيات الخيرية والأندية واللجان الاجتماعية، بالنسبة للطلاب في المراحل الدراسية المتقدمة، كل ذلك يساعد في تحقيق الأهداف التربوية المرجوة.

### الرعاية النفسية:

ما أحوج الطالب في سنوات دراسته الأولى، وفي فترة مراهقته، إلى رعاية الأستاذ، إنه في هاتين المرحلتين يعيش رهافة في مشاعره، وتحفزاً في أحاسيسه وعواطفه، فإذا ما لقي رعاية وعناية من الأجواء المحيطة به، والجهات التي ترتبط بها شؤونه وقضاياه، وفي طليعتها بعد الوالدين المعلم، فإنه سينعم بالاطمئنان والاستقرار النفسي، مما يمكنه من تجاوز هذه الفترة الحساسة بنجاح، وأن يشق طريقه إلى النضج وتكامل الشخصية بسلامة وأمان، وتنطبع نفسه بالثقة والمحبة والانسجام مع الآخرين.

أما إذا واجه الجفاء والجفاف والقسوة والتحدي، فسيكون رد فعله النفسي والسلوكي في أحد اتجاهين خطيرين: أما الانكسار وفقدان الثقة بالذات ونمو عقدة الحقارة، وأما الاندفاع نحو التمرد والانفلات.

إن بروز الأخطاء والهفوات من الطالب أمر طبيعي ومتوقع، في وظائفه الدراسية أو تصرفاته السلوكية، وهو يحتاج إلى الاحتواء والاستيعاب من قبل

المدرس، بالتغاضي عن خطئه تارة، وبالموعظة الحسنة والتوجيه الرقيق تارة أخرى.

أما الانفعال الحاد، والغضب العارم، ومواجهة الطالب بروح التشفي والانتقام، فتلك طريقة محرمة خاطئة، تكشف عن نوازع سيئة ونفسية مريضة معقدة.

وقد ينزعج الأستاذ من تقصير الطالب أو سوء تصرفاته، لكنه لا يصح أن يستخدم قوته وموقعيته في خوض صراع ومعاركة مع تلميذه الضعيف في مقابله، كما يحصل من بعض الأساتذة حينما يبالغون في رد فعلهم تجاه المسيء من طلابهم، ويؤلّبون ويحرّضون المدرسين الآخرين عليه، فإن تبادل الانطباعات والمواقف السلبية تجاه الطلاب منهج سيئ خاطئ.

والأفضل لكل مدرس أن يخوض تجربته الخاصة في التعاطي مع التلامذة، دون التأثير بمواقف الآخرين.

وننبّه بشكل خاص على التعامل مع الطالبات من قبل مدرساتهن، فهذه الصبايا ذات المشاعر الحساسة المرهفة، تقع في بعض الأحيان في قبضة مدرسات عنيفات قاسيات، تنهال عليهن تجريحاً وإذلالاً لأتفه المبررات والأسباب.

إن ضمير الإنسان ووجدانه، وخوفه من الله تعالى يجب أن يردعه عن إساءة التعامل مع من أوّتمن عليهم، وأصبح مسؤولاً عنهم، وهو في موقع القوة والقدرة تجاههم.

صحيح أن هذا الطالب الضعيف أو تلك الطالبة المسكينة، لا يمتلكان قدرة على الردع أو المواجهة، لكن الله تعالى ينتصر لهما، كما ورد في

الحديث عن رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله على من ظلم من لا يجد ناصرًا غير الله»<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام علي عليه السلام: «ظلم الضعيف أفحش الظلم»<sup>(٢)</sup>.

فالمأمول من المعلمين الأعضاء أن يضبطوا انفعالاتهم أمام تصرفات الطلاب، ويتحلوا بالرفق والرحمة والعطف، ولا يستخدموا الحزم والصرامة إلا في المواقع الضرورية والمطلوبة. فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَيُنْوَ لِمَنْ تَعَلَّمُونَ»<sup>(٣)</sup>.

وعن حفيده الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «تواضعوا لمن تعلّمونه العلم»<sup>(٤)</sup>. إن رحابة الصدر وإبداء مشاعر الرعاية والرفق، قد يكون أفضل طريق لإصلاح أخطاء الطالب، ودفعه لتحسين أدائه الدراسي، وسلوكه الأخلاقي، مع أخذ الظروف النفسية والأجواء العائلية والاجتماعية التي يعيشها الطالب بعين الاعتبار.

وأخيراً: ليكن واضحاً أمام المعلم ضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقه، وليعلم أنه بإخلاصه وأدائه لواجبه ينال عند الله سبحانه جزيل الأجر وعظيم الثواب، إنه في عمله الدراسي لا يمارس مهنة يكافئ عليها براتب شهري فقط، بل يقوم بعمل عبادي يقربه إلى الله تعالى ويؤهله لنيل مرضاته، ويقدم أجل وأعظم خدمة لمجتمعه ووطنه.

لذلك ليس غريباً أن يروي عن رسول الله ﷺ قوله:

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ٣ ص ٥٠٠ حديث رقم ٧٦٠٥.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب ٣١.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ٦٢.

(٤) الكليني: محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٦.

«إن معلّم الخير يستغفر له دوابّ الأرض، وحيّتان البحر، وكلّ ذي روح  
في الهواء، وجميع أهل الأرض والسماء»<sup>(١)</sup>.

---

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ١٧.

## الاعتذار من الخطأ سلوك حضاري

كلمة الجمعة بتاريخ ١٠ جمادى الثاني ١٤٢١ هـ



صدور الخطأ من الإنسان أمر طبيعي ومتوقع، فما دام ليس معصوما فهو معرض للغفلة وسيطرة الشهوة وغلبة الانفعال، وتلك هي أرضية الخطأ ومنشأ حدوثه.

لكن الأمر المهم هو كيفية تعامل الإنسان مع خطئه. فهل يتعهد نفسه بالمراقبة والمحاسبة، ويراجع مواقفه وتصرفاته، ليكتشف أخطائه وعثراته؟ أم يبقى مسترسلا سادرا تتكرر أخطاؤه وتتراكم دون اهتمام منه وانتباه؟ من ناحية أخرى هل يمتلك شجاعة التراجع والاعتذار عن الخطأ؟ أم يصر عليه؟ أو يتهرّب من تحمل المسؤولية تجاهه؟ ثم إن خطأ الإنسان قد يكون تجاه نفسه، أو تجاه ربه، أو تجاه الآخرين من أبناء جنسه. وحديثنا الآن مخصص لبحث هذا القسم الأخير.

### اتهام الذات قبل الآخرين:

حينما يحصل خلل في العلاقة بين الإنسان وآخرين، فإنه غالبا ما يتنصل من المسؤولية، ويحمّل الطرف الآخر وزر ما حدث، فهو يبرء نفسه ويصدر حكما سريعا على الآخر بإدانته وتحميله مسؤولية الخلل. وهذا ينشأ من حب الذات، والدفاع عنها، والتعود على تبرير التصرفات والممارسات.

أما التفكير بموضوعية، والتعاطي بنضج ووعي، فهو يوجه الإنسان إلى اتهام ذاته أولاً، ومحاسبتها على هذا الأساس حتى يثبت العكس.

وإذا أخذ الإنسان هذه الفرضية بعين الاعتبار، وحاسب نفسه وناقش تصرفاته وتعامله، فقد يكتشف بالفعل أنه كان مخطئاً بحق الآخر، أو أنه شريك في الخطأ، ويتحمل نسبة معينة منه.

ويرينا القرآن على هذه المنهجية السليمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

واكتشاف الخطأ هو الخطوة الأولى في طريق المعالجة والإصلاح، أما الخطوة الثانية والأهم، فهي إعلان تحمّل المسؤولية أمام الطرف الآخر، والاعتذار إليه من وقوع الخطأ تجاهه.

وهو موقف بطولي لا يصدر اختياراً إلا عن ثقة وشجاعة وعدالة وإنصاف. فالإنسان الذي يحترم نفسه لا يرى الخطأ جزءاً من شخصيته حتى يصعب عليه الاعتذار عنه، بل يراه غباراً ووسخاً يرتاح بإزالته والتخلص منه.

وتحمّل مسؤولية الخطأ مظهر رفيع للالتزام العدل وممارسة الإنصاف، حيث يكون الإنسان في جانب الآخر مقابل ذاته. وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «غاية الإنصاف أن ينصف المرء من نفسه»<sup>(٢)</sup>.

ويقول عليه السلام: «ألا إنه من ينصف الناس من نفسه لم يزد الله إلا عزاً»<sup>(٣)</sup>.

لماذا الاعتذار؟

(١) سورة يوسف الآية ٥٣.

(٢) الواحدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي ج ٢ ص ١٤٤.

الاعتذار يعني الإقرار بالخطأ، وطلب العفو والصفح من الطرف الآخر.  
قال الجرجاني: الاعتذار: محو أثر الذنب.  
وقال الكفوي: الاعتذار إظهار ندم على ذنب تُقرُّ بأن لك في إتيانه عذرا.  
وقال المناوي: الاعتذار: تحري الإنسان ما يمحو أثر ذنبه<sup>(١)</sup>.  
والاعتذار سلوك حضاري يدل على احترام الإنسان لنفسه، وتقديره  
لغيره. وينطوي على فوائد وعوائد كثيرة من أهمها:

١. الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه يشكل رادعا للإنسان عن تكراره، لأن  
الإقدام على هذه الخطوة يكتنفها ضغط وعناء نفسي، فليس سهلا على  
الإنسان أن يقف موقف الإقرار والاعتذار من الآخرين، فهو نوع من  
العقوبة الاختيارية يفرضها الإنسان على نفسه، مما يخلق لديه حساسية  
وحذرا من الوقوع في حالة مشابهة، ويجعله يعيد النظر في الأسباب  
والعوامل التي أوقعته في الخطأ، وذلك سبيل لإصلاح النفس ومعالجة  
سلبيات السلوك.

بعكس ما إذا مرّ الإنسان على خطئه مرور الكرام، ولم يشعر بأي  
مضاعفات أو نتائج مؤذية، فقد يستهين بالأخطاء حينئذ، ويستسهل  
ارتكابها.

٢. وهو محاولة لإصلاح الخلل الذي أحدثه الخطأ، وتدارك مضاعفاته  
على الآخرين، كما يشكل نوعا من إعادة الاعتبار لمن وقعت عليه  
الإساءة، وأداء لحقه. يقول الإمام علي عليه السلام: «حسن الاعتراف يهدم

---

(١) مجموعة من المتخصصين: موسوعة نضرة النعيم ج ٢ ص ٣٨٩ الطبعة الأولى ١٩٩٨م دار  
الوسيلة، جدة.

الاعتذار»<sup>(١)</sup>.

٣. والاعتذار ينزع فتيل الغضب من نفس الطرف الآخر، ويطفىء نار العداوة، ويحتوي الأزمة والتشنج. إن أكثر النزاعات والخصومات المترتبة على تصرفات خاطئة يمكن حلها وتجاوزها عن طريق كلمة اعتذار رقيقة، تشيع في نفس الطرف الآخر الرضا، وتشعره بإعادة الاعتبار.

٤. ولا يسود هذا الخلق الحضاري الرفيع إلا عبر المبادرة لممارسته من قبل الواعين الناضجين، إن التزام أي فرد به وخاصة إذا كان في موقعية مرموقة، يشجع الآخرين من حوله على التخلق به، فإذا رأى الأبناء شجاعة أبيهم في الاعتذار إليهم عن زلل صدر منه تجاههم، فإنهم سيقفون به في تعاملهم مع الآخرين، وإذا لاحظ العاملون في أي مؤسسة أن كبار الموظفين يتحملون مسئوليتهم تجاه الأخطاء ويعتذرون عنها، فإنهم سيسيروا على نفس النهج، وهكذا بالنسبة لسائر الموقعات والمناصب القيادية في المجتمع.

إن كل من يتمنى ويرغب أن يتعامل معه الآخرون بهذا الأسلوب المريح، عليه أن يبادر هو بانتهاجه مع الآخرين، ليترسخ كمبدأ في العلاقات الاجتماعية، وكقيمة أخلاقية سامية.

٥. الفوز برضوان الله والأمن من عقابه يوم القيامة، وذلك بالتخلص من حقوق الناس وظلاماتهم، حيث تؤكد النصوص الدينية: أن الله تعالى لا يتساهل في حقوق الناس على بعضهم البعض، كما روي عن رسول

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤٢٠.

اللَّهِ ﷻ: «أما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة»<sup>(١)</sup>.

ومثله ما ورد عن الإمام علي ﷺ: «وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص هناك شديد، وليس هو جرحاً بالمدى، ولا ضرباً بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه»<sup>(٢)</sup>. وعن الإمام جعفر الصادق ﷺ: «في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ قال: فنظرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»<sup>(٣)</sup>.

وتشير عدة أحاديث مروية عن الرسول ﷺ إلى أن أصحاب المظالم والحقوق يأخذون من حسنات الإنسان يوم القيامة، حتى إذا انتهت كل حسناته توضع عليه من سيئاتهم مقابل حقوقهم عليه<sup>(٤)</sup>.

إن بإمكان الإنسان أن يتخلص من كثير من الظلمات عبر لحظة اعتراف، وكلمة اعتذار، فيوفر على نفسه العناء والعذاب الشديد يوم القيامة.

### خلفيات الامتناع:

لماذا يصعب على الكثيرين من الناس تدارك أخطائهم بتقديم الاعتذار إلى المتضررين؟ ولماذا التردد والامتناع عن انتهاج هذا المسلك الحضاري؟ يبدو أن هناك خلفيات نفسية وثقافية واجتماعية يمكن اعتبارها عوائق وموانع من انتشار هذا الخلق الكريم.

(١) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ٥ ص ٦٠١.

(٢) المصدر السابق ص ٦٠٢.

(٣) المصدر السابق ص ٣٤٩.

(٤) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ٣ ص ٥٠٦ حديث رقم ٧٦٤٢، ٧٦٤٣، ٧٦٤٤.

أولاً: التفكير والتصور الخاطيء بأن الاعتذار عن الخطأ يشكل حالة ضعف وهزيمة لشخصية الإنسان، وفي الحقيقة قد يكون ذلك صحيحاً لأول وهلة، وفي الظاهر، لكن واقع الأمر، إنه يكشف عن ثقة بالنفس، وشجاعة في الموقف، وهو يتشغل الإنسان من موقع الضعف الذي انحدر إليه بخطئه، إلى موقع القوة الذي يرتقيه باعتذاره، وبالتالي فإنه كسب وانتصار للإنسان على المدى البعيد.

ثانياً: التعصب للذات بتبرير أخطائها والدفاع عنها حتى في الزلات والعثرات، وذلك ما يعبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادِ﴾<sup>(١)</sup>.

إنه لا يعترف على نفسه بالخطأ، ولا يقبل لذاته أن يكون في موضع الإقرار و الاعتذار، إنه المحق دائماً و أبداً، والمصيب في كل مواقفه و تصرفاته، و إن كان في أعماق نفسه مدركاً لباطله و انحرافه، لكن العزة الآثمة، والعصية الجاهلية لا تسمح له بالتراجع و التدارك.

ثالثاً: التعالي والشعور بالرفعة والتفوق: وخاصة إذا ما أخطأ الإنسان تجاه من يعتقد أنهم أقل منه شأنًا ومكانة، فإنه يأنف ويستثقل طلب المعذرة منهم.

وفي الواقع فإن جوهر الأخلاق الفاضلة، وحقيقة النبل والسمو، إنما تتجلى في مثل هذه المواقف، إذ ليس فخراً كبيراً أن يعتذر الإنسان لمن هم أقوى منه، وأرفع شأنًا ومنزلة، فقد تكون

(١) البقرة الآية ٢٠٦.

الظروف تفرض عليه ذلك، أو تدفعه بهذا الاتجاه، لكن الفضل والمجد هو في حسن التعامل مع الضعفاء، وأداء حقوقهم، والتزام مكارم الأخلاق تجاههم.

رابعًا: الثقافة العامة والأجواء الاجتماعية: حيث قد تسود المجتمع ثقافة التفاخر والتباهي، وأجواء العصبية والمزائدات، مما يجعل الأفراد منساقين ضمن هذا التيار العام.

تماما كما نقرأ في تاريخ العرب قبل الإسلام، وكيف كانت تحكمهم العصبية القبلية، ومشاعر الاعتزاز والفخر تجاه بعضهم البعض، وكانوا يمارسون مبدأ (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) بمعناه الحرفي، ويستجيبون لمبالغات شعرائهم التي كانت تملأ نفوسهم بالزهو، وترزين لهم مواقف التصلب والتعالي على الآخرين.

فهذا أحدهم يقول عن قبيلته:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

ويقول آخر:

وإننا أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ويقول ثالث:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخرله الجبابر ساجدنا

ولا تزال رواسب هذه الثقافة الجاهلية، وروح التعالي والتعصب، تلعب دورها في نفوس أبناء الأمة العربية إلى اليوم.

وإلا فكيف تفسر خطابات رئيس النظام العراقي صدام، ومقولات وسائل

إعلامه؟

إنه يتحدث عن تفوق العراق، وعن سحق قوى الاستكبار، وعن أم المعارك، وأعظم الانتصارات التاريخية، بينما يعيش نظامه في أسوأ عزلة، ويرزح شعبه تحت أبشع حصار.

ومع كل المآسي التي أوقعها بالعراق والأمة العربية والإسلامية، عبر حربه الظالمين ضد إيران واحتلال الكويت، فإنه يرفض الاعتذار عن خطئه، ويكرر مقولاته الشريرة!!

كما تتمظهر رواسب الثقافة الجاهلية في مجتمعاتنا بأشكال متعددة ومختلفة، على مستوى الأفراد والتجمعات والمجتمعات.

### قبول الاعتذار:

أن يقدم المخطئ اعتذاره، تلك خطوة رئيسية هامة لتجاوز الخصام و تحقيق الوثام، لكنها يجب أن تقابل بخطوة إيجابية من الطرف الآخر، وهي قبول الاعتذار والصفح عن الإساءة، لتكون ثمرة الإصلاح والوديانعة ناضجة. ولماذا لا يقبل الإنسان عذر الآخرين، و هو معرض لأن يصدر منه ما صدر منهم؟

وأي عقوبة يريد إيقاعها بالطرف الآخر أشد من هذه العقوبة المعنوية، حيث أقر له بالذنب، و اعترف تجاهه بالحق، وتقدم إليه بطلب المعذرة والصفح؟

ثم أي كسب يسعى لنيله أكبر من هذا الكسب الاجتماعي، إذ أصبح في موقع المرتجى والملمس منه، واتضح أحقيته أمام الناس؟

يقول الشاعر:

ولعمري لقد أجلك من جاء مقرا بذلة الاعتراف  
إنه إذا تنكر لكل ذلك و أصر على رفض الاعتذار، فقد تتأثر موقعيته عند الله  
وفي أعين الناس، ويتحول من مركز القوة إلى موقع الضعف، ويتوجه إليه  
اللوم والإدانة لتصلبه وشدته.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد  
أتاه فلم يقبل منه لم يرد عليّ الحوض غداً»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «من لم يقبل العذر من متنصّل صادقاً كان أو  
كاذباً لم ينل شفاعتي»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام علي ﷺ: «أعقل الناس أعذرهم للناس»<sup>(٣)</sup>.

ويقول ﷺ: «اقبل اعتذار الناس تستمتع بإخائهم»<sup>(٤)</sup>.

وورد عن الإمام علي ابن الحسين زين العابدين ﷺ أنه قال: «ان شتمك  
رجل عن يمينك ثم تحوّل إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره»<sup>(٥)</sup>.

ويقول الشاعر:

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه وكان الذي لا يقبل العذر جانيا

(١) الهندي: علي المتقي كنز العمال ج ٣ ص ٣٧٨ حديث رقم ٧٠٣.

(٢) المجلسي: محمد باقر بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤٧.

(٣) الأمدي التميمي عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المجلسي: محمد باقر بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٤١.

## أخلاقيات التحضر:

في الأمم المتحضرة و العالم المتقدم، يسود هذا الخلق الحضاري، و على أعلى المستويات، لأن الأجواء العامة لديهم من سياسية وإعلامية وثقافية تدفع بهذا الاتجاه.

فإذا ما حصل خلل أو خطأ في أداء أي مؤسسة أو جهاز فإن صاحب القرار فيها يعلن تحمله للمسؤولية، ويقدم اعتذاره، و قد يستقيل من منصبه.

ففي كوريا الجنوبية مثلاً أدى تصادم قطار مع حافلة إلى وفاة عدد من الركاب، قبل فترة، فأعلن وزير المواصلات اعتذاره عن الحادث، وقدم استقالته.

وقبل أيام حينما فشلت القوات الإسرائيلية في اعتقال المجاهد محمود أبو هنود أحد القادة العسكريين لحركة حماس، وتسبب ذلك في مقتل ثلاثة جنود إسرائيليين، فإن رئيس القوة البرية الإسرائيلية أعلن تحمله لكامل المسؤولية واستقال من منصبه. بالطبع إن اليهود يلتزمون بهذه الأخلاقيات مع بعضهم البعض، أما في تعاملهم مع الآخرين، فمحكوم بعنصريتهم وعدوانيتهم البشعة.

وعلى مستوى الدول والأمم فقد أعلنت اليابان في العام الماضي اعتذارها عن الفظائع التي ارتكبتها جنودها ضد كوريا وتايلاند والصين إبان الحرب.

كما قدمت ألمانيا الاتحادية عدة مرات اعتذارات رسمية للعديد من الدول الأوروبية ولليهود عن جرائم النازيين. وقدم الرئيس الأندونيسي عبدالرحمن وحيد اعتذاره عن العنف الذي مارسته القوات الأندونيسية ضد سكان تيمور الشرقية طيلة ٢٤ عاماً من الاحتلال.

وحتى رأس الكنيسة الكاثوليكية البابا بولس الثاني أعلن اعتذاره في العام المنصرم عن الكنيسة والتجاوزات التي ارتكبتها المسيحيون تجاه الأمم الأخرى، وفي خلافاتهم الداخلية.

### صور ونماذج:

ونجد في تاريخنا الإسلامي وسير العلماء والأولياء صوراً مضيئة، ونماذج مشرقة للالتزام بهذا الخلق الكريم، فقد بعث رسول الله ﷺ أحد القادة العسكريين من أصحابه، وهو خالد بن الوليد، في السنة الثامنة للهجرة بعد فتح مكة على رأس فرقة من الجيش صوب إحدى القبائل للدعوة إلى الإسلام، ولم يأمره بقتالهم، بعثه داعياً ولم يبعثه مقاتلاً لكنه أساء التصرف، وارتكب خطأً كبيراً بقتلهم وسلبهم.

قال ابن الأثير: فلما انتهى الخبر إلى النبي ﷺ، رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد!».

ثم أرسل علياً ومعه مال وأمره أن ينظر في أمرهم، فودى لهم الدماء والأموال حتى إنه ليدي ميلغة الكلب، وبقي معه من المال فضلة، فقال لهم علي: هل بقي لكم مال أو دم لم يودّ؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيتكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله ﷺ، ففعل. ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: أصبت وأحسن<sup>(١)</sup>. وفي رواية قال لعلي ﷺ: أعطيتهم ليرضوا عني رضي الله عنك<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ ج ١ ص ٦٢٠ الطبعة الرابعة ١٩٩٤م مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٤٢. ووردت هذه الحادثة في صحيح البخاري في الحديث رقم ٤٣٣٩ ورقم ٧١٨٩.

وجاء في سيرة الإمام السيد محمد حسن الشيرازي المعروف بالمجدد (١٢٣٠هـ - ١٣١٢هـ) والذي كان المرجع الديني والزعيم البارز أنه في درسه العلمي، طرح مسألة ذات يوم فأشكل عليه تلميذه الشيخ محمد كاظم الخرساني صاحب كفاية الأصول، ودار بينهما نقاش سكت التلميذ في نهايته، وفي اليوم التالي بدأ الميرزا الشيرازي درسه بالاعتذار من تلميذه والإقرار بأن الحق في المسألة كان معه.

ودار نقاش مرة بين عالَمين أحدهما يدعى الملا خليل القزويني والآخر الفيض محسن الكاشاني المعروف، واحتدم بينهما الجدل، وكان القزويني حاداً في نقاشه وردوده، وانتهى الجدل دون نتيجة، وذهب الشيخ القزويني إلى بلده قزوین، وبحث المسألة أكثر وراجع نفسه، وتبين له أنه كان مخطئاً في رأيه وموقفه، فبادر للسفر إلى كاشان منتصف الليل وطرق باب الشيخ محسن الكاشاني عند الفجر، وحينما سأل الشيخ محسن من الطارق؟ قال الملا خليل: يا محسن قد أتاك المسيء، ثم اعتذر إليه واعترف له بالحق فيما دار بينهما من نقاش. فقال له الفيض: ولماذا كلّفت نفسك عناء السفر في هذا الوقت؟ فأجاب: ما دمت اكتشفت خطأي فإن ضميري لا يرتاح ونفسي لا تستقر قبل أن أقر لك بالخطأ وأتقدم إليك بالاعتذار.

وكان عندنا في القطيف عالم فاضل هو الشيخ فرج العمران (١٣٢١هـ - ١٣٩٨هـ) رحمه الله، والذي كان من سجايه الطيبة أنه حينما يختلف مع أحد في مسألة علمية دينية، ثم يتبين له خطأ رأيه وصواب رأي الطرف الآخر، فإنه يبادر إلى إعلان اعترافه وإقراره، أمام الطرف الآخر، بل ويسجل ذلك في مذكراته التي كان يطبع أجزاءها في حياته تحت عنوان (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية). ومن شواهد ذلك رسالة كتبها للشيخ علي بن يحيى رحمه الله

على أثر نقاش بينهما في مسألة علمية ثم ظهر له صحة رأي الشيخ بن يحيى،  
وأثبت الرسالة في الجزء السادس عشر من (الأزهار الأرجية) ص ٢٤٧.

كما ذكر في الجزء العاشر ص ١٩٠ نقاشاً بينه وبين الشيخ الميرزا محسن  
الفضلي رحمه الله حول مسألة فقهية، وأن الصواب كان مع الشيخ الفضلي،  
كما تبين له فيما بعد.

إننا بحاجة إلى ممارسة هذا الخلق الحضاري في تعاملنا مع أبنائنا  
وعوائلنا، وفي تعاطينا مع المحيطين بنا، من زملاء عمل وأصدقاء، وأشخاص  
يعملون تحت إدارتنا ومسئوليتنا.

وكبار المجتمع وزعاماته وشخصياته أولى وأجدر بالتحلي بهذا الخلق  
الرفيع، ليكونوا قدوات لبقية الناس وسائر المواطنين.



## بناتنا في طريق العلم

كلمة الجمعة بتاريخ ١٧ جمادى الثاني ١٤٢١ هـ



مهمة إعمار الأرض واستثمار الخيرات المودعة في الكون، موكولة للإنسان بشقيه الذكر والأنثى، فحينما يقول الله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>(١)</sup> - أي طلب منكم وأوكل إليكم عمارة الأرض - وحينما يقول تعالى: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>. فإن هذا الخطاب والذي جاء في القرآن الكريم مكررا وبصيغ مختلفة، موجه ليس إلى الرجال فقط وإنما هو عام لأفراد البشر رجالا ونساء.

ومن أساسيات القيام بهذه المهمة، والاضطلاع بدور إعمار الأرض، تحصيل العلم والمعرفة، فبالعلم يكتشف الإنسان قدراته، ويتعرف على ثروات الكون، ويبتكر وسائل وسبل استثمارها والاستفادة منها.

وقد وهب الله تعالى قابلية المعرفة، وملكة الاستيعاب والتعلم للزوجين الذكر والأنثى، ولم يختص أحدهما دون الآخر، وذلك لكي تشارك المرأة الرجل في كسب العلم والمعرفة، وفي جهود التنمية والإعمار.

فالمرأة كالرجل توازيه في إنسانيته، وتشاركه في القيام بدور الخلافة، وتحمل مسؤولية عمارة الأرض، وقد منحها الله تعالى كالرجل نعمة العقل، وقدرة الإدراك والمعرفة، ولا تختلف عنه في كونها تملك استعدادا وقابلية

(١) سورة هود الآية ٦١.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٠.

تامة لإدراك الحقائق والمفاهيم، وتملك - كالرجل - القدرة على العلم والتعلم والسير في هذا الطريق إلى أقصى غاياته.

بل إن دماغ النساء يحتوي على خلايا الدماغ المسماة العصبونات بنسبة تزيد حوالي ١٠٪ عن دماغ الرجال، بالرغم من أن الرجال بصفة عامة أكبر حجماً من النساء وأدمغتهم كذلك أكبر حجماً<sup>(١)</sup>.

وقد نشرت الدكتورة (كيمورا) الباحثة في الأسس العصبية والهرمونية للوظائف الفكرية - الذهنية - لدى الإنسان، وهي أستاذة في علم النفس في جامعة غربي أونتاريو، نشرت بحثاً علمياً حول الفوارق في الدماغ بين الجنسين، أكدت فيه وجود تفاوت متبادل في بعض الجوانب والمهارات، حيث يقابل تفوق كل طرف في جانب تفوق الطرف الآخر في جانب آخر، وخلصت إلى «أن الفوارق الجوهرية بين الجنسين تكمن في الطرز المختلفة للمهارات الفكرية التي يتمتع بها كل منهما أكثر مما هو راجع إلى المستوى العام للذكاء (حاصل الذكاء) فمن المعروف أن هناك تفاوتاً بين الناس في قدراتهم الذهنية: فمنهم من يبرع في الجوانب اللغوية ومنهم من يجيد الأعمال اليدوية، وهكذا يمكن لشخصين أن يتمتعا بمستوى واحد من الذكاء مع اختلاف في نمط المهارات التي يجيدها كل منهما»<sup>(٢)</sup>.

### نساء رائدات:

وفي مختلف حقول العلم والمعرفة، وساحات الإنتاج والتنمية،

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية ١٩٩٩ هـ - الرياض، السعودية ج ١٠ ص ٣٦٦.  
(٢) كيمورا، الدكتورة، الفوارق في الدماغ بين الجنسين، مجلة العلوم - الترجمة العربية لمجلة العلوم الأمريكية - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، المجلد ١٠، العدد ٥، مايو ١٩٩٤ م ص ٧٦.

هناك عطاء وإسهام مميز قدمته نماذج نسائية رائدة، شاركت في صنع أروع الإنجازات العلمية والتكنولوجية.

ففي هذا العام، أسند كوفي عنان السكرتير العام للأمم المتحدة إدارة برنامج الأمم المتحدة لاستخدام الفضاء الخارجي للأغراض السلمية إلى البروفسورة الماليزية المسلمة (مازلان عثمان) عالمة الفلك المعروفة عالمياً.

و (مازلان عثمان) أستاذة في أكاديمية العلوم الماليزية، كما أنها أستاذة في المعهد الفيزيائي التابع للجمعية الملكية لعلوم الفلك، وفي المؤسسة الماليزية للعلوم. وقد تقلدت مؤخرًا الدكتوراه الفخرية من جامعة أوتاجو.

وبالإضافة إلى مناصبها الأكاديمية والبحثية والدولية، فإنها متزوجة، وقد رزقها الله ولداً وبتناً.

وحتى تعيينها في المنصب الجديد، عملت مديرة لقسم العلوم والدراسات الفضائية في ماليزيا، وسبق أن قامت بتدريس العلوم الفيزيائية في جامعة أوتاجو ودوندين في نيوزلندا، كما حصلت على منحة لنبوغها؛ من جامعة كولومبو حصلت على إثرها على إجازة في العلوم الفلكية الطبيعية.

وأسهمت في إنشاء قسم علوم الفضاء التابع للحكومة الماليزية، وشغلت منصب المدير العام للبرنامج الوطني الماليزي لعلوم الأقمار الصناعية الذي تمكن من تصنيع القمر الصناعي الماليزي (تيونج سات) الذي أطلق في مطلع عام ٢٠٠٠ الحالي. وقد ألقت العديد من الكتب والأبحاث في أبحاث الفضاء والفيزياء، فضلاً عن أبحاثها المتعلقة بتحقيق التنمية المستدامة، وأسهمت أيضاً في جهود فريق الخبراء الماليزيين المختص بدراسة موجات الجاذبية

في الفضاء<sup>(١)</sup>.

ومن النماذج الرائدة المهندسة زهاء حديد والتي تعتبر الآن أشهر المهندسين المعماريين العالميين وهي مسلمة عربية عراقية، وقد فازت على ٢٧٠ مهندسا عالميا في تصميم بناء جسر لندن، واستهوتها الهندسة المعمارية منذ صغرها، لكن رئيس كلية الهندسة في بغداد رفض قبولها بعد إكمالها الثانوية، باعتبارها فتاة لا تصلح لمهنة الهندسة الرجالية - حسب رأيه - ونصح والدها أن تتوجه ابنته بموهبتها نحو الرسم، لكنها أصرت على طموحها، والتحقت بالكلية المعمارية في لندن، واحتلت فيما بعد لفترة سنة، كرسي الأستاذية في كلية الهندسة في جامعة هارفرد، وفازت على أشهر المعماريين الغربيين - (٥٣٨) مهندسا - بتصميم بناية (القمة) في هونغ كونغ عام ١٩٨٢ م، كما فازت على ٩٧ مهندسا عالمياً بتصميمها لبناء متحف الفنون الحديثة في ولاية سينسيناتي الأمريكية<sup>(٢)</sup>.

### الإقبال على التعليم:

ونلاحظ لدى بناتنا رغبة جامحة وإقبالا كبيراً على التعليم، فعدد الطالبات في المملكة يزيد على المليونى طالبة، ويصل عدد الجامعات منهن إلى أكثر من ١٢٦ الف طالبة يدرسن في مختلف التخصصات العلمية والأدبية.

ويتجلى هذا الشوق العلمي لدى بناتنا بتزاحمهن على التسجيل من أجل السبق بإحراز فرص الدراسة، حيث ضاق استيعاب الجامعات والكليات عن نسبة كبيرة منهن، وحتى من ذوي المعدلات الرفيعة ما فوق ٩٠٪.

(١) النور - العدد ١٨٤، ربيع الآخر ١٤٢١، يوليو ٢٠٠٠ - مجلة شهرية، بيت التمويل الكويتي.

(٢) الحياة، جريدة يومية، لندن - عدد ١٣٠٤٧ - ٢٣ نوفمبر ١٩٩٨ م - عدد ١٢٣٠٨ - ٦ نوفمبر ١٩٩٦ م.

كما ويتحمل قسم منهن عناء الغربة والابتعاد عن الأهل من أجل مواصلة الدراسة الجامعية. وبالطبع فإن ابتعاد الفتاة عن بيتها وأهلها يسبب لها مشاكل كثيرة ويضعها أمام تحديات صعبة.

ونأمل أن تتمكن الجهات المشرفة على تعليم البنات بعون الله تعالى وفي المستقبل القريب من زيادة قدرة الاستيعاب للراغبات في الدراسة الجامعية، ومن توفير فرص الدراسة للبنات في مناطقهن، فذلك أيسر لهن وأدعى للحفاظ على أجواء الصلاح والالتزام.

### تحديات الاغتراب:

في الوقت الذي نقدر فيه لبناتنا رغبتهن وشوقهن للدراسة حتى ولو استلزمت عناء الغربة ومشاق السفر، فإننا نلفت النظر إلى التحديات التي تواجه الفتاة حينما تبتعد عن أهلها، وتقيم في منطقة أخرى لمواصلة دراستها، وذلك من أجل أن تأخذ الفتاة استعدادها لمواجهة هذه التحديات، وأيضا لكي تقوم العائلة والمجتمع بالدور المطلوب لمساعدتها في تجاوز هذه المرحلة الهامة. صحيح أن المواطن ما دام في ربوع وطنه، وتحت رايته الخفاقة لا يعتبر غريبا، لكن مفارقتة لمنطقته ومجتمعه وأهله هو نوع من الغربة.

واغتراب الفتاة للدراسة الجامعية يأتي في فترة حساسة من حياتها، حيث تكون في أوج مرحلة المراهقة، وذروة نضجها الجسمي والعاطفي مما يجعلها بأمس الحاجة إلى أجواء الرعاية والتوجيه، تماما كأخيها الشاب الذي يعيش نفس الحالة في مرحلة شبابه.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأجواء الإعلامية المفتوحة، من قنوات فضائية، وشبكات الإنترنت، ومختلف وسائل الاتصالات الإعلامية والثقافية،

والتي تمارس التحريض للشهوات، والإثارة للأحاسيس والعواطف، وخاصة  
لجيل الشباب والشابات. وإذا ما علمنا أن هناك عناصر شريرة فاسدة تتحين  
الفرص بأعراض الناس، وتستخدم وسائل الإغراء والخداع لتحقيق رغباتها  
السيئة. حينئذٍ ندرك مدى التحدي الذي تواجهه بناتنا المغتربات.

لذلك نلفت أنظارهن إلى الملاحظات التالية:

أولاً: التركيز الدراسي والعلمي: فالهدف يجب أن لا يكون مجرد  
الحصول على شهادة، أو الوصول إلى وظيفة، بل ينبغي أن تبذل الفتاة قصارى  
جهدا لكي تستوعب موادّ دراستها، وأن تكون متفوقة في مستواها، وأن تفكر  
في مواصلة دراساتها العليا، لتصل إلى مستوى العطاء والإنتاج العلمي.

وقبل فترة تحدثت الصحف عن طالبة سعودية طموحة (حياة سندي)  
والتي كانت تدرس الطب في جامعة الملك عبد العزيز بجدة ثم التحقت  
بجامعة كامبردج في لندن، وأثارت أساتذتها بنبوغها واجتهادها وابتكاراتها  
العلمية، فقدّمت لها وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) عروضاً للعمل معها،  
وأصبحت أول عربية تحظى بمنحة دراسية من جامعة كامبردج لتحصيل درجة  
الدكتوراه في التكنولوجيا الحيوية، كما كانت أصغر طالبة ترسلها الجامعة بعد  
أربعة أشهر فقط من بدء الدراسة فيها لحضور مؤتمر علمي فازت فيه بأفضل  
التقارير من الحاضرين على مساهمتها هناك<sup>(١)</sup>.

إن كل طالبة من بناتنا تمثل مشروعاً للتفوق والتقدم، شريطة توفر الطموح،  
والاهتمام الجادّ بالدراسة والعلم، ومادامت البنت تدفع ثمناً كبيراً من راحتها  
الجسمية والنفسية في تغربها للدراسة، فعليها أن تأخذ في المقابل أكبر قدر من

(١) الشرق الأوسط، جريدة يومية، لندن ١٠، ٢، ١٩٩٩ م.

الفائدة والكسب، ولا ترضى بإضاعة وقتها في الأشياء الثانوية والتافهة.

**ثانياً: التكيف الاجتماعي:** اختلاف نمط الحياة الاجتماعية من الوسط العائلي إلى الوسط الجامعي، يعتبر من التحديات الصعبة التي تواجه الفتاة، فبعد أن كانت تعيش مع عائلتها ضمن جو مألوف لديها، تتلقى فيه كل رعاية وعون، تنتقل إلى سكن داخلي في الجامعة، أو ضمن مجمّع للطالبات، لتجد نفسها في وسط جديد، تحتاج فيه إلى الاعتماد على نفسها، وإلى التكيف مع العناصر الجديدة من زميلاتها في السكن والجامعة اللاتي قدمن من بيئات مختلفة، في بعض عاداتها وتقاليدها وأنماط حياتها وأساليب تعاملها، وعلى الفتاة هناك أن تكون في مستوى التحدي، فتتحلى بسعة الصدر، ورحابة النفس، وتستوعب هذا المتغير الاجتماعي في حياتها، فتعتمد على ذاتها، وتقابل مدرساتها وزميلاتها والعناصر الإدارية المرتبطة بدراستها أو سكنها بأخلاق طيبة، واطمئنان سلوكي.

وقد سمعت من العديد من إدارات المجمعات السكنية للطالبات خارج المنطقة، ومن بعض الطالبات شكاوى كثيرة ترتبط بموضوع العلاقات الشخصية بين الطالبات اللاتي يشتركن في غرفة واحدة أو سكن واحد، إن على كل واحدة أن تقدّر ظروف الأخرى، وتفهم أوضاعها النفسية في هذه المرحلة الصعبة، وتمدّ لها يد العون والدعم، وأن تتحمل ما قد يصدر منها من هفوات وأخطاء.

**ثالثاً: الالتزام الأخلاقي والسلوكي:** وهو أخطر تحدٍ تواجهه الفتاة المغتربة، حيث تنقطع عنها رعاية وإشراف أسرتها ولا تشعر برقابة اجتماعية، وقد تصحبها زميلات غير متزنات، أو تحيط بها أجواء غير صالحة، فإذا كانت تمتلك الوعي الديني، والنضج في الشخصية، فإنها ستمسك برزانتها

وكرامتها، وهذا ما نرجوه لكل بناتنا العزيزات.

لأن الخيار الآخر وهو الاستجابة للإغراءات، والانطلاق مع الأهواء والشهوات سيكلف الفتاة عزاها ومستقبلها وستدفع هي الثمن الباهض لا سمح الله.

فلتحفظ الفتاة دينها وشرفها، ولتكن في مستوى ثقة أهلها بها، ولا تضيع تربيتهم لها، ولا تشوه سمعة المجتمع الذي تنتمي إليه، فإن البعض من الناس إذا رأى تصرفات شاذة ولو من عناصر قليلة، فإنه يأخذ من ذلك انطباعاً سيئاً عن كل المجتمع والمبدأ الذي تنتسب إليه هذه العناصر، وكما يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا».

### إشراف العائلة:

مهما كانت ثقة العائلة بابنتها، وبإدارة المجمع الذي تسكنه، فإن ذلك لا يغني عن تواصل العائلة وتفقدتها لشؤون البنت، فتواصل العائلة يوفر زخماً عاطفياً للبنت ويرفع معنوياتها أمام ما قد يواجهها من مشاكل، ويؤكد في نفسها دائماً حالة الارتباط العائلي وما تعنيه من قيم وشيم، وكذلك فإن تواصل العائلة مع إدارة المجمع السكني يشعر المسؤولين فيها باهتمام العوائل ببناتهم، وإذا ما تلقت إدارة المجمع اتصالات منتظمة من عائلة ما لتفقد شؤون ابنتهم، وللتأكيد على رعايتها، فإن ذلك يشجعهم على الانتباه والالتفات أكثر لأوضاعها وللعناية بها.

وقد أكد هذه الحقيقة أكثر من مسؤول في إدارة مجتمعات الطالبات، كانوا يتعجبون من أن كثير من العوائل تهمل بناتها، ولا تبدي أي اهتمام يذكر تجاه إدارة المجمع، بل ولا يتفاعلون مع الملاحظات التي تقدم لهم عن وضع البنت

أو سلوكها، وقد تأخذ العائلة موقفا سلبيا من المجمع إذا أبلغت بأي ملاحظة. وتواصل العائلة يكون عبر زيارة الأب أو الأم أو أحد المعنيين بأمر البنت، ولو مرة في السنة الدراسية، ليتعرفوا عن قرب على أوضاعها، والأجواء التي تعيشها هناك.

أو على الأقل بالاتصال التلفوني معها ومع إدارة المجمع لمناقشة أمورها، وإبداء الاهتمام والرعاية لها.

### إلى إدارة المجمعّات:

وجود مجمّعات سكنية للطالبات أمر جيد، وأفضل بكثير من السكن في شقق مستقلة متناثرة، وخاصة إذا كانت إدارة المجمع تعي مسؤوليتها الدينية والاجتماعية، ولا تتعامل مع المسألة كمورد للربح والكسب المادي فقط.

إن المسؤولين في هذه المجمعّات وهم من أبناء المجتمع، عليهم أن يدركوا أن هؤلاء الطالبات أمانة في أعناقهم، وأن الله تعالى سيحاسبهم على كل تقصير تجاههن، إن البنت في هذه المرحلة من العمر، وفي ظروف الغربية، ومع ضغوط الدراسة وأعبائها، تحتاج إلى الكثير من الدعم والمساعدة، خاصة وأن الظروف قد لا تسمح لها بالاعتماد على نفسها في الحركة خارج السكن.

إن الشاب حينما تصيبه وعكة صحية، أو يحتاج إلى الطعام أو أي خدمة أخرى، بإمكانه أن ينزل إلى الشارع يستقل أي سيارة أجرة وفي أي وقت، لكن البنت لا تستطيع ذلك، من هنا فإن على إدارة المجمعّات توفير أكبر قدر ممكن من الخدمة للطالبات.

كما أن التعامل مع مشاكلهن يجب أن يتصف بالمرونة والتفهّم، فهن من

عوائل مختلفة، وطباع وأمزجة متفاوتة، على الإدارة أن تستوعب كل ذلك برحابة صدر، وسعة أفق.

ونظرا لحساسية وضعهن كفتيات في هذه المرحلة من العمر، يجب العناية في اختيار العناصر الصالحة الملتزمة من الموظفين القائمين على شؤونهن من سائقين ومسؤولين.

كما ينبغي توفير الأجواء الصالحة، والبرامج المفيدة لنشر الوعي والتوجيه الديني والاجتماعي لهن، وإذا ما واجهت الطالبة أي مشكلة دراسية أو سلوكية، فعلى إدارة المجمع الاهتمام بذلك، والتفكير في المساعدة بحكمة وإخلاص. إن تعاليم الإسلام تحث على التعاون وقضاء الحاجة، وتقديم النصيحة، وتوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، والتعامل مع أوضاع الطالبات هو من أفضل وأجلى موارد انطباق تلك العناوين والتعاليم الإسلامية.

بقي أن نهيب بكل المخلصين الواعين في المجتمع ممن يستطيعون تقديم أي خدمة لمساعدة بنات وطنهم ومجتمعهم، في تخطي هذه المرحلة الحساسة بخير ونجاح، فإن عليهم أن لا يتوانوا في ذلك. إن زيارة أي عالم ديني، أو شخصية اجتماعية واعية، للمجمعات السكنية للطالبات لها أثر طيب ووقع جميل في نفوسهن، وكذلك إيصال وسائل الإرشاد والتوجيه من كتب ومحاضرات نافعة.

## الوظيفة خدمة وأمانة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٣ جمادى الثاني ١٤٢١هـ



لا بد لإدارة شؤون المجتمع من جهاز وظيفي، فأى قائد مهما كانت قدراته وكفاءاته لا يستطيع إدارة الأمور بجهد وطاقته الشخصية المباشرة، وأي إدارة لعمل واسع متشعب تحتاج إلى الاستعانة بموظفين.

والجهاز الوظيفي مهم وحساس لأنه يشكل القناة بين الحاكم والناس، فعبره تصل أمور الناس وقضاياهم إلى الحاكم، وبواسطته تنفذ الأنظمة والقوانين، فإذا كان الجهاز الوظيفي صالحا ويعمل بشكل سليم، انتظمت أمور الناس وفق النظام والقانون، أما إذا أصابه الفساد والخلل، فستضطرب أمور العباد والبلاد، وتتعرثر الأنظمة والقوانين، ولن يغني صلاح الحاكم ولا يعوّض عن فساد الجهاز الإداري.

### حسن الاختيار:

ومن أجل أن يؤدي الجهاز الإداري والتنفيذي دوره على أحسن وجه، لا بد من حسن الاختيار وخاصة لذوي المراتب المتقدمة، والمناصب العليا، وتركز النصوص الدينية على صفتين رئيسيتين يجب أن تتوفر في الموظف المسؤول: صفة الأمانة وصفة الكفاءة. والأمانة تعني أن يحافظ على الإمكانيات التي تكون تحت يده فلا يُصرف شيء منها إلا في موارد المقررة، وأن لا يسيء استخدام موقعه وصلحياته تبعاً لرغباته وميوله، وتنفيذاً لمآربه الشخصية وانتماءاته. والكفاءة تعني الجدارة والأهلية للمسؤولية الملقاة على عاتقه، يقول

تعالى عن لسان نبيه يوسف عليه السلام حينما رشّح نفسه لإدارة الاقتصاد في مصر: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد وصف نفسه بصفتين اعتبرهما مبررا لأهليته وصلاحيته للمنصب: أنه حفيظ أي أمين مؤتمن يحفظ ما يكون تحت يده من ثروات وإمكانيات، وعليم أي صاحب معرفة وكفاءة تمكنه من تحمّل المسؤولية وأداء المهمة.

وفي مورد آخر ينقل القرآن الكريم عن ابنة نبي الله شعيب عليه السلام، حينما اقترحت على أبيها توظيف نبي الله موسى عليه السلام للقيام بأمر خدمتهم، فركّزت على صفتين رأتهما في شخصيته تؤهلانه للوظيفة، يقول تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشر: «ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا - وفي نسخة اختيارا - ولا تولهم محاباة وأثرة»<sup>(٣)</sup>.

إن إعطاء الوظائف للمحسوبيات والمحاباة على حساب النزاهة والكفاءة لهو سبب من أهم أسباب الفساد والخلل في الأجهزة الوظيفية والإدارية في أية مؤسسة من المؤسسات.

### الرقابة والإشراف:

حينما يستلم الإنسان وظيفة من الوظائف، ويجد نفسه صاحب أمر ونهي ضمن صلاحيات منصبه، ويرى تحت تصرفه إمكانيات وسلطات، فسيكون أمام امتحان حقيقي، ينجح فيه الصالحون الواعون الذين يخافون ربهم،

(١) سورة يوسف الآية ٥٥.

(٢) سورة القصص الآية ٢٦.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب رقم ٥٣.

ويخشون حسابه وعقابه، بينما يتساقط في هذا الامتحان أصحاب النفوس الضعيفة، والذين يعتبرون المنصب والوظيفة فرصة ومجالاً لإشباع رغباتهم ونزواتهم، ولتحقيق مطامعهم، وتصفية حساباتهم مع الآخرين من خلال الموقع الذي تسلقوه.

وقبل أيام نقلت الصحف خبراً يعتبر عيّنة لما تعاني منه بلدان كثيرة من الفساد الإداري وسوء استخدام الوظيفة، وهو أن أحد كبار مسؤولي الشرطة في بومباي / الهند، عمد إلى إقفال مطعم صيني فخم اعتاد الأكل فيه مجاناً من دون أن يدفع. وكان سبب الإقفال أن مسؤول الأمن طلب حجز طاولة، إلا أن صاحب المطعم اعتذر لأن كل الطاومات محجوزة، فما كان منه إلا أن أرسل قوة أقفلته لتأخره لمدة ربع ساعة بعد الموعد المحدد للإقفال وهو الواحدة والنصف فجراً<sup>(١)</sup>.

وقد يكون هذا الإنسان الموظف صالحاً في بداية الأمر، لكن إغراءات المنصب، والفرص المتاحة أمامه قد تغريه، ويسوّل له الشيطان طريق الفساد، وإساءة استخدام الوظيفة، ويُلاحظ أن بعض الأشخاص تطراً على شخصيته تغييرات في سلوكه وأخلاقه بعد أن يتبوأ موقعا أو منصبا ربيعاً. كما يقول تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿١﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴿٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام علي عليه السلام: «الولايات مضامير الرجال»<sup>(٣)</sup>.

في مواجهة هذه الاحتمالات الواردة لا بد من رقابة وإشراف على سير أعمال الموظفين، وسلوكهم في ممارسة مهامهم، ووجود الرقابة يشكل رادعاً

(١) الحياة ص ٦ بتاريخ ٢١ جمادى الثاني ١٤٢١ هـ الموافق ١٩ سبتمبر ٢٠٠٠ م.

(٢) سورة العلق الآية ٦-٧.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - قصار الحكم ٤٤١.

عن الانحراف، كما تُكتشف عبرها كثير من الأخطاء والمفاسد والثغرات.  
ويروى عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله: «أنه كان رسول الله ﷺ  
إذا بعث جيشاً فأمرهم أمير بعث معه من ثقاته من يتجسس له خبره»<sup>(١)</sup>.

وفي عهده لمالك الأشرم يوصي الإمام علي عليه السلام برقابة العمال والموظفين  
فيقول: «وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم -العمال- فإن تعاهدك  
في السر لأموهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحفظ  
من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار  
عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة»<sup>(٢)</sup>. وعرف عن الخليفة  
الثاني عمر بن الخطاب رقابته الشديدة على الولاة ومحاسبته الصارمة على  
أخطائهم وتعدياتهم.

وفي كتاب الخراج أشار أبو يوسف القاضي إلى ضرورة هذا الأمر فقال:  
«وأنا أرى أن تبعث قوماً من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته  
يسألون عن سيرة العمال وما عملوا في البلاد... وإذا صح عندك من العامل  
والوالي تعد بظلم وعسف وخيانة لك في رعيتك... فحرام عليك استعماله»<sup>(٣)</sup>.

وقد تبلورت هذه الرقابة في تاريخ الدولة الإسلامية، وتحولت إلى  
مؤسسة تحمل عنوان ولاية المظالم أو ديوان المظالم، لتقوم بدور الإشراف  
والرقابة على موظفي الدولة وتقويم سلوكهم وممارساتهم الإدارية.

وفي العصر الحديث اعتمدت الدول الغربية هذا الأسلوب المؤسسي

---

(١) السبجاني: الشيخ جعفر، معالم الحكومة الإسلامية ص ٦٠٢ الطبعة الأولى ١٩٨٤م دار  
الأضواء - بيروت.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - كتاب رقم ٥٣.

(٣) السبجاني: جعفر، معالم الحكومة الإسلامية ص ٦٠٤.

في الرقابة والإشراف منذ قيام الثورة الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر بعنوان مجلس الدولة، وأطلقت عليه بعض الدول «القضاء الإداري» أي بعد أكثر من ألف سنة على قيامه في الدولة الإسلامية.

كما تلعب الصحافة ووسائل الإعلام الحرة دورا أساسيا في تلك الدول لملاحقة الأخطاء والمفاسد الإدارية.

### الموظف وتحدي المسؤولية:

للرقابة الإدارية، والإشراف الدقيق، دور في تقليص مفاصد الجهاز الوظيفي، لكن فرص الانفلات من تلك الرقابة، أو الالتفاف عليها، ليس معدوما أمام من تسوّل له نفسه خيانة الأمانة، والتلاعب بالمسؤولية، لذلك تشكو مختلف دول العالم اليوم من مشاكل الفساد الإداري، وأصبح يشكل ظاهرة عالمية.

تقول دراسة لمؤسسة (أرنست أنديونغ) للمحاسبة في لندن، حول موضوع الاحتيال على الشركات الدولية الكبرى: إنه يرتكب أربعة أعمال احتيال من كل خمسة على الشركات أشخاص يعملون في هذه الشركات، وغالبا ما يكونون موضع ثقة، وخدموا فترة طويلة. وجاءت الدراسة على شركات تعمل في (١١) دولة، وشملت (١٧) قطاعا، وأكدت أن الاحتيال يكشف صدفة، وليس عن طريق أنظمة الضبط والتحكم المعمول بها.

كما جاء في تقرير نشر في أمريكا بتاريخ ٢٤/١٢/١٩٩٥م أنه تبلغ خسائر سرقة الوقت من قبل العاملين والموظفين في أمريكا (١٧٠) مليار دولار سنويا، وبمعدل تسع ساعات أسبوعيا من كل عامل وموظف، ويتساوى الرجال والنساء في معدل السرقة من وقت العمل.

لذلك فإن من أفضل وسائل مواجهة هذه المشكلة إيقاض الشعور بالمسؤولية في ذات الموظف، بحيث يدرك أن الوظيفة أمانة شرعية ووطنية في عنقه، وأن أي خيانة أو تفريط فهو محاسب عليه أمام الله تعالى، ويشكل أضرارا بمصلحة وطنه ومجتمعه.

فمن الناحية الشرعية يعتبر الموظف ملتزما بعقد يؤدي بموجبه عملا معيناً يستحق عليه أجره محددة، وهو مؤتمن على مصالح وإمكانات يتحمّل مسؤولية الحفاظ عليها واستخدامها في مواردها المقررة بحسب نظام العمل. إن التقصير في القيام بمهام الوظيفة والعمل بسبب الكسل وحب الراحة، والانشغال بالأمر الشخصية في وقت العمل هو حرام شرعاً لما فيه من تفويت لمصالح الناس، حيث يعاني الكثير من المواطنين من مماثلة بعض الموظفين وتأخير إنجاز معاملاتهم، وإيذائهم بتكرار مراجعاتهم للدوائر، مع إمكان إنهاء المعاملة فوراً وبوقت أقصر وأسرع.

وإلى جانب حرمة تفويت مصالح الناس وإيذائهم، فإن هناك إشكالاتاً شرعياً في ما يستلمه من راتب وأجر مقابل هذا الوقت المضاع، إن كل يوم من أيام العمل وكل ساعة من ساعاته، يتغيّب فيها العامل أو يهدرها دون عذر مشروع، فإن المبلغ الذي يقابل ذلك الوقت من راتبه لا يحل له شرعاً.

وقد قدم للإمام السيد أبو القاسم الخوئي رحمه الله الاستفتاء التالي:

هل يجوز للعامل أو الموظف في الدائر الحكومية أن يتغيّب بصورة عذر كاذبة أو بدون ذلك في أيام بعض المناسبات الدينية؟

فأجاب: إذا كان خلاف النظام، ويأخذ مع ذلك راتب وظيفته فلا يجوز<sup>(١)</sup>.  
كما سئل المرجع الديني السيد علي السيستاني عن حكم تأخر الموظف  
أو المدرس عن الدوام بفارق ١٥ دقيقة أو ٣٠ دقيقة فأجاب حفظه الله:  
لا يجوز له ذلك ولا يستحق الراتب المقرر له بمقدار ما تخلف عن أداء  
وظيفته<sup>(٢)</sup>.

كما أجب على سؤال حول مخالفة النظام الإداري بما يلي:  
لا يجوز للموظف المذكور كغيره من الموظفين التخلف عن الأنظمة  
التي التزم بتطبيقها بموجب عقد توظيفه ما لم تشمل على محرّم<sup>(٣)</sup>.  
وتشدد التعاليم الإسلامية على النزاهة والأمانة تجاه الإمكانات المرتبطة  
ببيت المال وثروة الشعب والوطن، فلا يجوز للموظف أن يستخدم شيئاً منها  
لمصالحه الشخصية خارج النظام والقانون.

وقد سئل المرجع الديني السيد محمد الشيرازي حفظه الله: عن استخدام  
الموظف الحكومي أو الأهلي للتليفون التابع لعمله لأغراضه الخاصة؟  
فأجاب ناهياً: لا يفعل ذلك<sup>(٤)</sup>.

هكذا يربي الإسلام أبناءه على احترام المصالح العامة، والوفاء بالتعهدات،  
والأمانة في أعمالهم ووظائفهم.

---

(١) الخوئي: السيد أبو القاسم، صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات ج ٢ ص ٣٠٠ مسألة  
رقم ٩٤٢.

(٢) السيستاني: السيد علي، أجوبة المسائل الدينية، مكتب سماحته بدمشق ص ٦٤ مسألة ١١٠.

(٣) المصدر السابق، مسألة ١١١.

(٤) الحائري: الشيخ جعفر، أجوبة المسائل الشرعية ص ١١٣ مسألة ٤٠١.

فالوظيفة في منطق الإسلام ليست موردا للكسب والربح فقط وإنما هي قبل ذلك أمانة ومسؤولية. كما يقول الإمام علي عليه السلام في كتابه لواليه علي أذربيجان أشعث بن قيس: «وأن عملك ليس لك بطعمه ولكنه في عنقك أمانة»<sup>(١)</sup>.

### الموظف وأخلاق التعامل:

يرى بعض الموظفين نفسه في موضع قوة وقدرة، وأن مصالح وقضايا للناس مرتبطة بقراره وتوقيعه وعمله، مما قد يخلق لديه شعورا بالتعالي على الناس، واستغلال حاجتهم له ضمن واجبه الوظيفي، ويحصل في أحيان كثيرة أن يطبق الموظف القانون بتعسف وصلافة تجرح مشاعر الناس، وتسيء إلى كرامتهم وحقوقهم.

وينتج ذلك إما من وجود عقد نفسية عند الموظف، أو لعصبية انتماء قبلي أو مذهبي، أو لتصفية حسابات أخرى بينه وبين بعض المراجعين، أو ما أشبه ذلك.

إنه في هذه الحالة يسيء إلى الجهة التي ائتمنته على الوظيفة، ويخون مصالحها، كما يحمل نفسه الوزر والإثم من قبل الله تعالى.

وقد ركز الإمام علي عليه السلام على جانب التعامل مع الناس من قبل موظفي الدولة ومسئولي الأجهزة الحكومية في عهده لمالك الأشر حينما ولاه مصر، حيث كتب له قائلا: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب رقم ٥.

في الدين أو نظير لك في الخلق»<sup>(١)</sup>. وفي كلامه ﷺ إشارة هامة إلى احترام الجانب الإنساني للمواطنين وإن اختلف الانتماء الديني.

إن الناس بطبيعتهم يستثقلون القوانين والأنظمة بشكل عام، وإن كانت ضرورية لتنظيم الأمور، فإذا ما أضاف الموظف بسوء أخلاقه عليهم ثقلاً آخر، فإن ذلك يحدث في نفوسهم السخط والنقمة، وينفّرهم من النظام والقانون.

### الإتقان والإخلاص في العمل:

وكمواطنين يهمننا أن نتقدم بلداننا، وأن نتنظم شؤون حياتنا وتتطور إلى الأفضل، فإن كل واحد منا يتحمّل جزءاً من المسؤولية في إنجاز هذا الهدف الهام. إن التخلف والمشاكل تحصل بسبب اجتماع وتراكم حالات الإهمال والتسيب والتقصير، فغياب موظف هنا، ومماثلة آخر هناك، وتقصير مسؤول في هذا الموقع، ومحابة آخر في ذلك الموقع.. من مجموع هذه الممارسات والنواقص يحصل الخلل، وتتأثر مصالح الوطن والمواطنين.

إن أخطاءً قد تحصل في مؤسسات صحية عامة أو خاصة، بسبب الإهمال والتقصير، فتذهب ضحيتها أرواح مواطنين أعزاء، أو إصابتهم بإعاقات وأمراض خطيرة.

وإن تخلفاً وتدنياً في مستويات بعض الطلاب مما يؤثر على مستقبلهم الدراسي قد ينتج عن تساهل وتقصير من بعض المدرسين، أو الإداريين في المؤسسات التعليمية.

وإن تعثراً في حركة التصنيع والإنتاج، أو سوءاً وتخلفاً في صفات منتجات

---

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - كتاب رقم ٥٣.

متداولة تضر بالناس، قد يكون بسبب خلل وإهمال في تطبيق القوانين والأنظمة من قبل الموظفين المعنيين.

وهكذا فإن حياة المواطنين وصحتهم ومستقبل أبنائهم وحركة إنتاجهم ومختلف شؤونهم.. وسيادة القانون والنظام في البلاد، كل ذلك يرتبط بمدى إتقان الموظفين لأعمالهم الموكولة إليهم، وإخلاصهم في أدائها.

إن أوطاننا وثرواتنا ومستقبلنا أمانة في أيدينا جميعا فلتنق الله في أنفسنا ومجتمعنا وبلادنا، وإن التدين الصحيح يجب أن يظهر أثره في أداء الأمانة والقيام بالواجبات والمهام في خدمة المصلحة العامة.

## حماية السلم الاجتماعي

كلمة الجمعة بتاريخ ٢ رجب ١٤٢١ هـ



من طبيعة الناس أنهم يُهرعون حينما يشبُّ أي حريق في محيطهم من أجل تطويقه وإطفائه. وذلك لأنهم يدركون مخاطر الحرائق، من تلف أرواح، وخسائر ممتلكات، ولأنهم يخشون من امتداد الحريق، باستمرار اشتعال النار، فهي تبدأ من نقطة ما، لكنها لا تقف عندها، بل تلتهم ما حولها، وتزداد اتقاداً واشتعالاً، وتقول هل من مزيد.

ولأن الناس يقدرّون حاجة بعضهم إلى بعض في هذه المواقف الخطيرة، حيث لا يتمكن صاحب المحل الذي اندلع فيه الحريق من مقاومته وإخماده بمفرده.

من هنا تكونت في المجتمعات البشرية فرق مهمتها إطفاء الحرائق حينما تندلع في أي مكان، ويبدو أن أول منظمة لمكافحة الحريق تأسست في روما القديمة، حيث كون الإمبراطور أوغسطس الذي تسلم الحكم عام ٢٧ قبل الميلاد، مجموعة من الناس سماها الحراس، كانت مهمتها مراقبة الشوارع، والإبلاغ عن أي حريق يشب، ولا يعرف العلماء كثيراً عن تطورات منظمات إطفاء الحريق قبل حريق لندن الكبير عام ١٦٦٦ م. وقد دمر هذا الحريق معظم أنحاء المدينة، وترك آلاف الأفراد بلا مأوى. وقبل الحريق لم يكن بلندن أي منظمة لمكافحة الحرائق.

وتعد اليوم فرقة الإطفاء بمقاطعة لندن رائدة فرق الإطفاء في العالم، ومع

التطورات الكبيرة التي حصلت في مجال عمل فرق الإطفاء حيث تحولت إلى جهاز ومؤسسة رسمية ضخمة يطلق عليها (الدفاع المدني) تقوم بأغراض ومهام عديدة، ولها ميزانيتها المعتمدة في مختلف الدول، لكن ذلك لم يبلغ المبادرات التطوعية من قبل أفراد المجتمع في التصدي لخطر الحرائق وأمثالها، ففي البلدان المتقدمة هناك فرق الإطفاء المتطوعة، التي يعمل فيها رجال ونساء بصورة غير دائمة، فعندما يشب حريق يُهرع المتطوعون تاركين أعمالهم ومنازلهم، ويتوجهون بسرعة إلى فرقة الإطفاء، ويعطى بعضهم مكافآت رمزية. ويوجد في بريطانيا ٥٠,٠٠٠ متطوع، في حين يوجد في ألمانيا الغربية مليون متطوع<sup>(١)</sup>.

بالطبع لسنا بصدد الحديث عن فرق إطفاء الحرائق، وما ذكرناه مجرد مدخل وتمهيد، ننطلق منه إلى تساؤل هام يرتبط بأوضاعنا الاجتماعية، وهو لماذا لا يبدي الناس اهتماماً مماثلاً بالحرائق الاجتماعية؟، فحينما تشب نار العداوة والخلاف بين أفراد أو فئات من المجتمع، لماذا يأخذ الآخرون موقف التفرج وكأن الأمر لا يعينهم؟ ولماذا لا يبادرون لتطويق هذا النزاع - الحريق - كما يُهرعون لإطفاء الحرائق المادية؟

وإذا كانت الحرائق المادية تصيب الأشخاص والممتلكات، فإن الحرائق الاجتماعية تنال شخصيات الناس المعنوية، وتمزق وحدتهم وانسجامهم، وتعرض السلم الاجتماعي للخطر، وتكون أرضية وسبباً لمشاكل واعتداءات وخسائر وحروب.

كما أن الخلافات الاجتماعية هي الأخرى كالنار تمتد إلى ما حولها

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ج ١٧ ص ٣٠٧-٣١٤ الطبعة الثانية ١٩٩٩ م الرياض.

وتحرقه بلهيبها، ولا تبقى عند حدود الشخصين أو المجموعتين المختلفتين، فكم من خلاف بسيط بين زوج وزوجته تحوّل إلى نزاع ومعاركة بين أسرتهما وقبيلتيهما؟ وكم من نزاع بين فئتين محدودتين أدخل مجتمعا في أتون حرب أهلية مدمرة؟

كذلك فإن المتورطين في النزاع قد لا يستطيعون إنهاء نزاعهم فيما بينهم وإن أرادوا ذلك، لما يحدث في نفوسهم من انفعالات وحوازر، فيحتاجون إلى مساعدة من خارجهم لترطيب الأجواء، وامتصاص التشنجات، وتقريب كل طرف إلى الآخر.

من هنا فالحاجة ماسة إلى وجود فرق إطفاء للحرائق الاجتماعية، تطوق الخلافات والنزاعات، وتطفئ نيران الفتن والاحتراب، وتحمي السلم الاجتماعي.

### إصلاح ذات البين:

ويطلق الإسلام على هذه المهمة المقدسة عنوان (إصلاح ذات البين) حيث وردت نصوص كثيرة تؤكد على ضرورة القيام بهذا الدور، و تبشّر القائمين به بأرفع الدرجات وأعظم الأجر والثواب عند الله تعالى.

١. يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن القيام بدور إصلاح العلاقات بين أبناء المجتمع، وسد ثغرات الخلاف والنزاع، هو انعكاس للالتزام بتقوى الله، لذلك يأتي الأمر بالإصلاح بعد الأمر

(١) الأنفال، ١.

بتقوى الله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ كما أن الإصلاح شرط من شروط تحقق المجتمع الإيماني ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالعلاقة بين المؤمنين هي علاقة أخوة، ولا يصح أن تأخذ غير هذا المنحى، لذلك تستخدم الآية ﴿إِنَّمَا﴾ الدالة على الحصر، وإذا ما وقع خلاف أو سوء تفاهم بين مؤمن وآخر، فلا يجوز لسائر المؤمنين أن يتفرجوا على نشوب هذا الخلاف والنزاع، ويراقبوا بلا مبالاة استمراره وتطوره، ويعتبرون أنفسهم غرباء وغير معنيين به، إنه نزاع بين طرفين يرتبطان معكم برباط الأخوة، فكلاهما أخ لكم، وهل يصح السكوت على معاناة أخويكم؟ وهل يمكن أن تكونوا بعيدين عن آثار ذلك النزاع؟

إذاً ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ فذلك مظهر لالتزامكم بتقوى الله، وإعداد لكم لاستحقاق رحمته ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فالمجتمع الذي تسوده أجواء الوحدة والانسجام يكون متنعمًا بالرحمة والأمن، بينما إذا جزأته الخلافات والنزاعات فهو يعيش حالة العذاب والشقاء.

### أفضل دور وخير عمل:

٢. لماذا يتطوع المؤمن لله تعالى بالصيام، ويتنفل بالصلاة، ويجود بالصدقة؟ أليس بدافع القربة إلى الله ونيل ثوابه ورضاه؟ إذا كان ذلك هو الهدف فإن النصوص الدينية تؤكد على أن من أفضل طرق التقرب إلى الله وكسب رضاه وثوابه، هو السعي لإصلاح ذات البين. فهو

(١) الحجرات، ١٠.

أفضل من سائر العبادات والطاعات.

عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إصلاح ذات البين خير من عامة الصلاة والصوم»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر عن أبي الدرداء عنه ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر عنه ﷺ: «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين»<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام جعفر الصادق عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل امرؤ عملاً بعد إقامة الفرائض خيراً من إصلاح بين الناس، يقول: خيراً، وينمي خيراً»<sup>(٤)</sup>.

٣. وإذا استلزم السعي لإصلاح ذات البين إنفاق شيء من المال، لترضية طرفي النزاع أو أحدهما، أو لأي نفقة في هذا المجال، فإنه يمكن أخذ تلك النفقات من الحقوق الشرعية، حيث ينطبق على ذلك عنوان سهم في سبيل الله من الزكاة، كما يمكن استئذان أي مرجع ديني فيما يرتبط بحق الإمام من الخمس، وفي الرواية التالية إشارة إلى رضا الإمام ﷺ بصرف ماله في الإصلاح بين المؤمنين.

عن ابن سنان عن أبي حنيفة سابق الحاج (وهو سعيد بن بيان) قال: مر بنا المفضل وأنا وختني (زوج ابنته أو زوج أخته) نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل، فأتيناها فأصلح بيننا بأربعمائة درهم،

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال - حديث رقم ٥٤٨٧.

(٢) المصدر السابق حديث رقم ٥٤٨٠.

(٣) المصدر السابق - حديث رقم ٥٤٨٣.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٤٣.

فدفعها إلينا من عنده، حتى إذا استوثق كل واحد منا من صاحبه، قال: أما إنها ليست من مالي، ولكن أبا عبد الله (جعفر الصادق عليه السلام) أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديهما من ماله، فهذا من مال أبي عبد الله عليه السلام (١).

٤. ولأن المصلح يريد التقريب بين الطرفين المتنازعين، وخلق ثقة متبادلة بينهما، فقد يضطر لإعطاء انطباع إيجابي عن كل طرف للآخر، بالتحدث عنه بكلام طيب لم يقله، وتشجيعاً من الدين لمسعى الصلح، اعتبر هذا التصرف مستثنى من الكذب الحرام، بل لم يعتبره الشرع كذباً ما دام يصب في مصلحة الإصلاح والوئام.

فقد جاء في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ قوله: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً أو يقول خيراً» (٢).

ومثله ما ورد في الكافي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام إنه قال: «المصلح ليس بكاذب» (٣).

وفي تعليقه على هذا الحديث قال العلامة المجلسي: أي إذا نقل المصلح كلاماً من أحد الجانبين لم يقله، وعلم رضاه به، أو ذكر فعلاً لم يفعله للإصلاح، ليس من الكذب المحرّم بل هو حسن، وقيل، إنه لا يسمى كذباً اصطلاحاً، وإن كان كذباً لغتاً، لأن الكذب في الشرع ما لا يطابق الواقع، ويذم قائله، وهذا لا يذم قائله شرعاً (٤).

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي ج ٢ ص ٢٠٩.

(٢) البخاري: محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الصلح حديث رقم ٢٦٩٢.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي ج ٢ ص ٢١٠.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٣ ص ٤٦.

ويعزز هذا المعنى حديث آخر مروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الكلام ثلاثة: صدق وكذب وإصلاح بين الناس. قيل له: ما الإصلاح بين الناس؟ قال: تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتلقاه فتقول: سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا، خلاف ما سمعت منه»<sup>(١)</sup>.

### الدور المفقود:

لا يخلو مجتمع من المجتمعات البشرية صغيراً كان أو كبيراً، ومهما كانت درجة وعيه أو تدينه، من وجود خلافات بين بعض أفرادها أو بعض فئاته، والاجتماع الإسلامي وإن كان يفترض فيه الالتزام بتعاليم الإسلام، والتحلي بآدابه وأخلاقه، لكن ذلك لا يعني وصول أفرادها إلى درجة العصمة، فهم بشر تعتورهم كل نواقص الطبيعة البشرية.

فحدوث النزاعات والخلافات أمر وارد وطبيعي في الاجتماع الإسلامي، بين الأفراد المؤمنين والفئات المسلمة، مع كونهم جميعاً ضمن إطار الإيمان والإسلام. كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

لكنه لا يصح السكوت والتفرج تجاه حالات الخلاف والنزاع التي قد تحدث في أوساط المجتمع، بل يجب القيام بدور إيجابي لتجاوز تلك الحالات، وتلافي آثارها ومضاعفاتها، بأن يبادر المخلصون الواعون للسعي في إصلاح ذات البين، فهو واجب كفائي لا يجوز أن يهمل أو يترك حينما تتهدد وحدة المجتمع والكيان الإسلامي، وإذا لم ينهض به من يكتفى به

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي ج ٢ ص ٣٤١.

(٢) الحجرات، ٩.

فمسؤولية التخلف عن هذا الواجب الديني الإنساني على عاتق الجميع. لأن الله تعالى يوجه الخطاب للعموم ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾<sup>(١)</sup>.

ومجتمعاتنا الإسلامية اليوم، تعاني الكثير من الخلافات والنزاعات ذات الطابع السياسي أو الديني أو الاجتماعي، فهناك خلافات بين أفراد، وصراعات بين فئات، ونزاعات بين دول وحكومات.

لكن دور السعي لإصلاح ذات البين في صفوف أبناء الأمة مفقود أو ضئيل جداً مع الحاجة الماسّة إليه، لذلك تنتشر الخلافات، وتتطور النزاعات، على حساب وحدة المجتمع وتماسكه وقوته.

فكم من أسرة تشتت شملها، وانهار كيانها العائلي، لخلاف بين الزوجين كان يمكن معالجته لو بذل سعي لإصلاح ذات بينهما؟

وكم من صراع تفاقم بين جماعتين دينيتين، وأحدث شرخاً عميقاً في بنية المجتمع، وانقساماً بين طاقاته الفاعلة، وأضر بالحالة الدينية العامة، دون أن يقابله أي تحرك جاد، لتطويق الصراع، وتقريب وجهات النظر؟

وقد تصل الأمور إلى ذروتها بنشوب حروب أهلية أو قبلية أو مذهبية أو سياسية لا تبقي ولا تذر كما هو الحال في الصومال وأفغانستان والجزائر. وكما حصل من حروب مدمرة طاحنة بين بعض البلدان والدول الإسلامية.

إننا بحاجة إلى تفعيل مبدأ إصلاح ذات البين، وأن يبادر المخلصون الواعون من أبناء المجتمع، إلى تشكيل فرق ومجموعات لإطفاء الحرائق الاجتماعية، والتقريب بين مختلف الفئات والجهات، وداخل العوائل والأسر.

(١) الحجرات، ٩.

## وظيفة القيادات الدينية:

عالم الدين لمعرفته بمقاصد الإسلام ومناهجه، ولحرصه على وحدة الأمة وقوة المجتمع، ولكونه في موضع الأسوة والقدوة، لذلك يفترض فيه أن يأخذ زمام المبادرة، لممارسة هذا الدور الإصلاحي المطلوب. خاصة وأنه يتمتع بثقة واحترام ونفوذ اجتماعي يمكنه توظيفه في إنجاح مساعي الإصلاح وحماية السلم الاجتماعي.

وقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على القيام بدور إصلاح ذات البين والمبادرة إليه، فقد أخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن أناساً من بني عمرو بن عوف، كان بينهم شيء، فخرج إليهم النبي ﷺ في أناس من أصحابه يصلح بينهم، فحضرت الصلاة ولم يأت النبي ﷺ فجاء بلال فأذن بالصلاة ولم يأت النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر: «إن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: اذهبوا بنا نصلح بينهم»<sup>(٢)</sup>.

كما ورد في سيرة الإمام علي عليه السلام اهتمامه بمعالجة وإصلاح حتى الخلافات البسيطة، حيث مرّ ذات يوم بأصحاب التمر، فإذا هو بجارية تبكي، فقال: «يا جارية ما يبكيك؟ فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً، فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتيته به أبى أن يقبله، قال: يا عبد الله إنها خادم وليس لها أمر، فأررد إليها درهمها وخذ التمر، فقام إليه الرجل فلكزه، فقال الناس: هذا أمير المؤمنين، فربا الرجل واصفرّ وأخذ التمر، ورد إليها درهمها. ثم قال: يا أمير

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري كتاب الصلح - حديث رقم ٢٦٩٠.

(٢) المصدر السابق - حديث رقم ٢٦٩٣.

المؤمنين ارض عني، فقال: ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك»<sup>(١)</sup>.

ومرة أخرى يجد امرأة تقول: «إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى عليّ وحلف ليضربني، فيذهب معها الإمام وكان الوقت قيظاً في حرارة الشمس، حتى يصلح بينها وبين زوجها»<sup>(٢)</sup>.

لذا فإن المتوقع من علماء الدين القيام بمبادرات لإصلاح ذات البين، في أوساطهم أولاً، بمعالجة أي خلاف أو سوء تفاهم يحدث بين عالم وعالم آخر، ولا يصح لهم أن يتفرجوا على الخلافات التي تحصل بين بعضهم، فإنها تسيء إلى سمعة الدين، وتترك أسوأ المضاعفات والآثار في المجتمع، وإن يتوجهوا ثانياً لحماية السلم الاجتماعي، ببذل الجهود لتطويق الصراعات، وتوحيد الكلمة، والحفاظ على تماسك المجتمع وانسجامه.

وقد سجل بعض علمائنا الأخيار صفحات مشرقة في ميدان السعي لإصلاح ذات البين، وعلى أعلى المستويات، فأحد علمائنا أطلق عليه لقب (مصلح الدولتين) وهو الإمام الشيخ موسى كاشف الغطاء (توفي ١٢٤٤هـ)، نجل الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، وكان المرجع الديني الأعلى في النجف الأشرف، وحصل في عهده نزاع بين الدولة الإيرانية والدولة العثمانية، وزحفت إيران على العراق حتى وصلت بلدة بعقوبة وحاصرت بغداد فقام الشيخ موسى بدور مشكور للمصلح بين الدولتين تركيا وإيران، وحققت ببركات مسعاه الدماء، وتراجعت القوات الإيرانية، وعادت أجواء السلم والوئام، وذلك سنة ١٢٣٧هـ.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٤١ ص ٤٨.

(٢) بن شهر آشوب: محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٢٢ الطبعة الثانية ١٩٩١م، دار الأضواء - بيروت.

بالطبع فإن السعي لإصلاح ذات البين يكلف جهوداً، ويستلزم تضحيات، لكن استهداف رضا الله تعالى، والاهتمام بوحدة الأمة، وحماية السلم الاجتماعي، هو الذي يدفع المصلحين لتحمل المشاكل والصعوبات برحابة صدر وقوة جنان.

إن الجمعيات الخيرية في بلادنا يمكنها أن ترعى تكوين لجان أهلية لإصلاح ذات البين، والعلماء الأفاضل يستطيعون إطلاق مبادرات اجتماعية بهذا الاتجاه، وللخطباء والمثقفين والأدباء دور هام في تشجيع هذا المنحى المبارك.



## الارتياح مدخل إلى العداوة

كلمة الجمعة بتاريخ ٩ رجب ١٤٢١ هـ



انطباعات الإنسان عن الآخرين، ورؤيته لهم، تؤثر على علاقته بهم،  
وتعامله معهم. فالانطباع الجيد عن شخص يشكل أرضية للاقتراب منه،  
وصنع العلاقة معه، بينما الرؤية السلبية تجاه أي شخص تخلق حاجزاً نفسياً  
يحول دون الثقة به والانفتاح عليه، وربما تتطور إلى دافع للخلاف والعداوة.  
وتتشكل انطباعات الإنسان عن الآخرين من خلال ما يسمعه أو يلحظه  
من مواقفهم وتصرفاتهم.

بيد أن كل موقف أو ممارسة تصدر من أحد، غالباً ما تحتل أكثر من  
تفسير إيجابي وسلبى، فحتى الأعمال المصنفة ضمن قائمة الأعمال الصالحة،  
يمكن التشكيك في دوافع وبواعث القيام بها، فتكون مصدراً لانطباع سيء.

ولأن الإنسان ليس له سبيل إلى القطع والجزم بنوايا الآخرين، ولا يعلم  
على وجه اليقين دوافع وملايسات كل مواقفهم وتصرفاتهم، فإن التفسيرات  
والانطباعات التي تنقدح في ذهنه عنهم تبقى مجرد ظنون واحتمالات.

فالتفسير الإيجابي ينتج ظناً حسناً بينما التفسير السلبى يعني ظناً سيئاً.  
وهكذا تتراوح انطباعات الإنسان عن الآخرين بين حسن الظن وسوء الظن.

إن حسن الظن يمنح الإنسان رغبة واندفاعاً نحو الآخرين، ويجعله أكثر  
قدرة على صنع العلاقة معهم، وعلى العكس من ذلك فإن سوء الظن يخلق  
نفوراً من الآخرين وتحفظاً تجاههم، وقد يكون مدخلاً إلى العداوة والخصام.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«من لم يحسن ظنه استوحش من كل أحد»<sup>(١)</sup>.

«سوء الظن يفسد الأمور ويبعث على الشرور»<sup>(٢)</sup>.

«من حسن ظنه بالناس حاز المحبة منهم»<sup>(٣)</sup>.

### الارتياح كمسلك:

الارتياح من الريب، وهو بمعنى الشك مع التهمة<sup>(٤)</sup> بأن يشك الإنسان في نوايا الطرف الآخر، ويتهمه بسوء في مقاصد أعماله وتصرفاته. وهذا الشك والاتهام إنما يحصل في نفس الإنسان، لأنه يعلم بوجود النزعات الشريرة، ويدرك أن بعض المظاهر البراقة قد تخفي وراءها أهدافاً خبيثة، وبالتالي فهو لا يستطيع أن يخدع نفسه وينظر إلى جميع الأمور والتصرفات ببراعة وثقة.

وحتى لو قرر إنسان أن يكون بسيطاً ساذجاً يتعامل مع الجميع بثقة واطمئنان، ودون أي حذر أو شك، فإنه سيتعرض لصفعات ونكبات من بعض من منحهم ثقته، تجعله يعيد النظر في ثقته المطلقة بالناس.

إذاً فليس المطلوب من الإنسان أن يكون ساذجاً لا يأخذ الاحتمالات الأخرى بعين الاعتبار، وحتى لو طُلب منه ذلك فهو غير ممكن، لأن ورود الخواطر والظنون على ذهن الإنسان ليس أمراً اختيارياً.

لذلك ذهب أكثر العلماء المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) التيمي: عبد الواحد الأمدي، غرر الحكم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن منظور: لسان العرب.

آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴿١﴾ إلى أن «المراد بالاجتناب عن الظن: الاجتناب عن ترتيب الأثر عليه كأن يظن بأخيه المؤمن سوءاً فيرميه به، ويذكره لغيره، ويرتب عليه سائر آثاره، وأما نفس الظن بما هو نوع من الإدراك النفساني فهو أمر يفاجئ النفس لا عن اختيار، فلا يتعلق به النهي، اللهم إلا إذا كان بعض مقدماته اختيارياً»<sup>(٢)</sup>.

لكن الخطر الحقيقي يكمن في أن يصبح الارتياح وسوء الظن مسلكاً عاماً للإنسان، بحيث ينظر إلى كل الناس بنظارة سوداء، ويشكك في كل أحد وكل شيء.

وهي حالة مرضية يصاب بها البعض، فيفقد الثقة فيمن حوله، وقد تتفاقم هذه الحالة فيسيء الظن حتى في ربه وخالقه كما يحدثنا القرآن الكريم عن بعض المشركين والمنافقين: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾<sup>(٣)</sup>. وتحدثنا الروايات عن ساورتهم الظنون السيئة تجاه رسول الله ﷺ وهو أقدس وأطهر إنسان من البشر، أخرج البخاري عن عروة بن الزبير: أن الزبير كان يحدث: أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدرًا، إلى رسول الله ﷺ في شِراج من الحرّة - أي مسايل الماء في المدينة - كانا يسقيان به كلاهما، فقال رسول الله ﷺ للزبير: (اسقِ يا زبير ثم أرسل إلى جارك) فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمك؟ فتلوّن وجه رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وذات يوم وقف أحد الأشخاص أمام مرجع ديني وعالم جليل محقق

(١) سورة الحجرات الآية ١٢.

(٢) الطباطبائي: السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ج ١٨ ص ٣٢٧.

(٣) سورة الفتح الآية ٦.

(٤) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري - حديث رقم ٢٧٠٨ كتاب الصلح.

هو الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله وكان يزور الإمام علياً عليه السلام في الروضة الحيدرية، ويقراً زيارة الجامعة الكبيرة بصوت يسمع، فجاببه ذلك الشخص قائلاً: إلى متى ترائي في عملك؟ فأجابته الشيخ برحابة وابتسام: وأنت أيضاً إئت بمثل هذا الرياء<sup>(١)</sup>.

### الاستغراق في الإرتياب:

إذا كان قلب الإنسان مفتوحاً أمام مختلف الخواطر والظنون، فترد عليه دون اختيار منه، إلا أن للحالة الفكرية والنفسية وللمحيط الاجتماعي، أثراً في تحديد نوعية تلك الخواطر والظنون، أو لا أقل في تعزيز نوعية معينة منها. فهناك عوامل عديدة تدفع الإنسان للاستغراق في الإرتياب تجاه الآخرين، وتفقدته توازنه في النظر إليهم وتفسير أعمالهم وتصرفاتهم، ومن أبرزها:

١. ضعف الوازع الديني: فالقلب المتصل بالله تعالى، والذي يستشعر حضوره ورقابته، لا يختزن الظنون السيئة ولا يحتفظ بها أو ينميها في جوانحه، حتى وإن خطرت على صفحته، بل يطردها ويكنس آثارها في نفسه بذكر الله تعالى وبالوعي السليم.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والطائف هو الذي يطوف حول الشيء، فكأن وساوس الشيطان تدور حول فكر الإنسان وقلبه، لتأخذ موقعها فيه، لكن الإنسان المتقي يتذكر ربه والقيم والمبادئ الصحيحة، ويحاكم تلك الوسوس على أساسها، فيمتلك

(١) الشيرازي: السيد محمد، من أخلاق العلماء ص ٩ الطبعة الأولى ١٩٩٧م - بيروت.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠١.

البصيرة والرؤية السليمة، التي يتجاوز بها الأوهام والظنون. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حسن الظن من حسن العبادة»<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«أفضل الورع حسن الظن»<sup>(٢)</sup>.

«لا إيمان مع سوء الظن»<sup>(٣)</sup>.

٢. مرآة الذات: غالباً ما ينظر الإنسان للآخرين من خلال ذاته، فإذا ما وجد نفسه يقوم ببعض الأعمال الصالحة بباعث مصلحي نفعي، فإنه قد يفترض نفس الحالة في الآخرين، وإذا كان يمارس بعض التصرفات الخاطئة، ضمن ظرف معين، ثم رأى آخرين في نفس الظرف، فسيعتقد أنهم يفعلون ما فعل. وعلى العكس من ذلك صاحب الذات الطيبة، والنوايا السليمة، فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه حسن الظن بالآخرين.

يقول الإمام علي عليه السلام: «الرجل السوء لا يظن بأحد خيراً لأنه لا يراه إلا بوصف نفسه»<sup>(٤)</sup>.

ويقول عليه السلام في كلمة أخرى: «الشري لا يظن بأحد خيراً لأنه لا يراه إلا بطبع نفسه»<sup>(٥)</sup>.

وينقل عن أحد العلماء الصالحين أنه إستغرب حينما أخبر عن سارق

---

(١) أبو داود السجستاني: سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود- كتاب الأدب- حديث رقم ٤٩٩٣.

(٢) التميمي: عبد الواحد الأمدي، غرر الحكم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) التميمي: عبد الواحد الأمدي، غرر الحكم.

(٥) المصدر السابق.

سطا على أحد المنازل قرب الفجر متسائلاً: متى أنهى صلاة الليل حتى وسعه الوقت للسرقه؟

ويقول مثل شعبي: كل يرى الناس بعين ذاته.

٣. أجواء السوء: العناصر المنحرفة السيئة تجد نفسها معنية بتتبع العثرات والأخطاء التي تصدر من هذا وذاك، لتبرر لذاتها الانحراف، وحتى تتوجه الأنظار إلى أخطاء غيرهم، بدل التركيز عليهم، وأيضاً للتخفيف من وقع انحرافاتهم في الوسط الاجتماعي، ما دام غيرهم يشاركهم فيها. يقول الإمام علي عليه السلام: «ذوو العيوب يحبون إشاعة معائب الناس ليتسع لهم العذر في معائبهم»<sup>(١)</sup>.

كما تجد هذه الفئة نفسها في مواجهة مع المؤمنين الصالحين، فتسعى لتشويه سمعتهم، والتشكيك في نواياهم.

لذلك فإن من يقترب من هذه الأجواء السيئة، يتأثر بالإشاعات التي تدور فيها، وتتسرب إليه الظنون السيئة تجاه الآخرين الأبرياء، يقول الإمام علي عليه السلام: «مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار»<sup>(٢)</sup>.

وقد نجد مثل هذه الحالة بين الاتجاهات المختلفة، فإذا كانت هناك فئة متدينة ذات نشاط وفاعلية اجتماعية، فإن الفئة الأخرى التي ليس لها دور ولا نشاط، قد تشعر بنوع من الحرج داخل نفسها وأمام الآخرين، ولدفع هذا الحرج فإنها تبحث عن أخطاء العاملين المصلحين، وتضخم الهفوات، وتشكك في سلامة طويتهم، واستقامة مسيرتهم، وذلك يخلف أثراً على نفوس المحيطين

(١) المصدر السابق.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧١ ص ١٩٧.

بهذه الفئة، والقريبين من أجوائها، فيصبح لديهم شيء من التحفظ والارتياب تجاه الفئة العاملة التي تخدم قضايا الدين والمجتمع.

٤. الميل للمشاكسة: الإنسان المهمم بكسب محبة الآخرين، يحرص على توفير فرص الانفتاح عليهم والاقتراب منهم، لذلك يربي نفسه على التعاطي الإيجابي مع الآخرين، بدءاً من النظر إليهم، والتفسير لأعمالهم ومواقفهم، عدا الحالات التي يتأكد من عدم صلاحها.

أما الإنسان المعقد، والذي يميل إلى المشاكسة والمنازعة، فإنه يرمق الآخرين دائماً بنظرات الشك والريب، ليبرر بذلك مشاكسته لهم، وإبداء الإساءة تجاههم.

### الانطلاق من سوء الظن:

أسوأ ما في الارتياب أنه يصبح مدخلاً ومعبراً إلى التجاوزات العدوانية على الآخرين، فهو قد ينتج فتوراً في العلاقة أو قطيعة تامة، كما قد يتحول من مجرد ظن وارتياب داخل نفس الإنسان، إلى افتراء على الجهة التي تعلق بها، حيث يشيع الإنسان ظنونه وشكوكه لدى آخرين، وبالتالي فإنه ينال من سمعة ذلك الطرف، ويشوه شخصيته، ويصنع عليه جواً من الدعاية المضادة، كل ذلك اعتماداً على ظن مجرد ودون إثبات أو دليل، فيجد الطرف الآخر نفسه في قفص الاتهام، ومحاطاً بالشكوك والتساؤلات، وكما قال الشاعر:

قد

قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً      فما اعتذارك من قول إذا قيلاً<sup>(١)</sup>  
وقد تتطور الأمور إلى أكثر من ذلك اعتداءً وإساءة، ونزاعاً وفتنة. يقول الإمام

(١) ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - شاهد رقم ٧٢.

زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: «فإن الشكوك والظنون لواقع الفتن، ومكدرة لصفو المنائح والمنن»<sup>(١)</sup>.

لذلك تؤكد التعاليم الإسلامية على اجتناب سوء الظن، وعدم جواز ترتيب أي أثر عليه في التعامل مع الآخرين.

فالفقهاء يذكرون في فتاواهم أن أي شك ينتابك فيمن كنت واثقاً من عدالته، فإن ذلك الشك لا قيمة له بل تستصحب الحالة السابقة، ولست مكلفاً بالفحص، فإذا قلدت مرجعاً دينياً لعلمك باجتماع شرائط التقليد فيه، ثم شككت في زوال شيء من المواصفات، فإن عليك أن تبقى على تقليده حتى يتوفر لك العلم، وليس الظن أو الشك.

وكذلك لو كنت تصلي جماعة خلف إمام تثق بعدالته، ثم طرأ لك ظن أو شك في بقاءه على العدالة، فإنك لا تبالي بذلك الظن والشك، وتستمر في البناء على عدالته والصلاة خلفه.

### أصالة الصحة:

هناك قاعدة تعتبر من أشهر القواعد الفقهية المتداولة بين الفقهاء، ويتمسك بها في معظم أبواب الفقه أو كلها، وقد عنونها كثير منهم بعنوان (أصالة الصحة في فعل الغير).

حول هذه القاعدة يقول الفقيه الشيخ ناصر مكارم:

«إن حمل فعل الغير على الصحة يتصور له معان ثلاث:

أولها: الاعتقاد الجميل في حقه، وترك سوء الظن به، بأن لا يضمّر المسلم

---

(١) القمي: الشيخ عباس، مفاتيح الجنان - مناجاة المطيعين لله.

لأخيه ما يزرى به ويشينه، ويعتقد أنه لم يفعل سوءاً عن علم وعمد وإن صدر منه ذلك خطأً أو نسياناً.. إن الشارع الحكيم يأمر بتحصيل الاعتقاد الحسن في حق المسلمين ونفي اعتقاد السوء عنهم، لما فيه من المصالح التي لا تحصى، كجلب اعتماد المسلمين بعضهم ببعض، ورفع الضغائن عنهم، ودفعاً لما في سوء الظن والاعتقاد من التفرقة والتباعد واختلال النظام وإثارة الفتن بينهم، كما هو ظاهر لمن تدبر.

ثانيها: ترتيب آثار الحسن الفاعلي عليها، أي المعاملة مع فاعله معاملة من أتى بفعل حسن، وعدم المعاملة معه معاملة من ركب أمراً قبيحاً، من حسن العشرة معه، والركون إليه فيما يركن على من لم ير منه قبيح.

ثالثها: ترتيب آثار الفعل الصحيح الواقعي على فعله، بمعنى فرض عمله صحيحاً واقعاً، وفي نفس الأمر<sup>(١)</sup>.

أما النصوص الدينية التي تحذر الإنسان المسلم من الانزلاق في مزلق الارتياب، وتوجهه إلى التفكير والتعامل الإيجابي مع الآخرين، والبحث عن أفضل الاحتمالات والتفاسير لتصرفاتهم وممارساتهم، هذه النصوص كثيرة جداً، وعلى بعضها اعتمد الفقهاء في تأصيل قاعدة أصالة الصحة.

جاء عن أم المؤمنين عائشة عن رسول الله ﷺ: «من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه»<sup>(٢)</sup>.

وعنه ﷺ: «اطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً»<sup>(٣)</sup>.

(١) الشيرازي: ناصر مكارم، القواعد الفقهية ج ١ ص ١١٤ الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ قم.

(٢) الهندي: علي المتقي، كنز العمال - حديث رقم ٧٥٨٧.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٢ ص ١٩٤.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظننَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»<sup>(١)</sup>.

### الانفتاح والمصارحة:

ماذا يفعل الإنسان إذا ألحَّ على قلبه ظن سلبى تجاه إنسان آخر؟ وكيف يستطيع أن يواجه ذلك الخاطر السيئ؟

قد يصعب عليه تجاهل شك سيطر على ذهنه، وهو في ذات الوقت لا يرغب في الاستمرار مع مفاعيل الظن السوء.

إن الوعي السليم والتفكير الموضوعي يفرض على الإنسان هنا الانفتاح على الشخص المعني ومصارحته بما يدور في نفسه حوله، لإعطائه الفرصة لتوضيح موقفه، إن كان له مبرر أو مسوِّغ وتشجيعه على التراجع عن خطئه إن كان مخطئاً.

يقول المفكر الفرنسي روجيه ميل:

إنني لا أستطيع اجتناب الشك، ما دام كل إنسان يتميز، أول ما يتميز، بواقع أنه حامل سر لولاه لما تحلى بوجود صميمي إطلاقاً. وينجم عن أنني أنا نفسي مما يمكن أن يطاله الشك، ولذا فإنني لا أستطيع ألا أشك في الآخرين. فما السبيل إلى الخلاص من هذا الدرب المسدود؟ ليس ثمة غير سبيل واحد: سبيل الاعتراف للآخر بالشك الذي يتتابني بصدد قوله وعمله. وهذا الاعتراف بالشك يستطيع وحده إعادة الحوار ومنحه صحة وصدقاً. ولا شيء

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي ج ٢ ص ٣٦٢.

ينم عن احترام الشخص الإنساني مثل أن يقال له: أحسب أنك... ذلك أنني أسلم نفسي على هذا المنوال إلى الآخر، واعترف بدوري بأني موضع ارتياب ممكن أيضا. وهذا يكفي حتى نبلغ كلانا درجة صدق أسمى<sup>(١)</sup>.

ما أحوجنا إلى الشفافية والوضوح، وأن يكون الانفتاح والمصارحة هو السبيل لمعالجة تحفظاتنا وإشكالاتنا على بعضنا بعضاً، بدل أن نعيش في ظل أجواء ملبدة بغيوم الشكوك والظنون، وأن تتضرر علاقاتنا الاجتماعية بتأثير حالات الارتياب والافتراء.

---

(١) ميل: روجيه، المواقف الأخلاقية ص ٩٣-٩٤ ترجمة الدكتور عادل العوّا، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، منشورات عويدات، بيروت-باريس.



## المواجهة مع اليهود

كلمة الجمعة بتاريخ ١٦ رجب ١٤٢١هـ



ينطلق اليهود في تعاملهم مع سائر المجتمعات من عقلية عنصرية استعلائية، تغذيها كتبهم الدينية المليئة بالأساطير والتحريفات، فهم يعتقدون أنهم أبناء الله على الحقيقة لا على المجاز، كما جاء في سفر التثنية من التوراة المتداولة لديهم، (الإصحاح ٧): «أنتم أولاد الرب إلهكم». وأن آدم كانت له حسب ما ورد في التلمود، عشيقة من الجن أنجب منها أطفالاً، كما أن حواء كان لها عشاقها من الجن أيضاً، وأنجبت منهم كذلك، فهؤلاء الذين أنجبهم آدم من غير حواء، أو حواء من غير آدم، هم أصل سائر الناس، أما أولاد آدم الشرعيين من حواء فهم اليهود.

فأرواح اليهود - في زعمهم - تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، وهي أرواح عزيزة عند الله، والإسرائيلي معترف عند الله أكثر من الملائكة، وإذا ضرب غير اليهودي يهودياً فكأنما ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت، والفرق بين اليهودي وغيره هو كالفرق بين الإنسان والحيوان<sup>(١)</sup>. من هنا يكون مفهوماً ما صرح به أحد القادة العسكريين الإسرائيليين المشاركين في تنفيذ قصف قرية (قانا) في جنوب لبنان والذي أسفر عن قتل ما يقارب المائتين قتيلاً مدنياً فيهم عدد من النساء والأطفال، صرّح هذا العسكري لمجلة (كول هعير) - كل المدينة - الإسرائيلية قائلاً إنه: لم يعتبر المأساة خطأ وان الأمر لا يتعلق

---

(١) البار: د. محمد علي، تحريف التوراة ص ٦٨ الطبعة الأولى ١٩٩٨ م دار القلم - دمشق الدار الشامية - بيروت.

بأكثر من (عرا بوشيم) - أي العرب - وأن هناك ملايين العرب على أي حال!!<sup>(١)</sup> ونفهم أيضاً كيف اعتبر الإسرائيليون مقتل اثنين من جنودهم في رام الله مبرراً لهستيريا القمع والإرهاب التي مارسوها في الأراضي الفلسطينية هذه الأيام.

ويقول الدكتور حسن ظاظا المتخصص في دراسة تاريخ اليهودية واليهود: إن اليهود يحتقرون غيرهم من الشعوب ويطلقون عليهم (جوييم)، واقتربت كلمة (جوى) في عقولهم بالزراية والاحتقار، فإذا قال اليهودي عن شخص أو شيء أنه (جوى) فهو يعني بذلك أنه همجي بربري يجمع القذارة والنجاسة والاحتقار.

فالتراث اليهودي الموثق في التلمود والمدراش يوحى بألوان من التعصب اليهودي ضد أمم العالم، من ذلك أنهم يحرمون أن ترضع المرأة الإسرائيلية طفلاً من غير اليهود، حتى وإن تعرّض للموت من الحرمان من الغذاء، بل تحرم على اليهودي كائناً من كان أن يصدق في النصيحة لوجه الله لرجل غير يهودي، أو أن يعيد إلى غير اليهودي شيئاً فقد منه<sup>(٢)</sup>.

وحسب هذه النظرة العنصرية الاستعلائية يتصرف اليهود في علاقاتهم مع باقي البشر، وهي تشكل توجههم العام، وإذا ما تمرد بعض مفكريهم واعترض على هذا التوجه العنصري، فإنهم يرمونه بالكفر ويحاصرون دعوته في أوساطهم كما حصل للطبيب اليهودي الأندلسي موسى بن ميمون (١١٣٥ - ١٢٠٤م) وللفيلسوف اليهودي الهولندي باروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧م)

(١) الشرق الأوسط، جريدة يومية، لندن ١١، ٥، ١٩٩٦م.

(٢) ظاظا: الدكتور حسن، أبحاث في الفكر اليهودي ص ١٠٩-١١٩ الطبعة الأولى ١٩٨٧م دار القلم - دمشق، دار العلوم - بيروت.

ومن بعده المفكر اليهودي موسى مندلسون (١٧٢٩-١٧٨٦ م) والذي تكتل المتعصبون اليهود ضده ووصموه بالكفر، وحرموا كتبه، بل كانوا يبحثون عنها في الأسواق ويعدمونها قبل أن تصل إلى أيدي القراء<sup>(١)</sup>.

وتحدث القائد الهندي (جواهر لال نهرو) عن هذه الظاهرة العنصرية عند اليهود وما سببت لهم من رد فعل من قبل المجتمعات البشرية الراضية لسلوكهم الاستعلائي العنصري قائلاً: «اليهود شعب عجيب. كانوا في السابق قبيلة صغيرة أو عدة قبائل تسكن فلسطين، ورد تاريخها في العهد القديم في التوراة. وكانوا وما زالوا يظنون أنهم شعب الله المختار. ويظهر أن هذا الظن قد جنى عليهم كثيراً، فغزاهم الغزاة وأخضعوهم وأسرهم... وأخيراً تفرق هؤلاء اليهود في مختلف أنحاء العالم. فلم يكن لهم بيت أو وطن، وأينما حلوا كانوا يعاملون معاملة الغرباء غير المرغوب فيهم، حتى أن كلمة اليهودي أصبحت مرادفة للبخل والربا»<sup>(٢)</sup>.

### في مواجهة الإسلام:

التعصب العنصري وعقلية الاستعلاء هي من أسباب رفض اليهود للدعوة الإسلامية، رغم أنهم كانوا يتحدثون لقبائل العرب في المدينة ومكة، عن ظهور نبي موعود في تلك المنطقة يقرأون صفاته في توراتهم، ولكنهم كانوا يعتقدون أن ذلك النبي لا بد أن يكون من أبنائهم، فلما ظهر رسول الله ﷺ من وسط قريش العرب، ومع انطباق كل الصفات التي في التوراة عليه، غاض ذلك اليهود إذ كيف يخضعون لقيادة من غيرهم، وهم شعب الله المختار، وسواهم أدنى منهم حسب زعمهم. لذلك كانوا يروجون لمقولة: لا يبعث الله نبياً من

(١) المصدر السابق. ص ٩٨-٩٩.

(٢) نهرو: جواهر لال، لمحات من تاريخ العالم ص ٣١٥-٣١٦ دار الجيل - بيروت ١٩٨٩ م.

العرب. ويقول الله تعالى عن موقفهم الاستكباري: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

ولم يقفوا عند حدود الرفض للدعوة، بل جندوا طاقاتهم وقدراتهم لعرقلة مسيرة الإسلام، والتآمر على كيانه الناشئ في المدينة المنورة، لأن ظهور الإسلام أقداهم ما كانوا يريدونه من مكانة مميزة، ودور يتفوقون فيه على من حولهم، ويسيطرون على مقدراتهم.

وساءهم أن يتوحد أهل المدينة من الأوس والخزرج تحت راية الإسلام، بعد أن كانوا متحاربين وكان اليهود يغذون بينهم حالة الصراع لإضعافهم أمام الأطماع اليهودية، كما أن تحريم الإسلام للربا وجه ضربة لهيمنتهم الاقتصادية على أهل يثرب عن طريق الربا.

وانطلاقاً من إنسانية الإسلام، وإقراره لحرية العقيدة، وتشريعه لمنهج التسامح والتعايش، فإنه لم يبادر اليهود بأي موقف عداء، ونهى أتباعه أن يتناقشوا معهم في أمر الدعوة إلا بأفضل أسلوب ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>.

بل وقّع الرسول ﷺ مع مختلف قبائل اليهود في أنحاء المدينة وأطرافها معاهدة تنص على التعايش وحسن الجوار وعدم الاعتداء والدفاع المشترك عن منطقة يثرب. وهي ما عرف بصحيفة المدينة.

(١) سورة البقرة الآية ٨٩-٩٠.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦.

لكن العقلية العنصرية لم تسمح لهم بالقبول بالمشاركة مع الآخرين على مستوى واحد من الحقوق والالتزامات المتبادلة، ولا أن يسكتوا على نمو قوة كيان جديد متحرر عن نفوذهم وهيمتهم، لذلك بدأوا يحيكون المؤامرات، ويدعمون القوى المعادية للإسلام من كفار قريش إلى المنافقين داخل المدينة، ويمارسون مختلف الاستفزات للدولة الإسلامية الفتية، رغم المعاهدات الموقعة، ورغم محاولات الرسول ﷺ لتحذيرهم ونصحهم. يقول تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

مع ذلك لم يتخذ الرسول موقفاً عاماً تجاه كل اليهود، وإنما كان يتصدى للفتنة التي تمارس العدوان والاستفزاز منهم، عسى أن تكون عبرة لبقيتهم فيكفوا عن التآمر ويلتزموا بالمعاهدات والمواثيق في حسن الجوار والتعامل.

### سياسة القوة والردع:

كانت البداية مع يهود بني قينقاع وهم من سكان المدينة، ويدهم ثروة اقتصادية، ولهم حصون حربية، وقد حذرهم الرسول ﷺ من تصرفاتهم المعادية، لكنهم لم يرتدعوا عنها، واستمروا في استفزاز مشاعر المسلمين، فاضطر ﷺ لمحاصرتهم، منتصف شوال للسنة الثانية من الهجرة، فقاوموا الحصار خمس عشرة ليلة، تخللتها مناوشات واشتباكات، ثم تفاوضوا مع الرسول ﷺ، فاشترط عليهم الجلاء عن المدينة، فرحلوا عنها إلى أذرعات الشام، وارتاح المسلمون من مضايقاتهم واستفزاتهم المستمرة.

وبعد سنتين تقريباً من هذه الحادثة خطط يهود بني النضير القاطنون في ضواحي المدينة، والذين كانوا يمثلون قوة اقتصادية ضاربة، خططوا لاغتيال

(١) سورة البقرة الآية ١٠٠.

رسول الله ﷺ، وتآمروا على قتله في ديارهم، بأن يلقوا عليه صخرة حينما كان جالساً في ظل أحد حيطان حصونهم، واكتشف الرسول ﷺ المؤامرة بملاحظته أو بأخبار من الوحي، فبادر للخروج قبل لحظات من تنفيذها، وهناك أُنذرهم الرسول ﷺ بالخروج من تلك المنطقة، والجلء عنها وأعطاهم مهلة عشرة أيام، فرفضوا الإنذار في البداية، ثم حاصرهم المسلمون، وكانت حصونهم منيعة قوية، لكنهم استسلموا فيما بعد ورضخوا لمطلب الرسول ﷺ، وتركوا المنطقة حاملين معهم أموالهم وثرواتهم، باتجاه الشام، وبعضهم إلى خيبر، وكان ذلك في السنة الرابعة للهجرة، وتحدث القرآن الكريم عن هذه الحادثة في سورة الحشر، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم جاء دور يهود بني قريظة، والذين وقعوا مع المسلمين على صحيفة المدينة للتعايش والدفاع المشترك، لكنهم عملوا على تأليب قريش وغطفان على المسلمين، وتحالفوا معهم للهجوم على المدينة في غزوة الخندق، ولما باءوا بالفشل، اتجه المسلمون لتأديبهم على خيانتهم، ومشاركتهم في مخطط الهجوم على المدينة لإبادة المسلمين، وحاصرهم المسلمون أكثر من عشرين ليلة، ثم استسلموا قبل أن يقتحم المسلمون حصونهم، وجرت عملية تفاوض انتهت إلى تحكيم سعد بن معاذ في أمرهم بموافقة اليهود أيضاً، والذي حكم بإعدام رجالهم الخائنين، وأخذ غنائمهم وسيبهم، في السنة الخامسة للهجرة. وكانت آخر معركة حاسمة للمسلمين مع الوجود اليهودي المتآمر في

(١) سورة الحشر الآية ٢.

الجزيرة العربية هي معركة خبير، هذه المعركة التي يهتف المسلمون الآن بها في مسيراتهم وهتافاتهم ضد العدوان الصهيوني (خبير خبير يا يهود جيش محمد سوف يعود).

وخبير واحة خصبة واسعة، يقيم بها أكثر من عشرين ألف نسمة من اليهود، بينهم عدد من المقاتلين الذين يعتبرون أشجع وأقوى العناصر اليهودية المحاربة، وقد لجأ إليهم فلول يهود بني النضير، فأصبحت خبير وكرماً وبؤرة للتآمر على الإسلام، بما فيها من إمكانات مالية ضخمة، وقدرات حربية وسلاح وعتاد. وكان لليهود خبير دور أساس في تحريض الأحزاب على مهاجمة المدينة.

وتوجه النبي ﷺ بجيشه الإسلامي لمحاصرة خبير، وفيها حصون ثمانية أمنعها حصن مرحب، والذي كان أشجعهم وقد حاول الجيش الإسلامي فتح هذا الحصن عدة مرات لكن ضراوة مقاومة اليهود، ومناعة الحصن، لم تسمح بذلك.

جاء في سيرة ابن هشام: «بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برأيته، وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعض حصون خبير، فقاتل، فرجع ولم يك فتح، وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل، ثم رجع ولم يك فتح، وقد جهد، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار.

قال: يقول سلمة، فدعا رسول ﷺ علياً رضوان الله عليه، وهو أرمد، فتفل في عينه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك.

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح - أي به نفس شديد من الإعياء

في العدو - يهرول هرولة، وإنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فما رجع حتى فتح الله على يديه.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن الحسن عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطاح ترسه من يده، فتناول علي ﷺ باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر من سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه»<sup>(١)</sup>.

وقد أخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه». فأُتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاها الراية<sup>(٢)</sup>.

## العدوان الصهيوني:

في غفلة من الزمن، وحيث كان المسلمون يغطون في سبات التخلف

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٦٤ دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٩٤ م.  
(٢) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري - كتاب المغازي - حديث رقم ٤٢١٠.

والانحطاط، عاد خطر اليهود بعد ثلاثة عشر قرناً يهدد الإسلام، ويتحدى المسلمين، فالغرب الاستعماري أراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد، فيتخلص من عبء الوجود اليهودي المزعج في دياره، ويشغل بهم العالم العربي والإسلامي، لإعاقة نهضته، ولتبديد قوته وثرواته، فأعطوا اليهود فرصة لتحقيق أحلامهم في بناء كيان خاص بهم، في فلسطين طبقاً لأساطيرهم الدينية، والمسألة تتعدى إيجاد وطن أو كيان لليهود، لأن طبيعتهم العنصرية وعقليتهم الاستعلائية، تدفعهم للهيمنة على من حولهم، فهم يخططون للسيطرة على الشرق الأوسط كله، بل ويصرحون بذلك، على أساس أن التفاعل بين العقل اليهودي، ورأس المال العربي، واليد العاملة المتوفرة في الشرق الأوسط سيشيح إنجاز تقدم حضاري كبير.

وعلى هذا فالكيان الصهيوني لا يمثل مجرد احتلال لقطعة من أعز الأراضي العربية فقط، بل هو تحد سافر لكرامة الأمة، واغتيال لمستقبلها، وتهديد لاستقلالها ومقدراتها.

### انتفاضة الأقصى:

لقد استفاد اليهود من غفلة العرب والمسلمين وتشتتهم، واعتمدوا على العون والدعم الاستكباري الغربي، بريطانيا ثم أمريكا وسائر الدول الغربية، وفرضوا وجودهم الغاصب بالقوة، وحينما استيقظ المسلمون، وأحسوا بالمؤامرة الخطيرة التي استهدفتهم، لم يستطيعوا وبالظروف السيئة الداخلية والخارجية التي يعيشونها أن يواجهوا تلك المؤامرة، وخسروا الحروب التي خاضوها ضد العدوان الإسرائيلي.

لكن الجسم العربي والإسلامي بقي رافضاً لهذا الوجود اليهودي

الدخيل، ومع نمو الروح الإسلامية تصاعدت حالة الرفض والمقاومة للكيان الصهيوني، وأدرك اليهود ومن خلفهم أن القوة وحدها لا تحمي هذا الكيان من غضب المحيط الإسلامي، ولا تمكن اليهود من تنفيذ مخطط الهيمنة والسيطرة، لذلك رفعوا شعارات السلام الخادعة، وانطلقت مسيرة التسوية في الشرق الأوسط، وهي تستبطن إقناع العرب والمسلمين بتقبل الوجود الصهيوني، وتطبيع العلاقة معه، وإتاحة الفرصة له لتنفيذ مخططاته في الهيمنة على المنطقة، كمرأس حربة للاستكبار العالمي.

فكانت كامب ديفيد الأولى، ومؤتمر السلام في مدريد، واتفاقات أوسلو، واستجاب بعض الزعماء لهذا المكر والخداع، وفتحت سفارات وممثلات لليهود في بلاد المسلمين، وصارت وفودهم تجوب العديد من بلدان الإسلام، وهناك من هرول للتطبيع مع إسرائيل، وهناك من بشر بغنائم ومنجزات السلام!!

وتأتي انتفاضة الأقصى اليوم لتكشف الوجه الحقيقي للمشروع الصهيوني، فاليهود لا يتخلون عن طبيعتهم العنصرية، ونفوسهم تنضح بالعداوة والحقد على الإسلام والمسلمين، وما يمارسونه من إرهاب وقمع شنيع للفلسطينيين العزل، هو تذكير للمنخدعين بوحشية اليهود، وعدم التزامهم بأي موثيق أو عهد.

إنها تضع حداً لخداع السلام، وتقيد المبادرة إلى الشعب الفلسطيني، وتوفر الزخم لجماهير الأمة، لتستعيد حيويتها ودورها الفاعل في ساحة الأحداث.

## عصر الكرامة:

لقد دشنت المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان عهداً جديداً للأمة، تستعيد فيه كرامتها وحقوقها المغتصبة من قبل الصهاينة الجناة.

فبالسير على خط الإسلام، والتزام قيمه ومبادئه، وبروح المقاومة والجهاد، والاستعداد للتضحية والاستشهاد، تحقق النصر المؤزر في جنوب لبنان، وفرّ اليهود هارين مذعورين يجرون أذيال الخيبة والهوان، مع كل ما كانوا يمتلكونه من قوة وعتاد، وبعد كل ما فعلوه من قمع وإرهاب.

وانتفاضة الأقصى هي امتداد لتلك المقاومة الباسلة كما هي استمرار لجهاد أبناء فلسطين الذي لم يتوقف.

وأنظار المسلمين شاخصة لهذه الانتفاضة المباركة، لتعيد المعركة إلى مسارها الصحيح، وما تفاعل جماهير الأمة في مختلف الأصقاع والبقاع مع هذه الانتفاضة المجيدة، إلا دليل واضح على عظيم الآمال المعقودة عليها.

إن القصف والقمع الإسرائيلي ليس جديداً على الفلسطينيين والعرب، فتاريخ الكيان الصهيوني هو سجل للمآسي والفظائع وللمذابح والمجازر، فلا بد من الاستمرار في الجهاد والمقاومة لاستئصال هذه الغدة السرطانية، وإلا فستبقى حياة الفلسطينيين والعرب مأساة ومرارة دائمة.

وعلى المسلمين في كل مكان أن يدعموا هذه الانتفاضة، ويقوموا بواجبهم نحوها، فالمعركة لا تخص الفلسطينيين، وأطماع اليهود لا تقف عند حدود فلسطين.



## القدس.. الأمانة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٣ رجب ١٤٢١ هـ



حينما تكون أرض مهبطاً لوحي الله تعالى لفترات طويلة من الزمن،  
وحينما تكون منبتاً وموتلاً لأكبر عدد من الأنبياء والرسل، وحينما تجمع  
الديانات السماوية على تعظيمها، ويحتد الصراع والتنافس بين أتباع الأديان  
على امتلاكها، فذلك يعني تميزاً خاصاً وشأناً كبيراً لهذه الأرض عند الله تعالى  
وفي أنظار الناس.

وهذا هو واقع بيت المقدس كما كانت تسمى سابقاً منذ الفتح الإسلامي،  
أي البيت المقدس المطهر الذي يتطهر به من الذنوب. وقبل ذلك كان يطلق  
عليها اسم (إيلياء) أي بيت الله، وقد ورد هذا الاسم في العهد العمري الذي  
كتبه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لأهلها عند الفتح. حتى استقرت تسميتها  
بـ(القدس).

والقدس هي البقعة التي أجمع معتنقو الديانات الكبرى الثلاث المسلمون  
والمسيحيون واليهود على تقديسها وبذل الغالي والرخيص من أجلها. وعنها  
تحدث القرآن الكريم والإنجيل والتوراة.

ولم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه هذه البسيطة الدور الذي  
لعبته مدينة القدس في التاريخ، إنها وإن لم تكن من المدن التجارية المهمة،  
ولا من المدن الزراعية أو الصناعية الأساسية على رغم وقوعها بين البادية  
في الشرق، والبحر من الغرب، إلا أنها كانت على مر الدهور مطمح أنظار

الغزاة والفتاحين فحوصرت مراراً، وهدمت تكراراً، وهجرت، وأعيد بناؤها ثماني عشرة مرة في التاريخ، ولكنها بالرغم من هذا كله ظلت قائمة في هذا الوجود، وظل اسمها مذكوراً في طليعة المدن والبلدان، ذلك لأنها مقدسة في نظر جميع الأديان<sup>(١)</sup>.

ويمتد تاريخ القدس إلى أكثر من ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، كما يرجح المؤرخون، حيث بناها اليبوسيون، وكانوا رهطاً من بطون العرب الأوائل، نشؤوا في صميم الجزيرة العربية، وترعرعوا في أرجائها، ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية، واستوطنوا أرض فلسطين، فكان اليبوسيون هم بناء القدس الأولون، بينما طرأ الوجود اليهودي العابر على القدس في مطلع القرن الثامن عشر قبل الميلاد<sup>(٢)</sup>.

### مهد الرسالات والأنبياء:

ليس من باب الصدفة ولا من الأمور العفوية الاتفاقية، أن تكون أرض القدس مهبطاً لوحي الله تعالى على أكثر أنبيائه، وأن تنبثق منها الرسالات الإلهية، وأن ينشأ ويعيش فيها عدد كبير من الأنبياء والرسل، بل وتصبح مثنى لهم ومحلاً لقبورهم ومدافنهم.

لابد وأن يكون ذلك باختيار إلهي، يدل على شأن وفضل منحه الله تعالى لتلك البقعة من الأرض، وشاءت حكمته تعالى أن يوجه الأنظار لقداستها وعظمتها.

فعن ابن عباس رضي الله عنه في الحديث عن رحلة نبي الله موسى ﷺ

(١) الخليلي: جعفر، موسوعة العتبات المقدسة - قسم القدس ج ١ ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق ص ٥٤.

إلى القدس قال: الأرض المقدسة وهي فلسطين، وإنما قدسها لأن يعقوب عليه السلام ولد بها، وكانت مسكن أبيه - أي موسى - إسحاق ويوسف عليهم السلام ونقلوا كلهم بعد الموت إلى أرض فلسطين<sup>(١)</sup>.

وقد ورد أن الله تعالى تاب على داود وسليمان في أرض القدس، وبشر الله زكريا بيحيى فيها، وولد المسيح وتكلم في المهد، وانطلقت دعوته، وأنزلت عليه المائدة من السماء في أرض القدس.

ورفع الله المسيح من الأرض من بيت المقدس إلى السماء، وينزل المسيح عيسى بن مريم عليها السلام بيت المقدس عند ظهور الإمام المهدي آخر الزمان، وماتت مريم ببيت المقدس.

وهاجر إبراهيم من بابل العراق إلى بيت المقدس، وفي بيت المقدس قبور الأنبياء إبراهيم الخليل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وداود، وسليمان، وموسى، وسواهم من الأنبياء، وقبور العديد من زوجات الأنبياء ونسائهم كسارة زوجة إبراهيم، وريقة زوجة إسحاق، وليقا زوجة يعقوب.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: البيت المقدس بنته الأنبياء، وسكنته الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو أقام فيه ملك<sup>(٢)</sup>.

### آيات في فضل القدس:

وإظهاراً لفضل هذه القطعة المباركة، وتعظيماً لشأنها، تحدث القرآن الكريم عن قداستها ومكانتها في آيات عديدة.

١. فالقدس مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها عرج به إلى السماء، وحينما

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٧٨.

(٢) الخليلي: جعفر، مصدر سابق ص ٢٧٣.

يتحدث القرآن عن قضية الإسراء والمعراج، يؤكد على فضيلة القدس، فالرسول ﷺ أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، لكن البركة والفضيلة لا تنحصر في المسجد الأقصى وإنما تشمل كل أراضي القدس من حوله.

يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

«إن تعبير الآية ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ تفيد بأنه علاوة على قدسية المسجد الأقصى، فإن أطرافه أيضاً تمتاز بالبركة والأفضلية على ما سواها، ويمكن أن يكون مراد الآية البركة الظاهرية المتمثلة بما تهبه هذه الأرض الخصبة الخضراء من مزايا العمران والأنهار والزراعة، ويمكن أن تحمل البركة على قواعد الفهم المعنوي فتشير حين ذاك إلى ما تمثله هذه الأرض في طول التاريخ، من كونها مركزاً للنبوات الإلهية، ومنطلقاً لنور التوحيد، وأرضاً خصبة للدعوة إلى عبودية الله»<sup>(٢)</sup>.

٢. وفي حديث القرآن الكريم عن هجرة نبي الله إبراهيم ﷺ ونبي الله لوط ﷺ إلى القدس يقول الله تعالى مؤكداً امتياز هذه الأرض بالبركة الشاملة الدائمة: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣. ويمنحها القرآن الكريم صفة القداسة على لسان نبي الله موسى ﷺ حين يدفع قومه ويحرضهم على فتح القدس وإنقاذها من الجبابرة المشركين، يقول تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ

(١) سورة الإسراء الآية ١.

(٢) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٨ ص ٣٤٦.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٧١.

اللَّهُ لَكُمْ ﴿١﴾.

٤. وعند دخول بني إسرائيل للأرض المقدسة، يشرهم الله تعالى بما في هذه الأرض من الخصائص المادية والمعنوية، ففيها يتوفر العيش الرغيد، وتنال مغفرة الله تعالى، لمن يدخلها ساجداً خاضعاً لشريعة الله، طالباً العفو والغفران من الله، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

### المسجد الأقصى:

وهو أبرز معلم في القدس، كان مصلى الأنبياء، ولا تزال بعض محاربيهم قائمة فيه، واليه أُسري برسول الله ﷺ، ومنه عرج به إلى السماء، وكان قبلة المسلمين الأولى، وهو ثالث الحرمين الشريفين.

أخرج البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: ثم المسجد الأقصى (٣).

وروي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: «أربعة من قصور الجنة في الدنيا: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة» (٤).

(١) سورة المائدة الآية ٢١.

(٢) سورة البقرة الآية ٥٨.

(٣) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، حديث رقم ٣٤٢٥.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ج ٥ ص ٢٨٣ حديث رقم ٦٥٥٦.

وعنه عليه السلام: «صلاة في بيت المقدس تعدل ألف صلاة»<sup>(١)</sup>.

والأحاديث الواردة عن أحداث الإسراء والمعراج تظهر الكثير من فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت المقدس حمله جبرائيل على البراق، فأتى بيت المقدس، وعرض عليه محاريب الأنبياء وصلى بها<sup>(٢)</sup>.

### الفتح الإسلامي للقدس:

وإدراكا من المسلمين لأهمية القدس، ومكانتها عند الله تعالى، ولما تمثله لهم من قيمة معنوية كبيرة، فقد كانوا يتطلعون إلى أن ترفرف عليها أعلام الإسلام، وتصبح تحت عناية ورعاية الدولة الإسلامية، فحاصرتها جيوش المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، تحت قيادة أبي عبيدة، ووقعت بعض المعارك حول أسوارها، فقبل أهلها الصلح شريطة أن يتم ذلك على يد الخليفة عمر، وان يحضر الخليفة نفسه عقد هذا الصلح، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك، وجاء في كتاب (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - للقاضي مجير الدين الحنبلي): أن الخليفة عمر حين تلقى كتاب أبي عبيدة استشار رؤساء المسلمين في أمر حضوره تسليم القدس، وتعهده وجاهاً لسكانها المسيحيين، فعارض ذلك جمع من الصحابة منهم عثمان بن عفان، لكن علي بن أبي طالب أشار على الخليفة بالموافقة على طلبهم، وأخذ عمر برأي علي، واستخلفه مكانه في المدينة، وسار نحو الشام، وصالح أهالي القدس، وكتب لهم عهداً خاصاً، يضمن لهم فيه حريتهم الدينية وممارسة شعائرهم وتقاليدهم، وتوفير الأمن والأمان. وأصبحت القدس تحت حكم الأسلام سنة ٦٣٦ م الموافق

(١) المصدر السابق ص ٢٨٩ حديث رقم ٦٥٧٣.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٣٦.

سنة ١٦هـ<sup>(١)</sup>.

واهتم المسلمون بتعظيم القدس ومسجدها الأقصى، وكان الخلفاء يتبارون في إبداء الرعاية والاهتمام بتلك البقعة المباركة، حيث تم تجديد وترميم المسجد وقبته التاريخية المعروفة بقبة الصخرة، أكثر من مرة، كما كان المسلمون يتفانون في الدفاع عن تلك الأرض المقدسة، وصد الغارات التي استهدفتها من الصليبيين، وإذا ما نجح عدو في الاستيلاء على القدس، فإن روح الجهاد والمقاومة كانت تبقى مشتعلة متقدة في نفوس المسلمين حتى يتم تحرير المقدسات، وتطهيرها من دنس سيطرة الأعداء، كما حصل حينما انتهزت أوروبا فرصة ضعف الدولة العباسية، والدولة الفاطمية وتمزق العالم الإسلامي إلى دويلات هزيلة، فجهزت الحملات الصليبية والتي واكبتها تعبئة دينية ضد الإسلام والمسلمين، واستولوا على القدس عام ١٠٩٩م فما هجعت عيون المسلمين ولا استقرت نفوسهم حتى حققوا النصر باستعادة القدس وطرد الصليبيين المحتلين في موقعة حطين الشهيرة سنة ١١٨٧م.

### العدوان اليهودي الصهيوني:

أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تبلورت في أوساط اليهود فكرة إنشاء كيان قومي خاص بهم، بعد أن اشتدت عليهم ضغوط المجتمعات التي كانوا يعيشون بينها وخاصة في أوروبا الشرقية، وذلك بسبب طبيعتهم العنصرية والسلوكيات التي انبثقت منها. وكان ثيودور هرتزل هو المؤسس الأول للصهيونية الحديثة، والذي ألف كتاباً بعنوان (الدولة اليهودية) رافضاً فكرة ذوبان اليهود في ثقافات الدول التي يعيشون فيها، وداعياً إلى توحيد جهود

(١) الخليلي: جعفر، موسوعة العتبات المقدسة- قسم القدس ج ١ ص ٨٣.

اليهود لبناء دولة خاصة بهم وطرح أمام اليهود خيارات عديدة كأماكن محتملة لتحقيق هذا الهدف منها الأرجنتين، أوغندا، قبرص، سيناء، فلسطين واعتبرها المكان الأمثل، لما في التراث اليهودي من تقديس لهذه الأرض، والذي تحوّل إلى أوهام وأساطير، تغدّي فكرة اختصاصهم بهذه الأرض وأحقّيتهم بالسيطرة عليها، إلا أن هرتزل لم يعتبر فلسطين هي الخيار الوحيد، ولم يستثن الخيارات الأخرى، وإنما حصل ذلك بعد وفاته، حيث رأى اليهود أن الأوضاع التي يمر بها المسلمون قد تساعدهم على تحقيق فكرتهم في فلسطين أفضل من أي مكان آخر، فكتب (ناحوم جولدمان) مركزاً على فلسطين «لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وآسيا وأفريقيا، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم، ولأنها المركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم»<sup>(١)</sup>.

وضغط اليهود على بريطانيا وكانت الدولة الأقوى لمساعدتهم على تحقيق مطامعهم في فلسطين، فأصدرت بريطانيا وعد بلفور عام ١٩١٧م تتبنى فيه هذا الهدف اليهودي العدواني.

وانشأ اليهود لهم مؤسسات على مستوى العالم كالوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي لجمع المال، وتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، واستملاك أراضيها، كما تظافرت جهودهم في أوروبا وروسيا ثم في أمريكا للاستعانة بتلك الدول عن طريق نفوذهم في أجهزتها، لكي تدعم قيام مشروعهم وكيانهم العدواني.

وحينما وقفت الدولة العثمانية ممثلة في السلطان عبد الحميد الثاني في

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ج ١٥ ص ١٨٤، الطبعة الثانية ١٩٩٩م الرياض.

وجه هذا المخطط اليهودي، فإن اليهود ركزوا جهودهم للتآمر على الدولة العثمانية وإسقاطها على يد أتاتورك.

وفي سبات من المسلمين، وحالة وهن وتفكك، تحقق لليهود ما يريدون من السيطرة على الأرض المقدسة واحتلال المسجد الأقصى، وتهجير أكثر أهالي فلسطين من العرب والمسلمين ليحل محلهم اليهود المستوطنون الذين جلبوهم من مختلف البقاع والأصقاع، بتأييد ورعاية الدول الاستعمارية الكبرى.

### أمانة المسلمين:

القدس الشريف ومسجدها الأقصى المبارك، والذي رعاه المسلمون وحموه من منتصف العقد الثاني لقيام الأمة والدولة الإسلامية، وتوارث أجيال الأمة الدفاع عنه والتضحية من أجل تقديسه وتعظيمه، أصبح الآن أمانة في أعناق المسلمين من أبناء القرن العشرين، وقد انضحت معالم المشروع الصهيوني، وتجسدت أخطاره ماثلة للعيان، إنه مشروع يستهدف انتزاع إرادة الأمة، والسيطرة على خيراتها وثرواتها في هذه المنطقة الهامة من العالم.

وفلسطين مركز ومنطلق لتحقيق الأطماع اليهودية التوسعية، وما نراه الآن من قمع وإرهاب يمارسه الصهاينة ضد الفلسطينيين، هو نموذج للأسلوب الذي سيتعاملون به مع كل المسلمين لو تمت لهم الهيمنة والسيطرة.

إنهم لا يرون لغيرهم أية قيمة أو اعتبار، فهم شعب الله المختار ويجب أن يكونوا أسياد العالم، وأسياد هذه المنطقة بالخصوص، وقد صرّح شيمون بيريز يوم كان وزير خارجية إسرائيل قبل سنوات قائلاً: إن الشرق الأوسط

حديقة أطفال كبيرة<sup>(١)</sup>.

وهم الآن يسومون أبناء فلسطين سوء العذاب ويوجهون نيران أسلحتهم الفتاكة إلى صدور الأطفال والشباب العزل، ونتابع والعالم ضحايا الإرهاب والقمع اليهودي البشع على أرض فلسطين العزيزة كل يوم وكل ساعة.

### القمة العربية أمام التحدي:

في هذه الظروف الحساسة، وحيث تتصاعد الانتفاضة في فلسطين، ويشتد ويتزايد القمع الصهيوني، وتسود الأمة الإسلامية أجواء الغضب تنعقد القمة العربية في القاهرة، لتتوجه إليها أنظار الفلسطينيين المضطهدين، وجميع العرب والمسلمين الغاضبين، منتظرين من هذه القمة أن تكون بمستوى التحدي والمسؤولية.

إن أقل ما يتوقعه الشارع العربي والإسلامي من هذه القمة إذا لم تعلن حالة الحرب والجهد لتحرير المقدسات ما يلي:

أولاً: إيقاف خطر التطبيع والعلاقة مع الكيان الصهيوني، فلا شيء يجرح نفس الإنسان المسلم، ويهدد مستقبل الأمة بالخطر، كإقامة العلاقة مع هذا الكيان الغاصب، حيث تشكل اعترافاً وقبولاً بوجوده العدواني، كما تفسح المجال لمخططاته التوسعية، في النفوذ إلى العقول والنفوس، والسيطرة على الإمكانيات والمقدرات.

إنه لمؤلم جداً أن ترتفع أعلام الصهاينة في بعض العواصم العربية والإسلامية، ويستقبل قادتهم وزعماءهم بالحفاوة

(١) الحياة: جريدة يومية - لندن ٣٠، ٦، ١٩٩٥ م ص ١٩.

والاحترام في بلاد الإسلام، وهم مجرمو حرب تلطخت أيديهم  
بدمائنا، ودنسوا بأقدامهم مقدساتنا!!

ثانياً: دعم الانتفاضة الباسلة في فلسطين سياسياً ومعنوياً واقتصادياً  
وعسكرياً، لتستمر في مواجهة الطغيان الصهيوني، ولتحقق هدف  
تحرير المقدسات، وحماية الأقصى المبارك من اعتداءات اليهود.

ثالثاً: إفساح المجال للشعوب الإسلامية لتقوم بواجبها في جهاد الصهاينة  
المحتلين، بمختلف أشكال الجهاد والمقاومة.

رابعاً: الضغط على أمريكا لتضع حداً لانحيازها للظلم الصهيوني على  
حساب الحقوق العربية والإسلامية العادلة، وذلك لا يكون بتصريحات الإدانة  
فقط، وإنما بالتخطيط الشامل لاستخدام كل أوراق الضغط ووسائل التأثير.



## **نحو وعي تربوي**

كلمة الجمعة بتاريخ ٣٠ رجب ١٤٢١هـ



يشغل الأولاد أكبر حيز من الاهتمام في حياة الوالدين، بل يصبحون هم الشغل الشاغل والمحور الأساس في حياتهما، فعلى المستوى الذهني ينشغل الإنسان بالتفكير في متطلبات حياة الأولاد، وتوفير أسباب الراحة لهم، وعلى الصعيد النفسي يصبحون هم مركز الانشداد والتفاعل العاطفي، ومن الناحية العملية يأخذون القسط الأكبر من جهد الإنسان ونشاطه، بل قد يشكلون أقوى دافع له للعمل والحركة من أجل الوفاء بمستلزمات حياتهم وتسيير شؤونها.

ولكن لماذا يصرف الإنسان كل هذا الجهد والاهتمام من أجل أولاده؟

ولماذا تتلخص حياة الإنسان وتتمحور في دائرتهم؟

هناك سر إلهي حيث أودع الله تعالى في قلب الوالدين ينبوعاً من الحب والعطف يتدفق على الأولاد بشكل غريزي.

ويشير الإمام الحسين بن علي عليه السلام في دعاء عرفه لهذا السر الإلهي قائلاً: «وعطفت علي قلوب الحواضن وكفلتني الأمهات الرحائم» .

ومن دون هذا النبع العاطفي الفيّاض ما كان يمكن تحمّل عناء الحمل، ومخاطر الولادة، وصعوبات التنشئة والتربية.

ينقل أن نبي الله موسى عليه السلام رأى أمّاً تحتضن طفلها الرضيع بكل لهفة وشوق، فلفت نظره هذا المشهد الإنساني البليغ، فأوحى الله تعالى إليه: يا نبي أنا أودعت هذا الحنان والمحبة في قلب الأم على طفلها أوتريد أن ترى خلاف

ذلك؟ وخلال لحظة واحدة أبدت الأم انزعاجها من صراخ طفلها، وتركته على الأرض، وولت عنه غاضبة، ومع تصاعد بكائه وصراخه، واستمرار استغاثته بها، إلا أنها معرضة عنه غير مبالية به، فرق قلب نبي الله موسى ﷺ لهذا الطفل، ودعا الله أن يعيد العطف والحنان إلى قلب أمه عليه، وفي أقل من لحظة هرعت الأم نحو طفلها وضمته إلى صدرها وغمرته بقبلاها وحنانها، وصارت تفديه بنفسها وحياتها..

### الأولاد امتداد للذات:

وثمة عامل آخر وراء هذا الارتباط العميق بالأولاد والاهتمام بهم، هو كونهم يمثلون الامتداد والاستمرار لذات الإنسان، فهم جزء حقيقي من الوالدين، يحملون الكثير من صفاتهما وملامحهما، وينسبون إليهما، لذلك يرى الوالدان فيهم ذاتيهما، وبقاء ذكرهما.

يقول الإمام علي ﷺ مخاطباً ولده الحسن: «وجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني وكأن الموت لو أتاك أتاني فعناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي»<sup>(١)</sup>.

إن رغبة البقاء والاستمرار في هذه الحياة متجذرة في أعماق الإنسان، وإذا كانت فرصته فيها محدودة على المستوى الذاتي، فإنه يسعى لتمديد وإطالة فرصة بقاءه واستمراره عبر أولاده المتفرعين منه، وإذا لم يكن له ولد فكأن حياته تبتت وتقتطع، وتعبير القرآن يكون أبتت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وروي أنه «من مات بلا خلف فكأنما لم يكن في الناس، ومن مات وله

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة- كتاب رقم ٣١.

(٢) سورة الكوثر الآية ٣.

خلف فكأنه لم يمت»<sup>(١)</sup>.

إن القرآن الكريم يحدثنا عن حرص ورغبة أنبياء الله العظام في أن يكون لهم أولاد وذرية، مع ما لهم عند الله تعالى من الشأن الرفيع، فنبى الله إبراهيم عليه السلام وهو خليل الله، كان يدعو ربه في طلب الولد، حتى استجاب الله دعاءه في سنّ متقدم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ونبى الله زكريا عليه السلام كان يسأل الله بالحق أن يرزقه الولد ﴿كهيعص﴾. ذَكَرُ رَحْمَةً رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا. إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا. قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا<sup>(٣)</sup>.

ونبينا الأعظم محمد عليه السلام حينما كان الكفار يشمتون به ويعيرونه أنه لا عقب له، فإن الله تعالى طمّنه وبشره بكثرة الذرية والنسل، كما ورد حول تفسير سورة الكوثر، وأن الله أعطى نبيه كثرة الذرية، بينما أعداؤه الذين عابوه بأنه أبتّر لا نسل له قد انقطع نسلهم.

وإذا كان عدد من الناس يعانون في الماضي من الحرمان من الذرية والنسل، فإن تقدم علوم الطب في هذا العصر، قلّص من رقعة ذلك الحرمان، وأتاح فرصة التمتع بالإنجاب للكثيرين ممن كانوا يعانون من بعض العوائق، وذلك عبر التلقيح الصناعي والذي لا ترى الشريعة فيه بأساً، بل هو مستحب ومرغوب فيه ما دام داخلاً تحت عنوان التناسل المندوب إليه شرعاً.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ج ٢١ ص ٣٥٧ حديث رقم ٢٧٢٩٠.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٩.

(٣) سورة مريم الآية ١-٦.

## الرعاية الشاملة:

الاهتمام الكبير الذي يوليه الوالدان للأولاد، والحرص الشديد منهما على رعايتهم، غالباً ما ينحصر في العناية بالجانب الجسمي المادي من شخصية الأولاد، كتوفير الغذاء والدواء واللباس وما يرتبط بذلك، إن الوالدين يعلنان حالة الاستنفار حينما يصاب الطفل بأذى أو مرض في جسمه، ويفتشان له عن العلاج والدواء بأسرع ما يمكن، كما يحرصان على إشباع حاجته من الغذاء، ولا يتحملان بكاءه من جوع أو عطش ولو لحظة واحدة، ويهيئان له ما يناسبه من كسوة ولباس..

لكن هناك جوانب أخرى في شخصية الطفل تحتاج إلى توجه ورعاية أكبر، إنه ليس جسماً فقط، بل هو كائن إنساني متعدد الجوانب والأبعاد، ومسئولية الوالدين هي الرعاية الشاملة، والاهتمام الكامل بتلك الجوانب المختلفة.

إن الإنسان مخلوق مميز، يختلف عن بقية الكائنات، بتنوع أبعاده، فليده نفس مليئة بالمشاعر والأحاسيس المتصارعة، والميول والرغبات المتناقضة، ولديه قدرات عقلية هائلة، ولأنه مدني بطبعه، له بعد اجتماعي، كما أنه مهياً ومؤهل للعب دور كبير على مستوى الحياة والكون، باعتباره مستخلفاً لله في الأرض.. لكن ما لديه من كفاءات وقدرات وميول ورغبات، حينما يأتي إلى الدنيا، إنما هي على شكل مواد خام، وبذور واستعدادات، فيحتاج إلى فترة من الرعاية والتربية، لتنمو طاقاته، وتتطور قدراته، ويتدرب على قضايا الحياة، وتشذب غرائزه وميوله، وتترشد مساراته وسلوكه.

بينما بقية الحيوانات تعيش ضمن بعد محدود، تسير فيه بغريزة وتقدير إلهي، لذلك لا تحتاج إلا لقدر ضئيل من التنشئة والإعداد، ثم تنطلق لأداء دورها المحدد المرسوم، ففترة الطفولة عند الحيوانات قصيرة تقاس بالأيام أو

بالأسابيع أو بالشهور في أقصى التقديرات، ولا تكاد تجد نوعاً من الحيوانات يحتاج إلى رعاية أمه لأكثر من سنة.. وبعض الحيوانات كالحشرات والأسماك قد لا تحتاج إلى تربية ورعاية أصلاً، فأنتى السمك تلقي بيضها في الماء قبل الفقس، فيفقس في الماء وبعض الأنواع منها يفقس البيض داخل السمكة ثم تضع اليرقات في الماء، وبمجرد أن تفقس السمكة من بيضها، أو تلقي يرقتها في الماء، تمارس حياتها بشكل مستقل دون حاجة لرعاية أو تدخل من قبل الأم.. وتوجد أنواع قليلة من السمك ترعى نسلها للحظات بسيطة جداً.. علماً بأن هناك اثنين وعشرين ألف نوع من السمك، وبعض الأسماك مثل سمكة القُد في كل موسم للتناسل تلقي تسعة ملايين بيضة، يفقس قسم منها والباقي لا تساعده الأجواء على الفقس<sup>(١)</sup>.

ولتمييز الإنسان في مكانته ودوره وكفاءاته وقدراته، شاءت حكمة الله تعالى أن يمر بفترة طويلة من الحاجة لرعاية الأبوين وتربيتهما، لتبلور شخصيته، وتنمو مواهبه وطاقاته، إلى جانب تكامله وتطوره الجسمي.

### الوعي التربوي:

وإذا كانت التربية تعني تنشئة الطفل ورعاية نموه في الأبعاد المختلفة جسدياً ونفسياً وعقلياً وسلوكياً، فإنها بحاجة إلى وعي وتخطيط ومعرفة، إن تصنيع أي جهاز من الأجهزة يستلزم معرفة وخبرة سابقة، وكلما كان الجهاز أكثر دقة وتعقيداً تطلب مستوى أعلى من المهارة عند صانعه.

والتربية هي صناعة الشخصية الإنسانية، بما تحمل من مؤهلات وكفاءات، وتتطلع إليه من دور وإنجاز. ومما يلفت النظر أن الله تعالى قد عبّر عن التربية بالصناعة والتصنيع، في الحديث عن نشأة نبي الله موسى

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ٢ ص ١١١، الطبعة الثانية ١٩٩٩م - الرياض.

ﷺ وإعداده لدور الرسالة والقيادة، يقول تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾<sup>(١)</sup>.

لكن ما نلاحظه من واقع حياة الناس، أن الأكثرية يتعاطون مع تربية أطفالهم كعمل عفوي، ينطلق من العادات الموروثة، ويحكمه المزاج الشخصي الآني. إن نسبة الإنجاب والمواليد في مجتمعاتنا تعتبر من أعلى المعدلات في العالم، فعندنا في المملكة مولود جديد كل دقيقة، وحسب إعلان لوزارة الصحة: أنه في شهر رمضان الفائت ١٤٢٠هـ كان عدد المواليد في المملكة (٤٥,٠٠٠) مولوداً أي بمعدل كل أربعين ثانية مولود جديد.

والسؤال المطروح هو مدى توفر الجدارة والتأهل التربوي عند العوائل التي تستقبل هذا العدد الكبير من المواليد.

إن أغلب الشباب والفتيات حينما يبدوون حياتهم الزوجية، ويصبحون على أعتاب مرحلة الوالدية، لا يهتمون بالاستعداد لهذه المرحلة، بالتعرف على عالم الطفل الذي ينتظرونه بلهفة وشوق، وبتحصيل معرفة مناسبة عن برامج التربية وأساليبها ووسائلها، ليكونوا قادرين على إنجاز هذه المهمة بنجاح.

إن مناهج الدراسة والتعليم للشباب والفتيات وخاصة في المراحل المتقدمة كالثانوية والجامعة ينبغي أن تولي هذا الجانب اهتماماً مناسباً، لأن رواد هذه المراحل يقتربون من الدخول في فئة الآباء والأمهات.

والمؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية في المجتمع يجب أن تضع برامج للإعداد والتوعية التربوية، فذلك يوفر عليها الكثير من الجهود المستقبلية، ويساعدها على تحقيق أهدافها في إصلاح وإرشاد المجتمع.

(١) سورة طه الآية ٣٩.

لأننا إذا علّمنا العوائل كيف تربي أبناءها تربية سليمة، فسنكسب جيلاً أقرب إلى الصلاح، وأسرع استجابة إلى الخير.

إن وجود دورات مركزة ولو لعدة ساعات يمكن أن تفتح آفاق ذهن المقبل على مرحلة الوالدية، ليكون أكثر تفهماً وإدراكاً لمتطلبات العملية التربوية.

ولوسائل الإعلام والتثقيف دور هام يمكن أن تؤديه في هذا المجال، عبر البرامج المختلفة، ونشر الكتب التوجيهية والمتخصصة في الحقل التربوي، وقد لفت نظري عنوان كتاب صادر عن معهد جيزيل لنمو الطفل، ترجمه الدكتور فاخر عاقل إلى اللغة العربية، بعنوان (التهيؤ للوالدية) وهو يتحدث كما يشير عنوانه عن تحضير الوالدين لصناعة الوالدية، ويحدثهم عن المشكلات المختلفة التي تصادف الوالدين والحلول العملية لها.

وفي تراثنا الإسلامي مخزون عظيم من المفاهيم والمعارف والتعاليم التربوية، التي لو قدر لها أن تنشر وتداول في أوساط المجتمع، لأنتجت وعياً عاماً باتجاه أفضل الأساليب التربوية. وهنا تأتي مسؤولية علماء الدين وخطباء المنبر، ليولوا هذا الجانب اهتماماً أكبر في أحاديثهم وخطاباتهم.

وتجب الإشادة هنا بمبادرة الواعظ الديني الخطيب الشيخ محمد تقي فلسفي رحمه الله، وهو من أبرز خطباء إيران المعاصرين، حينما تناول موضوع (الطفل بين الوراثة والتربية) في محاضراته لشهر رمضان المبارك سنة ١٣٨١هـ وانتشرت في أوساط المجتمع الإيراني ثم ترجمت إلى اللغة العربية وطبعت في مجلدين، وأصبحت من أفضل المصادر في هذا الحقل.

### كيف نفهم أطفالنا؟:

ربما ينظر الكثيرون لأطفالهم نظرة بسيطة ساذجة، فالطفل عندهم مساوق

للجهل وعدم الفهم والإدراك والشعور، وفي مجتمعنا يعبر عن الأطفال  
بـ(الجهال) فضمن التحية يسأل الواحد منا الآخر: كيف حال الجهال؟ أي  
الأولاد والأطفال! ويتحدث رب العائلة قائلاً: سافرت مع الجهال!

وربما تستمر هذه النظرة عند بعض العوائل لأبنائها حتى حينما يتجاوزون  
مرحلة الطفولة، ويصبحون شباباً، لكنهم يقعون في نظر أهاليهم أطفالاً وجهالاً.  
إنها نظرة خاطئة فالطفل ليس عديم الإدراك والفهم والشعور كما يتصور  
الكثيرون، إنه يتحسس ما حوله، وتستيقظ مداركه في وقت مبكر، ويسجل  
الانطباعات ويلتقط الصور، وتبدأ عملية التكوّن والتشكل لشخصيته المستقبلية  
وللدعامات التي تركز عليها، منذ السنوات الخمس أو الست الأولى، والتي  
يطلق عليها علماء التربية السنوات التكوينية.

«فقد أثبتت الدراسات الإكلينيكية وكذلك الملاحظات التجريبية التبعية  
أن السمات الأساسية للشخصية عند الكبير ما هي إلا امتداد لتأثير الخبرات  
الطفلية المبكرة التي سبق أن مر بها فمِنذ الأسابيع الأولى في عمر الطفل تبدأ  
قابليته للتعلم، والمقصود بالتعلم هنا، إما اكتساب مثيرات شرطية - عن طريق  
الاشراط الاستجابي أو الكلاسيكي - وإما تعديل في السلوك الإجرائي - عن  
طريق التدعيم أو مبدأ الاشرط الإجرائي - وأفادت تجارب كثيرة أن الطفل  
يمكنه في وقت مبكر جداً، أن يكتسب مثيرات شرطية مثل صوت شوكة رنانة  
مثلاً، أو إضاءة ضوء، وذلك بالنسبة لأفعال منعكسة مثل رمش العين، أو  
حركة الرضاعة عندما تقترن تلك المثيرات بالمثيرات الطبيعية لهذه الأفعال  
المنعكسة»<sup>(١)</sup>.

(١) إسماعيل: در محمد عماد الدين، الأطفال مرآة المجتمع ص ٨-٥٢ سلسلة عالم المعرفة

وعندما يصل الوليد إلى سن الثالثة يكون قد حقق نمواً حركياً ومعرفياً سريعاً، نمواً يتضمن أكثر من مجرد زيادة في الوزن والحجم، فمع تقدم السن يتقدم الطفل بشكل واضح في النمو الحركي، ونمو التأزر والنمو المعرفي بالبيئة المحيطة به من عالم البشر وعالم الأشياء.

وتؤكد دراسات علمية أن الوليد يستطيع ابتداء من الشهر الرابع أن يميز الانفعالات التي تظهرها تغيرات الوجه البشري. فهو في هذا الشهر يطيل النظر إلى الوجوه المعبرة بالفرح، أكثر مما يفعل بالنسبة للوجوه الغاضبة أو المحايدة.

وملاحظ أن الطفل بعد سن الثانية تنمو لديه المفردات الكلامية بسرعة كبيرة، فعندما يصل السنة الثانية تكون حصيلته في حدود الخمسين مفردة لكنه في الثانية والنصف يصل متوسط عدد المفردات لديه إلى ٤٠٠ كلمة تقريباً، وبلوغه الثالثة يمتلك ما يقارب الألف كلمة في المتوسط، ويبدأ في تركيب الكلمات على شكل جمل مفيدة، ويصبح ٨٠٪ من كلامه مفهوماً للسامع، وفي السنة الرابعة يتقن اللغة تماماً.

وما الأسئلة الكثيرة التي يمطر بها الطفل والديه عن كل شيء يستوقفه إلا مؤشر على تيقظ مداركه، ونشاط أحاسيسه ومشاعره.

ويركز الأطفال ملاحظتهم على سلوك وتصرفات من حولهم، ويكتسبون من تلك الملاحظة، في بناء قناعات وتصورات داخل نفوسهم تبقى آثارها على أفكارهم وتوجهاتهم المستقبلية، كما يندفعون لمحاكاة ما يشاهدون ويلاحظون.

هذه العينات من مظاهر النشاط الذهني والنفسي والسلوكي عند الطفل

تفرض علينا إعادة النظر في رؤيتنا وفهمنا لعالم الطفولة، فالطفل ليس ذلك الكائن الجاهل الذي لا يمتلك أي مستوى من الإدراك والشعور، بل هو مشروع شخصية تأخذ في النمو والتكامل، وتنطوي على قدر من الفهم الإحساس يتزايد ويتصاعد يوماً بعد آخر.

### الأطفال نعمة وأمانة:

الأطفال ليسوا ممتلكات يتصرف فيها الوالدان كما يحلو لهما، بل هم نعمة وأمانة من قبل الله تعالى، نعمة تستوجب الشكر، وشكرها القيام بواجب الرعاية والتربية، وأمانة تترتب عليها المسؤولية والالتزام. والوالدان مسؤولان أمام الله عز وجل عن تعاملهما مع أولادهما الصغار، إضافة إلى تحملهما لنتائج التربية في حياتهما.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه، والمعونة على طاعته فمثاب على ذلك ومعاقب».

وإذا كان الطفل لا يملك قوة تردع الإساءة، فهو تحت تصرف أبويه، لكن الله تعالى هو الجهة التي تقف خلفه، وترصد أي إساءة تتوجه إليه، جاء في الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إن الله ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان»<sup>(١)</sup>.

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، فروع الكافي ج ٦ ص ٥٠.

## **بين الحقوق والواجبات**

كلمة الجمعة بتاريخ ٧ شعبان ١٤٢١هـ



باعتبار الإنسان عضواً في مجتمعه، وجزءاً من محيطه، فعلاقته مع ما حوله علاقة تفاعل بين طرفين، وذلك يعني وجود التزام متبادل له وعليه، وقد أصبح متداولاً أن يطلق على الالتزامات التي عليه مصطلح الواجبات، أي ما يجب عليه تجاه الآخرين، كما يطلق على التزامات الآخرين المفترضة نحوه عنوان الحقوق، أي ما يستحقه منهم.

وفي الأصل فإن الحق والواجب يرجعان إلى معنى واحد هو الثبوت، جاء في لسان العرب: حق الأمر يَحِقُّ ويُحَقُّ حقاً وحقوقاً: صار حقاً و ثبت، قال الأزهري: معناه وجب يجب وجوباً. وفي التنزيل: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي ثبت. وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. أي وجبت وثبتت<sup>(١)</sup>.

وعن معنى الواجب والوجوب جاء أيضاً في لسان العرب: يقال: وجب الشيء يجب وجوباً إذا ثبت، ولزم<sup>(٢)</sup>.

وقال المحقق الأصفهاني: وأما الحق فله في اللغة معان كثيرة، والمظنون رجوعها إلى مفهوم واحد، وجعل ما عداه من معانيه من باب اشتباه المفهوم بالمصداق، وذلك المفهوم هو الثبوت تقريباً، فالحق بمعنى المبدء هو الثبوت،

(١) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب ج ١ ص ٦٨٠.

(٢) المصدر السابق ج ٦ ص ٨٧٨.

و الحق بالمعنى الوصفي هو الثابت، وبهذا الاعتبار يطلق الحق عليه تعالى لثبوته بأفضل أنحاء الثبوت الذي لا يخالطه عدم أو عدمي، والكلام الصادق حق لثبوت مضمونه في الواقع ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ أي يثبتهُ ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ثابتاً ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ أي ثبت ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي ثبتت و ﴿الْحَاقَّةُ﴾ أي النازلة الثابتة «وحقيق عليّ أن لا أقول إلا الحق» أي ثابت عليّ<sup>(١)</sup>.

وبناءً عليه فإن الحق والواجب يؤديان معنى واحد، وفي مجال بحثنا فإن الحقوق هي الأشياء الثابتة على الإنسان للآخرين، أو على الآخرين للإنسان، والواجبات هي الثابتة على الإنسان للآخرين، أو على الآخرين له، فالحقوق واجبات، والواجبات حقوق، والفرق إنما هو في النسبة للإنسان أو عليه.

### الحقوق متوازية:

انتظام حياة الإنسان في مجتمعه يقتضي أن يتمتع بالحقوق التي له، وأن يؤدي الواجبات التي عليه، وإذا ما حصل خلل في هذه المعادلة، فسيؤدي إلى الاضطراب في حياة الفرد والمجتمع.

ففي الحياة العائلية - مثلاً - هناك حقوق متبادلة بين الزوجين يقول تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٢)</sup>، فإذا ما التزم كل منهما بأداء حقوق الآخر، عاشا في سعادة ووثام، أما إذا تخلف أحد الطرفين عن القيام بشيء من واجباته تجاه الآخر، فسينتج عن ذلك اضطراب العلاقة، وفقدان الانسجام، مما يلقي بظله على مجمل حياة الأسرة، وإنجاز مهماتها الاجتماعية.

(١) الأصفهاني: الشيخ محمد حسين، حاشية كتاب المكاسب ج ١ ص ٣٨ الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ دار المصطفى لإحياء التراث - قم.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٨.

وعلى الصعيد السياسي: هناك حقوق متبادلة بين الراعي والرعية، بين الحاكم والمحكوم، ورعاية تلك الحقوق من قبل الطرفين، يوفر الأمن والاستقرار، ويفسح المجال لتقدم الوطن والأمة، بينما يؤدي جور الحاكم على حقوق الشعب، أو تجاوز المواطن لحق السلطة، إلى الفتنة والفوضى والفساد.

وهكذا الأمر في كل مجال من مجالات الحياة الاجتماعية، والعلاقات الإنسانية، فليست هناك علاقة بين طرفين يختص أحدهما بالحقوق، ويحرم منها الآخر، وحتى بالنسبة لله تعالى وهو الخالق المفضل على عباده، فقد وعد المؤدي لحقه تعالى في العبادة والخضوع بالجزاء والثواب.

ويقرر الإمام علي عليه السلام هذه الحقيقة مخاطباً رعيته بداية حكمه بقوله: «ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم، فالحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له. ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه، لقدرتة على عباده، ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه، ولكنه سبحانه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه، وتوسعاً بما هو من المزيد أهله. ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تكافاً في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض»<sup>(١)</sup>.

إنه تأكيد على تبادل الحقوق المتوازية بين الحاكم والمحكوم، كمصداق لمبدأ عام يتمثل في تكافؤ الحقوق ضمن أي علاقة بين طرفين.

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة ٢١٦.

## الواجبات أولاً:

وإذا كان على الإنسان من الواجبات تجاه الآخرين، بمقدار ماله من الحقوق، فنقطة البداية لبناء علاقة صحيحة ناجحة مع الآخر، يجب أن تنطلق منه بالمبادرة لأداء الحقوق المتوجبة عليه، مما يلزم الآخر ويشجعه على التعامل بالمثل، وحيثُ تنظم العلاقة وتستقيم.

ومعنى ذلك أن يفكر الإنسان بالواجبات التي عليه، قبل أن يفكر في الحقوق التي له، وأن ينجز ما عليه، قبل أن يطالب بما له.

لكن مشكلة الأكثرين أنهم يتجاهلون ويتناسون ما عليهم من واجبات، ثم يتجهون ويطالبون بما لهم من حقوق.

وهذا ما يشير إليه الإمام علي عليه السلام بقوله: «فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقتها في التناصف» فكل أحد يجيد التحدث عن الحق، ووصفه وتبيينه إذا كان إلى جانبه، فهو أوسع الأشياء في مقام الوصف والتبيين، أما في مقام الالتزام بأداء الحق للآخرين وإنصافهم، فالجميع يضيقون به ذرعاً.

إن على الإنسان أن يبدأ من نفسه فليزها بأداء حقوق الآخرين قبل أن يطالب الآخرين بحقوقه.

١. فهو مسؤول أمام الله تعالى عن الواجبات التي عليه، فحقوق الناس جزء لا يتجزأ من حقوق الله، كما يقول الإمام علي عليه السلام: «ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض» بل ورد في حديث آخر عنه عليه السلام: «جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة لحقوقه فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله»<sup>(١)</sup>.

(١) الأمدى التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم، حرف الجيم - رقم ٦٤.

ولكي يخرج الإنسان من عهدة المسؤولية أمام الله تعالى عليه أن يؤدي للناس حقوقهم.

٢. وإذا ما بادر الإنسان لأداء حق الآخر، كان في ذلك تثبيت لحقه، لأن الحقوق «يوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض» على حد قول الإمام علي (عليه السلام). كما يشكل ذلك دافعاً وإلزاماً قانونياً وأديباً للطرف الآخر تجاه الإنسان.

٣. وأداء الإنسان للحق الذي عليه هو بمقدوره وحسب إرادته، بينما أداء الآخرين لحقوقه عليهم، هو بيدهم، وإذا كان لا يمتلك قرار الآخرين وإرادتهم فإنه يمتلك قراره وإرادته، فليكن البدء منه.

### محورية الذات:

قسم كبير من الناس يوغلون في التمحور حول ذواتهم، فيرون الحق من الزاوية التي يكونون فيها فقط، ويتحدثون دائماً عن المفروض والواجبات على الغير، دون أن يلتفتوا إلى ما عليهم من حقوق وواجبات، وكأن الحق يدور معهم حيثما داروا.

فمثلاً: إذا كان دائماً يشدد على واجب المدين في المبادرة إلى أداء الدين، وحرمة المماطلة والتسويف، أما إذا كان مديناً فإنه يركز على إنظار المدين ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾<sup>(١)</sup> ويذم الإلحاح و التضييق على المدينين!!

وإذا جاء متأخراً وقد سبقه الجماعة إلى الطعام مثلاً: تحدث عن العجلة

(١) البقرة، ٢٨٠.

المذمومة وعاتب على عدم انتظاره، أما إذا جاء مبكراً وتأخر غيره، فإنه يتبرم من عدم احترام الوقت، ويدعو إلى التقيد به على حساب المتأخرين!!

وحينما يخرج بسيارته من طريق فرعي إلى طريق رئيسي تتواصل فيه حركة السير، ينتقد السائقين في ذلك الطريق على سرعتهم وعدم اعطائهم فرصة لمن يريد الخروج من الطريق الفرعي، أما إذا كان يقود سيارته في الطريق الرئيسي، ورأى من يريد الخروج من طريق فرعي، فسواجبه بوق سيارته المزعج، مبدياً إنزعاجه لعدم صبر الطرف الآخر وتمهله!!

وهكذا نلاحظ العديد من المواقف والممارسات التي تعبّر عن محورية الذات، وتفصيل الحقوق والواجبات على قياسها.

وكم رأينا ثواراً كانوا يعارضون السلطات لديكتاتوريتها وقمعها، ويرفعون شعارات المطالبة بالحرية والعدالة، فلما أصبحوا هم في موقع السلطة والحكم جعلوا الأولوية لحفظ النظام وحماية الأمن والاستقرار، على حساب العدالة والحرية، فاختلفا موقعيتهم وتبدّل الزاوية التي ينظرون منها، أثر على رؤيتهم للقيم والمعايير.

### نحو وعي حقوقي:

ولكن لماذا يتجاهل أكثر الناس الحقوق التي عليهم، أو يتساهلون في القيام بها؟

١. هناك عامل الجهل وضعف الوعي الحقوقي، حيث لا يعرف الكثيرون ما يتوجب عليهم تجاه الآخرين، فالعلاقات والارتباطات في مجتمعاتنا تسير بشكل عفوي، وضمن أعراف وتقاليد، تركز على قوة الطرف وموقعيته.

ففي الحياة الزوجية وحيث يكون الزوج في موقع القدرة، تصبح حقوق الزوجة مغيبة مهمة، وفي مجال العمل، فإنه وتبعاً لسلطة رب العمل تُتجاهل حقوق العامل، وهكذا بين الأب وأولاده، وبين المعلم وتلامذته، وبين الموظف ومديره..

إن الحاجة ماسة لثقافة حقوقية، توضح للإنسان ما له وما عليه، وتوجهه إلى الالتزام بما عليه أولاً.

ولا يعني ذلك أن يتساهل الإنسان في الحقوق التي له، ولا يطالب بها، ويسكت عن مصادري حقوقه. بل المقصود أن لا تكون المطالبة بالحقوق بديلاً عن القيام بالواجبات، ولا أن يوزع الإنسان المفروضات والمسؤوليات على الآخرين متناسياً نفسه، بل يبدأ بنفسه أولاً، ثم يطالب غيره.

٢. وعامل آخر يرتبط بالتربية النفسية، والبناء الأخلاقي لشخصية الإنسان، حيث يحتاج إلى التذكير بالقيم والمبادئ، وأنها يجب أن تكون المقياس والمحور لمواقفه وتصرفاته، وليس مصالحه الذاتية.

من جهة ثانية فإن اعتراف الإنسان بالحقوق التي عليه يعني تحمله لمسؤولية أداؤها، بينما المطالبة بالحقوق التي له، هو تحميل للآخرين، ويشكل لونا من ألوان التهرب من المسؤوليات.

ورد في حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج ٢ ص ١٧٠.

قضاء لها أعظمهم عند الله شأنًا»<sup>(١)</sup>.

٣. وفي أحيان كثيرة يتساهل الإنسان في حقوق القريبين منه، على أساس دأله عليهم، وموقعيته بينهم، وكأن ذلك يعفيه عن التزاماته تجاههم. وهذا خطأ كبير، فمراعاة حقوق الأقربين أولى، لأنهم الأكثر احتكاكاً وارتباطاً بالإنسان، وإذا ما تعود على تجاوز حقوقهم، فسيعيشون معه معاناة دائمة، لذلك يقول الإمام علي عليه السلام: «ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الحال في العلاقة مع الأصدقاء، فإن تجاوز حقوقهم اعتماداً على تغاضيبهم عن ذلك، يسبب تدمير الصداقة وإنهاء الأخوة، يقول عليه السلام: «لا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه»<sup>(٣)</sup>.

رسالة الحقوق:

من كنوز المعرفة، ومصادر الوعي الحقوقي في التراث الإسلامي، (رسالة الحقوق) للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام. (٣٨هـ-٩٤هـ) والذي مرت علينا ذكرى ميلاده المبارك في الخامس من شهر شعبان.

هذه الرسالة التي أوردها الشيخ الصدوق في (الخصال) بسند معتبر ينتهي إلى ثابت بن أبي صفية المعروف بأبي حمزة الثمالي، وأوردها أيضاً الحسن بن علي بن شعبة الحراني في (تحف العقول).

وهي تتحدث عن الحقوق التي على الإنسان (الواجبات) تجاه الآخرين،

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٢ ص ١١٧.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة- كتاب ٣١.

(٣) المصدر السابق.

بدءاً من حق الله تعالى، ومروراً بحق النفس، وأعضاء الجسم، ثم تناول حقوق الوالدين، والسلطان، والمعلم، والرعية، والزوجة، والأولاد، والأخ، والجار، والشريك، وانتهاءً بحق المخالفين في الدين (أهل الذمة). فتستعرض خمسين حقاً بلغة تربوية رائعة، تنطوي على مضامين ومعارف عظيمة.

إنها تخاطب الإنسان لتعريفه وتذكيره بالحقوق التي عليه، وتدفعه إلى تحمل مسؤولياته تجاه الآخرين، مخاطبة وجدانية، تحرك كوامن فطرة الإنسان، وتوقظ عقله وتفكيره.

وفي مناسبات ذكريات أئمة الهدى ما أحوجنا إلى العودة لآثارهم وتوجيهاتهم، لأنها تحمل لنا القيم والمبادئ التي عاش أهل البيت من أجلها، وكرسوا حياتهم في الدفاع عنها ونشرها.

...

## الإمام المهدي وبشائر الأمل

كلمة الجمعة بتاريخ ١٣ شعبان ١٤٢١ هـ



قضية الإمام المهدي وخروجه في آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً، هي من الحقائق الجامعة، التي يتفق عليها المسلمون بمختلف مذاهبهم، والتي تشير إلى وحدة الأصول والمنابع المعتمدة لدى المسلمين، مع تعدد مدارسهم وتوجهاتهم.

فلا يكاد يخلو مصدر من كتب الحديث والسنة النبوية الشريفة من ذكر موضوع المهدي، ولا تجد مذهباً من المذاهب الإسلامية إلا وتناول أحد من علمائه وباحثيه هذه المسألة بالاثبات والتأييد.

وإذا كان هناك من ينكر هذه الحقيقة أو يتنكر لها، فمرّد ذلك إلى أسباب أخرى، كما يقول الشيخ عبد المحسن العباد المدرّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: «إن بعض الكتّاب في هذا العصر أقدم على الطعن في الأحاديث الواردة بغير علم بل بجهل، أو بالتقليد لأحد لم يكن من أهل العناية بالحديث»<sup>(١)</sup>.

ويشير المحدّث الألباني إلى سبب آخر هو: «أن عقيدة المهدي قد استغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالاً سيئاً، فادعاها كثير من المغرضين، أو المهبولين، وجرت من جراء ذلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة (جهيمان)

---

(١) العباد: الشيخ عبد المحسن، عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ص ١٢٧ العدد الثالث، السنة الأولى ١٣٨٨ هـ.

السعودي في الحرم المكي، فرأوا أن قطع دابر هذه الفتن، إنما يكون بإنكار هذه العقيدة الصحيحة!! وما مثل هؤلاء المنكرين جميعاً عندي إلا كما لو أنكروا رجل ألوهية الله عز وجل بدعوى أنه ادعاها بعض الفراعنة!»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث لمفتي المملكة الراحل الشيخ عبد العزيز بن باز حول المهدي المنتظر جاء ما يلي: «فأمر المهدي أمر معلوم والأحاديث فيه مستفيضة بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم: تواترها وهي متواترة تواتراً معنوياً لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت، وخروجه حق» وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل بالأمة في آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهدايةً وتوفيقاً وإرشاداً للناس» والحق أن جمهور أهل العلم بل هو الاتفاق على ثبوت أمر المهدي، وإنه حق، وإنه سيخرج في آخر الزمان، أما من شذ عن أهل العلم في هذا الباب، فلا يلتفت إلى كلامه في ذلك» والواجب تلقي ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبول والإيمان به والتسليم، فمتى صحَّ الخبر عن رسول الله فلا يجوز لأحد أن يعارضه برأيه واجتهاده، بل يجب التسليم كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر عن الدجال وعن المهدي وعن عيسى المسيح بن مريم ووجب تلقي ما قاله بالقبول والإيمان بذلك، والحذر من تحكيم الرأي والتقليد الأعمى الذي يضر صاحبه ولا ينفعه لا في الدنيا ولا في الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٤ ص ٤٣.

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة ص ١٦١-١٦٤، العدد الثالث - السنة الأولى ذو القعدة ١٣٨٨هـ.

## إحياء قضية المهدي:

موضوع خروج الإمام المهدي المنتظر له موقعيته الهامة في النصوص الدينية فقد روى أحاديثه عن رسول الله ﷺ أكثر من ستة وعشرين صحابياً، وخرّج تلك الأحاديث جماعة كثيرون من الأئمة في الصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد وغيرها يزيدون على ثمانية وثلاثين عالماً ومحدثاً، كما أفرد عدد من العلماء ينوفون على العشرة كتباً ومصنفات خاصة حول الموضوع، وهذا كله ضمن مذاهب أهل السنة والجماعة، حسبما ذكره الشيخ عبد المحسن العباد في بحثه في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفي إطار مذهب الشيعة هناك أضعاف مضاعفة من الجهود التي تصب في هذا الاتجاه.

وذلك يدل على أهمية القضية في الفكر الإسلامي، فلا بد وأن تطرح في أوساط الأمة بمستوى يتناسب مع أهميتها الدينية، لتكون حاضرة في أذهان الجيل المسلم المعاصر، وغير محصورة في نطاق أهل العلم والحديث، أو مصبوغة بصبغة مذهب معين فقط.

فمن الملاحظ أن أتباع مذهب أهل البيت ﷺ يتميزون بإحياء هذه القضية والاحتفاء بها على المستوى الشعبي، بينما هي شبه مغيبة في أوساط بقية جماهير الأمة، حتى كاد بعضهم أن يتصورها قضية خاصة بمذهب الشيعة، في حال أنها محل إجماع ووافق بين جميع المذاهب الإسلامية.

وليس مطلوباً أن يتوافق أسلوب الإحياء والاهتمام بهذه القضية بين المذاهب، فلكل طريقته التي يراها مناسبة لمرئياته الشرعية وظروفه الاجتماعية، لكن المطلوب هو حضور هذه القضية وطرحها علمياً وفكرياً وإعلامياً في أوساط جماهير الأمة بمختلف مذاهبها.

ولأنها قضية متفق عليها في أصلها فإن انتشارها يؤكد حالة التوافق والاشترك بغض النظر عن اختلاف التفاصيل والجزئيات، كالاختلاف في أنه من نسل الحسن عليه السلام كما يقول بعض علماء السنة؟ أو من نسل الحسين عليه السلام كما يجمع علماء الشيعة وبعض أهل السنة؟ وكذلك الاختلاف في اسم أبيه هل هو الحسن أو عبد الله؟ والاختلاف في ولادته هل ولد أم يولد في آخر الزمان؟

إن الاختلاف حول بعض التفاصيل موجود بين علماء المسلمين في أغلب القضايا الدينية بدءاً من صفات الخالق جلا وعلا إلى أحكام الصلاة والوضوء، ولا يضر ذلك مع الاتفاق على أصل الموضوع، وعسى أن تتوفر الأجواء المناسبة لحوارات علمية موضوعية معمقة بين علماء الأمة حول موارد الاختلاف في الفكر والفقہ الإسلامي.

وهناك داع مهم لإحياء قضية الإمام المهدي في أوساط الأمة وخاصة في هذا العصر لما توفره هذه القضية من زخم روحي، في نفوس المسلمين، حيث تلهمهم الأمل وتشيع في قلوبهم الثقة بالنصر، وتحفزهم للتطلع لاستعادة مجد الإسلام وقيام حضارته العالمية، حيث تؤكد الأحاديث المتواترة ذلك، كقوله عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي، أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً» أخرجه أحمد (٣/٣٦) وابن حبان (١٨٨٠) والحاكم (٤/٥٥٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/١٠١) وقال الحاكم: (صحيح على شرط الشيخين). ووافقه الذهبي، وهو كما قال، وأشار إلى تصحيحه أبو نعيم<sup>(١)</sup>.

(١) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٤ ص ٣٩.

## عولمة الظلم:

كما أخبر رسول الله ﷺ وهو الصادق الأمين، فقد امتلأت الدنيا بالفعل ظلماً وجوراً وعدواناً، حيث لم يعد الظلم مجرد ممارسة هنا وهناك، بل أصبح نظاماً عالمياً يلف الكرة الأرضية كلها ببشرها وكائناتها وبيئتها الطبيعية، وصار الجور مقنناً من خلال مجلس الأمن الدولي، وحق (الفيتو) الذي تمارسه الدول الكبرى وخاصة أميركا، فبدلاً من أن يرفعى المجلس أمن الشعوب والأمم، صار يحمي سياسات الظلم والعدوان، وأبرز مثل صارخ الموقف العالمي من جرائم الصهاينة في فلسطين المحتلة، وحيث تستمر قوافل الشهداء وضحايا الإرهاب الإسرائيلي كل يوم نساءً وشباباً وأطفالاً، وعلى مرأى من العالم ومسمع، يذبح الطفل في حجر أبيه، وتلاحق الطائرات العسكرية سيارة مدنية في زقاق سكني لتقصفها بصاروخ، تتطاير على أثره أشلاء الضحايا مع قطع حديد السيارة في الجور..

وهناك معاناة الشعب العراقي ومآسيه في ظل الحكم الصدامي والحصار الدولي، وحيث يموت الأطفال، ويعاني المرضى، ويجوع ويسحق شعب بكامله، تحت أنظار العالم..

وحالات المجاعة وخاصة في أفريقيا، وانحدار المستوى المعيشي في روسيا، وتلوث البيئة بشكل يهدد سلامة الحياة ومستقبل البشرية..

كل ذلك يحصل الآن، وتملاً وسائل الإعلام به الدنيا عن طريق النقل الحي والبث المباشر.

## انبعاث الإسلام:

خروج المهدي ووفقاً للنصوص الواردة يعني قيام الحضارة الإسلامية العالمية حيث يملأ الأرض قسطاً وعدلاً حسبما جاء عن رسول الله ﷺ، ويقول الإمام محمد الباقر عليه السلام - كما روي عنه -: «القائم منا منصور بالرب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلا وعُمِّر، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه»<sup>(١)</sup>.

لكن ذلك لا يحصل فجأة، ولا تبدأ خطواته على يد المهدي، بل وكما يظهر من النصوص، وتوحي به طبيعة التحولات، أن انبعاثاً يحصل في الأمة باتجاه الإسلام، وتهيئاً على مستوى الإنسانية لقبوله كخلاص وإنقاذ من الأزمات المتفاقمة.

ونحن نرى الآن بشائر الأمل في الجيل المسلم المعاصر، فإلى وقت قريب كانت قطاعات كبيرة من أبناء الأمة تعيش حالة من الانبهار بالتوجهات الماركسية الاشتراكية، أو الرأسمالية الغربية، وتأسست في بلاد المسلمين أنظمة تتبنى هذه التوجهات، وقامت أحزاب ترفع هذه الشعارات، وبحمد الله فقد تجاوزت جماهير الأمة تلك الحالة الانهزامية، وتهاوت ماركسية الشرق، وانكشف الوجه القبيح لرأسمالية الغرب، وعادت للأمة ثقتها بذاتها ونفسها، ونرى الجيل المسلم المعاصر الآن وهو يتطلع لحضارة الإسلام، وينادي بتطبيق شريعته، ولولا الحواجز والموانع التي توجه شعوب الأمة من قبل بعض الأنظمة لقطعت الأمة شوطاً أكبر باتجاه دينها واستقلالها وعزتها.

(١) الصافي: لطف الله، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر ص ٢٩٢.

هذه الصحوة الإسلامية المتنامية، والتوجه الديني لدى أبناء الأمة، هو من بشائر الأمل وإرهاصات خروج الإمام المهدي، والذي سيتوج هذه المسيرة بالنجاح والنصر الحاسم لإنشاء الله.

### التوجه لأهل البيت:

الإمام المهدي من عترة رسول الله ﷺ وأهل بيته كما تنص الأحاديث ومن ذرية فاطمة الزهراء ﷺ، وأهل البيت ﷺ ومع تأكيد الأحاديث النبوية الشريفة الواردة عند جميع المسلمين على فضلهم ومكانتهم القيادية، ولزوم محبتهم ومودتهم والتمسك بهم، ومع تكرار وصية الرسول ﷺ بهم كما أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن أرقم أنه قال: قام رسول الله يوماً فينا خطيباً، بماء يدعى حُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله. واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي.»<sup>(١)</sup>.

مع كل هذه الوصايا والتأكيدات إلا أنه حصل تجاهل لأهل البيت في غالب عهود التاريخ الإسلامي، لأغراض سياسية من قبل بعض الحكومات من الأمويين والعباسيين، وبقيت آثار تلك الفترات في حياة المسلمين حيث تحولت إلى صراعات مذهبية، وأصبح أهل البيت وكأنهم زعماء طائفة معينة أو أئمة مذهب خاص.

(١) القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم - حديث رقم ٢٤٠٨ كتاب فضائل الصحابة.

وحصل عند بعض المنتسبين إلى مذهب أهل البيت حالات من الغلو، كان أئمة أهل البيت يحذرون منها ويحاربونها، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «هلك فيّ رجلان محب غال ومبغض قال»<sup>(١)</sup>، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم فإن الغلاة شر خلق الله، يصغّرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله»<sup>(٢)</sup> هذا الغلو وما نتج عنه من ممارسات خاطئة سبب رد فعل عند بعض المسلمين تجاه أهل البيت عليهم السلام.

لكننا نلاحظ الآن إقبالاً وتوجهاً نحو أهل البيت عليهم السلام، هو من بشائر الامل وتمهيدات خروج المهدي. على ضوء العودة للنصوص الشرعية التي حفظها علماء السلف في المصادر المعتمدة، ولتقدم مستوى الوعي عند أبناء الأمة، بحيث يتجاوز الواعون منهم آثار الخلافات المذهبية، والحساسيات الطائفية، وينفتحون على حقائق دينهم من الكتاب والسنة، وساعد على ذلك ما حققه بعض أتباع أهل البيت من إنجازات رائعة لمصلحة الإسلام والمسلمين، وما قدموه من صور مشرقة في الدفاع عن الدين والأمة وطرح للأفكار البناءة والآراء الناضجة.

وأساساً فإن كل مسلم ينطوي قلبه على محبة أهل البيت عليهم السلام ولا يوجد مسلم يخلو قلبه من حبهم، لكن المقصود هو تفعيل ذلك الحب، وتحويله إلى منهج في التلقي والاتباع.

إن الحديث عن أهل البيت يجتذب قلب كل مسلم، لذلك يذكر الدكتور محمد عبده يمانى في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه (علموا أولادكم محبة آل بيت النبي: أنه نفذت الطبعة الأولى من الكتاب قبل أن يمضي على صدورها

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - قصار الحكم ١١٧.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٦٥.

شهر واحد، بفضل من الله وتوفيقه، واشتدّ الطلب على الكتاب<sup>(١)</sup>.

وتحاول بعض الصحف والمجلات هذه الأيام إثارة شيء من الحساسيات الطائفية عبر الحديث عن اعتناق بعض الأشخاص لمذهب أهل البيت عليهم السلام، لكننا نرفض هذه الإثارات، فالإسلام بيت واحد للمسلمين جميعاً، والمذاهب إنما هي غرف في ذلك البيت الواحد، وانتقال الإنسان من غرفة إلى أخرى لبعض الترجيحات لا يخرجها من نطاق البيت. فالجميع مسلمون والحمد لله وأن ينتقل مسلم من مذهب إلى آخر سنياً كان أو شيعياً فذلك راجع إلى قناعته واختياره وشعوره بالمسؤولية أمام الله تعالى، ولا يصح أبداً أن يكون ذلك سبباً للإثارة والتحريض والتهريج.

وكل المسلمون يتطلعون إلى تحقق ما أنبأ به رسول الله صلى الله عليه وآله من خروج المهدي المنتظر عجل الله فرجه من عترته وذريته وأهل بيته.

---

(١) يماني: محمد عبده، علّموا أولادكم محبة آل بيت النبي ص ٩ الطبعة الثانية ١٩٩٢ م دار القبلة، جدة.



## العمل التطوعي في خدمة المجتمع

كلمة الجمعة بتاريخ ٢١ شعبان ١٤٢١هـ



تواجه الإنسان في هذه الحياة مسؤوليات كبيرة تنتظم في عدة دوائر، فهو مسؤول بالدرجة الأولى عن نفسه لتسيير شؤون حياته، وتوفير متطلباته الذاتية مادية ومعنوية، ثم هو مسؤول عن عائلته وأسرته، بأن يتكفل باحتياجاتهم ويرعى مصالحهم، وباعتباره جزءاً من مجتمعه ومحيطه، فهو معني بالشأن الاجتماعي العام، ولأنه ينتمي إلى الدائرة الإنسانية، فلا بد له من تحمل مسؤولياته على الصعيد الإنساني العالمي.

ولكن هل الإنسان قادرٌ ومؤهلٌ للقيام بهذه المسؤوليات في دوائرها المتعددة؟ وعلى جبهاتها المختلفة؟

نعم وبكل تأكيد فقد هياه الله تعالى ليكون خليفته في الأرض، ومنحه قدرات عقلية ونفسية هائلة، يستطيع بها أن يسخر إمكانات الحياة والكون، وأن يحقق أضخم الإنجازات، ويؤدي أكبر الأعمال والمهام، ولسنا بحاجة إلى أدلة وبراهين نظرية لإثبات هذه الحقيقة، لأننا نرى مصاديقها في الواقع الخارجي، فتاريخ البشرية في الماضي والحاضر يحفل بشخصيات قيادية لامعة، قامت بأدوار عظيمة على مستوى العالم، وتجاوزت حدود ذواتها، وإطار عوائلها، ونطاق مجتمعاتها، وأصبحت في موقع الريادة والتأثير على صعيد الإنسانية جمعاء والعالم كله.

فالإمكانية والمؤهلات متوفرة لدى الإنسان لتحمل كل هذه المسؤوليات،

شرط الإدراك والوعي، وإرادة التصدي، وبذل الجهد والنشاط، وهنا يتفاوت الناس، فهناك من يفتقد الوعي والإدراك حتى لمسؤوليته تجاه نفسه، ويقصر في خدمة ذاته، ويصبح عبئاً وكلاً على الآخرين يحملهم مشاكله، ويعتمد عليهم في معالجة قضاياها، وهناك من يتعاجز أو يعجز عن القيام بمهام أسرته وعائلته، لقصور في وعيه، أو تقصير في حركته وأدائه، كما أن هناك من لا يبالي بواقع مجتمعه ولا دور له في خدمته. وفي مقابل هذه الحالات توجد صور مشرقة ونماذج رائعة، لأناس يمتلكون الوعي والإدراك لمسؤولياتهم الذاتية والعائلية والاجتماعية والإنسانية، فيقومون بأدوار كبيرة، ويقدمون خدمات جلييلة.

ويتحدث القرآن الكريم مقارناً بين هاتين الصورتين المتناقضتين لمن يعجز حتى عن خدمة نفسه، ويكون عبئاً على غيره، ولمن يجسد الفاعلية والحركة الدائبة بالاتجاه الصحيح، ساعياً لتوجيه الآخرين وقيادتهم، يقول تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ، أَيْنَمَا يُوَجَّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

### أسباب العزوف:

وإذا كان تحمل المسؤولية ضمن دائرة الذات و العائلة أمراً يفرض نفسه على الإنسان، لأن متطلبات الحياة الشخصية، والالتزامات العائلية، تضغط عليه بشكل مباشر، كما تنعكس عليه مردودات ونتائج حركته في هذا الاتجاه بصورة فورية، لذلك لا يكاد يفلت من دائرة هذه المسؤولية إلا الشاذ النادر،

(١) سورة النحل الآية ٧٦.

فإن المعادلة على العكس من ذلك تماماً فيما يتعلق بتحمل المسؤولية تجاه المجتمع، حيث لا ينبغي ولا يتصدى لها إلا ثلة قليلة من الواعين المخلصين. وتكمن جملة من الأسباب وراء الظاهرة العامة للعزوف عن العمل في الخدمة الاجتماعية منها:

١. الاستغراق في الحالة الذاتية، فينصرف الإنسان إلى خدمة مصالحه الذاتية المباشرة، ولا يرى نفسه معنياً بخدمة مصالح الآخرين.

٢. تعدد الاهتمامات والانشغالات وخاصة في هذا العصر، حيث لم تعد الحياة ببساطة الماضي، ومحدودية آفاقه، فقد اتسعت دائرة المستلزمات المعيشية ووسائل الراحة والرفاه، وأصبحت تربية الأولاد ومتابعة تعليمهم تأخذ وقتاً وجهداً كبيراً من المهتمين بمستقبل أبنائهم، كما أن البرامج الإعلامية المتطورة عبر البث المباشر، ووسائل الاتصالات المتقدمة كالإنترنت، تقتطع من أوقات المنجذبين والمنشدين إليها الشيء الكثير.. وهكذا يعيش الإنسان في دوامة من الالتزامات والاهتمامات التي تصرفه وتشغله عن التوجه للعمل في ميادين خدمة المجتمع.

٣. وتعرض طريق العمل في الخدمة الاجتماعية العديد من المعوقات والمثبطات في غالب بلدان ومجتمعات العالم الثالث، فالقوانين والأنظمة غير مشجعة، والروتين السائد يضاعف العناء والمشقة، والمواقف السلبية التي يتخذها البعض من الناس تجاه العاملين تسبب الإحباط والانعراج.. بينما تتوفر أمام الراغبين في الخدمة العامة للمجتمعات المتقدمة، كل وسائل التشجيع وأجواء التقدير والدعم.

## النتائج والمكاسب:

صحيح أن العمل التطوعي لخدمة المجتمع يأخذ من الإنسان وقتاً وجهداً قد يكون في حاجة إليه لشؤونه الذاتية، وأنه يحمله أعباءً ومسؤوليات مرهقة، ويضعه في مواقف حرجة بعض الأحيان، إلا أن له نتائج ومكاسب عظيمة، إذا أدركها الإنسان استسهل كل الصعوبات، واستعذب كل المشاق.

أولاً: يحقق السعي في خدمة المجتمع وقضاء حوائج الناس، راحة نفسية وسعادة معنوية كبيرة، ففي أعماق الإنسان ميول ونوازع خيرة، وبين جنبه ضمير أخلاقي حساس، وإذا ما أنجز الإنسان أي خدمة تطوعية، أنقذ بها محتاجاً، أو أعان ضعيفاً، أو ساعد مظلوماً، فإن ذلك يسعد ضميره، وينعش أحاسيسه النفسية، ويشعره بالكثير من السعادة واللذة الروحية.

ثانياً: العمل الاجتماعي ينمي عند الإنسان قدرات ذهنية ومهارات ومؤهلات سلوكية، تزيد من نقاط قوة شخصيته، حيث يكسبه الخبرة والتجربة، ويجعله أكثر معرفة وإحاطة بواقع المجتمع الذي يعيش ضمنه، والظروف التي تكتنفه.

ثالثاً: وبمقدار ما يؤدي الإنسان من دور اجتماعي، يأخذ موقفاً، وينال مكانة، في وسط المجتمع، وتتسع دائرة علاقاته وارتباطاته، وتظهر مواهبه وكفاءاته.

رابعاً: إن وجود مؤسسات الخدمة الاجتماعية، وإرساء قواعد التعاون والتكافل الاجتماعي، يوفر الاطمئنان في نفس الإنسان على مستقبله ومستقبل ذويه، حيث هو معرض لحالات الضعف،

وحدوث المشاكل والمخاطر، التي قد لا يستطيع مواجهتها  
بإمكانياته الذاتية، فعمله وأمثاله هو الذي يصنع الضمانات لتوفير  
الدعم والمساندة، عند الحالات الطارئة لأبناء المجتمع.

ولعل هذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ  
تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>(١)</sup>.

فإذا كنت مهتماً بمستقبل أبنائك الصغار من بعدك، فاجتهد في إقرار  
نظام تكافل اجتماعي، لحماية الأيتام، وخدمة مصالحهم، وذلك خير ضمانة  
لأطفالك، لو احتاجوا إلى الحماية والرعاية لا قدر الله.

وبنفس المضمون نفهم ما قاله رسول الله ﷺ: «وتحننوا على أيتام الناس  
يُتَحَنَّنْ عَلَى أَيْتَامِكُمْ». فإضافة إلى الدور الغيبي، هناك الأثر الاجتماعي  
الواضح المتمثل في تكريس العادات والسنن الطيبة الحسنة.

خامساً: والإنسان المؤمن يدفعه إلى التطوع لخدمة الناس تطلعه إلى ثواب  
الله تعالى وجزائه، حيث تؤكد النصوص الدينية، على أن خدمة  
الناس والسعي في قضاء حوائجهم، هو من أفضل الأعمال التي  
تقرب الإنسان إلى ربه، وتوجب له المزيد من ثوابه ورضوانه.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قضى لمؤمن حاجة قضى الله له  
حوائج كثيرة أدناها الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وتؤكد نصوص كثيرة على أن مساعدة الناس وخدمتهم أرجح فضلاً عند  
الله تعالى من العبادات والنوافل، كالحديث المروي عنه ﷺ: «من قضى لأخيه

(١) سورة النساء الآية ٩.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٨٥.

المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهرًا<sup>(١)</sup>، وعنه عليه السلام: «من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهد في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>.

وورد في حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «قضاء حاجة المؤمن أفضل من ألف حجة متقبلة بمناسكها وعتق ألف رقبة لوجه الله»<sup>(٣)</sup>.

### التطوع ظاهرة إنسانية:

التطوع لغة: تفعل من الطاعة. وهو ما تبرع به من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه<sup>(٤)</sup>. وفي الاصطلاح الشرعي: يطلق على الأعمال والعبادات التي يحبها الشرع دون أن يعتبرها فرضاً واجباً على المكلف، وهي النوافل والمستحبات، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾<sup>(٥)</sup>. أي من زاد على المقدار الواجب.

أمّا على الصعيد الاجتماعي فيقصد من التطوع: ذلك الجهد أو الوقت أو المال الذي يبذله الإنسان في خدمة مجتمعه دون أن يفرض عليه، ودون انتظار عائد مادي في المقابل.

والتطوع الآن ظاهرة إيجابية منتشرة في أغلب المجتمعات الإنسانية، وقد أصبحت مادة لتخصص علمي، يدرس دوافعها وآثارها ومعوقاتنا وسبل تطويرها، ويرصد تجاربها وأساليبها.

فإلى جانب المؤسسات الرسمية الحكومية، هناك منظمات ومؤسسات

(١) المصدر السابق ص ٣٠٢.

(٢) المصدر السابق ج ٧٣ ص ٣٦٧.

(٣) المصدر السابق ج ٧١ ص ٢٨٥.

(٤) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب ج ٤ ص ٦٢٦.

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٤.

أهلية تطوعية تقوم بالعديد من الأنشطة والمهام في سبيل خدمة القضايا الإنسانية والاجتماعية، وفي إحصائية عن عقد الثمانينيات، بلغ عدد المنظمات والهيئات غير الحكومية حوالي ٥٠ ألف منظمة وهيئة في البلدان النامية فقط، تعمل في الميادين التنموية المختلفة، ويقدر عدد الأفراد المستفيدين من خدماتها حوالي (١٠٠ مليون نسمة).

وتعج المجتمعات الغربية بالكثير من المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجالات الخدمة الاجتماعية والإنسانية داخل بلدانها وعلى مستوى العالم، ففي أمريكا وحدها هناك (٣٢, ٠٠٠) مؤسسة خيرية بلغت ممتلكاتها عام ١٩٨٩م أكثر من (١٣٨) مليار دولار. كما شارك في العمل التطوعي حوالي (٩٣) مليون أمريكي يشكلون نسبة ٣٠٪ من مجمل الأمريكيين، ينفقون سنوياً (٢٠) بليون ساعة في العمل التطوعي لصالح الأطفال والفقراء والتعليم وقضايا أخرى<sup>(١)</sup>، كما يقدر معدل التبرع المالي لكل أمريكي (٥٠٠) دولار سنوياً. وقبل سنتين تبرع الأمريكي (تيد تورنر) مؤسس (CNN) بثلاث ثروته إلى المنظمات الإنسانية في الأمم المتحدة ويساوي مبلغ مليار دولار. وقال (تورنر) في بيان التبرع أن زوجته شاركته في القرار وفرحت به، ويعني بذلك أنها لم تعترض ولم تقل له: مالنا وللأمم المتحدة وليبق المليار دولار لأولادنا!

وكانت عائلة (روكفلر) قد تبرعت قبل نصف قرن بالأرض التي أنشئ عليها مبنى المنظمة الدولية الأمم المتحدة.

وواضح أن لسيادة هذه الروح التطوعية الجماعية أثر كبير في تقدم

---

(١) زغبى: جيمس، أهمية العمل التطوعي عند المواطن الأمريكي - الشرق الأوسط، ٥، ١٩٩٧م.

المجتمع الأمريكي، فعندما زار (إلكسيس توكفيل) الكاتب الفرنسي الولايات المتحدة في منتصف القرن التاسع عشر لاحظ أن الأمريكيين يشاركون في كثير من الجمعيات التي ينظمونها لخدمة أغراض مجتمعاتهم: زراعية ومالية ودينية واجتماعية وجمعيات من كل نوع وفي كل اتجاه. وعلّق (توكفيل) على هذا معتبراً أن هذه الجمعيات تمثل خاصيتين جديدتين في المجتمع الأمريكي ستؤديان إلى تقدمه بسرعة متفوقاً بذلك على أوروبا، التي كانت تسيطر على العالم في ذلك الوقت. هاتان الخاصتان هما فن التنظيم الاجتماعي، والرغبة في العمل الجماعي الطوعي وغير الطوعي<sup>(١)</sup>.

وجاء في تقرير حديث لجمعية فرنسا للشؤون الاجتماعية أن ١٠ ملايين ونصف المليون فرنسي يتطوعون في نهاية الأسبوع للمشاركة في تقديم خدمات اجتماعية مختلفة تخص الحياة اليومية، من مجالات التربية والصحة والبيئة والثقافة والترفيه وغيرها.

وتتراوح أعمار ٥١٪ من المتطوعين ما بين الخامسة والثلاثين والتاسعة والخمسين. ويمثل الطلبة نسبة ٢١٪ وتتراوح أعمار المتطوعين منهم ما بين ١٨ و ٢٥ عاماً<sup>(٢)</sup>.

وتنطلق الأعمال التطوعية في تلك المجتمعات من الدوافع الخيرة الموجودة في أعماق كل إنسان، ومن تقدم مستوى الوعي الاجتماعي، وبعضها لأغراض مصلحة، ومكاسب مادية.

(١) صالح: حمدي، المواطنون وجمعياتهم والتقدم- الحياة ٢٩، ٩، ١٤١٩هـ.

(٢) الشرق الأوسط- جريدة- ٣١، ٣، ١٩٩٨م.

## حال مؤسساتنا الخيرية:

يفترض أن تشهد مجتمعاتنا الإسلامية إقبالاً على العمل التطوعي الاجتماعي أكثر من المجتمعات الغربية، لما في تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف من حث كبير على نصره المظلومين، ومساعدة الفقراء، وخدمة المحتاجين، حتى اعتبر القرآن الكريم ذلك مقياساً لصدق التدين، وأن من لا يهتم بمناطق الضعف في المجتمع، كاذب في تدينه، وإن تظاهر بطقوس الدين وشعائره، يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾<sup>(١)</sup>.

إضافة إلى الحاجات الكبيرة في مجتمعاتنا والتي تتطلب الكثير من الجهود والطاقات لتبليتها ومعالجتها، فهناك حالات الفقر والعوز، ومشاكل العلاقات والخلافات الاجتماعية، وقضايا التعليم والتوجيه الديني والسلوكي، وأمور البيئة، وأوضاع المحتاجين إلى الرعاية من مسنين ومعوقين وأيتام، إلى سائر مناطق الحاجة والفراغ.. إن كل ذلك يستلزم تعبئة الجهود والطاقات، وشحن العزائم والهمم، لسد النواقص وتنمية المجتمع وتطويره.

وقد تأسست بحمد الله في مجتمعنا مؤسسات خيرية اجتماعية كالنوادي الرياضية، والجمعيات الخيرية، ولجان كافل اليتيم، وصناديق الزواج الخيري، ومهرجان الزواج الجماعي، وهيئات ولجان للنشاط الديني والثقافي، ومع التقدير والامتنان للجهود الطيبة التي يبذلها القائمون على العمل في هذه المؤسسات التطوعية، إلا أننا نلاحظ أن درجة الإقبال على العمل التطوعي ضمن هذه المؤسسات لا يزال محدوداً وغير متناسب مع التوجه الديني

(١) سورة الماعون الآية ١-٣.

لمجتمعنا والحاجات الملحة القائمة بالفعل.

وتتضح هذه الحقيقة في قلة انضمام عناصر جديدة لإدارات هذه المؤسسات، وضعف رفق لجانها ومجالات عملها بالطاقات والكوادر التي تطوّر مسيرة العمل، وتواصل تقدمه.

إن بعض الجمعيات الخيرية تواجه مأزقاً وحرماً عندما يحين موعد انتخاب أعضاء لإدارة جديدة، حيث لا يتقدم أحد لترشيح نفسه، أو لا يكون عدد المتقدمين كافياً للمواقع الشاغرة في الإدارة!!

إنه أمر مؤسف جداً حيث يعجّ مجتمعنا بالطاقات والكفاءات، والعناصر المؤمنة والواعية، فلماذا الإحجام عن التصدي للمسؤوليات الاجتماعية؟ ولماذا نتعاس عن دعم هذه المؤسسات الخيرية التي تشكل تجسيدا لمبادئ التعاون والتكافل والتراحم الاجتماعي؟

### أعذار ومبررات:

يعتذر البعض من الناس بانشغالاتهم والتزاماتهم الدراسية أو العملية والعائلية عن المشاركة في العمل الاجتماعي، لكن هذا العذر غالباً ما يكون وسيلة وتبريراً للتهرب عن المسؤولية، وإلا فإن العاملين فعلاً في المؤسسات الخيرية، ليسوا خالين من الالتزامات، ولا عاطلين عن العمل..

إن الإنسان إذا امتلك التطلع لثواب الله ورضوانه، وأدرك مسؤوليته الدينية والاجتماعية، فإنه بحاجة إلى شيء من تنظيم وقته، وهندسة اهتماماته وأولوياته، فالكثيرون يضيعون أوقاتهم وجهودهم في أمور وقضايا ثانوية هامشية بينما يعتذرون بعدم الفرصة للقيام بواجباتهم الاجتماعية..

إن تنظيم الوقت، والحرص على الانضباط الدقيق يعطي للإنسان مجالاً كبيراً للإنجاز واستثمار حياته، والذين يقومون بالأعمال الكثيرة، ويحققون النتائج الهائلة في حركتهم ونشاطهم، لا يفعلون المعجزات، وإنما يحسنون الإدارة والتنظيم لأوقاتهم.

كما أن الاستعداد للتضحية وبذل الجهد في سبيل خدمة المجتمع أمر مطلوب يفرضه وعي الإنسان والتزامه الديني، وانتماؤه الاجتماعي.

وقد يعتذر البعض بما قد يسبب لهم العمل الاجتماعي من إشكاليات واعتراضات من قبل هذه الجهة أو تلك، لكن المؤمن الواعي يعرف أن الأجر والثواب يستلزم تحمل الأذى والمشاق، والمصلحون طوال التاريخ كانوا عرضة للاتهام والتجريح، لكن ذلك يصدر من الجهلة أو المغرضين، ولا يفت من عضد العاملين المصلحين.

إننا ندعو العناصر الواعية والمخلصة من أبناء المجتمع للالتفاف حول هذه المؤسسات الخيرية الاجتماعية، وأن ينخرطوا فيها، ويتحملوا أعباء إدارتها وتطويرها، وإذا كانت للبعض إشكالات على برامج هذه المؤسسات، فليمارسوا التصحيح والتغيير من داخلها، إنها توفر الفرصة المناسبة للتعاون على البر والتقوى، وللتدريب على اكتساب روح العمل الجمعي، وتكاتف القدرات والكفاءات، كما تساعد في معالجة الكثير من المشاكل والمصاعب التي تعيشها الفئات الضعيفة في المجتمع.



## الآخر المخالف: كيف ننظر إليه؟

كلمة الجمعة بتاريخ ٣ شوال ١٤٢١ هـ



الإنسان المتدين وهو يعتقد بأحقية دينه، وصواب مذهبه، كيف ينظر إلى الآخرين المختلفين معه في الدين أو المذهب؟

لاشك أن الحق واحد لا يتعدد، فإذا آمن الإنسان بدين أو مذهب على أنه حق وصواب، فلا بد وأن يكون ما يخالفه عنده باطلاً وخطأً، وحتى إذا كان هناك نقاش حول التخطئة والتصويب في الفروع الشرعية، حيث ذهب بعض العلماء إلى القول بالتصويب، بمعنى أن حكم الله تعالى في المسألة الاجتهادية هو ما اهتدى إليه المجتهد باجتهاده، وليس هناك حكم معين من قبل، فكلما يصل إليه اجتهاده فهو الصواب، بينما يرى أغلب العلماء، أن لله تعالى أحكاماً معينة في كل مسألة اجتهادية، فمن هداه اجتهاده إلى ذلك الحكم فقد أصاب، وإلا فهو مخطئ. لكن قضايا أصول الاعتقاد لا يمكن أن يجري فيها هذا الاختلاف والنقاش، ولا أن يقول أحد فيها بالتصويب، فعند تعدد المعتقدات لا يقول أحد من العلماء بتصويب الجميع، كما هو الحال في المسائل الفرعية الشرعية، بل اتفقت أقوال العلماء بأن التخطئة تقع في أصول الاعتقاد، والأحكام العقلية عدا ما نسب إلى العنبري عبيدالله ابن الحسن بن الحصين، قاضي البصرة (توفي ١٦٨هـ) من أن كل مجتهد في الأصول مصيب أيضاً وليس فيها حق متعين. وهو قول شاذ وينقل ابن حجر تراجع صاحبه العنبري عنه<sup>(١)</sup>.

(١) الغزالي: أبو حامد، المستصفى من علم الأصول ج ٤ ص ٣٤، تحقيق د. حمزة حافظ، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.

ومعنى ذلك أن كل متدين يرى أحقية دينه ومذهبه، وأن المخالفين له على خطأ وباطل في أديانهم ومذاهبهم.

### بين العقائد والمعتقدين:

وإذا كانت نظرة المتدين إلى سائر الأديان والمعتقدات المخالفة لدينه ومذهبه، على أنها خاطئة وباطلة أمراً منطقياً مفهوماً، شريطة أن يكون تدينه هو قائماً على أساس الدليل والبرهان، فإن نظرتَه إلى المعتقدين بتلك الأديان والمذاهب، مسألة تحتاج إلى بحث وتمحيص.

ذلك أننا نجد في الساحة الفكرية والاجتماعية توجهات متباينة متناقضة، في تحديد النظر إلى الآخر المخالف دينياً أو مذهبياً، تتراوح بين التشدد المفرط والتسامح المفرط.

ولعل من أسباب ذلك ما يلي:

أولاً: اختلاف الفهم في الموازنة والترجيح بين ما ورد في التراث الديني، من نصوص وآراء، يدفع بعضها باتجاه التشدد تجاه المخالفين، بينما يشجع قسم منها على المرونة والتسامح.

ثانياً: دور الظروف الخارجية من حيث موقعية المخالف ونمط العلاقة معه، فحينما يكون المخالف في موقع قوة واقتدار، ولا يمارس بطشاً وعدواناً، فإن ذلك يسهم في تشكيل صورة أفضل عنه، ويلغى مبررات التشدد تجاهه، وعلى العكس من ذلك لو كان المخالف في موضع حاجة وضعف، أو كان مصدراً للقلق والأذى، فستكون صورته قاتمة كالحية.

ثالثاً: تدخل المشاعر والأحاسيس النفسية الذاتية، حيث تنطلق عند بعض المتدينين روحية الأنانية والاستعلاء، ومشاعر الحقد والانتقام، تحت مبررات دينية مذهبية.

رابعاً: وقد تصبح النظرة إلى الآخر المخالف مجالاً للمزايدات في الساحة الإعلامية والجماهيرية، فمن أجل أن يكرّس هذا الزعيم موقعه في جمهوره، أو يحصّن هذا المرشد أتباعه ومريديه، يبالغ في تعميم صورة الآخر المخالف. يقول الدكتور عبد الله بن ضيف الله الرحيلي الأستاذ المشارك في الحديث وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: «لعل من أوسع أبواب الخطأ في فهم طبيعة التعامل الشرعي، وفي فهم الأخلاق المتعيّنة على المسلم تجاه الكافرين، الانطلاق من الانفعالات والمواقف الشخصية، وليس من خلال النصوص والأحكام الشرعية، وبالتالي تأتي المفاهيم والكتابات في هذا الموضوع تبعاً لمواقف الأشخاص، وانفعالاتهم، وطبائعهم، وظروفهم. فهي عندئذٍ تختلف باختلاف القوة والضعف، والشدة واللين، والحماس وضده!».

والواجب أن يكون التعرف على هذا الجانب المهم من الإسلام، من خلال النصوص الشرعية، لا المواقف الشخصية، ولا ما يُمليه واقع العصر.

والواجب أن يكون ذلك من خلال الرجوع إلى النصوص كلها وفهمها وفق منهج سديد.

ومن المؤكد أنّ ما يُعبّر به بعض المسلمين عن إخلاصهم للإسلام تجاه تعاملهم مع الكافرين من تصرفات انفعالية، يعبرون عن الكراهية والعداء

بطريقة لا يُقرّها الإسلام، يظنون أنهم ينصرون بها الإسلام، إنما هي تصرفات لا تغني عن العمل الجادّ لنصرة الدين، ولا تنوب عن خلق الإسلام وأدبه، ولا تنمُّ عنه، ولا تغني، إنها لا تخدم الإسلام في شيء، إنما هي تشنجاتٌ وردود أفعالٍ مخطئة..»<sup>(١)</sup>.

من هنا تبرز أهمية البحث والدراسة الموضوعية لرؤية الدين في النظر إلى المخالفين. والمقصود بذلك النظر إليهم كأشخاص وأناس، وليس كمعتقدات، لأن المفترض في المسلم إيمانه بصحة معتقداته عن دليل وبرهان، مما يعني لديه عدم صحة ما يخالفها.

### هل كل مخالف في النار؟

التفكير السائد عند أكثر المتدينين أنّ الجنة حكراً على أهل دينهم ومذهبهم، أمّا المخالفون لهم فمصيرهم الحتمي نار جهنم، ذلك أن الجنة لا يدخلها إلا أهل الحق، ولا تنجو من النار إلا فرقة واحدة، هي الفرقة الناجية، ويرى أهل كل دين أو مذهب أنهم هم أهل الحق والفرقة الناجية، وبقية العالم كلهم في النار.

وهذا ما نقله القرآن الكريم عن اليهود والنصارى يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهناك حديث متداول في أوساط المسلمين هو حديث الفرقة الناجية،

(١) الرحيلي: د. عبد الله ضيف الله، الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها ص ٢٢٣ - ٢٢٤، الطبعة الأولى ١٩٩٦م مطبعة سفير - الرياض.

(٢) سورة البقرة الآية ١١١.

حيث يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة»<sup>(١)</sup>.

ورغم تحفظ كثير من العلماء من مختلف المذاهب على سند هذا الحديث، وعلى ضبط متنه، إلا أنه متداول، ويشكل مرجعية لدى المتدينين في نظرهم إلى مخالفاتهم في المذهب والاتجاه من المسلمين.

وقد طعن في سند الحديث ابن حزم وابن الوزير والشوكاني وتوسع الشيخ يوسف القرضاوي في مناقشته ورده سنداً ومنتناً<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ جعفر السبحاني: «إن مشكلة اختلاف نصوص الحديث لا تقل إعضالاً عن مشكلة سنده، فقد تطرق إليه الاختلاف من جهات شتى، لا يمكن معه الاعتماد على واحد منها»<sup>(٣)</sup>.

## ليس كل مخالف جاحداً

ما يجب التنبه له أنّ المخالفين لما نعتقده حقاً لا يمكن سوقهم جميعاً بعصى واحدة، فهناك من يتضح له الحق ولكنه يجحد ويكابر، وهناك من لم تتوفر له فرصة التعرف على الحق والاطلاع عليه، ولو أتاحت له تلك الفرصة، وأزيحت من أمامه الشبهات والحوارج، لما تردد في قبول الحق.

وإذا كان الجاحد المعاند مستحقاً لعذاب الله وغضبه، فإن المستعدّ نفسياً

(١) السجستاني: أبو داود، سنن أبي داود، حديث رقم ٤٥٩٧.

(٢) القرضاوي: الدكتور يوسف، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفريق المذموم ص ٣٤-٣٨، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م مؤسسة الرسالة-بيروت.

(٣) السبحاني: الشيخ جعفر، بحوث في الملل والنحل ج ١ ص ٢٦ الطبعة الثانية ١٩٩١م، الدار الإسلامية-بيروت.

وفكرياً لقبول الحق لو بلغه واتضح لديه، له حساب آخر.

إنَّ أشخاصاً كثيرين يعيشون ضمن بيئة مخالفة للدين الحق، ولا تصلهم رسالة الإسلام، فهم قاصرون عن الوصول إلى الحقيقة، وقد لا يكونون مقصّرين، ولديهم قلوب صافية طيبة لا ترفض الحق، وما نسمعه عن دخول أناس جدد إلى الإسلام من أمريكيين وأوروبيين وغيرهم يؤكد هذه الحقيقة.

فمثل هؤلاء الناس غير المعاندين يتسع لهم عفو الله ورحمته وإن كانوا كفاراً، لأن الله تعالى لا يعذب أنساناً قبل إكمال الحجة عليه، يقول تعالى: ﴿مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(١)</sup> ويقول تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وينقل الشيخ المطهري عن (ديكارت) الفيلسوف الفرنسي قوله: إنني لا أدعي أن المسيحية قطعاً أفضل دين في الأرض، ولكنني أقول إن المسيحية هي الأفضل بالقياس إلى الأديان التي أعرفها، وقد تناولتها بالبحث والتحقيق، وليس لي أي عدا مع الحقيقة، فقد يكون هناك في أماكن أخرى من الدنيا دين يرجح على المسيحية، إنه لا علم لي فلعل ديناً ومذهباً يوجد في إيران مثلاً هو أفضل وأحسن من المسيحية.

ويعقب الشيخ المطهري قائلاً: لو كان ديكارت صادقاً في حديثه ومستسلماً للحقيقة بالمقدار الذي يدعيه لنفسه، وقد بحث واستقصى بكل جهوده ولم يصل إلى أكثر مما وصل إليه فهو يعتبر حينئذ مسلماً بالفطرة<sup>(٣)</sup>. ومما يؤيد ذلك ما ورد عن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبي عبد الله

(١) سورة الإسراء الآية ١٥.

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٢.

(٣) المطهري: مرتضى، العدل الإلهي ص ٢٨١ الطبعة الثانية ١٩٨٤ م مؤسسة الوفاء - بيروت.

ﷺ جالساً عن يساره، وزرارة عن يمينه، فدخل عليه أبو بصير فقال: يا أبا عبد الله ما تقول فيمن شك في الله؟ فقال ﷺ: كافر يا أبا محمد. قال: فشك في رسول الله ﷺ؟ فقال: كافر. قال: ثم التفت إلى زرارة فقال ﷺ: إنما يكفر إذا جحد<sup>(١)</sup>.

## المستضعفون فكرياً:

تتحدث بعض النصوص الواردة عن أهل البيت ﷺ عن الناس المستضعفين فكرياً، والذين تقصر مداركهم عن إدراك الحقائق، أو أن الظروف الاجتماعية التي يعيشونها تسلب منهم إمكانيات المعرفة ووسائل البحث للوصول إلى الحق، فهؤلاء يتسع لهم عفو الله سبحانه وتعالى، وهم مصداق للمستضعفين الوارد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ويشير الإمام علي ﷺ إلى صدق عنوان الاستضعاف على من تتعذر عليه وسائل المعرفة بقوله ﷺ: «ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه»<sup>(٣)</sup>.

وروي عن الإمام جعفر الصادق ﷺ أنه قال حينما سئل عن المستضعفين؟: «إنهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكافرين، وهم المرجون لأمر الله»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث آخر يشير الإمام جعفر الصادق ﷺ إلى أن تصنيف الناس لا

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج ٢ ص ٣٩٩.

(٢) سورة النساء الآية ٩٨-٩٩.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - خطبة ١٨٩.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٦٩ ص ١٦٥.

يتحدد بصفة الإيمان أو الكفر، بل إن هناك مجالاً أرحب وأوسع في النظر إلى الناس، فعن الحارث عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: سألته: بين الإيمان والكفر منزلة؟ فقال: نعم، ومنازل لو يجحد شيئاً منها أكبه الله في النار: بينهما ﴿أَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ وبينهما ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ وبينهما ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ وبينهما قوله: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وللعلامة الطباطبائي في تفسير الآية الكريمة ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ...﴾ كلام مهم عميق نقتطف منه ما يلي: وهذا المعنى كما يتحقق فيمن أحيط به في أرض لا سبيل فيها إلى تلقي معارف الدين، لعدم وجود عالم بها خبير بتفاصيلها، أو لا سبيل إلى العمل بمقتضى تلك المعارف للتشديد فيه بما لا يطاق من العذاب، مع عدم الاستطاعة من الخروج والهجرة إلى دار الإسلام، والالتحاق بالمسلمين، لضعف في الفكر أو لمرض أو نقص في البدن أو لفقر مالي ونحو ذلك، كذلك يتحقق فيمن لم ينتقل ذهنه إلى حق ثابت في المعارف الدينية، ولم يهتد فكره إليه مع كونه ممن لا يعاند الحق ولا يستكبر عنه أصلاً، بل لو ظهر عنده حق اتبعه، لكن خفي عنه الحق لشيء من العوامل المختلفة الموجبة لذلك.

فهذا مستضعف لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً، لا لأنه أعيت به المذاهب بكونه أحيط به من جهة أعداء الحق والدين بالسيف والسوط، بل إنما استضعفته عوامل أخر سلطت عليه الغفلة، ولا قدرة مع الغفلة، ولا سبيل مع هذا الجهل.

(١) المصدر السابق ص ١٦٦.

ومن هنا يظهر أن المستضعف صفر الكف لا شيء له ولا عليه لعدم كسبه  
 أمراً، بل أمره إلى ربه، كما هو ظاهر قوله تعالى بعد آية المستضعفين ﴿فَأُولَئِكَ  
 عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ  
 مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ورحمته  
 سبقت غضبه<sup>(١)</sup>.

### سعة رحمة الله:

بعض الناس يريدون أن يحجموا رحمة الله تعالى حسب نفسيتهم  
 المحدودة، ونظرتهم الضيقة، فيحكمون على كل من يخالفهم في الدين أو  
 المذهب بالحرمان من الجنة، والدخول في النار، لكن ما نعرفه من سعة رحمة  
 الله تعالى، وواسع عفوه، يجعلنا أكثر تفأؤلاً تجاه مستقبل هؤلاء الناس، الذين  
 خلقهم الله تعالى ليرحمهم ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

والأحاديث الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته الكرام تعطي المسلم لو تأملها  
 أفقاً أرحب، ونظرة أوسع، تجاه الناس.

ورد في حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نشر الله  
 تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع إبليس في رحمته»<sup>(٣)</sup>.

ومع ورود أحاديث كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حول فرض ولايتهم،  
 وأنها شرط لقبول الأعمال ولدخول الجنة، إلا أنهم من جهة أخرى يؤكدون أن  
 المسألة ترتبط بقضية الجحود والعناد، أي أن من اتضحت له حقيقة ولايتهم،

(١) الطباطبائي: السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ج ٥ ص ٥٣-٥٤.

(٢) سورة هود الآية ١١٩.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٨٧.

وأُتيحت له فرصة التعرف على حقهم، ثم أعرض وكابر، فهو مستحق للعذاب والحرمان، أما في غير هذه الصورة فهو مشمول برحمة الله تعالى، كما تتسع له جنته ورضوانه.

يروى الإمام جعفر الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام: «إن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منه شيعتنا ومحَبُّونا، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت»<sup>(١)</sup>.  
وعن زرارة قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: أصلحك الله أرأيت من صام وصلى واجتنب المحارم وحسن ورعه ممن لا يعرف ولا ينصب؟ فقال عليه السلام: إن الله يدخل أولئك الجنة برحمته<sup>(٢)</sup>.

وجاء في حديث أن كامل بن إبراهيم المدني جاء ليسأل الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه هل يدخل الجنة إلا من عرف معرفتك وقال بمقاتلتك؟ فأجابه ابنه الإمام محمد المهدي عليه السلام مستنكراً قوله: إذن والله يقلل داخلها<sup>(٣)</sup>.

وروي عن الإمام علي عليه السلام: ما هلك من الأمة إلا الناصبين والمكابرين والجاحدين والمعاندين، فأما من تمسك بالتوحيد، والإقرار بمحمد والإسلام، ولم يخرج من الملة، ولم يظاهر علينا الظلمة، ولم ينصب لنا العداوة، فإن ذلك مسلم مستضعف يرجى له رحمة الله<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ١٥٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٢.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٣.

(٤) المصدر السابق ص ١٧١.

## منهج الأنبياء والأئمة:

لا يمكن المزايدة على الأنبياء والأئمة ﷺ في الإخلاص للدين والحرص عليه، فإذا أردنا الانطلاق من الدين والمبدأ في النظر إلى المخالفين لنا في الدين أو المذهب، فعلينا أن نقرأ منهج المعصومين ﷺ، وطريقتهم في التعاطي مع الآخرين، ونستلهم منها الموقف الشرعي السليم. ومن خلال الآيات القرآنية والأحاديث والآثار الواردة يمكننا أن نستنتج المفاهيم التالية:

أولاً: كانوا يلتمسون العذر غالباً لأقوامهم بأنهم جاهلون لا يعلمون الحقائق، وفي حالات محدودة جاء التصريح بأن المخالفين ينطلقون من العناد والمكابرة والجحود.

وفي ذلك درس بليغ لنا بأن لا نتسرع في إساءة الظن بالآخرين، وأن نتفهم ظروفهم التي تجعلهم غير مطلعين على الحقيقة.

لقد آذى المشركون رسول الله ﷺ أشد الأذى، ولكنه كان يدعو لهم بالهداية، ويعتذر عنهم بجهلهم. قال القاضي عياض في الشفاء: وروي أنه لما كسرت رباعيته وشجَّ وجهه يوم أحد، شقَّ ذلك على أصحابه شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم؟ فقال ﷺ: أني لم أبعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة. اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون. ثم قال القاضي: أنظر ما في هذا القول من جماع الفضل، ودرجات الإحسان، وحسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم، حتى عفا عنهم، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم، فقال: اللهم اغفر أو اهد، ثم اظهر سبب الشفقة بقوله: (لقومي) ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: (فإنهم لا يعلمون)<sup>(١)</sup>.

(١) القمي: الشيخ عباس، سفينة البحار ج ٢ ص ٦٨١، الطبعة الأولى الجديدة ١٤١٤ هـ دار الاسوة - ايران.

وأخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله قال: كأني انظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: النظر إلى المخالفين بإشفاق ومحبة وحرص على مصلحتهم، وليس من خلال حالة كره أو حقد أو انتقام، ولو تأملنا الصورة التالية التي ينقلها القرآن الكريم عن مخاطبة النبي شعيب ﷺ لقومه، وكيف كانت كلماته مفعمة بالحنان والشفقة عليهم، وإظهار الحرص والرغبة في إنقاذهم من الأخطار والمهالك، يقول تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ. فِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: الاجتهاد في تبليغ الرسالة، وتوضيح الحقيقة للآخرين المخالفين. إن كثيراً من المتدينين ممن يرسمون في أذهانهم صورة قاتمة عن الآخرين، ويحكمون عليهم بالنار والعذاب، إنما يخلقون بينهم وبين الآخرين حاجزاً نفسياً، يمنعهم من الانفتاح عليهم، والسعي لهدايتهم، وتبيين ما يعتقدونه حقاً لهم. وقد يبررون لأنفسهم التقاعس والتقصير في العمل بهذه النظرة السوداء التشاؤمية تجاه الآخرين.

(١) البخاري: محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري - حديث رقم ٣٤٧٧.

(٢) سورة هود الآية ٨٤، ٨٩، ٩٠.

**الاستهلاك و عادات الإسراف**  
كلمة الجمعة بتاريخ ١٠ شوال ١٤٢١هـ



تنافس رهيب وسباق محموم على مستوى العالم بين الجهات المصنّعة المنتجة، يغرق الأسواق بألوان السلع والخدمات، لمختلف احتياجات الإنسان ورغباته، ففي كل مجال من المجالات، تجد أمامك خيارات عديدة متنوعة قد يتعبك استقصاؤها، وتستعين الجهات العالمية المنتجة بخبراء ومراكز بحوث ودراسات، لتطوير إنتاجها كمّاً وكيفاً، من أجل توسيع رقعة أسواقها الاستهلاكية، ولتعزيز مداخيلها وموقعها الاقتصادي.

وتلعب أجهزة الإعلام دوراً كبيراً في خدمة أغراض التسويق عبر أساليب دعائية إعلانية تتفنن في الإغراء واستقطاب الزبائن المستهلكين.

وحتى السياسة أصبحت توظّف لصالح كبريات الشركات ومصانع الإنتاج، حيث يعمل الزعماء السياسيون للدول الصناعية، من أجل فتح الأسواق، أمام منتجات بلادهم، وقد يمارسون الضغوط على الدول الأخرى بهذا الاتجاه، ومن أبرز الأمثلة المعاصرة الخلافات التي وقعت بين الولايات المتحدة الأميركية من جهة واليابان والصين من جهة ثانية، لإلحاحها على الدولتين لفتح أسواقهما أمام السلع الأميركية. لقد أصبح الاستهلاك والتسويق أهم قضية اقتصادية يُتوجه إليها، فالاستهلاك وقود الإنتاج ومحرك الاقتصاد، فلنكفي تستمر حركة التصنيع والإنتاج وتتطور لابد من أسواق تستهلك، وزبائن تشتري، والإنتاج أصبح رهيباً وضخماً للغاية على المستوى العالمي، ويحتاج

إلى تصريف واسع.

لذا يكون التنافس شديداً على الأسواق، وتبتكر مختلف الوسائل والأساليب لتشجيع الاستهلاك، من إقامة المعارض، ومهرجانات التسوق، وإعلان مواسم لتخفيض الأسعار والخصومات، وإعطاء الجوائز والمكافآت على السحب، إضافةً إلى الدعايات والإعلانات المستمرة، التي تخلق دوافع الاستهلاك، وتصنع الرغبات، وتفتعل الاحتياجات في نفوس المستهلكين.

ولأن الكثيرين من الناس وخاصة في الدول النامية، قد لا يمتلكون السيولة النقدية، التي تستجيب لرغبات الاستهلاك، فقد استحدثت معالجات لهذه الإشكالية، عن طريق البنوك التي تقدم القروض، وعبر (الفيزا كارت)، وبواسطة البيع بالأقساط.. كل ذلك لدفع الناس للشراء والاستهلاك، لتستمر ماكينة الإنتاج والتصنيع، ولتزيد ثروات وأرباح أصحاب رؤوس الأموال وخاصة أرباب الشركات الكبرى.

### أرقام ودلالات:

وتشكل مجتمعاتنا الخليجية سوقاً استهلاكيةً مغرية، تسعى كل جهة منتجة لأخذ حصتها المناسبة منها، وتثبيت أقدامها في وسطها، ليس لكثافة سكانية في هذه المنطقة، وإنما لتوفر السيولة المالية فيها، ولسهولة التأثير على أنماط الحياة المعيشية للمجتمع، بما يخدم مصلحة المنتجين، فإنسان هذه المنطقة لا يحتاج إلى جهد كبير لإقناعه بشراء أي سلعة، ولا يتشدد كثيراً في المواصفات، ولا يجادل غالباً حول القيمة والسعر.

ولو ألقينا نظرة سريعة على بعض الأرقام المتوفرة عن النشاط الاستهلاكي في المنطقة، وخاصة حول بعض السلع الكمالية والرفاهية، لأدركنا الأهمية

التي توليها الجهات المنتجة المصنّعة للتسويق في هذه المجتمعات كما تظهر لنا دلالات التوجهات الاستهلاكية لدى المواطنين.

**ففي مجال الأثاث:** يقدر معدل النمو السنوي لسوق الأثاث في السعودية بنحو ٤٪، ويبلغ حجم هذه السوق ما يزيد على ٣ بلايين ريال (٨٠٠ مليون دولار). وحجم إنفاق الأسر السعودية على الأثاث يسجّل ارتفاعاً مستمراً، حيث يزيد على ٣٪ من الدخل السنوي للأسرة وفقاً لدراسات السوق، وتغيّر الأسر السعودية المتوسطة الدخل أثاثها كل ٥ إلى ٧ سنوات، فيما تنخفض المدة للأسر الأكثر دخلاً، والتي تغيّر أثاثها كل ٣ إلى ٥ سنوات.

ورغم أن عدد مصانع الأثاث السعودية يبلغ نحو ١٣٤ مصنعاً تنتج ما يزيد على ٣٥ ألف طن من الأثاث سنوياً إلا أنّها لا تغطي إلا ما نسبته ٣٥٪ من حاجة السوق المحلية، والباقي يستورد من الخارج<sup>(١)</sup>.

وأشار تقرير آخر إلى أنّ واردات دول الخليج من الأثاث سنة ١٩٩٦م بلغت ٥, ٢ بليون دولار، وأظهرت تقديرات تجارية أن واردات دولة الإمارات من الأثاث وتوابعها بلغت عام ٩٥م ٥٩٣ مليون دولار، وبلغت قيمة واردات الكويت ٤٩٤ مليون دولار، وسلطنة عمان ١٢٩ مليون دولار، والبحرين ٩٥ مليون دولار، وقطر ٦٣ مليون دولار<sup>(٢)</sup>.

**الملابس:** حجم سوق الملابس الرجالية في السعودية يتجاوز أربعة بلايين ريال سنوياً (١, ٠٦ بليون دولار) منها بليون ريال (٢٧٦ مليون دولار) حجم سوق الشماع والغترة فقط<sup>(٣)</sup>.

(١) الحياة: جريدة يومية، لندن ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٠م.

(٢) الحياة: جريدة يومية، لندن ٢٧، ٥، ١٤١٧هـ.

(٣) الحياة: جريدة يومية، لندن ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٠م.

**العطور ومستحضرات التجميل:** أظهرت دراسة اقتصادية أنّ إنفاق المستهلك الخليجي على العطور ومستحضرات التجميل، تعتبر من أعلى معدلات الاستهلاك في العالم. وقدرت حجم واردات مجلس التعاون الخليجي منها بنحو ٨١٧ مليون دولار سنة ٩٥م. وأشارت الدراسة التي أعدها مصرف الإمارات الصناعي إلى أنّ دول الخليج استوردت سنة ٩٥م نحو ١٩٠ ألف طن من العطور ومواد التجميل إلى جانب إنتاجها المحلي البالغ ٦٥ ألف طن.

قيمة واردات السعودية منها ٢٥٠ مليون دولار، والإمارات ١٩٠ مليون دولار.

ولاحظت الدراسة تزايد استهلاك العطور ومستحضرات التجميل بصورة مطّردة مع ارتفاع مستويات المعيشة، واتساع القاعدة الاجتماعية للفئات ذات الدخل المتوسط في دول مجلس التعاون الخليجي<sup>(١)</sup>.

وذكرت مجلة اليمامة السعودية ضمن تحقيق لها عن (المرأة في السعودية واستهلاك أدوات التجميل) أنه خلال عام ١٩٩٥م استهلكت النساء في السعودية ٥٣٨ طناً من أحمر الشفاه، و٤٣ طناً طلاء الأظافر، و٤١ طناً من مزيلات هذا الطلاء!! و٢٣٢ طناً من مستحضر تجميل العيون، وصبغة الشعر ٤٤٥ طناً<sup>(٢)</sup>.

**الذهب والألماس:** تعتبر السعودية ثالث أكبر سوق عالمية للذهب تقدر قيمتها ٣ بلايين دولار سنوياً، وقدّر مسؤول في شركة (دي بيرز) أكبر شركة للألماس في العالم حجم سوقه - عدا بقية الشركات - في منطقة الخليج بأكثر

(١) الحياة: جريدة يومية، لندن ١٢، ٦، ١٤١٦هـ.

(٢) اليمامة: مجلة أسبوعية سعودية ص ٢٢، العدد ١٤٤٩ - ٢٠، ١١، ١٤١٧هـ.

من بليون دولار سنوياً. وقال إن الطلب على الألماس في منطقة الخليج يعتبر من الأعلى في العالم<sup>(١)</sup>.

السيّارات: تنفق السعودية ما يصل إلى ١٣ بليون دولار في سوق شراء السيّارات، وقطع الغيار سنوياً، ما يجعلها أكبر سوق للسيّارات في الشرق الأوسط، حيث تستورد السعودية أكثر من ٢٧٥ ألف سيارة سنوياً تقدر قيمتها بأكثر من ٩, ١٠ بليون دولار إضافة إلى سوق قطع الغيار والإكسسوارات التي يقدر حجمها بنحو ٢, ٢ بليون دولار<sup>(٢)</sup>.

المشروبات الغازية: ارتفع حجم السوق السعودية في قطاع المشروبات الغازية إلى أكثر من بليون دولار سنوياً<sup>(٣)</sup>.

هذه نماذج وأمثلة بسيطة عن توجهات وارتفاع وتيرة الاستهلاك في مجتمعاتنا.

### بين الإنتاج والاستهلاك:

في الدول الصناعية يكون الاستهلاك عملية متكاملة مع الإنتاج، وموازية له، فالفكرة هناك أنه لكي تنتج وتصنع أشياء جديدة لا بد من وجود قدرة عالية على الاستهلاك، بل إن الإنتاج عندهم يفيض على الحاجة الاستهلاكية لديهم في غالب مجالات التصنيع، لذا يتجهون إلى التصدير، ويبحثون عن أسواق الاستهلاك خارج بلادهم.

لكن مشكلة بلداننا أن الاستهلاك عملية قائمة بذاتها لا ترتبط بالإنتاج،

(١) الحياة: جريدة يومية، لندن ٧، ١٠، ١٤١٧هـ.

(٢) الحياة: جريدة يومية، لندن ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠م.

(٣) الحياة: جريدة يومية، لندن ١ مايو ١٩٩٨م.

ولا تتجه لتشجيع الإنتاج الوطني.

إن الفرد في مجتمعاتنا يلهث خلف الاستهلاك لكنه ضعيف الإنتاجية والفاعلية، وقبل فترة أشارت دراسة أعدتها لجنة علمية أميركية تحت عنوان: (في مواجهة المستقبلات) إلى أن الإنتاج الخام للفرد في الدول الصناعية عام ٧٥م كان ٣٠٠٠ دولار ويصل في عام ٢٠٠٠م إلى ٨٠٠٠ دولار، بينما لم يتعد إنتاج الفرد في الدول النامية عام ٧٥م ٢٩٠ دولار، ويصل عام ٢٠٠٠م إلى ٨٦٠ دولار، أي أن النسبة بين إنتاجية الفرد هناك وإنتاجية الفرد هنا من واحد إلى عشرة تقريباً!!

إنهم يستهلكون ما ينتجون فيتقوى اقتصادهم، وتنشط دورته، بينما نبالغ في استهلاك ما ينتجه الآخرون فتتبدد ثرواتنا وإمكاناتنا.

ولو كانت لدينا خطط وأطروحات لاستقطاب جزء من السيولة التي في أيدي المواطنين باتجاه مشاريع الإنتاج والعمل والتصنيع، لكننا في مستوى أفضل.

كما أننا بحاجة لتشجيع الإنتاج الوطني، بدل التهافت على الاستيراد واقتناء السلع الأجنبية.

### التخطيط في الإنفاق:

في المجتمعات التي يتوفر لأبنائها وعي اقتصادي حياتي، يعتمد كل فرد له ميزانية سنوية، وفق مستوى دخله، وحسب أولويات احتياجاته، فيحدد نسبة من دخله لكل مجال من مجالات حياته، فللتعليم كذا في المئة، وللصحة كذا، وللغذاء كذا وهكذا.

وعادة ما تخصص نسبة للاادخار لمواجهة الحالات الطارئة، والتي انطلقت منها شركات التأمين في المجالات المختلفة.

وعلى أساس هذا التخطيط يكون هناك توازن بين الدخل والإنفاق، كما تعطى الأولوية للحاجات الأساسية، وتأتي الكماليات في مرحلة تالية.

أمّا في مجتمعاتنا فنادر ما تجد مثل هذا التوجه، لذا يعاني الكثيرون وخاصة من أصحاب الدخل المحدود، أوضاعاً اقتصادية صعبة، حيث تبخر مدخولاتهم بسرعة، ولا يتمكنون من ترتيب أوضاعهم المعيشية، لافتقادهم التخطيط.

كتب أحدهم رسالة لجريدة عكاظ هي نموذج يحكي حالة الكثيرين ومما جاء فيها: أنا شاب متزوج ولديّ طفلة صغيرة، وأعمل في وظيفة محترمة، وأتقاضى راتباً يبلغ تسعة آلاف ريال شهرياً، وما أن يأتي آخر الشهر لا أجد ريالاً في جيبي، ومشكلتي تكمن في عجزني عن ادخار أي مبلغ ينفعني في الأيام الصعبة، ويساعدني على تأمين مستقبل جيد لأولادي، عجزت عن شراء متر أرض واحد أو بناء منزل لي ولأولادي<sup>(١)</sup>.

إنّ إنفاق الإنسان يجب أن يكون في حدود دخله، وصرفه يجب أن يكون ضمن ميزانية يعتمدها بدراسة وتفكير، لا أن يصبح دخله في مهب رياح الدعاية والإعلان، وتحت تأثير الرغبات الاستهلاكية الارتجالية.

### عادات الإسراف والتبذير:

لقد تحول الإسراف والتبذير والمبالغة في الاستهلاك إلى عادات وأعراف

(١) عكاظ: جريدة يومية سعودية، ٢٤ مارس ١٩٩٧م.

حاكمة في مجتمعاتنا.

فأطفالنا يتربون من صغرهم على حب الاستهلاك، فتعطى لهم النقود دون حاجة، ويتعلمون على الاستمتاع بالشراء، لمجرد الشراء وإن كان لشيء لا يفيدهم، بل قد يكون ضاراً لهم. وترى في حالات كثيرة حينما يبكي الطفل ويريد أهله تهدئته يقال له خذ ريالاً أو خمسة أو عشرة واذهب إلى البقالة!! في مقابل ذلك تشجع بعض العوائل في المجتمعات المتقدمة أبناءها منذ صغرهم على فتح حسابات للادخار، وتعلمهم كيف يفكرون فيما يشترون قبل أن يشتروا.

وعلى المستوى العام فالتسوق والشراء لم يعد تلبية لحاجة في حياة العائلة، بل أصبح برنامجاً للترفيه والتمتع، فيذهبون إلى السوق ليس لشراء حاجات معينة يريدونها، وإنما يتجولون في المحلات التجارية لتخلق عندهم الحاجة ورغبة الشراء، فالاستهلاك بحد ذاته مصدر لذة وارتياح.

كما تعود الناس على أن يشتروا الأشياء بالكميات، وحتى فيما يسرع إليه التلف، فيحملون أنفسهم نفقات التخزين و التبريد، ويخسرون قسماً كبيراً منها بالخراب والتلف، ذلك أن الواحد منا يستحي أن يشتري بالكيلو أو الحبة الواحدة!!

بينما ترى في أميركا وأوروبا أن العائلة تشتري بضع حبات من البرتقال أو التفاح وجزءاً من حبة البطيخ وما أشبهه.

وعاداتنا في الأكل والشرب قائمة على الإسراف والتبذير غالباً، وخاصة في الولائم والمناسبات العامة، حيث يقدم لشخصين أو ثلاثة صحن طعام ممتلئ يكفي لعشرة أشخاص، فيتناولون منه مقداراً يسيراً، ويرمى الباقي!!

وهي حالة مألوفة معروفة.

وتحكي أرقام وزن النفايات المنزلية صورة عن مستوى الإسراف والتبذير، فقبل سنوات أشارت دراسة نفذها المعهد العربي لإنماء المدن بعد مسح شامل لحوالي ١١١ مدينة عام ١٩٨٦م، إلى أنّ النفايات المنزلية في ٢٩ مدينة في دول مجلس التعاون الخليجي تشكل ٧٩٪ من المجموع العام للنفايات المختلفة، وهذه النسبة تعتبر من أعلى النسب في كل دول العالم. ويلقي الفرد في مدينة الرياض نحو ٢٠٠٠ جرام من النفايات العامة يومياً!!<sup>(١)</sup>.

في بعض الدول الأوروبية تجمع القمامة والنفايات المنزلية يومين في الأسبوع، أمّا عندنا فهي تجمع يومياً، بل يلاحظ أنها تزيد على استيعاب البراميل المعدّة لها.

كما اصبح الاستهلاك ميداناً للتفاخر والتباهي، فاختيار نوع السيارة أو أثاث المنزل، أو طريقة احتفال الزواج في هذه الصالة أو تلك، وبهذا الشكل أو غيره، لا يتم نتيجة اختيار موضوعي وإنما لتسجيل نقاط في مجال التفاخر والتباهي، ومحاكاة لذلك الشخص أو تلك الجهة.

إننا ندفع ثمناً باهضاً لهذه العادات السيئة، فأولاً: غضب الرب سبحانه وتعالى والذي نهانا عن الإسراف والتبذير، يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وثانياً: ترهقنا بأعبائها، حيث يجد الواحد نفسه منساقاً لمماشيات هذه

(١) قافلة الزيت: مجلة شهرية، شركة أرامكو السعودية ص ٤٠ ربيع الأول ١٤١٦هـ.

(٢) سورة الأعراف الآية ٣١.

(٣) سورة الأسراء الآية ٢٧.

العادات والأعراف، مع عدم قدرته وضعف إمكانياته، فيتحمل الديون والقروض، ويتعرض للإحراج والمشقة، كما تتعرقل بسببها متطلبات وحاجات الحياة، وتنتج المشاكل العائلية والاجتماعية.

فالزواج أصبح يتطلب كلفة كبيرة، ومراسيم العزاء عند الوفاة تحتاج مبالغ طائلة، وتقديم الهدايا عند الولادة من قبل المرأة لصديقاتها يستلزم ميزانية باهضة...

### دعوة إلى الترشيذ:

لم تكن مجتمعاتنا تعيش مثل هذه الحالة الاستهلاكية في الماضي، وحتى لدى الطبقات الثرية والتمكنة، لكن توفر السيولة في الأيدي، والتأثر بوسائل الإعلام والدعاية، هو الذي شجع على عادات الترف والإسراف. لكن الوضع الاقتصادي الآن أصبح ضاغظاً على الأكثرية الساحقة، فالحاجة ماسة لتغيير أنماط الاستهلاك السائدة، وترشيدها بما يتناسب مع ارتفاع مستوى المعيشة، ومحدودية المداخيل. ومع أنّ الناس جميعاً يتبرمون من هذه العادات الضاغطة المرهقة، إلا أنّهم يخضعون لها ويتقيدون بها، خوفاً من الانتقاد والاتهام بالبخل.

والمطلوب تجاوز هذا الإحساس المضخم، وأن تبدأ مبادرات الترشيذ على مستوى الإنفاق الخاص، وفي المناسبات العامة، وإذا ما تعددت هذه المبادرات، فسوف تخلق عادات جديدة راشدة يقبل عليها الكثيرون. ولنضع نصب أعيننا الحديث الوارد عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام عن الإسراف قال عليه السلام: «هو يرفع صاحبه في الناس ويضعه عند الله»<sup>(١)</sup>.

(١) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ٤ ص ٤٤٥.

ونشير هنا إلى أهمية الإستجابة للدعوة التي يطرحها علماء الإسلام في مقاطعة البضائع والسلع الأميركية، فإنها بالإضافة إلى ما تعنيه من تضامن مع إخواننا الفلسطينيين المقاومين للاحتلال الإسرائيلي، ومن إعلان الغضب والسخط على الموقف الأميركي الجائر المنحاز للصهاينة، بالإضافة إلى ذلك فهي نوع من التوجه لترشيد الاستهلاك، حيث يراجع الإنسان عقله فيما يريد أن يشتريه، ويأخذ بعين الاعتبار جهة الإنتاج، وموقفه تجاهها.



## شمس الدين مدرسة في الاجتهاد والجهاد

كلمة الجمعة بتاريخ ١٧ شوال ١٤٢١ هـ



قرار الحياة والموت بيد الله سبحانه وتعالى فهو ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ وهذا القرار خاضع لإرادته وحكمته وحده تبارك وتعالى. أمّا الاعتبارات الحاصلة عند أبناء البشر في ترجيح وتمني بقاء هذا أو موت ذلك فإنّها لا تعني شيئاً أمام إرادة الله تعالى وحكمته، فحتى أكرم الخلق على الله وأحبهم إليه نبينا الأعظم محمد ﷺ توفاه الله في الأجل المحدّد له، ولمّا يتجاوز الثالثة والستين من العمر، مع أهمية وجوده الشريف، وحاجة البشرية إليه، وحساسية وضع الإسلام والدعوة آنذاك.

لذا فإننا مع ما نستشعره اليوم من عظيم الحزن والأسى لفقد العالم الفقيه الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين، والذي غيبه الموت عنا ونحن في أمسّ الحاجة إلى عطائه العلمي المتجدد، ومواقفه الحكيمة المتألّقة، لا يسعنا إلاّ تفويض الأمر لله تعالى، والرضا بقضائه وقدره، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وما يتوجب علينا هو دراسته كتجربة قيادية رائدة للحركة والإصلاح، والحفاظ على نهجه الرسالي الصادق، واستمرارية مدرسته الفكرية الأصيلة. لقد كان الفقيه الراحل مدرسة متميزة في الاجتهاد والجهاد، ومنهجاً رائداً في العلم والعمل.

## مكونات شخصيته العلمية:

في كل شريحة أو طبقة من المجتمع، كالسياسيين أو التجار أو الأطباء أو المهندسين، هناك أفراد متفوقون متميزون في وسط أقرانهم ونظرائهم، هم الذين يرفعون مستوى أداء الطبقة التي ينتمون إليها، ويدفعون بمسيرتها إلى الأمام.

وإذا كان الشيخ شمس الدين واحداً من علماء لبنان، ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ومن فقهاء الشيعة، وأعلام المسلمين، فإنه كان من القلة المتميزة ضمن هذه الطبقة.

ففي البعد المعرفي من شخصيته، هناك مكونات صنعت خصوصيته وتميّزه الفكري.

منها: ذكاؤه الوقاد ونبوغه المبكر، والذي لفت نظر أساتذته إليه كالفقيه السيد علي الفاني (رحمه الله)، أستاذه في دراسة كتاب (المكاسب) - فقه الاقتصاد - والذي كان معجباً كثيراً بقدرته الفائقة على استيعاب المطالب، وأشرف على بحث له في الإجارة وطلب منه طبعه ونشره.

ومنها: تفرغه وعشقه للعلم والمعرفة من حداثة سنه، فقد ولد في النجف الأشرف - العراق سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م، حين كان أبوه الشيخ عبد الكريم شمس الدين مهاجراً لطلب العلم، وحينما عزم أهله على ترك النجف والعودة إلى لبنان لتأزم وضعهم الاقتصادي، اختار الشيخ شمس الدين البقاء لمواصلة الدراسة وهو في الثانية عشر من عمره، موطناً نفسه على تحمّل عناء الغربة، وضغوط المعيشة القاسية «حيث الفقر - حينذاك - والحاجة إلى حدّ الجوع، وطَيّ الليالي والأيام بلا طعام. وحين يتيسر الطعام فهو غالباً طعام

بسيط، وحيث النوم بلا وطاء أو بلا غطاء، وحيث الثياب الممزقة المرقعة، ولبس ثياب الصيف في الصيف والشتاء في بعض السنين، ولبس ثياب الشتاء في الشتاء والصيف في سنين أخرى، وحيث الحفاء في شكل الاحتذاء، أو الاحتذاء الشبيه بالحفاء» كما تحدث (رحمه الله)<sup>(١)</sup>.

ومن تلك المكونات: مواصلة الاهتمام والنشاط العلمي، فقد بدأ رحلته مع العلم وهو دون العاشرة من عمره، واستمر منشغلاً بالدراسة والتدريس، والتفكير والبحث، والكتابة والتأليف، حتى الأيام الأخيرة من حياته، وهو يصارع المرض، ويتلقى جرعات العلاج الصعب في باريس، حيث أخبرني قبل عودته إلى بيروت بأيام في مكالمة تلفونية من باريس: أنه أنجز رسالة فقهية حول الجوار في الإسلام.

لقد مرّت على لبنان سنوات صعبة قاسية أثناء الحرب الأهلية، ومن جرّاء الاحتلال الإسرائيلي للجنوب، والذي امتد في بعض فتراته إلى بيروت، وما رافق ذلك من عدوان وقصف وتخريب مستمر، وعاش الإمام شمس الدين في قلب هذه المحن والعواصف والآلام، وتعرضت حياته للخطر أكثر من مرة، وأحاطت به المشاكل والضغوط، ونالته الاتهامات المغرضة، لكنه لم يترك التواصل العلمي، ولا انقطع عن البحث والتحقيق، في غالب تلك الظروف، ويشير في نهاية بعض أبحاثه العلمية إلى الظروف التي أنجز فيها البحث، كما في خاتمة بحثه القيم (الاحتكار في الشريعة الإسلامية - بحث فقهي مقارنة) حيث كتب يقول: (وقد وقع الفراغ من مسودة هذا البحث في صيغتها هذه.. في بلدة القصيبة من قرى جبل عامل.. يوم ٧ رمضان ١٤٠٩هـ - ١٣ نيسان

---

(١) شمس الدين: محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام ص ١١، الطبعة الثانية ١٩٩١، بيروت.

١٩٨٩م والحرب اللبنانية في أوج تفجّرهما الرهيب المدمر)).

وأشار في نهاية بحثه عن أحكام الستر للمرأة قائلاً: (وقد حصل الفراغ من تدوين هذا البحث في الثامن من ربيع الأول ١٤١٤هـ - ٢٥ آب ١٩٩٣م ولا نزال في منزل التهجير.. ونحن في بلاء عظيم من غدر الزمان، وخيانة بعض من أطغاه السلطان من أهل السياسة، وبعض من غمرته الدنيا من دجاجلة الدين)).  
ويظهر من بعض بحوثه أنه أنجزها خلال رحلاته وزياراته إلى دمشق أو إيران أو مناطق أخرى.

فهو لا يترك اهتماماته العلمية مهما كانت الظروف التي تحيط به، ومع كثرة المهام التي يقوم بها، والأدوار التي يمارسها، من خلال موقعه القيادية كرئيس للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وكزعيم ديني سياسي في المنطقة العربية والعالم الإسلامي.

ولعل من أهم مكونات شخصيته العلمية: روحية البحث والتحقيق التي توفر عليها، فهو لا يتناول القضايا والمسائل بشكل مرتجل، ولا يطرحتها ضمن أسلوب الشعارات واللغة الخطابية، بل يناقش الموضوع الذي يتناوله إلقاءً أو كتابةً بعمق وروية، عائداً به إلى جذوره وخلفيته، مستعرضاً لآثاره ونتائجه، مع استقراء مختلف احتمالات البحث بالدليل والبرهان، ومع توثيق الآراء والشواهد من المصادر المعتمدة لها.

وحينما يجد نفسه في بعض البحوث أمام مسألة علمية لم تتبلور لديه الرؤية حول بعض جوانبها، فإنه لا يرضى لنفسه التسرع، بل يعلن أنها بحاجة إلى مزيد بحث وتأمل، كما يُلحظ ذلك في عدة مسائل من بحوثه حول الاجتهاد والتقليد وحول الجهاد.

## ملاح مدرسته الاجتهادية:

من يقرأ بحوثه الفكرية والفقهية، ويتابع آراءه وطروحاته في الميادين المختلفة، يجد ملاح هامة لمدرسته في الاجتهاد والاستنباط، لعل من أبرزها ما يلي:

١. التوجه للهموم المعاصرة والتحديات التي تواجه الإسلام والأمة. حيث أن السائد في أوساط الفقهاء، أن ينشغل من يبلغ رتبة الاجتهاد، ببحث المسائل الأصولية والفقهية، وفق الجدولة المتداولة في الحوزة العلمية، فيبحثون في الأصول مباحث الألفاظ والأصول العملية، وفق منهجية كفاية الأصول للشيخ محمد كاظم الخراساني (رحمه الله) (١٢٥٥هـ - ١٣٢٩هـ)، ويبحثون مسائل الفقه على ضوء كتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي (رحمه الله) (٦٠٢هـ - ٦٧٦هـ) أو كتاب (العروة الوثقى) للسيد محمد كاظم اليزدي (رحمه الله) (١٢٤٧هـ - ١٣٣٧هـ) كما هو الغالب.

فموارد البحث وإعمال الملكة الاجتهادية موارد مألوفة يتكرر طرحها، ويقل الجديد فيها. ومع كامل التقدير والاحترام للجهود التي يبذلها الفقهاء الأبرار في هذه البحوث، إلا أنه لا بد من الالتفات إلى خطورة التحديات التي تواجه الإسلام والأمة، خاصة في هذا العصر، وعلى مختلف الأصعدة: سياسياً وفكرياً واجتماعياً واقتصادياً.

هذه التحديات تتطلب الاستجابة لها، وإعطاء الرؤية الإسلامية والموقف الشرعي تجاهها.

وإذا لم يتجه الفقهاء لمعالجة المشاكل والقضايا المعاصرة، فإن ذلك

يفسح المجال للتيارات الوافدة، أو التوجهات المخالفة للإسلام، أن تملأ الفراغ وأن تبسط هيمنتها على أذهان المسلمين وحياتهم.

كما يعني ذلك ضعف الثقة بالإسلام وجدارته بالقيادة والتطبيق في هذا العصر، وقد حصلت مثل هذه الآثار والمضاعفات بالفعل.

وهنا يتألق العطاء العلمي للشيخ شمس الدين، حيث وظّف قدرته الاجتهادية، في استنباط رؤية الإسلام واستكشاف أحكامه الشرعية، في مستجدات المشاكل، والقضايا التي أفرزتها تطورات الحياة، وطبيعة الأوضاع والأحداث التي تعيشها الأمة.

فعلى مستوى التحديات الفكرية: له أكثر من بحث ودراسة في مطارحة الفكر المادي، والنظريات الاجتماعية المنبثقة عنه، منها كتابه (مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني) وكتابه (العلمانية) وكتابه (بين الجاهلية والإسلام).

وعلى الصعيد السياسي: يعتبر من أوائل فقهاء الشيعة المعاصرين في العالم العربي الذين اهتموا بمسألة نظام الحكم في الإسلام، حيث ألف كتابه (نظام الحكم والإدارة في الإسلام) سنة ١٩٥٤م أي قبل أن يكمل العقد الثاني من عمره.

وبعد انتشار الصحوة الإسلامية المباركة، ونمو الحركات الإسلامية المنبثقة عنها في مختلف بلاد المسلمين، وما رافق ذلك من احتدام الصراع بينها وبين العديد من الأنظمة والحكومات، حيث إنجرت بعض الحركات الإسلامية إلى ممارسة العنف، وأمعنّت بعض الحكومات في استخدام القمع، وكادت بلاد المسلمين أن تتحول إلى ساحات للاقتتال الداخلي

والفتن المدمرة، هنا توجه الإمام شمس الدين لمعالجة هذه القضايا الحساسة برؤية علمية، وتأصيل فقهي، ولغة حكيمة، عن طريق الخطابات الجماهيرية والمقابلات عبر وسائل الإعلام، والتخاطب مع النخب في المؤتمرات، والحوار مع القيادات السياسية من حكام وزعماء تنظيمات، كما ألف كتاباً قيماً لعله من أهم أبحاثه ودراساته بعنوان (في الاجتماع السياسي الإسلامي). إضافةً إلى مجموعة كبيرة من البحوث المهمة بالشأن السياسي المعاصر للأمة نشر بعضها في مجلدات كتابه (دراسات ومواقف في الدين والسياسة والمجتمع). ولمركزية قضية المواجهة مع الاحتلال والعدوان الإسرائيلي فقد وجه لها الإمام القسط الأكبر من اهتمامه الفكري والعملية، فطرح العديد من المشاريع للمقاومة والمواجهة وتصدى لخطط التطبيع مع الكيان الغاصب، مستنهضاً الأمة، ومحذراً من المؤامرات ومحاولات الخداع والمكر.

**وفي المسألة الاجتماعية:** استقطب فكره العديد من التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم، ومن أبرزها موضوع المرأة، فهناك أعراف وتقاليد تهمش دور المرأة في المجتمع، وتقلص فاعليتها، وفي المقابل تروج الحضارة المادية الغربية لأنماطها السلوكية المبتذلة التي تجعل من المرأة مادة إثارة للشهوات والرغبات الجنسية، وبين هذين الاتجاهين كادت أن تضيع في أوساط المسلمين رؤية الاسلام، وأحكامه الشرعية، حول حقوق المرأة، وواجباتها ودورها الاجتماعي.

ولعل الإمام شمس الدين أول فقيه يتصدى لمعالجة المسائل الحساسة والحرجة في موضوع المرأة بهذا الاستيعاب والشمول، فأنجز أربعة أبحاث تحت عنوان (مسائل حرجة في فقه المرأة) تناول الكتاب الأول منها موضوع (الستر والنظر) والثاني (أهلية المرأة لتولي السلطة) والثالث (حقوق الزوجية)

والرابع (حق العمل للمرأة).

وللإمام شمس الدين بحوث حول المجتمع والطبقات الاجتماعية في كتابه (دراسات في نهج البلاغة). كما صدر له بحث (حول تنظيم الأسرة) وآخر حول (رسالة الحقوق للإمام زين العابدين).

هكذا كانت اهتماماته العلمية من وحي إدراكه للمسؤولية تجاه الإسلام والأمة، ووعيه بالظروف والمتغيرات التي يعيشها عالم اليوم.

### ضوابط التجديد:

٢. الفقيه المنفتح على تطورات الحضارة ومتغيرات الحياة، يدرك أكثر من غيره الحاجة إلى التطوير والتجديد في الفكر والفقه الإسلامي، لكن ذلك يجب أن يكون وفق الضوابط الشرعية وآليات المنهج العلمي، المتفق عليه في الاجتهاد والاستنباط، وإلا تحول الأمر إلى خليط من الأهواء والاستحسانات البشرية تُنسب إلى الدين والشرع.

ومن ملامح مدرسة شمس الدين الاجتهادية، تأكيده على ضرورة الالتزام بتأصيل أي فكرة أو موقف يُنسب إلى الدين بالرجوع إلى الكتاب والسنة، ومن خلال منهج الاستدلال والبرهنة الفقهية العلمية، وهو يدعو الإسلاميين إلى أن لا ينطلقوا في آرائهم ومواقفهم التي ينسبونها للإسلام من وحي الانفعال والعاطفة، أو من أجل تحقيق المكاسب والمصالح الفئوية، بل عليهم أن يتقيدوا بالحدود والضوابط الشرعية.

فالتجديد في نظره ليس حركة خارج الدليل بل داخله.

وليس عملية توفيقية بين المسلّمات ومتطلبات الواقع المعاش، تؤدي إلى

بتر تلك المسلّمات عن جذورها، لإيهام تكيّفها مع الواقع، بل يجب أن يكون التجديد إعادة تأصيل وتجذير لتلك المسلّمات بأفق أوسع، ونظرة أكثر عمقاً وشمولية، تلحظ خصوصيات الظرف في ما يناسب ذلك، وتلتزم الإطلاق في غير ذلك، من خلال ضوابط وموازين، وأصول محددة، يعاد على أساسها قراءة الدليل وتحليله، وصياغته، وترتيب آثاره، وفرز العناوين وترتيبها، واستخراج ما هو ثانوي، والتفريق بين المستجدات في كونها مصاديق للعنوان الأولي، أو للعنوان الثانوي، وإخضاع المستجدات لنتائج البحث النظري<sup>(١)</sup>.

### مدرسة ومنهج:

الآن وقد رحل عنا الشيخ شمس الدين وهو في أوج عطائه العلمي، ونضج تجربته القيادية، فحسبنا بفقده الكثير، حيث كان لا يزال في جدول اهتماماته العلمية العديد من الأبحاث والقضايا الحساسة الشائكة، التي ينوي دراستها وإنجازها، فإنّ المطلوب تكريس منهجيته العلمية في ساحة الأمة.

إنّ مشاعر الحزن والأسى لفقده، أو الثناء عليه وتمجيد شخصيته، وإن كان صحيحاً ومطلوباً، لكن ما ينبغي التوجه إليه هو:

أولاً: قراءة ودراسة أفكاره ومواقفه، فهي ثروة هامة وتجربة غنية ناضجة.

ثانياً: التوجه لتأكيد واستمرارية منهجيته العلمية، التي تعنى بهموم العصر، وقضايا الحياة، وتلتزم التأصيل الديني بضوابطه الشرعية الفقهية، وتتسم بالشجاعة والجرأة في التعبير عن الرأي، بحكمة وموضوعية، بعيداً عن الإثارات والمهاترات.

---

(١) شمس الدين: محمد مهدي، الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي ص ٧ الطبعة الأولى ١٩٩٩م المؤسسة الدولية، بيروت.

ثالثاً: تخليد آثاره العلمية الفكرية، بنشرها على أوسع نطاق، كمطبوعات  
وعلى شبكة الإنترنت، وترجمتها إلى اللغات العالمية الحيّة، وكتابة  
البحوث والدراسات حولها.

رابعاً: الالتفات إلى النماذج العلمائية الواعية المخلصة، ففي ساحة الأمة  
علماء وفقهاء ينتهجون الخط الرسالي الذي سار عليه الشيخ الفقيه،  
ويحملون هموم الإسلام والأمة، وهم على قلة عددهم، واشتداد  
الضغوط عليهم، بحاجة إلى دعم والتفات من قبل الواعين من أبناء  
الأمة وجماهيرها.

ولا يصح أبداً أن نتظر فقد العالم المصلح حتى نكتشف عظمته ونشعر  
بالحرمان والخسارة لفقده، بل علينا أن نتفجع بوجوده ونستفيد من عطائه ما دام  
يعيش معنا على قيد الحياة.

## شمس الدين ونهجه في الجهاد

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٤ شوال ١٤٢١ هـ



يحتل مفهوم الجهاد مساحة واسعة من النصوص الدينية، حيث تبلغ الآيات القرآنية التي تناولته بلفظ الجهاد ومشتقاته حوالي ٤٠ آية، أما الأحاديث الواردة حوله فهي تعد بالمئات.

### الجهاد لغة وشرعاً:

الجهاد على وزن فِعَالٍ مأخوذ من (الجُهد) - بالضم - وهو المشقة البالغة، و(الجهد) - بالفتح والضم - الطاقة ومنه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فتحمّل المشقة وبذل الطاقة والجهد في أي مجال يطلق عليه جهادٌ لغةً.

وقد اعتمد الشرع هذا الإطلاق في النصوص الدينية، فجاء في الآيات والأحاديث، استعمال كلمة الجهاد ضمن المعنى اللغوي العام الذي هو بذل الوسع وتحمل المشقة في سبيل شيء ما، خيراً كان أو شراً. فقد جاء في القرآن الكريم استعمال مادة الجهاد بمعنى السعي في الحرام، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾<sup>(٢)</sup>. فأطلق على سعي الوالدين لإضلال الولد وحمله على الشرك: جهاداً وهما يبذلان جهدهما في طريق الحرام والشر.

وفي نصوص عديدة أطلق الشرع عنوان الجهاد على موارد مختلفة من

(١) سورة التوبة الآية ٧٩.

(٢) سورة لقمان الآية ١٥.

أعمال البر والتوجهات الصالحة، كالروايات الواردة حول جهاد النفس، والذي اعتبره الحديث النبوي المشهور (الجهاد الأكبر). وكذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ من أن «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»<sup>(١)</sup> وما ورد من أن «جهاد المرأة حسن التبعل»<sup>(٢)</sup>.

وضمن هذا السياق كان اعتبار القتال في سبيل الله، والمشاركة فيه بالمال والنفس جهاداً، لما يمثله من أجلى صور البذل وتحمل المشاق. بحيث تنصرف غالب الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الجهاد إلى هذا اللون منه، وهو القتال والعمل الحربي وما يتعلق به، وإن كان للجهاد مفهوم واسع وشامل، إلا أن هذا المصداق أصبح هو الأبرز والأوضح من مصاديقه، والذي تتبادر إليه الأذهان، ومتى ما أطلق يقصد به وخاصة في اصطلاح الفقهاء.

وحدثنا الآن في هذه الكلمة عن الجهاد بمعناه العام الشامل والذي يعني بذل الجهد والطاقة، وتحمل العناء والمشقة في سبيل الله، للدفاع عن المبادئ والقيم، ولخدمة مصالح الأمة.

### الجهاد فريضة وضرورة:

من يتأمل الواقع الذي تعيشه الأمة، والتحديات التي تواجهها، يدرك الحاجة إلى بذل أقصى الجهود، وإعلان حالة الاستنفار على جميع الجبهات، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولوقف تداعيات التخلف والانهيال الذي تعاني منه الأمة منذ زمن بعيد.

إننا نواجه تحديات خطيرة رهيبية تهدد قيمنا وهويتنا، في ظل العولمة المادية الطاغية، كما نواجه عدواً شرساً (الكيان الصهيوني) تدعمه قوى

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٣.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٢٣ حديث رقم ١٩٩٣٥.

الاستكبار العالمي، يحتل مقدساتنا، ويمارس البغي والعدوان ضد أبناء أمتنا، متفنناً في أساليب البطش والفتك بالأبرياء العزل من أطفال ونساء. على مسمع ومرأى من العالم. والأدهى من ذلك ما نعانیه من تخلف حضاري في حياتنا الاقتصادية والاجتماعية.

ولسنا بحاجة للاسترسال في تشريح واقعا المأساوي الأليم، فصورتها واضحة، وغصصه يتجرعها الجميع.

فكيف السبيل إلى الخلاص؟ وكيف يمكن وضع حد لهذه المعاناة؟

إن الاستسلام للواقع والرضوخ له وكأنه قدر لا يمكن تغييره أو تجاوزه، موقف خاطئ لا يقبله العقل ولا الشرع، وانتظار الفرج والتغيير من الغيب، مخالف لمنطق القرآن وسنة الله في الحياة يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

والسعي والعمل هو وحده طريق النجاة، لكنه يجب أن يكون بمستوى المواجهة، وفي حجم التحدي الخطير، أما العمل والتحرك ضمن الحدود الدنيا، وفي إطار البرامج الاعتيادية لحياتنا بحيث لا تكلفنا صعوبة ولا عناء.. العمل بهذا المستوى المنخفض لا يحقق أي نتيجة، ولا يردم شيئاً من الهوة العميقة، والمسافة الشاسعة التي تفصلنا عن ركب الحضارة المتقدم.

إننا بحاجة إلى إعلان النفير العام، لنستهض كل طاقاتنا، ولنبدل كل ما في وسعنا من جهد وإمكانية، عسى ولعلا أن نفعل شيئاً لإنقاذ أنفسنا ومستقبلنا، ولحماية ديننا وكرامتنا.

إننا بحاجة إلى روح الجهاد بالمعنى الشامل للجهاد، ليصبح كل واحد منا

(١) سورة الرعد الآية ١١.

جندياً مقاتلاً يتحمل المشاق والعناء، وي بذل أقصى طاقته من خلال موقعه، في أي ساحة أو مجال، في ميدان العلم أو العمل، وعلى مستوى الفكر أو الحركة. وعلماء الدين هم في طليعة من يتحملون مسؤولية الجهاد من أجل الدين والأمة، حيث «أخذ الله على العلماء ألا يُقَارُوا على كِظَّةِ ظالم، ولا سغب مظلوم»<sup>(١)</sup> كما يقول الإمام علي (عليه السلام). ولأنهم بجهادهم يحيون روح الجهاد في الأمة، ويشقون أمامها طريق التضحية والعطاء.

لكننا نلاحظ أن الكثيرين من علماء الدين قد أصبحوا جزءاً من الحالة العامة السائدة في الأمة، حيث يعيشون ضمن برنامج اعتيادي تقليدي، ويكتفون بأداء أدوار ومهام محدودة، في إطار إقامة بعض الشعائر والمراسيم الدينية، وتبيين شيء من الأحكام والمسائل الفقهية.

وإذا كنا نحترم ونقدر هذه الأعمال التي يؤدونها باعتبارها إحياءً لجزء من شعائر الدين، وحفظاً لمظهر من مظاهر الخير والصلاح في المجتمع، إلا أنها وبكل تأكيد لا ترقى إلى مستوى المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتق العلماء في هذه الظروف الحساسة، ولا تشكّل ثقلاً في معادلة الصراع مع أعداء الدين والأمة.

وما يبعث الأمل في النفوس، ويحيي الثقة والاطمئنان، هو انطلاق عدد من العلماء الرساليين المخلصين، وتصديهم لتحمل مسؤوليات المواجهة والتغيير لواقع الأمة.

والإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين (رحمه الله)، والذي فجعت الأمة بفقدته هذه الأيام، هو في الطليعة من تلك النخبة المجاهدة الواعية، وقد

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة خطبة رقم ٣.

تركت وفاته أثراً وصدى عظيماً في أوساط الأمة، وشعر الجميع بالفراغ الكبير الذي خلفه رحيله، ليس على مستوى الساحة اللبنانية فحسب، بل على الصعيد العربي والإسلامي بأجمعه.

وإذا كنا افتقدناه شخصاً، فيجب أن نخلده مسيرةً ونهجاً.

إنه أنموذج لعالم الدين المجاهد الذي يشتغل بأقصى طاقة وقدرة لديه، ويستنفر كل جهد وإمكانية، ويستثمر كل فرصة وظرف، من أجل خدمة الإسلام والأمة.

ونستعرض بإيجاز بعض معالم نهجه الجهادي.

### الجهاد في ميدان العلم:

قد يتعاطى عالم الدين مع الشأن العلمي ضمن الحدود المتداولة المألوفة، فيدرس ويدرس، ويفتي للناس ويعلمهم الأحكام، ويكتب بعض المؤلفات والأبحاث. كل ذلك في إطار حياة اعتيادية طبيعية، أما العالم المجاهد فهو الذي يشمر عن ساعديه، ويعلن حالة الطوارئ الدائمة في حياته، ويتعاطى مع الشأن العلمي كميدان جهاد، يبذل فيه كل جهد وطاقة، ويتحمل المصاعب والمشاق، في سبيل خدمة الدين والأمة على الصعيد العلمي.

والشيخ شمس الدين مثل رافع معاصر لهذا الصنف من العلماء المجاهدين، فإبداعاته وابتكاراته العلمية تدل على نشاطه الفكري الدائم، ونوعية الأبحاث العلمية التي أنجزها مؤشراً على اهتمامه بالتحديات الخطيرة التي يواجهها الإسلام والأمة.

فهناك مسائل وقضايا حساسة يحذر الكثيرون من العلماء من خوضها وتناولها بالبحث والتحقيق، لأنها تستلزم جهداً كبيراً بسبب قلة الطارقين

والمتعرضين لها. ولأن نتائج البحث فيها قد تكون مخالفة للسائد والمشهور. حيث تعاني أوساطنا العلمية الدينية من مشكلة مزدوجة ذات وجهين: الوجه الأول منها: يكمن في التحفظ على الرأي الجديد المخالف للسائد والمألوف، في مجالات الفكر والفقه والحركة الاجتماعية، لذلك ينطوي الكثير من العلماء على آرائهم حذراً من ردود الفعل في طرحها من أبناء الصنف، وينقل الشيخ المطهري عن السيد البروجردي وكان المرجع الأعلى في عصره للحوزة العلمية في قم، إنه كان مضطراً لاستخدام التقية في المحيط الداخلي، وأن الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم طلب من عدة من الطلبة تعلم اللغات الأجنبية وبعض العلوم كمقدمات، لكي يستطيعوا عرض الإسلام على الطبقات المثقفة الجديدة، وفي البلدان الأجنبية، لكنه تراجع عن هذا الأمر تحت ضغط المعارضين الذين رأوا في عمله بدعة وانحرافاً<sup>(١)</sup>.

وفي النجف الأشرف اضطر الشيخ محمد حسين النائيني (١٢٧٣ هـ - ١٣٥٥ هـ) وهو مرجع كبير إلى سحب كتابه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) من الأسواق، والكتاب كان دعوة إلى الأخذ بالشورى وتشكيل المجالس النيابية، ورفضاً للاستبداد.

ومن يقرأ عن معاناة العلماء المصلحين في الحوزة العلمية كتجربة الشيخ محمد رضا المظفر ورفاقه في تأسيس منتدى النشر وأمثالها، يدرك عمق هذه المشكلة، ودورها في إيقاف حركة الإبداع والتطوير.

أما الوجه الآخر للمشكلة فيظهر في استخدام أسلوب الإثارة والتحريض عند طرح الآراء الجديدة، لتكون مادة للتعبئة والتحشيد ضد الطرف الآخر،

(١) المطهري: الشهيد مرتضى، الاجتهاد في الإسلام ص ٥٦-٥٧، مؤسسة البعثة - طهران.

ووسيلة للاستقطاب والجذب. فيكون الطرح مسيئاً فثوياً، يساعد على اندفاع الفئات الأخرى للتمسك بمواقعها والدفاع عن مصالحها.

وبين هذين الوجهين للمشكلة تكون المصلحة العليا للعلم والدين هي الضحية.

وقد وعى الشيخ شمس الدين هذه المشكلة، وتجاوزها إلى حد كبير، بامتلاكه لشجاعة إبداء الرأي، حينما يتحقق لديه بالأدلة الشرعية، مهما كان مخالفاً لما هو سائد أو مشهور في الأوساط العلمية، لكن مع الالتزام بأكبر قدر ممكن من الحكمة في الطرح، حيث يعرض آراءه الاجتهادية ضمن قنوات البحث العلمي من تدريس أو مشاركة في منتدى، أو من خلال كتاب تخصصي، كما يؤصل طروحاته بالبرهنة والاستدلال، وفق آليات المنهج العلمي المقبول. ويناقش الرأي الآخر السائد والمشهور بهدوء واحترام، ولا يتعمد التسويق لآرائه في الوسط الجماهيري بتعبئة وتحشيد.

ونسوق هنا مثلاً على ذلك رأيه حول ولاية الأمة على نفسها، والذي يخالف فيه من يرون أن لا شرعية لأي شكل من أشكال الحكم والسلطة في عصر غيبة الإمام المعصوم، كما يخالف فيه القائلين بولاية الفقيه المطلقة، إنه يطرح رأيه في المسألة مع الأدلة والبراهين التي قاده إليه، لكن دون أن يؤثر ذلك على علاقته واحترامه لأصحاب الرأيين الآخرين، ودون أن يوظف رأيه في صراع مع هذا الطرف أو ذاك.

ونلاحظ الشجاعة العلمية الفائقة عند الشيخ شمس الدين في ما ذهب إليه وانفرد به من جواز تولي المرأة للسلطة ورئاسة الدولة، مع اتفاق من تعرض للموضوع من علماء السنة والشيعة على المنع من ذلك، ولكنه يناقش الرأي المخالف المجمع عليه بموضوعية وهدوء، فيورد كل الأدلة التي ذكرها، أو

التي يُحتمل أن يستدلوا بها، مشيراً إلى ثغراتها ونقاط ضعفها، وبالتالي عجزها عن البرهنة على المنع. ويحتمل تأثر الفقهاء في موقفهم هذا بالخلفية الكلامية السائدة عندهم حول الإمامة والخلافة. وقد أفرد لهذا البحث كتاباً مستقلاً طبع تحت عنوان (أهلية المرأة لتولي السلطة).

وكذلك رأيه حول مشروعية تولي الأكفاء المخلصين من غير المسلمين من حاملي جنسية الدولة الإسلامية ومواطنيها مناصب قيادية تنفيذية، مخالفاً بذلك الرأي الفقهي المشهور عند الشيعة، وقد أفرد له فصلاً في كتابه (نظام الحكم والإدارة في الإسلام) تحت عنوان: (الخيار بين الكفاءة المهنية والإخلاص الديني).

ومن روائع بحوثه وابتكاراته العلمية الفقهية كتابه حول الجهاد (جهاد الأمة) والذي قرّر فيه إنكار مشروعية الجهاد الابتدائي، وهو القتال المبتدأ من المسلمين لأجل الدعوة إلى الإسلام بإدخال الكفار فيه وحملهم على اعتناقه، أو إخضاعهم لسلطان الإسلام بأداء الجزية إن كانوا من أهل الكتاب، وإنما سمي ابتدائياً لأنه يتم بدون عدوان مسبق من الكفار على المسلمين.

ورغم اتفاق الفقهاء سنة وشيعة على انقسام الجهاد إلى قسمين: ابتدائي ودفاعي، إلا أن الشيخ شمس الدين ينكر هذا الانقسام ويرى أن الجهاد المشروع في الإسلام واحد هو الجهاد الدفاعي، وأن لا مشروعية للجهاد الابتدائي.

ويناقش كل الأدلة التي اعتمدها الفقهاء في رأيهم من آيات وروايات وسيرة وإجماع مناقشة علمية مستوعبة، بمنهجية رائعة شيقة.

## في ساحة العمل السياسي:

لم يتزعم الشيخ شمس الدين تنظيمًا سياسيًا، ولا قاد ثورة جماهيرية، ولم يدخل ضمن تشكيلة حكومية، لكن حضوره السياسي كان بارزاً ملفتاً في أكثر من ساحة عربية وإسلامية، خصوصاً في هذا العقد الأخير.

لقد أصبح مرجعية دينية سياسية ينظر لها بإكبار واحترام، فهو صاحب رؤية سياسية، ذات عمق فقهي ديني، إنه يستشرف الأحداث، ويواكب تطوراتها، فيكتشف الإشكاليات مبكراً، ويحذر من المؤامرات والأخطاء قبل وقوعها، ثم يجتهد كثيراً في وضع المعالجات وتقديم الحلول، بنظرة واقعية، مؤصلة من الناحية الشرعية.

إن الموقف الصلب والثابت من الكيان الصهيوني الغاصب، يعتبر محورياً رئيساً في تفكيره وحركته السياسية، فوجود هذا الكيان العدواني في قلب الأمة العربية والإسلامية، يعتبره الشيخ أكبر تحدٍ للأمة في هذا العصر، والاستجابة لهذا التحدي تعني تعبئة طاقات الأمة للمقاومة، لذلك تبنى الشيخ مشروع المقاومة المدنية الشاملة، فمواجهة إسرائيل لا تقتصر على العمل الحربي، ولا تنحصر في القوى العسكرية، بل هي مسؤولية كل الأمة بكل قطاعاتها وجوانب حياتها.

ولذلك يجب أن تجمّد الأمة كل خلافاتها الجانبية، وصراعاتها الداخلية، لتتفرغ لإدارة معركتها الأساسية ضد الصهاينة الغزاة المعتدين.

وعلى الصعيد اللبناني ومع ضغط القوى الطائفية المتصارعة، واشتداد محنة الحرب الأهلية السيئة الذكر، التي عاشها لبنان طيلة خمسة عشر عاماً، إلا أن الشيخ شمس الدين ناء بنفسه عن الانغماس في أحوالها، أو التلوث

بأوساخها، وبقي أباً وراعياً لجميع اللبنانيين مسلمين ومسيحيين، ومن مختلف الفرقاء والفئات، يدعوهم إلى ضبط انفعالاتهم وعواطفهم، وأن يتخاطبوا بالمنطق والحوار، لا بالسلاح والعنف. وحينما استعاد لبنان عافيته بعد اتفاقية الطائف، واصل الشيخ نشاطه في حماية السلم الأهلي، وتكريس صيغة التعايش المشترك على أساس أن لبنان وطن نهائي لجميع أبنائه.

وكتاباته وخطبه ومقابلاته الإعلامية وتصريحاته السياسية، ستبقى خير كنز وذخيرة للبنانيين، تعينهم على حماية تجربتهم المتميزة، وتساعدهم على مواجهة الأخطار والتحديات.

### المشكل الطائفي:

ولعل من أهم المواقف والأدوار السياسية التي قام بها الإمام شمس الدين، دوره في معالجة المشاكل الطائفية التي تعاني منها العديد من المجتمعات الإسلامية، وكان ينطلق في حركته من المبادئ التالية:

١. إن تعدد المذاهب وانقسام المسلمين إلى سنة وشيعة ليس أمراً جديداً بل قد حصل منذ العهود الأولى في تاريخ الأمة، وهذا التعدد المذهبي لا يصح أن يشرخ وحدة الأمة، أو يشق صفها، بل يجب أن تبقى أمة واحدة كما أمر الله تعالى ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. خاصة مع التحديات الكبيرة التي تواجهها والأخطار الشديدة المحدقة بها.
٢. والتمايز المذهبي لا ينبغي أن يترتب عليه أي تمايز أو تمييز في نظام المواطنة من حيث الحقوق أو الواجبات.
٣. والأقليات المذهبية سنية أو شيعية يجب أن تبقى جزءاً من محيطها، وأن يكون ولاؤها السياسي لوطنها ومجتمعها.

٤. كما تحتاج الأقليات إلى المبادرة والسعي لإزالة أي لبس أو سوء فهم يحصل حول واقعها وأوضاعها، وأن تقدم عن نفسها الصورة الصحيحة الواضحة، فلا تترك المجال للمغرضين والأعداء الذين يصطادون في الماء العكر، ويصطنعون الفتن والمشاكل.

٥. كذلك فإن على الأكثرية أن تعترف للأقليات بخصوصياتها المذهبية، وأن تمنحها الشعور بالأمن والاطمئنان حتى لا تستجيب لأي تحريض داخلي أو خارجي، ولا تفكر في الاستقواء بأي جهة خارج محيطها.

٦. والانفتاح والحوار هو السبيل لتجاوز حالات الاحتقان، واحتواء أي مشكلة أو تشنج طائفي مذهبي. ذلك أن التباعد والقطيعة تفسح المجال لسوء الظنون، والإشاعات المغرضة، وتقيم الحواجز بين النفوس.

وانطلاقاً من هذه المبادئ قام بمبادرات عديدة، في الانفتاح على الحكومات، واللقاء مع الزعامات الدينية والسياسية، في العالم العربي والإسلامي، وسارع لاحتواء بعض الأزمات ذات الصبغة المذهبية، كما حدث في مصر حيث أُعتقل مجموعة من الأشخاص المتشيعين، ورافق ذلك ضجة إعلامية، تعزف على الوتر الطائفي، فقام (رحمه الله) بحركة سريعة للالتفاف على هذه المحاولات، وتواصل مع القيادة السياسية والدينية في مصر، وترتب له برنامج لزيارة القاهرة، حيث تحدث مع المسؤولين لمعالجة الموقف بحكمة ونضج، وحقق بذلك نجاحاً باهراً يسرّ قلب كل مسلم غيور على وحدة الأمة، مهتم بمصلحة الإسلام والمسلمين.

وضمن هذا السياق كانت له زيارات متكررة لدول الخليج، كما بذل مجهوداً فكرياً وإعلامياً ضخماً، لتوعية جماهير الأمة من السنة والشيعة بأضرار

الفتن الطائفية، وضرورة الالتزام بمبادئ الدين وتعاليمه في أخلاقيات التعامل داخل المجتمع الإسلامي، لحماية وحدة المجتمع، وضمان أمنه واستقراره، وحماية مستقبله ومصالحه.

وأهم ما يميز طروحات الشيخ شمس الدين ومواقفه السياسية، تأصيله لها من الناحية الشرعية الفقهية، فهو لا يطرحها انطلاقاً من تكتيك سياسي، أو مصلحة مرحلية، بل يستنبطها من نصوص الكتاب والسنة، وضمن مناهج الاستدلال العلمي وحسب ضوابطه، ويطالب الفقهاء المسلمين بإمعان النظر في استنباط الأحكام الشرعية المرتبطة بالمواقف السياسية، حتى لا تكون متأثرة بأجواء انفعالية، أو آراء متوارثة من عهود التخلف والصراعات التاريخية. يقول (رحمه الله): «والتمس من ساداتي وأخواني العلماء، ومن المشتغلين بعلم الحديث، ومن المفكرين، أن يعيدوا النظر في النصوص التاريخية والتشريعية، الواردة في المسألة السياسية، ليروا كما رأيت وأرجو أن أكون قد أصبت..»<sup>(١)</sup>.

هكذا كان نهجه في الجهاد والحركة السياسية، والذي يجب أن يتحول إلى مدرسة في الرؤية والتحليل، وتأصيل المواقف حسب فقه الشريعة المقدسة. وكان (رحمه الله) حركة دائبة، لجمع الشمل، ورأب الصدع، ورغم إصابته بالمرض الخطير في الأشهر الأخيرة من حياته، إلا أنه كان يرهق نفسه بالاتصال والتواصل، والاستقبالات وعقد اللقاءات، مخالفاً نصائح الأطباء، حتى اليوم الأخير، حيث دخل في غيبوبة نقلته إلى الرفيق الأعلى.

(١) الغدير: مجلة - العددان ٨ و ٩ ص ٩٢ سنة ١٩٩٠ م.

## **المبادرة واستباق الخيرات**

كلمة الجمعة بتاريخ ١ ذو القعدة ١٤٢١هـ



تمتلىء الحياة بفرص الخير ومجالات التقدم، ويمتلك كل إنسان من القدرات والاستعدادات ما يؤهله لاقتناص تلك الفرص، وارتداد تلك المجالات، لكن الناس يتفاوتون في الانتباه لها والمبادرة نحوها.

فهناك من يدرب نفسه على التركيز في النظر، وإمعان الفكر، ودقة الملاحظة، في أي ميدان من الميادين التي تحيط به، في العلم أو العمل، أو السياسة أو التجارة، أو ما أشبهه، فيلمح الفرصة من بعيد، ويلتقط الإشارات، ويستقرأ الأوضاع والأشخاص.

وهناك البسيط المسترسل في حياته وأموره، الذي لا يرهق نفسه بتفكير أو تحليل، ولا يتجاوز في نظراته السطح أو الظاهر، فتمر عليه الفرص، وتتاح له المجالات، وهو غافل ساه، كأنه لا يبصرها ولا يدركها.

كما أن من يلتفتون إلى الفرص ويدركونها يختلفون ويتفاوتون في مستوى الفاعلية والإقدام، لأخذ زمام المبادرة، والتوثب نحو أعمال الخير.

ذلك أن الكثيرين ترد على أذهانهم أفكار جيدة، وتتوافر لهم ظروف مناسبة للإنجاز والتقدم، لكن عوائق نفسية، تقعد بهم عن الاندفاع والمبادرة، بينما يفوز بها الشجعان المبادرون.

فالمبادرة هي عنوان النجاح، وهي طريق التقدم، وسلاح اغتنام الفرص، واستثمار الظروف، والفرد المبادر يحقق الإنجازات، ويحظى بالمكاسب.

وكذلك المجتمع الذي يتحلى بهذه الصفة، فإنه يتمتع بالحيوية، ويطور واقعه إلى الأفضل بشكل دائم مستمر.

### في القرآن الكريم:

ولأهمية هذه الصفة في حياة الفرد والمجتمع، تحدث عنها القرآن الكريم في آيات عديدة، وبأكثر من تعبير. فقد ورد الحديث عن المبادرة في بعض الآيات بلفظ المسارعة.

يقول تعالى: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾<sup>(٣)</sup>.

والمسارعة في اللغة مصدر قولنا: سارع فلان إلى كذا، مأخوذ من مادة (س ر ع) التي تدل على خلاف البطء وسارع بمعنى أسرع يقال ذلك للواحد وللجميع سارعوا. والمسارعة إلى الشيء المبادرة إليه<sup>(٤)</sup>.

ونلاحظ في الآيات الكريمة توجيه الخطاب إلى الجمع وليس إلى الفرد فقط، لأن المطلوب أن تكون هذه الصفة سمة للمجتمع كله في مسيرته ومواقفه، كما أن بعض الآيات استخدمت تعبير المسارعة في الخيرات، بدل المسارعة إلى الخيرات، لتعطي إيحاءً بعمق حالة المبادرة داخل المجتمع،

(١) سورة آل عمران الآية ١١٤.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٠.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٣.

(٤) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب ج ٣ ص ١٣٤.

فالجميع في إطار الخير، لكن هناك من يضاعف سيره ونشاطه، لأن المسارعة إلى الشيء تكون من خارجه، بينما المسارعة في الشيء تكون من داخله.

يقول ابن عاشور: في للظرفية المجازية، وهي تخيلية تؤذن بتشبيه الخيرات بطريق يسير فيه السائرون، ولهؤلاء مزية السرعة في قطعه<sup>(١)</sup>.

وتحدثت آيات أخرى عن السبق والمسابقة واستباق الخيرات، يقول تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾<sup>(٢)</sup> ويقول تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ويقول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

والسبق: القُدْمة في الجري وفي كل شيء. وتقول العرب للذي يسبق من الخيل: سابق وسبوق. وأسبَقَ القوم إلى الأمر وتسبقوا: أي بادروا ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي بادروا إليها. وقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ معناه ابتدرا الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه<sup>(٥)</sup>.

هذه الألفاظ الثلاثة، المسارعة والمسابقة والمبادرة، متقاربة المعنى إلى حد كبير، ومع أن بينها فروقاً في الاستعمال في كثير من السياقات، إلا أن بينها ما يسميه بعض اللغويين بالترادف الجزئي، ويراد به أن يستعمل اللفظان أو الألفاظ استعمالاً واحداً في بعض السياقات دون بعضها الآخر. وهذه الألفاظ الثلاثة من هذا القبيل، فهي عند الاقتران بالخيرات أو العمل الصالح يكون لها المعنى نفسه، وقد كثر لفظ (المبادرة) في الحديث الشريف، ولفظ المسارعة

(١) ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ج ٤ ص ٥٨.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٨.

(٣) سورة الحديد الآية ٢١.

(٤) سورة الواقعة الآية ١٠.

(٥) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب ج ٣ ص ٩٠.

في القرآن الكريم، أما المسابقة فقد وردت فيهما على سواء<sup>(١)</sup>.

## الأوائل:

المبادرة تجعل الإنسان رائداً يقتحم مجالات لم يسبقه إليها غيره، وتدفعه إلى تحقيق إنجازات لم يتوقع لها أحد قبله، فيكون قد شق طريقاً جديداً، وفتح أفقاً آخر أمام أبناء مجتمعه ونوعه، والذين سيسلكون نفس الطريق بعد أن مهدّه لهم، واكتشفه قبلهم، فيبقى هو الأول والمتقدم والسابق. بالطبع فإن الارتياح والاقترام لميدان جديد، ولطريق لم يسلك، لا يقوم به إلا كفاء شجاع. لذلك يستحق الأوائل السابقون في ساحات الخير كل تقدير وإكبار. فقد أشاد القرآن الكريم بالأوائل السابقين إلى الدين والحق يقول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي أكثر من آية كريمة يشجع القرآن الإنسان، أن يتطلع إلى أن يكون الأول في طريق الخير والصلاح، وذلك لا يتم إلا بامتلاك روح المبادرة يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾<sup>(٣)</sup> ويقول تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ويقول تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

والأول هو ابتداء الشيء<sup>(٦)</sup>.

(١) مجموعة من المختصين: بإشراف: صالح حميد عبد الرحمن بن ملّوح، موسوعة نظرية النعيم ج ٨ ص ٣٣٨٨.

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٠.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٤.

(٤) سورة الزمر الآية ١٢.

(٥) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

(٦) الطريحي: فخر الدين، مجمع البحرين ج ٥ ص ٣١١.

ونجد في حضارتنا العربية الإسلامية اهتماماً وعناية بمفهوم الأوثية، حيث خصصوا بداية كل شيء وأوله باسم وعنوان خاص، لتمييزه وإبرازه، فأول النهار صبح، وأول الليل غسق، وأول المطر وسمي، وأول العصور سُلاف، وأول مولود لأبويه بكر، وأول كل شيء باكورة، وأول الجيش طليعة.. وهكذا.

بل شهد نهاية العصر العباسي الأول ولادة فن جديد من فنون التاريخ على يد أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني المتوفى (٢٢٥هـ / ٨٤١م) أسموه (علم الأوائل). وعرف القلقشندي هذا العلم في كتابه (صبح الأعشى) بقوله: «هي معرفة مبادئ الأمور المهمة». أما حاجي خليفة فقد قال عن علم الأوائل في كتابه (كشف الظنون) ما يلي: «هو علم يتعرف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب. وموضوعه وغايته ظاهرة. وهذا العلم من فروع التواريخ والمحاضرات».

وهكذا كان الاهتمام بالتعرف على الرواد الأوائل وتعريفهم، وعلى بدايات ظهور الأشياء والحوادث على أيديهم. فظهرت مؤلفات كثيرة حول هذا الموضوع، منها ما طبع ومنها ما هو مخطوط. منها كتاب (الأوائل) لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة (٣٩٥هـ / ١٠٠٥م) والذي طبع أكثر من مرة. وكتاب (الوسائل إلى معرفة الأوائل) لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ / ١٥٠٦م) وهو مطبوع أيضاً، وتنوف الكتب المخطوطة حول الأوائل على ثلاثة عشر كتاباً<sup>(١)</sup>.

---

(١) السيد: الدكتور فؤاد صالح، معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين، دار المناهل - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢م ص ١٠.

## شخصية المبادر:

هناك عناصر وعوامل تخلق روح المبادرة في شخصية الإنسان ومن أهمها ما يلي:

### ١ - الوعي والمعرفة:

بمقدار معرفة الإنسان ومتابعته لأي مجال من المجالات، يستكشف الفرص فيه، وتتضح له الإمكانيات ضمنه، وذلك أول شرط من شروط المبادرة، فالجاهل بالأوضاع الاقتصادية، ومن لا يتابع حركتها وتطوراتها، لا تخطر بباله فرص الاستثمار، ولا يدرك مواقع الاستفادة والربح، وحتى لو امتلك المال والثروة لكنه لا يلتفت إلى أفضل سبل تنميتها وتفعيلها، وهكذا الحال في المجال السياسي أو الاجتماعي.

كما أن الوعي العام بطبيعة الحياة، ومجريات الأمور، وطريقة التعامل مع القضايا والأحداث، هو الذي يجعل الإنسان مهياً للتعاطي مع الظروف المختلفة، وقادراً على فهم معطياتها.

### ٢ - الثقة بالذات:

بعض الناس ترد على أذهانهم أفكار جيدة، لكنهم يهملونها لأنهم يشكون في قدرتهم على إنتاج وإدراك الأفكار الصحيحة، ويتساءلون إذا كانت تلك الفكرة سليمة لماذا لم يدركها فلان وفلان؟ ولماذا لم يقل بها فلان وفلان؟ وفي مستوى آخر من ضعف الثقة بالنفس، يشكك البعض في إمكانياتهم وأهليتهم الذاتية، لتحقيق هذا الإنجاز، أو القيام بتلك المهمة.

بينما ينطلق المبادر من ثقة عميقة بذاته، وأنه لا يقصر عن غيره في القدرات

والمؤهلات، ولا يقعد به شيء عن الريادة والإبداع.

فإذا ما اقتنع بفكرة ووجدتها صحيحة سليمة، لم ينتظر اقتناع غيره لكي يأخذ هو بتلك الفكرة، وإذا سنحت أمامه فرصة لم يتردد في استغلالها، ولا يرى أن غيره أولى بها أو أقدر عليها.

### ٣- الاستعداد للتضحية والعطاء:

اقتحام الإنسان لما ليس مألوفاً، وارتياحه لميادين جديدة، وساحات غير مطروقة، يعني خوض مغامرة محفوفة بمختلف الاحتمالات، وهي تكلف عناءً وجهداً، كما تعرّض صاحبها للنقد والاعتراض، وهذا ما يقعد بالكثيرين عن المبادرات، خوفاً من الفشل، أو تهيّباً من المخالفة، لكن المبادر الشجاع يتوكل على الله، ويستعد للتضحية والعطاء، في سبيل ما اتضح له أنه حق وصواب.

### ٤- الفاعلية والنشاط:

فالمبادرة تعني الحركة والإقدام، ومن أصيب بداء الكسل والخمول والتواني، لا يكون مبادراً أبداً.

يقول الإمام علي عليه السلام: «التواني إضاعة».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «عدو العمل الكسل».

### اغتنام الفرص:

إذا ما أتحت للإنسان فرصة تقدم، فعليه أن يبادر لاغتنامها، لأن بقاءها واستمرارها غير مضمون، وغالباً ما فإن «الفرصة تمر مر السحاب» كما يقول الإمام علي عليه السلام، وعودة تلك الفرص أو تكرارها ليس محرزاً ولا سريعاً، فهي

«سريعة الفوت بطيئة العود» كما في كلمة أخرى عنه عليه السلام.

وهذا يعني الاستعداد والتهيؤ لاقتناص الفرص، نفسياً وعملياً. يقول الأستاذ المدرسي: كما الطيور التي تقفز في السماء، تطير بخفة وسرعة، فإذا أردنا اصطياها فلا بد أن نهيب السلاح مسبقاً، ونفتح عيوننا جيداً حتى إذا مرّت رميناها فوراً، وإلا فلن نحصد إلا الحسرات.. كذلك الفرصة، تقفز في الزمن مثل الشهاب، فمن أرادها فلا بد أن يتهيأ لها سلفاً، فيرميها بنبال مبادرته، وإلا فإن «إضاعة الفرصة غصة» ونظراً إلى أن «الفرصة خلصة» فإن «من أخر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها» فالأيام ليست ثابتة، والزمن ليس جامداً، ولذلك فإن الفرص تظهر وتختفي على دقائق الساعات، من هنا كانت المبادرة من صفات العظماء<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى فإن الإنسان إذا ما سوّف وتماهل ولم يبادر، فإنه بالإضافة إلى احتمال فوت الفرصة، قد يفقد هو القدرة والإمكانية، فاستمرار حياته ليس بيده، كما لا يضمن صحته، والحفاظ على مستوى نشاطه، ودوام وسائل وآليات الحركة عنده، ويعبر عن هذه الاحتمالات قول الإمام علي عليه السلام: «وبادرو بالأعمال عمراً ناكساً، أو مرضاً حابساً، أو موتاً خالسا»<sup>(٢)</sup>. وفي كلمة أخرى يقول عليه السلام: «بادرو بعمل الخير قبل أن تشتغلوا عنه بغيره»<sup>(٣)</sup>.

وقد تبقى الفرصة موجودة، وقدرات الإنسان وإمكانياته محفوظة، لكنه إذا لم يبادر مع مرور الزمن قد يفقد حماسه واندفاعه وهذا ما يشير إليه الإمام

(١) المدرسي: السيد هادي، أخلاقيات أمير المؤمنين ص ١١٩ الطبعة الأولى ١٩٩١م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة خطبة رقم ٢٣٠.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٢١٥.

محمد الباقر عليه السلام بقوله: «من همّ بشيء من الخير فليعجله فإن كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا هم أحدكم بخير أو صلة فإن عن يمينه وشماله شيطانين، فليبادر لا يكفاه عن ذلك»<sup>(٢)</sup>.

ويجمع كل ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه»<sup>(٣)</sup>.

### مجتمع المبادرات:

كما يتفاوت الأفراد في مستوى استجابتهم لفرص التقدم والخير، بين مبادر وخامل، كذلك تتفاوت المجتمعات، بين مجتمع تكثر فيه المبادرات، للاستفادة من أي فرصة، ولمعالجة أي مشكلة أو خلل، وذلك هو المجتمع الحي الناهض المتحضر. وبين مجتمع يسود أجواءه الخمول والتواكل، فلا يفعل الإمكانيات المتاحة له، ولا يستثمر الفرص من أجل حل مشاكله، أو تطوير واقعه، وإنما يكتفي أفراده باجتزاز الألم والأسى، أو يترامون المسؤولية، وتنتظر كل جهة مبادرة الجهة الأخرى.

إن مجتمعاتنا تواجه تحديات خطيرة لقيمها وأخلاقها، ولاستقرارها ومصالحها، وتمتلك من الإمكانيات والقدرات والكفاءات ما يساعدها على مواجهة هذه التحديات والاستجابة لها، لكن المشكلة تكمن في ضعف الحركة والفاعلية، وغياب المبادرات.

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج ٢ ص ١٤٣.  
(٢) المصدر السابق.  
(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٤ ص ١٦٥.

يتحدث الناس في مجالسهم عن الكثير من النواقص والمشاكل، ولا يخلو مجتمع منها، ولكن إلى متى نكتفي بالحديث عن المشكلة؟ ومن يا ترى يتحمل مسؤولية المبادرة إلى الحل؟ والسعي نحو العلاج؟

يتحدث البعض عن أن المفروض كذا ويجب أن يحصل كذا، ولا بد أن يتحقق كذا، فيوزعون الواجبات والمفروضات على الآخرين، دون أن يحددوا هم ما هو دورهم وواجبهم وماذا عليهم أن يفعلوا؟

إننا لسنا بحاجة إلى فلاسفة أو متفلسفين، ولا إلى منظرين ومحللين، بمقدار ما نحن بحاجة إلى من يعلق أجراس المبادرات العملية، التي تعالج قضايا المجتمع ومشاكله.

فحينما يجري الحديث عن حالة الضياع والفراغ التي يعيشها الكثير من الشباب، أو ظاهرة انتشار بعض المفاسد والانحرافات، أو وجود حالات من العوز الفقر، أو ركود في حركة الثقافة والمعرفة.. أو أي قضية تثير القلق على مستقبل المجتمع، فإن المطلوب هو تجاوز حالة التوصيف للمشكلة إلى وضع الحلول والمعالجات العملية التي نتحمل مسؤوليتها.

إن الله سبحانه وتعالى يحذر عباده المؤمنين من أن يصبح الكلام عندهم بديلاً عن العمل، ومن أن يكتفوا بالقول عن الفعل، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ويؤيخ الإمام علي عليه السلام مجاميع ممن حوله من الذين يتحدثون في المجالس بصوت عال، ويزيدون على بعضهم في الحماسة والاندفاع، لكنهم يتراجعون ويجنبون ساعة الجد والمواجهة والعمل، يقول عليه السلام: «كلامكم

(١) سورة الصف الآية ٢-٣.

يُوهي الصُّمَّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء! تقولون في المجالس:  
كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتُم: حَيَاد!»<sup>(١)</sup>.

وما أشد انطباق هذا الكلام على الكثيرين من الناس الذين يتحدثون عن  
بعض المشاكل بحماس واندفاع في المجالس، فإذا ما طلبت منهم عملاً أو  
دوراً تفتنوا في تقديم الأعذار والمبررات!!

ولا بد أن نشيد هنا بالمبادرات الطيبة التي يقوم بها أفراد مخلصون من  
أبناء المجتمع، كالقائمين على نشاط الجمعيات الخيرية، ولجان كافل اليتيم،  
وصناديق الزواج الخيري، ومهرجانات الزواج الجماعي، وبرامج التوعية  
والتثقيف الدينية.. إنهم يسدون بذلك ثغرات في واقع المجتمع، فجزاهم الله  
خير الجزاء، لكن قضايا ومشاكل أخرى تنتظر مبادرين آخرين..

---

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة- خطبة ٢٩.



## **العوائق بين الإحباط والفاعلية**

كلمة الجمعة بتاريخ ٨ ذو القعدة ١٤٢١هـ



ما هي خيارات الإنسان تجاه العوائق التي تنتصب أمام احتياجاته ورغباته  
في هذه الحياة؟

وكيف يتعامل مع الأزمات والمشاكل حينما تواجهه في أي ميدان من  
الميادين؟

هنالك ثلاثة خيارات تتراوح بينها مواقف الناس:

#### **الاستسلام:**

١. فالكثيرون يتراجعون أمام العوائق، ويتخلون عن تطلعاتهم  
واستهدافاتهم، ويستسلمون لكل تداعيات المشكلة ومضاعفاتها،  
ويعترفون بالعجز والفشل، وأن ذلك قدرهم الذي لا خيار لهم إلا قبوله.  
وحينما تسيطر نفسية الاستسلام على الإنسان، فإنها تفرض عليه الانهزام  
والانسحاب أمام أبسط التحديات، وأقل الصعوبات، ودون أن يبذل جهداً  
كافياً لتجاوز ما يواجهه من عوائق.

#### **الانفعال النفسي:**

٢. والبعض من الناس حينما تصطدم رغباتهم بعوائق وموانع، ويواجهون  
وضعاً غير مريح لهم، فإنهم يعيشون حالة من التوتر النفسي الدائم،  
ويصابون بالكآبة والإحساس بالقهر، وقد يؤدي بهم ذلك إلى حالة

الشعور بالإحباط والقنوط.

وهذا الخيار أسوأ وأخطر من الخيار السابق، والذي يتراجع فيه الإنسان عن رغبته، ويعلن الاستسلام والقبول بالهزيمة.

إنه هنا لا يتخلى عن رغبته، بل يزداد انشداداً إليها، ويعاني الشعور بالحرمان منها، ويستحضر في نفسه وذهنه دور العوائق في عدم تحقيق تلك الرغبة بشكل دائم، مما يجعله عرضة للاضطراب النفسي، والمعاناة الشديدة.

### الإحباط:

ويطلق علماء النفس على هذه الحالة مسمى (الإحباط) (frustration) وهو تعبير عن الحالة التي يمر بها الفرد حين لا يتوافر له إشباع دافع يلح عليه ويشعره بالحاجة، ويعرفونه بأنه: عملية تتضمن إدراك الفرد لعائق يعوق إشباع حاجة له، أو توقع حدوث هذا العائق في المستقبل<sup>(١)</sup>.

وتتفاوت درجات الشعور بالإحباط حسب تفاوت إلهاح الدافع، وقوة العائق، فكلما كان دافع الإنسان شديداً نحو غرض معين، وكان العائق قوياً، تصبح حالة الإحباط عنيفة بنفس الدرجة والمستوى.

وينتج الإحباط خاصة في درجاته المتقدمة، آثاراً تدميرية خطيرة على حياة الإنسان والمجتمع.

أ- فهو يمعن في تمزيق نفس الإنسان، ويجعله يعيش حالة دائمة من السخط والتوتر، ويفقده بالتالي الإحساس بالسعادة، والتمتع بمباهج الحياة، فيتناسى ويتجاهل كل ما لديه وحوله من المكاسب، ومناهب اللذة والارتياح،

(١) الرفاعي: نعيم، الصحة النفسية ص ١٦٩ الطبعة السابعة ١٩٨٧م - جامعة دمشق.

ويتركز نظره وتفكيره حول ما تعذر عليه نيله والوصول إليه.

فتصبح الدنيا في عينه سوداء قاتمة، ويصبح هو كئيباً متشائماً، وقد خاطب هذه الشريحة من الناس الشاعر العربي إيليا أبو ماضي ليدعوهم إلى تجاوز حالتهم المرضية، وأن يكونوا أكثر واقعية وتكيفاً مع أوضاع الحياة، وأكثر أملاً وتفاناً بالالتفات إلى الجوانب المشرقة السارة فيها يقول:

لم تشتكي وتقول إنك معدم والأرض ملكك والسما والأنجم  
ولك الحقول زهورها وعبيرها ونسيمها والبلبل المترنم  
هشت لك الدنيا فمالك واجم وتبسمت فعلام لا تبسم  
ما بين أشجار كأن غصونها أيد تصفق تارة وتسلم

ب- والإحباط يشلُّ إرادة الإنسان، ويمنعه من التفكير في السعي والحركة، حيث يفقد الثقة في ذاته، وفي جدوى أي محاولة أو نشاط.

### الإحباط دافع للعدوان:

ج- وفي أسوأ مرحلة قد يصبح الإحباط دافعاً نحو العدوان، حيث يظهر المصاب بالإحباط شديد التوتر، ميلاً إلى اقتناص أية فرصة للخلاص من ضغط التوتر لديه.

إننا نلاحظ مثل هذه الحالة عند بعض الأطفال، حينما يفتقدون الرعاية التي اعتادوها، أو يحال بينهم وبين بعض رغباتهم، فإنهم قد يقومون بنشاط تخريبي، فيضربون ويكسرون ما حولهم من الأواني والأثاث.

وقد يأخذ العدوان الناشئ من الإحباط شكلاً كلامياً أحياناً كالشتائم والكلام القاسي، وقد يأخذ شكلاً عاطفياً كاختزان الكراهية والحقد على

الآخرين، وقد يتفجر عنفاً باتجاه الذات أو الغير.

إنّ حالات الانتحار هي في الغالب إفراز لمستوى متقدم من الإحباط، يهيمن على نفس الفرد، ويدفعه لإنهاء حياته، للخلاص من ضغط التوتر الإحباطي الذي يعانيه.

لذلك يرى علماء النفس أنّ مرض الاكتئاب قد يكون اللاعب الرئيسي وراء محاولات الانتحار، وتقدر الباحثة الأميركية الدكتورة (جانيس وتينزل) في كتابها (الاكتئاب الإكلينيكي) إلى أنّ هناك ٢٠٠ ألف شخص كل عام يحاولون الانتحار والتخلص من حياتهم، إلا أنّ الذين ينجحون في الانتحار وقتل أنفسهم هم ٢٥ ألف شخص من بين المئتين ألف سنوياً<sup>(١)</sup>.

ويشير تحقيق نشرته جريدة الوطن السعودية إلى أنّ نصف مليون شخص يحاولون قتل أنفسهم سنوياً، وأنّ الإقدام على الانتحار ليس رغبة في الموت، بل للهروب من الألم، وفي أميركا زاد عدد الذين ينتحرون على الذين يُقتلون عن طريق الغير. والانتحار عادة ما يكون بسبب زيادة الضغوط النفسية.

وتعرّض التقرير لوجود هذه الظاهرة وتساعد أرقامها في المملكة، فحسب إحصاء وزارة الداخلية السعودية لعام ١٤٢٠هـ تجاوزت حالات الانتحار ومحاولة الانتحار ٤٠٠ حالة. ومن بين المنتحرين مواطن سعودي حاصل على درجة الدكتوراه، وضابط برتبة نقيب، ونساء غير متزوجات، الأمر الذي يعني أنّ هناك أكثر من حالة انتحار يومياً<sup>(٢)</sup>.

(١) الاقتصادية: جريدة يومية ٣٠ يناير ٢٠٠١م ص ٥.

(٢) الوطن: يومية سعودية ٧ ديسمبر ٢٠٠٠م ص ١٧.

## الإحباط فنوط من رحمة الله:

عالج الإسلام حالة الإحباط تحت مسمى (القنوط) حيث وردت آيات وأحاديث عديدة، تحذر الإنسان من خطر القنوط، وتعتبره مساوقاً للكفر بالله تعالى، والضلال عن منهجه القويم.

والقنوط لغة: مصدر قولهم: قَنَطَ يَقْنُطُ إذا يئس يأساً شديداً. قال ابن الأثير: القنوط هو أشد اليأس من الشيء، وقيل: القنوط: اليأس من الخير. ويبدو أنّ القنوط أبلغ من اليأس، للترقي إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُئِسْ قَنُوطٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وعدّ علماء الإسلام القنوط من رحمة الله من الكبائر.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والآية وردت في سياق قصة نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، حيث تقدم به وزوجته العمر ولم يرزقا ولداً، فجاءت الملائكة تبشره ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ لكنه لم يكن متوقفاً لحصول ذلك بسبب كبر سنه ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾، فحذرته الملائكة من أن يقع في حالة القنوط ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾، لكنه أشار إلى إدراكه ومعرفته بسوء وخطر هذه الحالة، وأنها تصيب الضائعين التائهين ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

وحتى بالنسبة لمن يتورطون في معاصي الله ويرتكبون الذنوب والآثام، فإن الله تعالى يفتح أمامهم أبواب الأمل والرجاء، ويحثهم على التوبة والإنابة،

(١) سورة فصلت الآية ٤٩.

(٢) سورة الحجر الآية ٥٦.

حتى لا يصابوا بحالة قنوط وإحباط تدفعهم أكثر إلى أحضان الجريمة والانحراف. يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي حديث شريف مروى عن رسول الله ﷺ عن ابن مسعود ؓ أنه قال: «الفاجر الراجي لرحمة الله تعالى أقرب منها من العابد المقنط»<sup>(٢)</sup>.

ويشير الإمام علي ؑ إلى ما يسببه القنوط لصاحبه من الحرمان وضياع الفرص والمكاسب بقوله: «وفي القنوط التفريط»<sup>(٣)</sup>.

### الفاعلية:

٣. الخيار الثالث تجاه العوائق والعقبات، هو الفاعلية والسعي، ذلك أن قسماً كبيراً من العوائق ليس مستعصياً على التجاوز والاختراق، لكنه يحتاج إلى بذل مزيد من الجهد، واستخدام ألوان من الوسائل والأساليب، فالبعض من الناس إذا ما استوقفهم في طريق تحقيق رغباتهم واحتياجاتهم عائق أو حاجز، يهرعون سريعاً إلى التراجع والانسحاب، ويسIRON ضمن أحد الخيارين السابقين.

بينما أثبتت التجارب ووقائع الحياة، أن الاجتهاد في السعي، وتكرار المحاولات، وتجديد الأساليب والوسائل، كفيل بمساعدة الإنسان على تحقيق مآربه، والوصول إلى أهدافه غالباً.

إن الطفل الصغير قد لا يستجيب له والداه في تنفيذ رغبته من أول إشارة

(١) سورة الزمر الآية ٥٣.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٢١١.

(٣) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ٣ ص ١٤٠ حديث رقم ٥٨٦٩.

أو طلب، ومن وحي فطرته وطبيعته يبقى مصراً على ما يريد مستخدماً سلاح البكاء والصراخ، حتى يتم له تحقيق رغبته.

وكم من طالب تعثر في طريق الدراسة وطلب العلم، لكنه مع المواصلة والإصرار نال رفيع الدرجات.

ويدرك كل مراجع للمؤسسات العامة والخاصة أنه قد تُرفض معاملته وطلبه في بادئ الأمر، لكنه إذا تابع المعاملة، وأكمل نواقصها، أو رفعها إلى الجهات العليا في تلك المؤسسة، فإنه قد يحظى بالنجاح والقبول.

### الالتفاف على العائق:

قد يواجه الإنسان عائقاً قاهراً يصعب اقتلاعه وتجاوزه، إما لطبيعة ذلك العائق، كالعاهات والإعاقات الجسدية، وإما لاستلزامه ظرفاً وقدرة لا يمتلكها الإنسان بالفعل.

وهنا يجب أن يتحلى الإنسان بالواقعية، فلا يصبح أسيراً لتلك المشكلة التي لا يمتلك حلها بالفعل، بل يخرج عن سيطرتها على نفسه ومشاعره، ويلتفت إلى سائر نقاط قوته، وإلى الامكانيات المتوفرة لديه، والفرص الأخرى المتاحة أمامه، وبذلك يستطيع أن يحقق لنفسه تقدماً ونمواً يعوّض عليه ما فقده من تطلع ورغبة بسبب تلك العوائق، وقد يجد نفسه في موقع أفضل ومستوى أعلى.

إن من يعيش في مقتبل عمره حالة يُثمّ بفقد والديه أو أحدهما، فيعاني حرماناً عاطفياً، ويفتقد الرعاية التي يرى غيره يتمتع بها، هذا الإنسان إذا سيطرت على نفسه معاناة اليتيم، وخضع لها، فسيعيش الألم والتمزق النفسي، والذي قد ينعكس عليه اكتئاباً وإحباطاً، وقد يدفعه لتوجهات سلبية خاطئة.

وستكون حياته متخلفة، ومستقبله سيئاً.. بينما لو تكيف مع حالة اليتيم كأمر واقع، لا يستطيع تغييره ولا تبديله، واتجه لاكتشاف قدراته، وتنمية طاقاته، فإنه سيصبح في وضع جيد، ومستوى متقدم، يتفوق به على آخرين عاشوا في كنف آبائهم وأمهاتهم، لكنهم لم يمتلكوا مؤهلاته ومستواه.

وكذلك من يبتي بإعاقة جسدية كفقد البصر، أو تشوّه الخلقة، أو حالة كساح أو شلل.. فإنه إذا وقع في أسر معاناته، واستجاب نفسياً لحالة النقص التي عنده، فسيحكم على نفسه بالانزواء والانهيار، أما إذا تجاوز تلك الإعاقة نفسياً، وفتش عن ما لديه من نقاط قوة أخرى، وفعلها ونماها، فسيكون مرشحاً للعب دور مؤثر في الحياة، قد يتفوق من خلاله على الأصحاء العاديين.

وكم من معوّق أصبح في مصافّ العظماء، وحقق تقدماً وإنجازاً في تاريخ البشرية.. ونقرأ في تاريخنا العربي عن شخصية رائدة في الفلسفة والأدب هو أبو العلاء المعرّي (٣٦٣-٤٤٩هـ، ٩٧٣-١٠٥٧م) والذي فقد بصره وهو في الرابعة من عمره على إثر إصابته بالجذري، لكنه أقبل على العلم والأدب، ونمى في نفسه القدرة على الحفظ، فكان يبحث عن الكتب والمكتبات، ويجهّد في حفظ ما يقرأ عليه منها، حيث توجه من بلده حلب إلى أنطاكية واستفاد من مكتبة عامرة فيها، تشتمل على نفائس الكتب، فحفظ منها ما شاء الله أن يحفظ، وذهب إلى اللاذقية فدرس اليهودية والنصرانية، وزار طرابلس قاصداً مكتبة كبيرة فيها، ثم تردد في طور لاحق على مكتبات بغداد ودور العلم بها، فأصبح أديباً نابغاً، روى الثعالبي عن أبي الحسن المصيصي الشاعر قوله: لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب، رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يدخل في كل فن من الجد والهزل يكنى أبا العلاء، وسمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى، كما يحمده غيري على البصر، فقد صنع لي وأحسن بي إذ كفاني رؤية الثقلاء

البغضاء.

وأشار ابن العديم إلى قوة حفظ أبي العلاء برواية حكاية عن ابن منقذ ذكر فيها أنه يقرأ عليه الكراسة والكراستين مرة واحدة فيحفظهما، ولم يعلم له من شيوخ بعد سن العشرين، وذكر هو أنه لم يحتج إليهم بعدها<sup>(١)</sup>.

إن فقد البصر لم يقعد به عن طريق المجد والتقدم، بل اكتشف موهبته في الحفظ ونماها، واستفاد من عشقه للعلم والمعرفة فنهل منها. وأصبح شخصية علمية أدبية عالمية.

ومن الأمثلة المعاصرة لأشخاص تجاوزوا إعاقاتهم، وحلقوا في سماء العظمة والعبقرية، العالم البريطاني المعروف (استيفن هاوكنج) والذي يعد أبرز العلماء في الفيزياء والرياضيات، في النصف الثاني من القرن العشرين.. لقد أصيب بمرض وهو في السابعة من عمره، وصارع المرض حتى أصبح كسيحاً يتحرك على مقعد ذي عجلات، ولا يستطيع التكلم بشكل طلق ومفهوم، فلا تفهم له إلا سكرتيرته أو تلامذته القريبون، لكنه صار أستاذ الرياضيات العليا في جامعة (كامبردج) الشهيرة، وعيّن وعمره ٣٢ سنة في الجمعية العلمية الملكية البريطانية، وشغل فيها كرسي نيوتن، سنة ١٩٧٤ م.

وقدم نظريات علمية عظيمة وجديدة حول الكون، وفي الفيزياء والرياضيات، وله أبحاث كثيرة مطبوعة، ترجم منها إلى اللغة العربية كتابه (تاريخ موجز الزمان).

(١) الموسوعة العربية العالمية ج ٢٣ ص ٤٨٠، الطبعة الثانية ١٩٩٩، الرياض.

## مجتمعات تتحدى العوائق:

وعلى صعيد المجتمعات، قد يواجه مجتمع ما ظرفاً قاهراً، تعاق فيه حركته، ويقع تحت سيطرة مناوئة، فإذا ما استسلم وخنع فسيعيش التخلف والذل، وإذا ما سيطرت على أبنائه حالة الإحباط والقنوط فسينكفئون على أنفسهم، وتظهر في أوساطهم تيارات العنف والتطرف، أما إذا شمرّوا عن سواعد الجد والنشاط، واهتموا ببناء كفاءاتهم، وصقل مواهبهم، واستغلال الفرص المتاحة أمامهم، فسيفرضون أنفسهم على ساحة الحياة، ويصنعون لمجتمعهم معادلة جديدة من القوة والتقدم.

ولعل الشعب الياباني أفضل مثل يقدم في التاريخ المعاصر، فقد خرج هذا الشعب من الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م، منهزماً محطماً القوى، بعد إصابته بالقنبلة الذرية في هيروشيما وناكازاكي.

وكانت خسائرهم البشرية تقدر بمليونين وثمانين ألف إنسان، وخسائرهم الاقتصادية تزيد على ٥٦٢ مليار دولار.

وحينما قرر الإمبراطور الياباني وحكومته الاستسلام انتحر آلاف الضباط تالماً واحتجاجاً. وفرضت عليهم شروط وجود قواعد أمريكية، وعدم عسكرة اليابان، وأن يكون جيشهم بحجم حاجتهم الداخلية.

لقد كان هذا الظرف قاهراً ومفروضاً عليهم، ولا يستطيعون مواجهته بالقوة، لكنهم لم يستسلموا لليأس والقنوط، ولم تسيطر عليهم حالة الإحباط، ولم ينشغلوا باجتراح الغبن، والبكاء الدائم على مصائبهم، بل سارعوا بعد تسعة أشهر من انتهاء الحرب إلى تشكيل مجلس أعلى قرر البدء بالإصلاح الشامل، واتجهوا صوب التعليم، ونحو التصنيع التكنولوجي، وحفزوا الهمم

في أنفسهم، واجتهدوا في تفجير كفاءاتهم ومواهبهم، وأسسوا مجالس منتخبة لتطوير المدارس واستيعاب أكبر قدر من الطلاب فكان من نتائج ذلك ما يلي:  
أصبح الطفل الياباني في الرابعة عشر من عمره، يتلقى تعليماً لا يتلقاه الأمريكي إلا في الثامنة عشر من عمره.

وتبلغ أيام الدراسة في اليابان ٢٢٠ يوماً، بينما هي في أمريكا ١٨٠ يوماً.  
وبينما يحقق الطالب الأمريكي والأوروبي ١٠٠ نقطة في اختبارات الذكاء فإن الطالب الياباني يحقق ١١٧ نقطة.

أما على الصعيد الاقتصادي فإن الدخل القومي لليابان سنة ١٩٥١م كان يعادل ثلث الدخل القومي لبريطانيا، ونصف دخل أمريكا، لكنه في سنة ١٩٩٠م أصبح بمقدار ثلثي دخل أمريكا وثلاثة أضعاف دخل بريطانيا!!

وأصبحت اليابان أغنى دولة في أصولها المالية والعقارية، حيث وصلت ثروتها في هذا المجال إلى ٤٣ تريليون دولار، بينما تقدر ثروة أمريكا في ذات المجال ٣٦ تريليون دولار.

وتعبيراً عن هذا التقدم الاقتصادي أصدر رئيس شركة سوني اليابانية كتاباً سنة ١٩٨٨م بعنوان (اليابان يمكن أن تقول لا للولايات المتحدة الأمريكية).

ومعروف أن معدل الأعمار في اليابان هو الأعلى عالمياً، حيث يصل إلى ٨٢ عاماً للنساء، و٧٦ عاماً للرجال، وفيها أكثر من ٤٠٠٠ شخصاً أعمارهم تزيد على ١٠٠ عام.

هكذا تكون الفاعلية أفضل طريق وأحسن خيار للالتفاف على العوائق، ولتحقيق تطلعات التقدم والرفي، على صعيد الفرد والمجتمع.



## رعاية الطفل

كلمة الجمعة بتاريخ ١٥ ذو القعدة ١٤٢١هـ



إذا أردنا أن نقيس وعي مجتمع من المجتمعات، وأن نعرف درجة إنسانيته وتحضره، فإن ذلك لا يكون بملاحظة مستوى التقدم والإنجاز المادي الذي حققه ذلك المجتمع، ولا بالنظر إلى وسائل الرفاهية والرخاء التي يمتلكها. بل لعل من أفضل مقاييس الوعي والتحضر، معرفة مدى الاهتمام الذي يوليه المجتمع لرعاية أطفاله، ولتربية الجيل القادم من أبنائه.

ففي طريقة التعامل مع الطفل يتجلى وعي المجتمع، وينعكس نضجه الإنساني، وتطلعاته الحضارية. لأن الطفل هو إنسان المستقبل، وإتقان إعداده وتربيته، هو في الحقيقة تخطيط للمستقبل الأفضل، وضمانة لتقدم المسيرة. بينما ضعف الاهتمام التربوي ينذر بالتخلف والتراجع، ويشير إلى الإهمال والخواء في طموحات المجتمع وتطلعاته.

كما أن تربية الطفل تعني التعاطي مع الأحاسيس والمشاعر الإنسانية، في أولى مراحلها، وأدق مستوياتها، حيث البراءة والرهافة والصدق.

فالطفل مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة، لا يدرك مصالحه، ولا يستطيع التعبير عن حاجاته، ولا يتمكن من الدفاع عن نفسه، وهو صفحة بيضاء نقية، تستقبل ما يكتب فيها، وتسجل ما يُملى عليها.

من هنا يجب التعامل مع الطفل من منطلق إنساني، وبروحية مخلصّة شفافة، وب عقلية مستقبلية بناءة.

وقد وفق الدكتور محمد عماد الدين إسماعيل حينما اختار لكتابه القيم عن النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية عنوان (الأطفال مرآة المجتمع)<sup>(١)</sup> فهم بالفعل مرآة تعكس وعي المجتمع وإنسانيته ونضجه، وترتسم فيها صورته المستقبلية.

### مآسي الطفولة المعاصرة:

وإذا نظرنا إلى الحضارة المادية الغربية السائدة من خلال هذا المنظار، وحاولنا تقويمها وقياس إنسانيتها عبر واقع الطفولة في ظلها، فإننا سنكتشف جانب الخواء والفساد في هذه الحضارة رغم تقدمها العلمي والتكنولوجي. صحيح أن الأمم المتحدة أصدرت إعلاناً لحقوق الطفل وأنشأت منظمة تابعة لها لرعاية الطفولة هي (اليونيسيف) لكن ما تعانيه الطفولة اليوم من مآسي وفظائع على مستوى العالم، قد صير ذلك الإعلان حبراً على ورق.

لقد جاء في ديباجة إعلان حقوق الطفل ما يلي:

بما أن الطفل بسبب قصوره من ناحية النضج البدني والعقلي، في حاجة إلى أسباب خاصة للوقاية والرعاية تشمل الحماية الشرعية اللازمة قبل ولادته وبعدها، وبما أن لزاماً على الجنس البشري أن يمنح الطفل خير ما عنده، لذا فإن الجمعية العمومية تصدر هذا (الإعلان لحقوق الطفل) بهدف جعل الطفل ينعم بطفولة هنيئة، ويتمتع بالحقوق والحريات الواردة في الإعلان، لخيرته ولمصلحة المجتمع، وتهيب بالآباء والأمهات وبالرجال والنساء، والأفراد والهيئات التي تعنى طوعية برعاية الطفولة، وبالسلطات المحلية

---

(١) إسماعيل: محمد عماد الدين، الأطفال مرآة المجتمع، سلسلة عالم المعرفة (٩٩)- الكويت ١٩٨٦م.

والحكومات، أن تعترف بهذه الحقوق، وتعمل على مزاوتها بإجراءات تشريعية وغيرها<sup>(١)</sup>.

ثم يذكر الإعلان عشرة مبادئ تنظم حقوق الطفل وتكفل مصلحته. لكنها تبقى مجرد توصيات، ومبادئ نظرية، أمّا الواقع الفعلي للطفولة في عالم اليوم، فيعج بالآلام والمآسي والعذابات، لسبب واضح يكمن في طبيعة النزعة المادية الشهوانية لهذه الحضارة، حيث يعيش الإنسان حالة دائمة من الاستشارة والتحريض لشهواته ورغباته المصلحية، مما يجعله لاهثاً خلف تحقيقها، غير ملتفت ولا مبال بأي قيمة أخلاقية، أو مشاعر إنسانية.

هذه الأجواء المادية المحمومة لا تبقي في حياة الإنسان متسعاً للعواطف، ولا مجالاً للمبادئ، فالمصلحة الذاتية حاکمة، والشهوات والملذات هي الغاية.

لذلك تبدو معاناة الطفولة إفرازاً طبيعياً، ونتيجة متوقعة، لهذه الحضارة المادية الجارفة.

### أرقام وحقائق مذهلة:

قبل سنتين انعقد في مدينة نيقوسيا مؤتمر عن أطفال العالم، لمناسبة مرور عشر سنوات على صدور اتفاقية حقوق الطفل عن الأمم المتحدة، وعالج المؤتمر قضايا الطفولة ومشاكلها، وما تواجهه من أخطاء تهدد حياة الأطفال ومستقبلهم، وقد نظمه مركز الحوار العالمي بالاشتراك مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) تحت شعار (الأطفال حقوق وحرمان).

(١) شازال: جان، حقوق الطفل، ترجمة: ميشال أبي فاضل، سلسلة زدني علماً (١٦٩) الطبعة الأولى ١٩٨٣م منشورات عويدات- بيروت، باريس.

وهيمنت إحصاءات ومعلومات وثائقية مذهلة عن أوضاع الأطفال في العالم، على أجواء المؤتمر، فقد تأكد وجود ١٣٠ مليون طفل لم يحصلوا على أي نوع من التعليم، و١٠٠ مليون طفل يعملون في ظروف سيئة وخطيرة، وهناك ١٠٠ مليون طفل لا مأوى لهم يعيشون في الشوارع، ومليون آخر يجبرون على الدعارة.

وقال مدير مركز الحوار العالمي الديبلوماسي والصحافي المخضرم (أريك رولو): إن التطورات الحاصلة اليوم وفي ظل سياسة الاقتصاد الحر وسهولة استعمال التقنيات ووسائل التقدم والاتصال، وانتشار مفاهيم العولمة، عملت على عدم تحقيق فائدة من شأنها تخفيف وطأة مشاكل الطفولة، وسوء استخدام وتشغيل الأطفال في الصناعات الكبرى، من قبل شركات متعددة الجنسيات في بلدان العالم النامي، حيث يعمل الأطفال ويستغلون لتحقيق النمو المالي السريع على حساب معاناتهم.

وتخللت وقائع المؤتمر شهادات مؤثرة ومؤلمة، قدمها الأطفال من ضحايا الكوارث الاجتماعية، كالحرمان من التعليم، والعيش في الشوارع، وتجرع مرارة التشرّد والعمالة الرخيصة، وقدموا أيضاً شهادات عن رفاقهم من ضحايا الاعتداء الجنسي، وعُرِضت أفلام ومقابلات ومشاهد حيّة، عن مختلف الخروقات والاعتداءات بحق العديد من الأطفال، وفي مناطق مختلفة من العالم.

وذكر إحصاء عن ٢٠٠٠ صبي يعملون في الدّعارة في مدينة برلين وحدها، وتعذّر إحصاء عدد الصبايا!! ويوجد أكثر من ٦٠٠ موقع على الإنترنت لترويج

## دعارة الأطفال!!<sup>(١)</sup>

وحتى المراكز والمؤسسات الاجتماعية التي تنشأ بغرض الرعاية والحماية للأطفال، فإنها أصبحت في بعض المجتمعات المادية مرتعاً للفساد، والاعتداء على الأطفال واستغلالهم، كما تحدث تقرير رسمي عن تحقيق حول أفضح عملية استغلال جنسي للأطفال تكشف في بريطانيا، إذ أن حوالي ٦٥٠ طفلاً تعرضوا للاستغلال الجنسي بصورة منهجية على مدى عشرين عاماً في مراكز اجتماعية في مقاطعة ويلز. وكانت محكمة تشكلت خصيصاً في قرية أولو الواقعة في منطقة ويلز، قد تلت أو استمعت لشهادات أكثر من خمسمائة شخص خلال ٢٠٠٣ أيام من الجلسات المؤلمة، في تحقيق كلف حوالي ١٢ مليون جنيه إسترليني، ووصف الشهود - ومعظمهم أصبح اليوم من الراشدين المحبطين كلياً - فظائع عن سوء المعاملة التي تعرّض لها حوالي ٦٥٠ طفلاً لا يبلغ بعضهم السبع سنوات في أربعين مركزاً اجتماعياً موزعة في المنطقة. وكشفت الوثيقة أن ما لا يقل عن ١٢ ضحية انتحروا في السنوات التي تلت رحيلهم من المراكز. ولفت التقرير إلى مأساة أطفال لم يجدوا شخصاً جديراً بالثقة يروون له معاناتهم، خصوصاً وأن مسؤولي هذه المؤسسات والعاملين الاجتماعيين المكلفين حمايتهم كانوا أحياناً من جلاذيتهم<sup>(٢)</sup>.

لكن صحيفة (دايلي ميل) كشفت ما هو أفضح وأكثر هولاً: أن شبكة كبيرة تنظم الاعتداء على الأطفال الذين يخضعون للرعاية يعتقد بأن عدد ضحاياها يزيد على ١١ ألف طفل خلال أكثر من عشرين عاماً<sup>(٣)</sup>.

(١) الحياة: جريدة يومية - لندن ١٢، ١٢، ١٩٩٨ م.

(٢) الحياة: جريدة يومية - لندن ١٧ فبراير ٢٠٠٠ م.

(٣) الحياة: جريدة يومية - لندن ١٩ فبراير ٢٠٠٠ م.

من ناحية أخرى تحدثت الصحافة الألمانية عن قيام رجال العصابات بشراء الأطفال الرضع في ألمانيا، واستخدام جثثهم في عمليات تهريب المخدرات.. واعترف رئيس إحدى العصابات بأنهم يشترون الأطفال من عاهرات هامبورج وباريس الحوامل قبل ولادتهن، يتم بعد ذلك تهريب حديثي الولادة إلى الدنمارك حيث يجري قتلهم وحشو جثثهم بأكياس الهيروين. وتتولى نساء عاملات في إطار العصابات المنظمة السفر بالرضيع باستخدام جوازات سفر مزورة تحمل اسم الطفل إضافة إلى اسم المرأة الأم. وتدعي النساء عادة أن الطفل نائم أو مريض إذا لاحظت شرطة الحدود سكونه غير الاعتيادي<sup>(١)</sup>.

هكذا يضرب الفساد بجرانه في أعماق مجتمعات الحضارة المادية، وحتى العائلة لم تعد ملاذاً آمناً للأطفال في تلك المجتمعات، فقد نشرت إحدى الجمعيات الخيرية البريطانية التي تعني بشؤون الطفل أرقاماً عن عدد الأطفال الفارين من بيوتهم والتي وصلت هذا العام (١٩٩٩م) إلى مائة ألف طفل!! ووجدت الجمعية أن أسباب الفرار تتمحور حول الأمور العاطفية والعلاقات العائلية وليس الفقر. وهناك أسباب أخرى مثل المخدرات والكآبة والمشاكل مع الشرطة. وتقول الدراسة أن نسبة الفارين تتساوى في المناطق الغنية والمناطق الفقيرة، لكن نسبة الفارين من الأطفال البيض كانت أعلى من الأطفال الآسيويين الفارين<sup>(٢)</sup>.

### الطفل ربحانة وأمانة:

حينما يشرع الإسلام أحكاماً لرعاية الطفل وحسن تربيته، فإنه يؤسس

(١) الشرق الأوسط: جريدة يومية، لندن، ٧، ٤، ١٩٩٧هـ.

(٢) الشرق الأوسط: جريدة يومية، لندن ١٣ نوفمبر ١٩٩٩م.

لذلك بتعليمات وتوجيهات تؤكد البعد الإنساني، والمسؤولية الدينية، في التعامل مع الطفل. وأساساً فحب الأطفال والشفقة عليهم نزعة وجدانية فطرية، لكنها قد تضعف أو تختفي لعوامل سلبية طارئة.

والتوجيهات الإسلامية في هذا المجال تشكل استشارة لتلك النزعة الوجدانية، وتحصيناً لها من التأثيرات المصلحية، ولإزالة ما قد يتراكم على فطرة الإنسان النقية من غبار الشهوات والأهواء.

من هنا نجد في النصوص الإسلامية عدداً كبيراً من الأحاديث التي تعطي لرعاية الأطفال بعدها الإنساني، وتضفي عليها صبغة العمل العبادي المقرب إلى الله تعالى. وتجعلها من أهم مسؤوليات الإنسان في هذه الحياة.

وفيما يلي عيّنات من تلك النصوص الشريفة.

١. عنه ﷺ: «أولادنا أكبادنا»<sup>(١)</sup>.

٢. عنه ﷺ: «من قبل ولده كتب الله عز وجل له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

٣. عنه ﷺ: «أحبوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم فإنهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم»<sup>(٣)</sup>.

٤. عنه ﷺ: «الولد للوالد ريحانة من الله»<sup>(٤)</sup>.

٥. عنه ﷺ: «نظر الوالد إلى ولده حباً له عبادة»<sup>(٥)</sup>.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٠٥.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٩٨.

(٥) النوري الطبرسي: ميرزا حسين، مستدرک الوسائل ج ١٥ ص ١٧٠ حديث ١٧٨٩٤.

٦. عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «قال موسى بن عمران: يا رب أيّ الأعمال أفضل عندك؟ فقال: حبُّ الأطفال فإنني فطرتهم على توحيدني فإن أمّتهم أدخلتهم جنتي برحمتي»<sup>(١)</sup>
٧. عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده»<sup>(٢)</sup>.
٨. عن كليب الصيداوي قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «إن الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان»<sup>(٣)</sup>.

### رضاع الطفل:

من أهم احتياجات الطفل وأوائل حقوقه، توفير الغذاء الذي يقوم جسمه، ويسير حياته، والطريق الوحيد لتغذيته في الفترة الأولى من حياته هو الإرضاع، حيث يمتص اللبن من ثدي أمه أو أي امرأة أخرى، أو عبر الرضاعة الصناعية. والرضاعة حق طبيعي للطفل أوجه الشارع، فإذا كان للطفل مالٌ جاءه عن إرث أو أي طريق آخر، وكان رضاعه يتطلب نفقة، فيمكن أن تؤخذ من ماله، وإن لم يكن للطفل مال وجب على أبيه تحمّل نفقات إرضاعه، فإن لم يكن الأب قادراً، أو كان متوفى، انتقلت المسؤولية إلى جده، ومع عدمه أو عدم قدرته، تكون أمه مكلفة بذلك.

وأجمع فقهاء الشيعة على عدم وجوب الإرضاع مبدئياً على الأم، وأنها تستحق الأجرة على إرضاع طفلها من قبل أبيه أو جده «وينبغي أن لا تأخذ أجرة

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٩٧.

(٢) المصدر السابق ص ٥٠.

(٣) المصدر السابق.

لإرضاع طفلها من زوجها، ويستحب لزوجها أن يعطيها أجره على ذلك»<sup>(١)</sup>.  
 ووافقهم على ذلك الحنابلة والشافعية، وقال الحنفية إن كانت الأم في عصمة الأب أو في عدته، فليس لها طلب الأجرة، أمّا المالكية فذهبوا إلى وجوب الرضاع على الأم بلا أجره، إن كانت ممن يرضع مثلها، وكانت في عصمة الأب ولو حكماً كالرجعية، أمّا البائن من الأب، والشريفة التي لا يرضع مثلها فلا يجب عليها الرضاع، إلا إذا تعينت الأم لذلك بأن لم يوجد غيرها<sup>(٢)</sup>.  
 ولا شيء أفضل من رضاع الأم لطفلها. فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه»<sup>(٣)</sup>.

فمن لطف الله تعالى على الإنسان أن يهيئ له الغذاء المناسب منذ اللحظة الأولى لولادته، عبر ثدي أمه، حيث تبلغ كمية اللبن الذي تفرزه الأم نحو كيلو غرام يومياً، يتغير تركيبه تدريجياً مع نمو الطفل بصورة تتوافق مع حاجة جسم الطفل في مراحل نموه المختلفة، فقد وجد مثلاً أن ثدي الأم يفرزان في الأيام الأولى بعد الولادة لبناً كثيفاً يسمى اللبأ (colostrum) وهو غني جداً بعناصر المناعة التي يحتاجها جسم الطفل، في فترة الطفولة الأولى، حيث يكون جسمه ضعيفاً لا يقوى على مواجهة المرض، حتى أن الشافعية نصوا على وجوب إرضاع الأم لطفلها اللبأ وإن وجد غيرها، لأن الطفل لا يستغني عنه غالباً<sup>(٤)</sup>.

(١) الشيرازي: السيد محمد، المسائل الإسلامية - مسألة ٢٦٦٦.

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، الموسوعة الفقهية ج ٢٢ ص ٢٤٠.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج ٦ ص ٤٠.

(٤) كنعان: الدكتور أحمد محمد، الموسوعة الطبية الفقهية ص ٤٨٣.

والرضاع من الأم له بعد آخر غير الأهمية الغذائية، هو ما تفيضه على الطفل من حنان الأمومة وعطفها، لذلك اعتبر الإسلام أن «الأم أحق بإرضاع ولدها من غيرها، فليس للآب تعيين غيرها لإرضاع الولد إلا إذا طالبت بأجرة وكانت غيرها تقبل الإرضاع بأجرة أقل أو بدون أجرة فإن للآب حينئذ أن يسترضع له أخرى»<sup>(١)</sup> يقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَنْتُمْرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾<sup>(٢)</sup>.

ولأهمية مسألة رضاعة الطفل فقد تحدثت النصوص الإسلامية حتى عن حدودها الزمنية فالحد الأقصى للرضاعة سنتان كاملتان، يقول تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾<sup>(٣)</sup> ويمكن تخفيض هذه المدة حسب مقتضيات صحة الطفل وسلامته، وبعد دراسة الوالدين وتقويمهما لوضعه، فلا يستبد أحدهما بقرار إنهاء رضاعه قبل إكمال السنتين يقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾<sup>(٤)</sup>.

لكن روايات وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تنهى عن إنقاص الرضاع عن واحد وعشرين شهراً، وتعتبر ذلك نوعاً من التعدي على حق الطفل، كما في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «الرضاع واحد وعشرون شهراً فما نقص فهو جور على الصبي»<sup>(٥)</sup>.

ومن المناسب أن نشير إلى أهمية الرضاعة الطبيعية، وضرورة اجتناب

(١) السيستاني: السيد علي، منهاج الصالحين - المعاملات، القسم الثاني ص ١٢٠ مسألة ٣٩٧.

(٢) سورة الطلاق الآية ٦.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٣.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٣٣.

(٥) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ج ٢١ ص ٤٥٥ حديث ٢٧٥٦٧.

الرضاعة الصناعية عبر القارورة من الألبان المصنّعة، لأنه يحرم الطفل من حنان أمه الذي يعايشه وهو يرضع من ثديها، كما أن لبن الأم يحتوي على كمية كافية من البروتين والسكر بنسب تناسب الطفل يوماً بيوم، ولا يتوفر مثل ذلك في الألبان المحضّرة من لبن الأبقار أو الأغنام أو الجواميس، إضافة إلى ما قد يحصل من انتقال الجراثيم والميكروبات وعدوى الأمراض نتيجة للخلل في تعقيم الرضاعة (القارورة) والماء، والأضرار المحتملة من المادة المطاطية التي تصنع منها الحلّات الصناعية، وقد حذرت دراسات نشرت مؤخراً من احتمال إصابة الطفل بالسرطان من جراء ارتضاعه بالحلّات المطاطية.

### حضانة الطفل:

الحضانة بفتح الحاء، ويصح بالكسر وأصلها من حضن الطير بيضه، أي ضمه تحت جناحه، والغاية منها المحافظة على الطفل، وتربيته ورعاية مصلحته. ومن حق الولد أن يعيش في كنف والديه وتحت رعايتهما، لذلك كانت الحضانة وظيفة مشتركة بين الوالدين في السنتين الأوليتين من حياته. فلا يجوز للأب أن يفصله عن أمه خلال هذه المدة، وإن افترق عنها بفسخ أو طلاق، إلا إذا تزوجت شخصاً آخر فإنه يسقط حقها في حضانة الطفل وينحصر في الأب.

وبعد إكمال السنتين هناك نصوص وروايات مختلفة حول أحقية الحضانة مع عدم زواج الأم طبعاً. والمشهور عند فقهاء الشيعة أن الأب أولى بولده الذكر بعد السنتين، والأم أولى بالبنت إلى سبع سنين ثم تعود رعايتها إلى الأب.

ويميل بعض الفقهاء إلى أن الحضانة للأب بعد السنتين سواء كان الولد

ذكراً أو أنثى لكن الأفضل أن لا يفصله عن أمه حتى يبلغ سبع سنين<sup>(١)</sup>.

وذهب الحنفية إلى أن حضانة الأم للصبى تمتد حتى يستغني عن رعاية النساء له، وقدروه بسبع سنين، أما حضانة البنت فتظل حتى تبلغ. وقد ذهب المالكية إلى أن حضانة الأم للصبى تستمر حتى البلوغ وللبنات حتى زواجهن. وعند الحنابلة يظل الطفل الذكر عند حاضنته حتى يبلغ سبع سنين، فإن اتفق أبواه بعد ذلك أن يكون عند أحدهما جاز، وإلا خيّر هو فكان مع من اختار منهما، أما الأنثى فإذا بلغت سبعاً فحضانتها لأبيها. وعند الشافعية تستمر حتى سنّ التمييز سبع أو ثماني سنين ذكراً كان أو أنثى، ثم يخير بين أبويه<sup>(٢)</sup>.

وتظهر هذه التشريعات اهتمام الإسلام بتفاصيل شؤون رعاية الطفل.

---

(١) السيستاني: السيد علي، منهاج الصالحين- المعاملات ج ٢ ص ١٢٠ مسألة ٤٠١.

(٢) كنعان: الدكتور أحمد محمد، الموسوعة الطبية الفقهية ص ٣٦٤.

## الحج والتربية الاجتماعية

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٢ ذو القعدة ١٤٢١هـ



أريح مكة، ونسيم المشاعر المقدسة، تهبّ على قلوب المسلمين هذه الأيام، فتنجذب القلوب، وتنشدّ النفوس، إلى هذا النسك الإلهي العظيم، حجّ بيت الله الحرام، ومن يتوفّق للحجّ يعيش هذه اللذة المعنوية العظيمة بروحه وجسمه، أمّا من حرّمته الظروف فيبقى متعلقاً بقلبه ومشاعره نحو تلك الأجواء المباركة.

ولفريضة الحجّ أبعادٌ كثيرة تنعكس على مختلف جوانب حياة الإنسان الحاج، والأمة الإسلامية بشكل عام، كما يقول تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ولعل من أبرز أبعاد هذه الرحلة العبادية الإيمانية هو البعد الاجتماعي، حيث يتوجه الحجّيج لأداء مناسك حجّهم على شكل مجموعات وحملات، وذلك هو الأسلوب المتبع من قديم الزمان، ومن شتى المناطق والبلدان.

لأن طبيعة الحجّ وخاصة لمن يحجّ لأول مرة، تستلزم صحبة الآخرين، ليساعده في معرفة المناسك، وتفصيلات أحكامها، وأماكن وأزمنة أدائها، إضافة إلى أن توفير متطلبات الإقامة والتنقل والمعيشة خلال أيام الحجّ، وما يكتنفها من زحام في الأماكن المقدسة، تشقّ وتصعب على الحاج بمفرده، وتكون كلفتها عالية، بينما تتهيأ له ضمن الحملة بسهولة ويسر.

---

(١) سورة الحج الآية ٢٨.

لكل ذلك نشأت مؤسسات خاصة تقوم بمهمة نقل الحجاج، وترتيب شؤون سفرهم، وأدائهم لمناسك الحج، ويطلق عليها في مجتمعنا (حملات الحج). ولبحث البعد الاجتماعي في الحج، لابد أن نسلط الأضواء على دور (الحملة) في توفير الأجواء الاجتماعية المناسبة للحاج، والمنسجمة مع الأهداف التربوية والروحية لفريضة الحج العظيمة.

### إدارة الحملة:

إدارة الحملة هي الجهة المؤسسة لها والمتحملة لأعبائها وتصريف شؤونها، ومن أجل أن تكون إدارة صالحة ناجحة ينبغي أن تتوفر على المواصفات التالية:

#### ١ - استحضار الهدف المعنوي:

صحيح أن من حق مسؤول الحملة أن ينال مصلحة وكسباً مادياً جراء جهوده وأتعبه، فقد تكون الحملة مصدراً لرزقه، لكنه في نفس الوقت يقوم بعمل خير صالح، يستحق عليه الأجر والثواب من قبل الله تعالى.

لما في وجود الحملة من تشجيع وإعانة على أداء عمل ديني عبادي، وما تقتضيه من تقديم الخدمة لأناس مؤمنين، متجهين لطاعة الله تعالى، ومنشغلين بعبادته.

واستحضار صاحب الحملة لهذا الهدف المعنوي، يجعله مستحقاً لثواب الله تعالى ورضاه، كما يشعره بقيمة العمل الذي يؤديه، وأنه ليس مجرد حرفة مهنية مادية، بل هو إلى جانب ذلك عمل عبادي خيري يتقرب به إلى الله تعالى، مما يعطيه اندفاعاً وراحة نفسية، تعينه على مواجهة مشاق العمل وصعوباته.

## ٢- الإدارة بين الفردية والجماعية:

مهما كانت كفاءة الشخص وقدراته، فإنه قد لا يحيط بمختلف الأمور، وقد يفوته الانتباه والالتفات إلى بعض القضايا والجوانب، لذلك فإن الإدارة الأفضل، والتخطيط الأنجح، والقرار الأصوب، هو الذي تشارك فيه أكثر من طاقة وكفاءة، ويتم عن طريق فريق منسجم.

إن المؤسسات الناجحة هي التي يديرها مجلس إدارة، وليس شخصاً متفرداً، فينبغي على صاحب كل حملة أن يشكل فريقاً لإدارة حملته، يتناقشون من خلاله ويخططون ويسيرون الأمور.

ومن يشترك في صنع القرار يصبح أكثر التزاماً واندفاعاً للتنفيذ والتطبيق، وتحمل أعباء القرار ومسؤوليته.

## ٣- توفير الأجواء والوسائل:

على إدارة الحملة أن تجتهد في توفير الأجواء المناسبة، والبرامج والوسائل التي تعين الحجيج على أداء مناسكهم بسهولة ويسر وإتقان، وأن تُهيئ لهم ظروف الراحة والانسجام.

إن التقصير تجاه الحجاج، أو الإخلال بالوظائف المتفق عليها بينهم وبين الإدارة، قد يعكّر أجواء العلاقة بين الطرفين، ويسبب المشاكل والنزاعات، كما قد يحصل في بعض الحملات، فيسيء ذلك إلى سمعة الحملة وصاحبها، ويؤثر على الأجواء السائدة فيها.

## ٤- حسن التعامل:

فالحجيج الذين ينضمون للحملة، عادة ما يكونون من شرائح وفئات مختلفة من المجتمع، ففيهم المرأة والرجل، والكبير والشاب، والتاجر

والعامل، والمثقف والجاهل ۞ ولكل عاداته ومزاجه وأخلاقياته، كما أن طبيعة السفر، ووظائف الحج، قد تسبب للبعض شيئاً من التعب الجسمي أو النفسي، فهم جميعاً بحاجة إلى استيعاب ومداراة، وحسن تعامل من قبل إدارة الحملة، لامتناع المشاغل، ومعالجة ما قد يحدث من إشكاليات.

وفي ذلك أجر كبير، وعون على نجاح الحملة.

### الإرشاد الديني:

وجود إرشاد ديني ضمن الحملة ضروري لسببين:

الأول: أن مناسك الحج بحاجة إلى توضيح وتبيين، خصوصاً لمن يحجون لأول مرة.

الثاني: الاستفادة من فرصة الحج في التوجيه والتوعية والتربية الدينية الشاملة، فأثناء رحلة الحج ينقطع الحاج عن ارتباطاته واهتماماته المادية المختلفة، ويكون متفرغاً من ناحية الوقت، مهتماً في حالته النفسية لتقبل التوجيه والإرشاد، مما يفسح المجال جيداً للمرشد الديني أن ينمي عنده مستوى التدين والوعي، وأن يحدث في نفسه الاهتمام بالقيم والمبادئ، بحيث تصبح رحلة الحج دورة تربوية مكثفة، يتخرج منها الحاج، وهو أكثر وعياً بدينه، وأشد التصاقاً بمبادئه.

إن أغلب الناس لا تتسع أوقاتهم الاعتيادية لبرامج الإرشاد والتوجيه، وقد لا يقبلون عليها، وفرص المرشدين والواعظين في الالتقاء بالناس والتخاطب معهم محدودة ضمن مناسبات معينة، أمّا في الحج فالمجال متاح، والفرصة سانحة، ومرافقة المرشد للناس ومعايشته معهم في الحملة، تجعله أكثر انفتاحاً

عليهم، وإدراكاً لحاجاتهم، وتجعلهم أكثر تجاوباً وتفاعلاً مع إرشاده ووعظه. من هنا فإن رحلة الحج يمكنها أن تقدم زخماً كبيراً للحالة الدينية والتربوية في المجتمع، وذلك بمراعاة النقاط التالية:

### ١ - فريق للإرشاد:

لكي يتمكن الإرشاد الديني في الحملة من استيعاب كل الأفراد، وتوفير المستوى المناسب من التوجيه لهم، لا بد وأن يكون هناك عدد كافٍ من المرشدين يتناسب مع عدد الحجاج، مما يعني وجود فريق للإرشاد، يتقاسمون الأدوار، ويخططون لإنجاز المهام، ويتناقشون في وضع أفضل البرامج للتعليم والتوجيه.

ومع تعدد المرشدين يجب أن تتوفر بينهم حالة التنسيق والتعاون، وأن لا يسمحوا للشيطان بأن يبذر بينهم بذور الحساسية والتعارض، وكأنهم يعيشون وضع تحاسد شخصي، وتنافس مصلحي، أو استقطابات فئوية.

### ٢ - القدوة الحسنة:

يتأثر الناس بسلوك المرشد وممارساته أكثر من تأثرهم بكلامه وخطاباته، وعادة ما ينظرون إليه نظرة تقديس واحترام، ومع معاشرتهم له في رحلة الحج، إذا ما رأوه ملتزماً بالقيم الدينية، متصفاً بمكارم الأخلاق، فستزداد ثقتهم به، واستجابتهم لمواعظه، أما إذا لاحظوا منه ضعف الالتزام والانضباط، أو سوء المعاملة والأخلاق، فسيسقط اعتباره في أعينهم، وسيفقد مصداقيته لديهم، وقد ينعكس ذلك سلبياً على نظرهم لصنف المرشدين وعلماء الدين كافة.

### ٣ - التوعية والتوجيه الشامل:

صحيح أن المطلوب من المرشد بالدرجة الأولى تعليم وتبيين مناسك

الحج، لكنه كصاحب رسالة، وكعالم ديني، عليه أن يتحمل مسؤوليته الشرعية، ما دامت الفرصة متاحة لديه، في الدعوة إلى الله، وبث الوعي، وبذل التوجيه الديني الشامل لاحتياجات من حوله من الحجيج، عقائدياً، وفقهياً، وأخلاقياً.

إن الحج جزء من منظومة الفرائض الإسلامية، وهو ليس مجرد طقوس وممارسات مقصودة لذاتها، وإنما هو أعمال تستهدف صياغة شخصية الإنسان، على أساس العبودية لله تعالى، وزرع ملكة التقوى في أعماق نفسه. وهذا ما يؤكد القرآن الكريم عند حديثه عن واجب الهدي في الحج، يقول تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فلا بد من تبين فلسفة الحج، وأغراض مناسكه، ومعالجة النواقص التي يعاني منها الحاج في المجال الفكري والسلوكي، ليكون الحج منعطفاً هاماً في حياته، وليترك تأثيره الروحي على شخصيته.

بالطبع ينبغي اختيار أفضل الأساليب للجذب والتأثير، ومراعاة المشاعر في النصيحة والموعظة، كما هو أدب الإسلام، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنّ التعنيف والتوبيخ والإحراج، كما قد يفعله البعض من محاسبة الأفراد على أخطائهم في واجبات الوضوء، وأفعال الصلاة والقراءة والأذكار فيها، أمام الآخرين، قد يسبب نفوراً من الإرشاد الديني، ويحدث رد فعل في النفوس، وهو إيذاء وإهانة يحرمها الشارع المقدس.

(١) سورة الحج الآية ٣٧.

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥.

## أخلاقيات الحاج:

يفترض في حملة الحج أن تكون أنموذجاً مصغراً للمجتمع الإسلامي، وأن تقدم صورة عن الأجواء والأخلاقيات التي يجب أن تسود بين المؤمنين، ذلك أن أفراد الحملة هم مجموعة من المتدينين المستجيبين لأحكام الدين، وما توجههم للحج وعزمهم على أداء مناسكه، إلا دليل ومؤشر على تدينهم واستجابتهم لأوامر الله تعالى. وهم إذ يجتمعون في الحملة إنما يجمعهم الاشتراك في القيام بعمل عبادي. كما أن طبيعة المناسك تفرض الابتعاد عن النزعات الأنانية والعدوانية، وتشعر الحاج بعضويته واندماجه في المجتمع الإسلامي الكبير، عبر ارتداء لباس موحّد تقريباً هو الإحرام، والعيش في زمان ومكان واحد، وتأدية نسك وعمل واحد.

ومن محظورات الإحرام حمل أي نوع من السلاح، حيث لا يجوز للمحرم لبس السلاح، ولا حمله على وجه يعد مسلحاً، كما يحرم الاقتراب من الشهوات الجنسية، ويحرم الفسوق، وهو يشمل الكذب والسب والمفاخرة التي تعني التباهي بالنسب أو المال أو الجاه أو العلم وما أشبهها، أمام الآخرين للحط من مكانتهم، ويحرم الجدال المشتمل على الحلف بالله تعالى لإثبات أمر أو نفيه، وتفاصيل مسائل محظورات الإحرام المذكورة في كتب المناسك. يقول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾<sup>(١)</sup>.

إن كل ذلك يستلزم أن تسود الحملة أجواء إيمانية إيجابية، تنطلق من تعاليم الإسلام وأخلاقه وآدابه.

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧.

ونُذِّكرُ هنا ببعض النقاط والملاحظات التي ينبغي أن يتقيّد بها الحاج خلال رحلته العبادية العظيمة:

### التوجه للأهداف المقدسة:

الحج ليس رحلة ترفيه وتسوّق، وإنما هو في الأصل برنامج عبادي تربوي، يستهدف تحقيق القرب من الله تعالى، ونيل مغفرته ورضاه، فعلى الحاج أن يجعل هذا الهدف المقدس نصب عينيه، فيختار الحملة التي ينضم إليها ليس على أساس خدماتها المادية الرفاهية فقط، وإنما يأخذ بعين الاعتبار برامجها الروحية التربوية.

وعن تقويم الحملة ونقدها ينبغي الالتفات إلى هذا الجانب، بالنظر إلى مستوى اهتمامها على هذا الصعيد.

ومؤسف أن بعض الحجيج يصرفون وقتاً طويلاً في التسوق والتجوال في المجمّعات التجارية، على حساب البرامج الروحية والتوعوية.

إن أيام وساعات إقامة الحاج في الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة ثمينة وغالية، عليه أن يستثمرها بأقصى حد في تحقيق أهدافه المعنوية السامية، من تحصيل المعارف الدينية، واكتساب الآداب الإسلامية، وأداء السنن والمستحبات من زيارة وطواف وسعي وصلاة ودعاء وتلاوة قرآن. واطلاع على المعالم وآثار التاريخ الإسلامي المجيد.

وليس محظوراً الذهاب إلى الأسواق وأماكن الترفيه، ولكن ضمن حد لا يؤثر على سائر البرامج الروحية الهامة.

## التعامل بين الحجيج:

يعيش الحاج ضمن الحملة مع مجموعة من إخوانه المؤمنين، والذين قد يكونون من مناطق وأسر ومستويات مختلفة. وعليه أن يهتم بحسن التعامل معهم، وأن يكسب مودتهم ومحبتهم. إن ظروف السفر والتنقل، وطبيعة أعمال الحج التي يكتنفها شيء من التعب والعناء بسبب الزحام، كل ذلك قد يُحدث عند بعض الحجيج حالة من التوتر النفسي، فيظهر عليهم الانزعاج والغضب لأنفه الأسباب، وذلك أمر سيئ يجب أن لا يقبله الحاج لنفسه، وعليه أن يتحمّل ما قد يبدر من رفاقه في الحملة، ليساعد على تهدئة نفوسهم، وامتصاص حالات التوتر لديهم.

إن البعض قد تضيق نفوسهم، فيتحاسدون ويتنافسون على امتيازات جزئية بسيطة، كالجلوس على مقاعد معينة من السيارة، أو اختيار أماكن مفضّلة في السكن، أو الحصول على وجبات غذائية ذات مواصفات خاصة، وما أشبه ذلك من الأمور التي يجب أن يتسامى عليها الحاج، ويتخلق بالإيثار والتواضع والسماحة.

ومن الأخلاقيات الرائعة التي يؤكد عليها الإسلام في صحبة الآخرين ومرافقتهم وخاصة في السفر، المبادرة للخدمة والعون. فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه»<sup>(١)</sup>.

وعنه ﷺ: «من أعان مؤمناً مسافراً فرج الله عنه ثلاثاً وسبعين كربة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤١٢ حديث ١٥١٣٤.

(٢) المصدر السابق ص ٤٢٩ حديث ١٥١٧٦.

ويتحدث الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن جده الإمام زين العابدين عليه السلام قائلاً: «كان علي بن الحسين عليه السلام لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من خدام الرفقة فيما يحتاجونه إليه»<sup>(١)</sup>.

وتؤكد رواية أخرى على أهمية الانسجام بين المسافرين وضرورة المحافظة على أسرار رفقاء السفر، وعدم نشر أخطائهم وكشف عيوبهم فيما بعد بين الناس، وذلك فيما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «وأما مروءة السفر، فبذل الزاد، والمزاح في غير ما يسخط الله عز وجل، وقلة الخلاف على من صحبتك، وترك الرواية عليهم إذا أنت فارقتهم»<sup>(٢)</sup>.

والملفت للنظر أن الفقهاء والمحدثين، يذكرون جملة كبيرة من آداب السفر والرفقة والمعاشرة، عند الحديث عن مقدمات الحج وأحكامه، ويتعجب الإنسان من ذلك العدد الهائل من الأحاديث حول الموضوع، مما يؤكد أهمية حسن التعامل والعشرة مع الناس، وخاصة ضمن رحلة الحج العبادية المقدسة.

ففي أحد المصادر الحديثية الهامة التي يعتمد عليها الفقهاء وهو موسوعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) وضمن كتاب الحج خصص ٢٨٧ باباً، تقع في أكثر من ٥٠٠ صفحة، وتشتمل على ١٤١٥ حديثاً، كلها تدور حول آداب السفر وأحكام العشرة والصحبة<sup>(٣)</sup>.

مما يعني أن على الحاج أن يهتم بحسن تعامله مع رفاقه الحجيج، كما يهتم بأداء مناسك حجه وأحكام عباداته.

(١) المصدر السابق ص ٤٣٠ حديث ١٥١٧٧.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣٦ حديث ١٥١٩٥.

(٣) المصدر السابق ج ١١-١٢.

## المجتمع واليتيم

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٩ ذو القعدة ١٤٢١هـ



■ هل يمكن لليتيم أن يصبح عظيماً؟ أو يكون شخصاً ذا تأثير وفاعلية في المجتمع؟

■ هل في اليتيم دلالة على ضعف الرعاية والمقام عند الله؟

■ ما هو الدور المنتظر من المجتمع تجاه الأيتام؟

الحالة الطبيعية أن ينشأ الولد في أحضان والديه، وفي كنف أسرته، التي تحوطه بالرعاية والعناية، وتغمره بالعطف والحنان، وتقومه بالإرشاد والتوجيه.

إلا أن الإرادة الإلهية قد تقتضي أن يفقد الإنسان أحد والديه أو كلاهما في صغره، فيصبح يتيماً.

ويذكر اللغويون لليتيم معان كثيرة منها الهم والإبطاء والحاجة والانفراد. فيقال (هذا عمل يتيم) أي ليس له نظير فهو منفرد. وتطلق العرب على من فقد أباه يتيماً، ولا تطلق ذلك على من فقد أمه، هذا بالنسبة للبشر، أما بالنسبة للحيوانات فتطلق العرب على من فقد أمه منها يتيماً، لأن الأم في عالم الحيوان تتحمل الرعاية دون الأب. وفي المصطلح الشرعي يطلق اليتيم على من فقد أباه قبل بلوغه.

حيث يخلف فقد الأب فراغاً حقيقياً لا يمكن سده، ذلك أنه في حالة فقد الأم فإن الأب يوفر الحاضنة ويسد النقص، فلا يصبح الابن محتاجاً للآخرين.

مع الاعتراف بما للأُم من خصوصية نفسية وعاطفية. أما مع فقد الأب فالولد معرّض للاحتياج والنقص.

ويلازم حالة اليتيم عادة أمران:

■ شعور بالنقص العاطفي، فاليتيم لا يتمتع بما يتمتع به الآخرون من عاطفة وحنان من قبل آبائهم.

■ افتقاد بعض متطلبات الحياة واحتياجاتها من لوازم المعيشة ووسائل الترفيه وبعض الخدمات التي يقدمها الآباء غالباً.

### كيف يفكر اليتيم؟

إن الشعور الذي ينتاب اليتيم قد لا يكون مجرد شعور متخيل، بل واقع ملموس يعيشه ويعاني آثاره، غير أن هذا الواقع لا يصح الاستسلام والإذعان له، بل ينبغي مواجهته على الصعيدين النفسي والعملي.

أولاً: على اليتيم أن يسلم بأن هذه الحالة هي قضاء وقدر إلهي، وهي للبشر امتحان وابتلاء من الله جل شأنه. ابتلاء لليتيم في كيفية تقبله لمشية الله تعالى، فهل يرضى ويسلم لإرادة الله؟ أم يحمل روح الرفض والاعتراض؟ وابتلاء للناس في كيفية تعاملهم مع هذا اليتيم، فهل يقومون بما حثهم الله عليه ندباً أو أوجه فرضاً؟!

إذاً لا ينبغي لليتيم أن يشعر بالنقص في قيمته عند ربه فاليتيم لا يدل على الدونية وضعة المقام عند الله. حيث يذكر التاريخ أن كثيراً من أولياء الله الصالحين كانوا أيتاماً، فنبي الله إبراهيم عليه السلام ولد يتيماً مات أبوه تارخ وهو في بطن أمه، ثم عاش في بيت عمه آزر وهو المشار إليه في الآية الكريمة ﴿وَإِذْ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾  
ولأن عمه آزر قد ربّاه أطلق عليه أنه أبوه، وإلاّ فهو عمه، حيث لا يكون  
المشرك عابد الصنم أباً للنبي، كما هو قول أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويؤيدهم في  
ذلك كثير من علماء أهل السنة. يقول الألوسي: «والذي عوّل عليه الجهم الغفير  
من أهل السنة أن آزر لم يكن والد إبراهيم عليه السلام، وادعوا أنه ليس في آباء النبي صلى الله عليه وآله  
كافر أصلاً لقوله صلى الله عليه وآله: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات  
والمشركون نجس»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك نبي الله موسى عليه السلام الذي لا تجد دوراً لأبيه في القرآن أو نصوص  
التاريخ عند ولادته ونشأته، رغم المخاطر التي حفت بأمه أثناء ولادته،  
والملاسات التي اكتنفت نشأته.

ومن الواضح أن نبي الله عيسى عليه السلام ولد من غير أب. أما نبينا الأكرم محمد  
صلى الله عليه وآله، وهو أفضل الخلق، وأعزهم على الله، وأحبهم إليه، فقد مات أبوه وهو  
في بطن أمه، وماتت أمه وعمره ست سنوات، ثم عاش في كفالة جده عبد  
المطلب، ومن بعده عمه أبي طالب.

ثانياً: على اليتيم أن يفجر طاقاته وكفاءته، حتى يحيل النقص كمالاً،  
ويصنع من الهمّ والمعاناة طاقة خلاقة. وليس ذلك بعيداً فكثير ما تكون حالة  
الضعف والقصور دافعة نحو البذل والعطاء، فكم من يتيم معدم بزّ أقرانه من  
أبناء الأغنياء الموفورين. فمن العظماء الشهيد المعاصر السيد محمد باقر  
الصدر الذي لم تقعد به وفاة والده عن النبوغ والتفوق، فوصل إلى ما لم يصل

(١) سورة الأنعام الآية ٧٤.

(٢) الألوسي البغدادي: السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن ج ٧ ص ١٩٤ الطبعة  
الرابعة ١٩٨٥ م دار إحياء التراث العربي - بيروت.

إليه أقرانه الذين كانوا في ظل آبائهم. وكذلك العلامة الشهير الشيخ محمد جواد مغنية والذي فقد أمه ثم فقد أباه في صغره، لكن ذلك لم يحل بينه وبين النجاح والتقدم على نظرائه وأنداده. إذاً علينا أن نشعر اليتيم أن بإمكانه أن يتفوق، ويصل إلى مراتب عالية إذا توجه إلى ذلك، وفجر طاقاته الكامنة، وبلور قدراته ومواهبه، فاليتيم لا يعدو أن يكون امتحاناً وابتلاءً من الله سبحانه وتعالى لليتيم وللناس من حوله.

### مسؤولية المجتمع:

أولاً: دور الأم: تقوم الأم بدور كبير في توجيه اليتيم نحو تفجير طاقاته وكفاءاته، ورسالتنا إلى أم اليتيم: أن عليها أن تعوض ابنها عما قد يشعر به من نقص في العاطفة والحنان، وأن تعكف على تربيته تربيةً صالحةً جادة، وتساعده على أن يشق طريقه بنجاح، مع ملاحظة عدم الإفراط في الدلال بذريعة التعويض عن النقص العاطفي. فإهمال الرقابة، وإعطاء الحرية المطلقة، والتهاون بالأوامر والنواهي، وإغداق المال، قد يكون له نتائج سلبية جداً على شخصيته. إن من الضروري للأم أن توازن بدقة بين حقوق الطفل وواجباته، وأن تراعي ما يريده ابنها، وما هو محتاج إليه حقاً، فما كل ما يطلبه يحتاج إليه، وقد لا يرغب فيما يحتاج إليه. فليس كل إعطاء مصلحة، ولا كل حرمان مفسدة. وكم من أم كرّست حياتها، وضاعفت جهدها لرعاية أبنائها بعد فقد أبيهم، وصنعت منهم شخصيات ناجحة مؤثرة.

ثانياً: دور المجتمع: من أجلى مظاهر الإيمان في المجتمع رعاية المحتاجين، وفي طليعتهم الأيتام، فهم أشد حاجة للرعاية والاهتمام. حيث يحتاج الفقير إلى النفقات المادية الحياتية. بينما تمتد حاجات اليتيم لتشمل

الجوانب المادية والعاطفية. والمجتمع الخاضع لمقاييس الدين والإيمان يشعر بالمسؤولية تجاه الأيتام ويتحسس آلامهم، وينسب للإمام عليه السلام قوله:

ما إن تأوّهت من شيء رزئت به كما تأوّهت للأيتام في الصغر

وفي قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾<sup>(١)</sup>، تنديد بالمجتمع المادي الجاهلي المعرض عن القيم والمبادئ الأخلاقية. وقد جعل الله تعالى إهمالهم لليتيم عنواناً لانحرافهم، وأول شيء يذكره من مساوئهم.

ومن أبرز مفردات مسؤولية المجتمع نحو الأيتام ما يلي:

١. توفير الحنان والعاطفة للأيتام، وعدم توجيه الإساءة إليهم حيث يولي الإسلام اهتماماً كبيراً للمشاعر والأحاسيس. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾<sup>(٢)</sup> وإهمال الأيتام دليل على أن المجتمع غير صادق في تدينه قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾<sup>(٣)</sup> أي يهمله. وهذا الفعل يكشف عن قسوة القلب وتبلد العاطفة، بينما قد لا يحتاج اليتيم شيئاً سوى المواساة القلبية، ليعوّض بعض ما فقده، قال الإمام علي عليه السلام: «ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيماً ترحمها إلا كتب الله له بكل شعرة مرت يده عليها حسنة»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام في وصيته الأخيرة قبيل وفاته: «اللَّهُ اللَّهُ فِي الْيَتَامِ، فَلَا تُغْبُوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم»<sup>(٥)</sup> ويشير الإمام عليه السلام بهذا إلى الحاجة المادية «لا تغبوا أفواههم» كما يشير إلى الرعاية الشاملة الكاملة بعدم تضييعهم.

(١) سورة الفجر الآية ١٧.

(٢) سورة الضحى الآية ٩.

(٣) سورة الماعون الآية ١-٢.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٤.

(٥) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة- كتاب ٤٧.

٢. تلبية المتطلبات والاحتياجات المادية التي يحتاجونها. فقد تكون الاحتياجات سكناً ملائماً، أو ثياباً مناسبة، أو طعاماً صحياً، أو ما شابه ذلك. يقول ﷺ: «من عال يتيماً حتى يستغني عنه أو جب الله عز وجل له بذلك الجنة»<sup>(١)</sup>.

وعنه ﷺ أنه قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه: السبابة والوسطى<sup>(٢)</sup>.

٣. توفير الإرشاد والتوجيه الثقافي والسلوكي، ولعله الأمر الأكثر أهمية، وأشد خطورة، فالولد ذكراً كان أو أنثى، بحاجة إلى التوجيه والإرشاد، في حداثة سنه، ومقبل حياته، وخاصة فترة المراهقة، ويفترض أن يقوم الأب بشكل رئيسي بهذا الدور تجاه أولاده، ومع غيابه يخشى على الأولاد من الضياع، وخاصة في هذا العصر، حيث تسود دواعي الإغراء والغواية والانحراف.

فعلى ذوي الأيتام خاصة كإخوانهم وأعمامهم وأخوالهم وسائر أقربائهم أن يتنبهوا لهذا الجانب المهم، فيصرفوا قسطاً من جهدهم واهتمامهم لتوفير التوجيه التربوي والسلوكي لهؤلاء الأيتام.

### الولاية على اليتيم:

عند فقد الأب تكون الولاية على اليتيم منحصرة في جده لأبيه، وإذا لم يكن الجد موجوداً، فإن الولاية تكون للقيم من أحدهما، وهو الذي أوصى أحدهما بأن يكون ناظراً في أمر الصغار من أولاده، ومع فقد الوصي تكون

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٤.

(٢) البخاري: محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري حديث رقم ٦٠٠٥.

الولاية والنظر في شأن اليتيم للحاكم الشرعي، يتولاها بنفسه أو يعين أحداً  
ولياً على اليتيم.

أما الأم والجد للام والأخ، فضلاً عن الأعمام والأخوال، فلا ولاية لهم  
على اليتيم، ما لم يكن هناك وصية لأحدهم بذلك، من قبل الأب أو الجد  
للأب، أو تعيين من قبل الحاكم الشرعي.

وحينما يكون على اليتيم ولي بعد أبيه وجده، فإن تصرفاته في شؤون  
اليتيم يشترط فيها لكي تكون نافذة شرعاً، أن تستهدف مصلحة اليتيم، أما إذا  
كان هناك ضرر على اليتيم، أو عدم مصلحة له، في أي تصرف من قبل الولي،  
فلا يكون نافذاً شرعاً.

ويلزم على ولي اليتيم «أن يصونه عما يفسد أخلاقه فضلاً عما يضر  
بعقائده»<sup>(١)</sup>.

### أموال اليتيم:

تحدث القرآن الكريم في آيات عديدة مؤكداً على حماية أموال اليتيم  
وحفظها وعدم التفريط فيها، وكما سبق فإن الولاية على أموال اليتيم بعد الأب  
والجد، تكون للوصي المكلف بذلك من قبل أحدهما، فإن لم يكن هناك  
وصي، فالولاية للحاكم الشرعي. هذا في فقه أهل البيت عليهم السلام، أما في المذهب  
الحنفي فالولاية على أموال الصغير تكون للأب، ثم وصيه بعد موته، ثم وصي  
وصيه، ثم جده (أبي أبيه)، ثم وصي جده، ثم وصي وصيه، ثم الوالي، ثم  
القاضي أو وصي القاضي. وعند المالكية والحنابلة: الولاية بعد الأب لوصيه،  
ثم للحاكم، ولا تثبت الولاية المالية للجد والأخ العم إلا بإيضاء الأب. وقال

(١) السيستاني: السيد علي، منهاج الصالحين - المعاملات، مسألة ١٠٧٨.

الشافعية: إن الولاية بعد الأب للجد، ثم وصي من تأخر موته من الأب أو الجد، ثم القاضي أو نائبه. ولا ولاية لسائر العصابات كالأخ والعم، كما لا ولاية للأم<sup>(١)</sup>.

ولكون اليتيم صغيراً ضعيفاً فإن ذلك قد يغري بعض المتولين على أمواله من ضعف النفوس والإيمان بإساءة التصرف فيها، لذلك يوجه القرآن الكريم الخطاب إلى هؤلاء الأولياء، محذراً لهم من هذا التعدي الخطير.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿وَأْتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن المسؤولين والعاملين في لجان كافل اليتيم، مخاطبون بهذه الآيات الكريمة ومطالبون بالحفاظ على ما يردهم من أموال مخصصة للأيتام، وأن يهتموا بالدقة والاحتياط في صرفها لما فيه خير الأيتام ومصالحتهم.

(١) الزحيلي: الدكتور وهبة، الفقه الاسلامي وادلته ج ٥ ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) سورة النساء الآية ١٠.

(٣) سورة الانعام الآية ١٥٢.

(٤) سورة النساء الآية ٢.

## لجان كافل اليتيم:

يمكن لكل فرد أن يقوم بواجبه تجاه يتيم واحد أو تجاه بعض الأيتام ويثاب على عمله. ولكن تشكيل المؤسسات، وتنظيم اللجان والهيئات، التي تعمل على تلبية حاجات الأيتام، وتوفير الخدمات المناسبة لهم، يساعد على ضم الجهود إلى بعضها، مما يؤدي إلى زيادة كفاءة العمل، وتحقيق الأهداف بشكل أفضل. ولهذا العمل قيمة معنوية كبيرة في حل مشاكل الأيتام.

إن وجود لجنة تهتم بالأيتام، يعني وجود جهة توجه الأفراد والتجمعات نحو هذه الفئة، وتحث مختلف الشرائح على دعمها. وقد رأينا أن لجان كافل اليتيم في منطقتنا استطاعت أن تطور وتنوع الخدمات التي تقدم للأيتام. فمعظم هذه اللجان تقدم مساعدات مالية شهرية، وأخرى طارئة، فضلاً عن الإعانات الصيفية والشتوية. وتقوم بصيانة المساكن وغير ذلك.

كما أن وجود لجنة لكفالة الأيتام هو طمأنة للأيتام. فهم يشعرون أن ثمت جهة ومؤسسة ترعاهم، وتتابع شؤونهم، وهذا في حد ذاته مواساة معنوية كبيرة.

بالطبع فإن الجهود تتطور وتتكامل إذا انضمت إلى بعضها. ووجود لجنة يعني ضم كافة الطاقات والكفاءات التي يمكن أن تسهم في إنجاح هذا المشروع، مما يعني إدخال عنصر التخطيط والمشورة وهذا إرساء لأسلوب مهم في العمل.

## تقدير وتذكير:

في الوقت الذي نعرب فيه عن تقديرنا للدور الكبير الذي تقوم به لجان

كافل اليتيم، حيث ملئت فراغاً هاماً، وتحملت عن المجتمع مسؤولية عظيمة، فإننا نذكر هذه اللجان بضرورة مضاعفة الجهد، وتطوير النشاط، خاصة فيما يرتبط برفع كفاءة الأيتام، وتقديمهم على صعيد التعليم وبناء القدرات والمهارات، بمتابعة مسيرتهم الدراسية، وتشجيعهم على التميز والتفوق، ومساعدتهم في تحصيل فرص الدراسات الجامعية والعليا.

ومن ناحية أخرى الاهتمام بإحاطتهم بأجواء الرعاية التربوية، والتوجيه السلوكي، بوضع خطط وبرامج للتوعية والإرشاد، وملاحظة ما قد يطرأ على حياتهم وسلوكهم من نواقص وثغرات، من أجل المعالجة والإصلاح.

ونأمل أن يتفاعل المجتمع أكثر مع هذه اللجان (كافل اليتيم) بدعمها مالياً، وبرفدها بالعناصر المخلصة الكفوءة، والاقتراحات المفيدة البناءة، لتقوم بواجبها على خير وجه.

لجان كافل اليتيم في محافظة القطيف

أم الحمام	الجش	سيهات	تاروت	القيح	العوامية	صفوى	القطيف	المنطقة
١٧٠	٦٠	٣٨٤	٢٤٢	١٢٧	٣٣٤	١٦٢	٦٠٩	عدد الأيام الذين ترعاهم اللجنة
١٤١٦هـ	١٤١٦هـ	١٤١٦هـ	١٤١٥هـ	١٤١٤هـ	١٤١٤هـ	١٤١٣هـ	١٤١١هـ	سنة التأسيس
٥٦٣,٣٤٠	٩٠,٠٠٠	٩٠١,٤٦٥	٦٤٣,٣٢٠	٤٦٣,٧٢٦	٥٢٠,٠٠٠	٧٤١,٠٠٠	١,٨٠٠,٠٠٠	الواردات (حسب آخر تقرير)
٣٣٧,٩٣٦	٦٠,٠٠٠	٧١٤,٥٠٨	٤١٧,٩٢٨	٤٥٧,٣٣٠	٦١٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠	١,٩٠٠,٠٠٠	المصروفات (حسب آخر تقرير)



**صور من حياة الإمام الجواد عليه السلام**  
كلمة الجمعة بتاريخ ٧ ذو الحجة ١٤٢١ هـ



ما أحوج الأمة الإسلامية وهي تعيش معركة الحفاظ على هويتها، والالتزام بقيمها الأخلاقية، إلى استذكار سير الأئمة الطاهرين عليهم السلام. لأن ذلك يؤكد في نفوس أبناء الأمة ثقتهم بدينهم ويصون هويتهم، في ظل العولمة الثقافية التي تريد إلغاء هويات الأمم، وتدويب ثقافاتنا في بوتقة الثقافة الغربية المادية، ونحن في أمس الحاجة إلى إبراز حياة القدوات والرموز المبدئية، حتى ينشد إليها أبناء هذا الجيل من الأمة. وليس إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام إلا تلبية لهذه الحاجة الملحة.

### عطاء زاخر في عمر قصير:

ولد الإمام محمد الجواد بن علي الرضا سنة ١٩٥ هـ وهو الإمام التاسع من أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام. ويكنى: أبا جعفر الثاني تمييزاً له عن جده (أبي جعفر) الإمام محمد الباقر عليه السلام. واستشهد سنة ٢٢٠ هـ فهو أقصر الأئمة عمراً إذ لم يتجاوز خمساً وعشرين سنة. وبالرغم من أنه عاش فترة قصيرة إلا أنها كانت زاخرة بالعطاء والفضل. ولا يقاس قدر الإنسان، ولا تُعرف قيمته بسنه، ولا بمقدار عمره، بل بكفاءته وعطائه وإنجازاته، يقول الشاعر:

هي الحياة انتقالات مفاجئة لا الطول مقياسها الأسمى ولا القصر  
تخلد المرء وقفات وترفعه إلى ذرى المجد ساعات هي العمر

والإمام الجواد عليه السلام برغم قصر عمره، يأتي في طليعة العظماء، الذين

خلدهم التاريخ بقيمهم، وبعطائهم للمجتمع الإنساني.

### إمامته:

تحمل الإمام أعباء الإمامة ومسؤولياتها منذ صغره، بعد استشهاد أبيه الإمام علي الرضا عليه السلام سنة ٢٠٣ هـ. حيث كان عمره ٨ سنوات، وقد نص عليه أبوه الإمام الرضا عليه السلام بالإمامة. وكما هو معتقد الشيعة في الإمامة أنها تكون بالنص والتعيين، ينص الإمام السابق على الإمام الذي يليه. وقد يكون أمر إمامة الجواد عليه السلام في هذا العمر مثيراً للتساؤل، إذ كيف يعقل أن يصبح غلام في الثامنة من عمره إماماً ومرجعاً للأمة في دينها ودنياها؟ وهناك الإمام علي الهادي عليه السلام والإمام محمد المهدي المنتظر عليه السلام من أئمة أهل البيت ممن تحملوا أعباء الإمامة في صغر سنهم، فكيف يمكن هذا الأمر؟

ويرتفع هذا التساؤل بمعرفة أن مؤهلات الإمامة ليست كسبية. وأن علم الأئمة ثابت لهم بالوصاية والاستيداع والإلهام من الله، لا بكسب وتعلم من الناس وشد الرحال إلى الحلقات العلمية، وإذا كان الله جل شأنه هو المعطي والملهم بالطريقة الغيبية الإعجازية، فلا مجال للشك والتساؤل. أما إذا كان السؤال حول انطباق هذا المفهوم على الإمام أي هل أن الله عينه واختاره إماماً أم لا؟ فهذا بحث مستقل وللشيعة أدلتهم وبراهينهم على النص والتعيين كشرط للإمامة وعلى تحديد أشخاص الأئمة، عن طريق النقل الثابت لديهم، ومما يؤيد ذلك الكفاءة الظاهرة للناس.

والقرآن الكريم يحدثنا عن النبي عيسى عليه السلام، الذي أعطاه الله النبوة وهو رضيع في المهد، وفي عقيدتنا أن الإمامة امتداد للنبوة، وهي لا تكون إلا بالتعيين من قبل الله، وليست شأنًا يتحكم به البشر. حتى تكون مؤهلاتها كسبية

أو مأخوذة عن طريق التحصيل. وتبدو قصة النبي عيسى ﷺ جلية للجميع. يقول تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup> وهذا ما يؤمن به جميع المسلمين. فقد عجب بنو إسرائيل من أمر ولادته ومجيئه من غير أب، ولما كانت ولادته بالإعجاز فقد كان الجواب عن سؤالهم بالإعجاز أيضاً، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ لأنها كانت صائمة عن الكلام بأمر الله تعالى ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> فازداد تعجبهم، فكيف يكلمون طفلاً رضيعاً لم يمض على ولادته إلا أيام قليلة؟ وكيف يستفسرون منه عن أمر ولادته الغريبة؟ وإذا به يبادرهم بالجواب ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> ويحدثنا القرآن عن يحيى بن زكريا ﷺ، يقول تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾<sup>(٤)</sup> والصبي يطلق على من هو دون البلوغ، ونحن لا نشك في قدرة الله وإرادته. وكذلك لم يكن علم النبي الأعظم ﷺ كسبياً تحصيلياً فقد كان أمياً، لا يقرأ ولا يكتب ولم يأخذ علماً من أحد قط. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، ويقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾<sup>(٦)</sup>.

فإذا ثبت أن الإمامة تكون بالنص والتعيين، وأن مؤهلاتها ليست كسبية أو تحصيلية، وإذا ثبت النص على الإمام الجواد ﷺ وهذا ما نعتقده، فليس هناك

(١) سورة مريم الآية ٢٩-٣٠.

(٢) سورة مريم الآية ٢٦.

(٣) سورة مريم الآية ٣٠.

(٤) سورة مريم الآية ١٢.

(٥) سورة العنكبوت الآية ٤٨.

(٦) سورة الشورى الآية ٥٢.

مجال للشك في إمامته لكونه صغيراً في السن.

### التفوق العلمي:

لم تصلنا من أخبار علوم الإمام الجواد إلا شذرات قليلة، أودعت في بعض كتب التاريخ، ومرد ذلك هو الاضطهاد الذي مارسه العباسيون بحق أهل البيت، والتنكيل بهم، والتضييق عليهم، وعلى من يلوذ بهم. وقد أثار معاصروه من العلماء وحاشية السلطة شكوكاً في أهليته لمنصب الإمامة، فكيف يدعي الإمامة وهو لا يزال في الثامنة من العمر؟ وكيف يدعي بعض الناس ممن حوله الإمامة له وفي الأمة كثير من العلماء والقضاة وأعيان البلاد؟ وبهذا أصبح عرضة للتحدي والسؤال. وبالفعل فقد تعرض للامتحان، وزاد في شدة الأمر سخط مراكز السلطة على أهل البيت عليهم السلام، لأنهم ينافسونهم على مقام القيادة. ولم يكن بروز الجواد عليه السلام مرضياً للعباسيين والقضاة الملتفين حولهم.

ويذكر التاريخ أن العباسيين عقدوا مجلساً بمحضر الخليفة المأمون لامتحان معرفة الإمام الجواد وعلمه، وجاءوا بقاضي القضاة يومئذ وهو (يحيى بن أكثم) ليتمحنه بمسألة عويصة، فطرح عليه السؤال التالي: ما تقول في محرم قتل صيداً؟ فقال الإمام عليه السلام: «قتله في حل أو حرم؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟ قتله عمدًا أو خطأ؟ حراً كان المحرم أم عبداً؟ صغيراً كان أم كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم من كباره؟ مصرأً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً بالعمرة إذ قتله أو بالحج؟» فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع. ثم طلب المأمون من الإمام أن يذكر تفصيل الجواب على التفريعات التي ذكرها للمسألة، فقال أبو جعفر عليه السلام: «نعم، إن المحرم إذا

قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن كان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظيباً فعليه شاة، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه للعمرة نحره بمكة. وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة» .

فقال له المأمون: أحسنت - أبا جعفر - أحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: «أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، ما حال هذه المرأة وبم حلت له وحرمت عليه؟» .

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول

النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان الظهر اعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كَفَّرَ عن الظهر فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له»<sup>(١)</sup> وقد ذكر المحدث ابن حجر الهيثمي المكي المتوفى سنة ٩٧٤ هذه الحادثة في كتابه (الصواعق المحرقة) ونقل بعض ما دار في ذلك المجلس<sup>(٢)</sup>.

وجاء في بحار الأنوار عن علي ابن إبراهيم عن أبيه قال: استأذن علي أبي جعفر قوم من أهل النواحي، فأذن لهم، فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة، فأجاب وله عشر سنين.

ويعلق الشيخ المجلسي (رحمه الله) على هذه الرواية بقوله: إن الكلام قد يكون محمولاً على المبالغة في كثرة الأسئلة والأجوبة، أو أن المراد بوحدة المجلس الوحدة النوعية أو مكان واحد كمنى وإن كان في أيام متعددة<sup>(٣)</sup>.

هذه المواقف وأمثالها أثبتت جدارة الإمام الجواد وأهليته لمنصب الإمامة لذلك تجد عالماً فقيهاً من أهل البيت، هو علي بن جعفر الصادق، على كبر سنه، ومكانته العلمية، وكونه عمّاً لأبي الإمام الجواد، ولكنه خضوعاً لما يعرفه من أحقية الجواد مع صغر سنه، يعترف له بالإمامة والفضل، ويبيدي له الاحترام والخضوع.

(١) الشيخ المفيد: محمد بن محمد ابن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ج ٢ ص ٢٨٥ ط ١٤١٣ هـ مؤسسة آل البيت، قم.

(٢) الهيثمي: أحمد بن حجر، الصواعق المحرقة ص ٢٠٤ مكتبة القاهرة.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٩٣.

ورد عن محمد بن الحسن بن عمار قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد - مسجد الرسول صلى الله عليه وآله - فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عم اجلس رحمك الله. فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم، فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه، جعل أصحابه يوبخونه، ويقولون: أنت عمّ أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟ فقال: اسكتوا إذا كان الله عز وجل - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشيبة وأهل هذا الفتى ووضعته حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون<sup>(١)</sup>.

### كرمه وجوده:

لقب الإمام محمد بن علي الرضا بالجواد، لجوده وكرمه وكثرة عطائه، والجواد من الجود، وهو كثرة العطاء والكرم. قال بعض اللغويين إن الجود هو كثرة العطاء من غير سؤال<sup>(٢)</sup>.

وقال الشاعر:

وما الجود من يعطي إذا ما سألته      ولكن من يعطي بغير سؤال

### ومن شواهد جوده التي نقلها التاريخ:

قال أحمد بن حديد خرجت مع جماعة حجاجاً، فقطع علينا الطريق، فلما دخلت المدينة لقيت أبا جعفر في بعض الطريق، فأتيته إلى المنزل، فأخبرته بالذي أصابنا. فأمر لي بكسوة وأعطاني دنانير، وقال فرقها على أصحابك على قدر ما ذهب.

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج ١ ص ٣٢٢.

(٢) العسكري: أبو هلال، الفروق في اللغة ص ١٦٧ دار الآفاق الجديدة - ١٤٠٣.

فقسمتها بينهم فإذا هي على قدر ما ذهب منهم لا أقل ولا أكثر<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام إذ دخل إليه صالح بن محمد بن سلمان الهمداني، وكان يتولّى له، -أي متولياً على بعض أمواله- فقال له: جعلت فداك اجعلني من عشرة آلاف درهم في حلّ فإنني أنفقتها، فقال عليه السلام: أنت في حل<sup>(٢)</sup>.

ونقل الصفدي أنه كان عليه السلام في كل سنة يوزع في المدينة أكثر من ألف ألف درهم<sup>(٣)</sup>. وكان يتفقد الفقراء والمحتاجين من دون أن يسألوه ولذلك سمي بالجواد. ويروى عنه أنه قال: «أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأن لهم أجره وفخره وذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبتدئ فيه بنفسه»<sup>(٤)</sup> فالإنسان أحوج إلى إعطاء الفقير من أخذ الفقير منه. وهذه الرؤية قمة في المبادئ والقيم. وقد لا يدرك الإنسان غير المتأمل حقيقة الأجر وعظم شأنه في الآخرة، لأنه يعيش اللحظة الحاضرة ويستغرق في مطالب الدنيا وقد عبر الله عن ذلك فقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

### هدي وإرشاد:

من أفضل ما نستفيد منه من الاحتفاء بذكرى الإمام الجواد عليه السلام الاقتباس من هديه وإرشاده، فكلماته التوجيهية، ونصائحه الرسالية، تمثل نوراً يضيء

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٥.

(٣) دخيل: علي محمد علي، الإمام محمد الجواد ص ١٧ مطبعة الآداب - النجف ١٣٨٧.

(٤) المصدر السابق ص ٣٦.

(٥) سورة الروم الآية ٧.

للإنسان طريق الحياة.

فمن توجيهاته الرائعة ﷺ قوله:

١. «لا تكن ولياً لله تعالى في العلانية وعدواً له في السر»<sup>(١)</sup>.

إنه تحذير لمن يتظاهر أمام الناس بتقوى الله، والتزام أوامره، لكنه بعيداً عن أعين الناس يتجرأ على معاصي الله.

٢. قال ﷺ: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»<sup>(٢)</sup>.

وهو توجيه إلى المعرفة، وتذكير بمحورية العلم في حركة الإنسان.

٣. قال ﷺ: «من أطاع هواه أعطى عدوه مناه»<sup>(٣)</sup>.

فالعدو الرئيسي للإنسان في هذه الحياة هو الشيطان الرجيم، الذي يصفه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾<sup>(٤)</sup> وإذا ما أطاع الإنسان شهواته فإنه يحقق هدف الشيطان ومنه تجاهه.

وحتى في الصراعات والعداوات التي تحصل بين أبناء البشر، على الإنسان أن يتصرف تجاه أعدائه بتفكير وتعقل، أما إذا تصرف بوحى من عاطفته وانفعاله فقد يخدم أهداف عدوه، من حيث لا يريد.

٤. قال ﷺ: «من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة»<sup>(٥)</sup>.

فلا شيء أثمن من الصديق المبدئي، الذي ترتبط به في ظل القيم الدينية، إنه يساعدك على نيل رحمة الله ورضوانه.

(١) دخيل: علي محمد علي، الإمام محمد الجواد ص ٢١ مطبعة الآداب- النجف ١٣٨٧.

(٢) المصدر السابق ص ٣٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة البقرة الآية ١٦٨.

(٥) دخيل: علي محمد علي، الإمام محمد الجواد ص ٣٥ مطبعة الآداب- النجف ١٣٨٧.

٥. قال ﷺ: «ثلاث يبلغن العبد رضوان الله تعالى: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة»<sup>(١)</sup>.

إن كثرة الاستغفار تعني مراجعة الإنسان الدائمة لأخطائه وثراته ونقاط ضعفه، وعزمه على تداركها وتلافيها. أما لين الجانب فيعني حسن علاقته مع الناس، والصدقة تعني الاهتمام بمناطق الضعف في المجتمع والشعور بالمسؤولية تجاه المحتاجين.

٦. قال ﷺ: «ما هدم الدين مثل البدع»<sup>(٢)</sup>.

فإضافة شيء إلى الدين، ونسبة ما ليس منه إليه يعتبر نفساً لحقيقة الدين وهي كونه وحي من قبل الله تعالى، وليس من وضع البشر.

٧. قال ﷺ: «عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه»<sup>(٣)</sup>.

فالمعتقدات والعبادات على أهميتها إلا أن ثمرتها المطلوبة هي الأخلاق الطيبة، فإذا لم تتوفر في شخصية الإنسان، فذلك يعني ضعف العقيدة، وسطحية العبادة.

٨. قال ﷺ: «من سلامة الإنسان قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بإصلاح عيوب نفسه»<sup>(٤)</sup>.

هذا هو النهج السليم للإنسان الواعي، أن يهتم بمعالجة نقاط ضعفه، وأن لا يتتبع عثرات الآخرين.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص ٣٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

کتابات



## تقديم لديوان (الغروب)<sup>(١)</sup>

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه الطيبين.

لكل إنسان في هذه الحياة مشاعره وآراؤه. والغالبية العظمى من الناس تبقى  
مشاعرهم وآراؤهم سجينه محبوسة في صدورهم وعقولهم. والقليل النادر هو  
من يعرب عما يجيش في نفسه من مشاعر ويدور في فكره من آراء.

والجهر بالرأي وإعلان المشاعر والأحاسيس أمر مفيد ومهم للإنسان كفرد  
وكمجتمع، حيث أن التعبير عن الرأي والشعور يوفر للإنسان حيوية إنتاج الرأي  
ونمو المشاعر. وهذا أمر ملحوظ فيمن يبدى آراءه تتجدد لديه الأفكار بينما  
تكون الحركة الفكرية بطيئة ضعيفة عند من يعاني من الكبت والانغلاق.

وحيثما يعبر الإنسان عن آرائه ومشاعره يتعمق عنده الإحساس بالكرامة  
وتزداد ثقته في نفسه لأنه يمارس شأنًا من شؤون إنسانيته المتميزة. أما على صعيد  
المجتمع فإن طرح الآراء والأفكار ينتج تداول المعرفة وتدويرها، ويساعد على  
بلورة الأفكار وتنضيجها. وبهذا تمتاز المجتمعات المتقدمة.

والسؤال الآن هو لماذا يكون الإعراب عن الرأي والشعور حالة نادرة وقليلة  
في أبناء المجتمع؟ والجواب أن ذلك يرتبط بالأمر التالية:

---

(١) ديوان (الغروب) للشاعر الأديب عبدالله جعفر آل إبراهيم.

أولاً: نمو المواهب والقدرات المساعدة على التعبير عن الرأي كموهبة الخطابة والكتابة والأدب.

ثانياً: الثقة بالنفس فكثيرون من الناس لا يجدون في أنفسهم شأنية طرح الرأي، بل قد تجد بعض ذوي المواهب والكفاءات يكتبون آراءهم ويجمدون كفاءاتهم لضعف ثقتهم بأنفسهم.

ثالثاً: توفر الأجواء المناسبة والمشجعة، فبعض الظروف الاجتماعية تكبت طاقات الإنسان وتجمد قدراته حينما يتعذر عليه التعبير عن آرائه ومشاعره. وإذا ما رأينا في المجتمع من يبدى آراءه ويظهر مشاعره للرأي العام فذلك يعنى تجاوزه لتلك الأمور السابقة بامتلاكه الثقة بنفسه، وتسلحه بالموهبة والكفاءة، وشجاعته في تحدي الظروف المثبطة.

من هنا يأتي إعجابي وتقديري لشخصية الأخ العزيز الفاضل أبى فؤاد حفظه الله والذي أرى فيه مثالا للطيب والنبيل والخلق الكريم. فقد حباه الله تعالى موهبة أدبية نماها وطورها بإخلاصه واجتهاده، وسخر تلك الموهبة لخدمة قضايا المجتمع، حيث يشارك في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية بجرأة وإقدام. وهو اليوم يقدم للمجتمع باقة عطرة من إنتاجه الأدبي تفيض سطورها بالولاء للعقيدة والمحبة للناس فجزاه الله خير الجزاء ووفقه للمزيد من العطاء والإنتاج وكثر في المجتمع من أمثاله.

حسن الصفار

٥ شعبان ١٤١٥هـ - القطيف

## تقديم كتاب

### (الشرف الرفيع في الصلاة على الشفيح)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الأمين محمد وآله الطاهرين  
إن من أجل وأهم نعم الله تعالى على الإنسان المؤمن أن يرزقه ولدًا صالحاً  
يكون قرة عين له في حياته واستمراراً لعمله الصالح وذكره الطيب بعد وفاته  
لذلك ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «من سعادة الرجل الولد الصالح»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في حديث آخر عنه ﷺ: «الولد الصالح ريحانة من ريحان الجنة»<sup>(٣)</sup>.

كما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: «ميراث الله من عبده  
المؤمن الولد الصالح يستغفر له»<sup>(٤)</sup>.

ومن يحظى بهذه النعمة يعيش السرور والارتياح في أعماق نفسه، ويكون  
محاطاً بالاحترام والتقدير في حياته الاجتماعية، إضافة إلى الرصيد الكبير من  
الحسنات والأجر بثواب الله ورضوانه.

(١) كتاب (الشرف الرفيع في الصلاة على الشفيح) للحاج عبدالقادر علي أبو المكارم.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الانوار، ج ١٠٤ ص ٩٨ ح ٦٧.

(٣) النوري: الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، ج ٢ باب ٢ ص ٦١٥ ح ١.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن، الوسائل، ج ١٥ ص ٩٨ ح ٦.

وقد حبا الله الأخ العزيز والصديق القديم الكريم الحاج عبد القادر نجل  
المرحوم الحجة الشيخ علي أبو المكارم بهذه النعمة الكبيرة فله الحمد والشكر  
حيث أقر عينه بأولاد صالحين يتبارون في ميادين الأدب ويتسابقون في ساحة  
الخير والمجد أبقاه الله تعالى لهم وحفظهم له عوناً وذخراً.

إن إخلاص أبي عدنان وطيب قلبه من جهة، وحسن تربيته من جهة أخرى  
أنتجا هذه الثمرة الطيبة.

ومن أساليب أبي عدنان في حسن التربية والأدب إشراكه لأبنائه في  
اهتماماته المعرفية والاجتماعية، وقد كنت ألاحظ منه هذا التوجه الجميل من  
بداية معرفتي به وعلاقتي الإيمانية معه فهو يصطحب أبناءه في زيارته وخاصة  
للعلماء والخطباء والأدباء، ويوثق علاقة أبناءه بمعارفه وأصدقائه، ويحرص على  
حضور أبناءه عندما يزوره أي شخص له مكانة عنده، ويتداول مع أبناءه الآراء  
والأخبار والانطباعات في المجال الديني والاجتماعي.

كما زرع في نفوس أبناءه حب الكتاب ومن وقت مبكر في حياتهم حيث كان  
حريصاً على اقتناء الكتب الإسلامية والأدبية مع شحنتها وقلة توفرها في الفترات  
الماضية ومع محدودية إمكانياته المادية، فنشأ أبناؤه في رحاب الكتب والمعرفة،  
يساعدون أباهم في تنظيم مكتبته وفهرستها، ويشاطرونه مطالعتها وقراءتها.

وفي خطوة لاحقة وحينما اهتم أبو عدنان بالكتابة والتأليف أشرك أبناءه معه  
في هذا الاهتمام، في تبيض مسودات كتاباته وتنضيدتها بالآلة الكاتبة والكمبيوتر  
والبحث عن المصادر المناسبة والمساعدة في جمع المادة الأدبية المطلوبة كما  
هو الحال في مشروعه الأدبي الكبير حول المدائح النبوية والذي أنجز منه أكثر  
من عشرة مجلدات.

هذه الأجواء التربوية الثقافية ومع روح الإخلاص وسلامة النية والقلب

أثمرت لأبي عدنان هذه الثمار الطيبة وسُعد بأولاد صالحين مؤدبين تفجرت مواهبهم الأدبية وكفاءاتهم الثقافية، زادهم الله صلاحاً وتوفيقاً وكثّر في أبناء المجتمع أمثالهم.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم يشكل نموذجاً لطريقة أبي عدنان في التعامل مع أبنائه ونتاجاً لتربيته الصالحة حيث اشترك الوالد مع ولده في إعداد وتأليف هذا الكتاب الممتع المفيد المختص بالصلاة على نبي هذه الأمة وشفيعها الحبيب المصطفى محمد ﷺ.

والكتاب كنز من كنوز الولاء ونبع من ينابيع المودة فيه إحاطة جيدة للموضوع واستقصاء شامل لأطرافه، وكل صفحة من صفحاته تفتح بالمحبة والتقدير، وتؤكد الارتباط والانشداد بين الإنسان المسلم ونبيه المنقذ الأعظم ﷺ.

أبارك لأبي عدنان ولولده أديب إنتاجهما الجديد الرائع وأسأل الله لهما المزيد من الأجر والثواب، والاستمرار في العطاء وخدمة المبدأ والفكر، وأرجو أن ينفع الله بكتابهما ويكتبه في دفتر حسناتهما. وأن يجعلنا الله جميعاً من المشمولين ببركات الصلاة على النبي وآله والفائزين بشفاعتهم يوم القيامة أنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين. والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

١٤/١٢/١٤١٩هـ



## العنوسة: المشكلة والحل<sup>(١)</sup>

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ واله الطيبين الطاهرين.

خلق الله تعالى الإنسان من شقين، شق يطلق عليه الذكر، والشق الآخر يطلق عليه الأنثى. وأوجد عند كل من الشقين اندفاعاً باتجاه الآخر، وجعل الحياة قائمة على الالتقاء بين هذين الشقين، وتكاملهما معاً فلا يستطيع أحد الشقين أن يمارس حياته بسعادة وهناء، وأن يؤدي وظيفته التي كلف بها في هذه الحياة - وظيفة الخلافة في الأرض، وإعمار الكون، وتسخير ثروات الطبيعة - لا يستطيع القيام بهذه الوظيفة وحده، إنما لابد من مشاركة الشق الآخر. ولذلك ومنذ اليوم الأول خلق الله تعالى آدم ﷺ وخلق إلى جانبه حواء، وحينما أسكنه الجنة، أسكنه مع زوجته ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(٢)</sup> وحينما أنزله إلى الأرض أنزله مع حواء أيضاً. لأن بناء الحياة لا يتم ولا يستقيم إلا بتلاقي الشقين وتكاملهما معاً. ولكن كيف يتلاقى هذان الشقان (الذكر مع الأنثى)؟ بالطبع لابد وأن يكون هذا اللقاء - الذي سوف تترتب عليه مهام ووظائف وأدوار - مقنناً ومنظماً.

(١) محاضرة أقيمت في «حلة محيش» بتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٤٢٠ هـ.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٥.

يقال إن البشرية في عهدٍ سحيقة كانت تعيش حالة من الشيع في مختلف جوانب الحياة، ومنها الجانب الجنسي، كان كل رجلٍ مشاعاً لكل النساء، وكانت كل امرأة مشاعةً لكل الرجال ولكن كيف كانت هذه الحياة ومتى كانت؟

نحن نعتقد أن الحياة البشرية كانت وفق الفطرة، وفق التوجيه الإلهي، بداية الحياة البشرية كانت بأبينا آدم ﷺ وأمنا حواء، واستمر الهدي الآلهي والوحي السماوي على المجتمعات البشرية، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾<sup>(١)</sup>.

على العموم، حتى لو صححت هذه الفرضية، لكنها كانت حالة بدائية، والبشرية قد تجاوزتها، وأصبحت حالة التلاقي بين الرجل و المرأة قائمة على أسس، وقائمة على تنظيم. لكن هذا التنظيم يختلف من مجتمع إلى آخر، ومن ديانة إلى أخرى. لكن الشيء الأكيد أن عملية التلاقي بين الرجل والمرأة، والمشاركة في بناء حياة مشتركة ما كان يتم اعتباطاً، ولا كان يتم بشكل عفوي، وإنما كان يتم على اساس قوانين وأنظمة أو أعراف وتقاليد، أو احكام وتشريعات، يؤمن بها المجتمع في أي عصر من العصور.

لذا قضية الزواج والنكاح ليست خاصة بمجتمع دون آخر. كل المجتمعات البشرية متدينة كانت أم غير متدينة، دينها سماوي أو وضعي، بالتالي لا بد من وجود قانون ما ينظم حالة التلاقي، وحالة المشاركة بين الرجل والمرأة، في بناء هذه الحياة الإنسانية.

### الدين الإسلامي والزواج:

حث الإسلام كثيرا على الزواج، وشجع على بناء الأسرة والعائلة، من جملة الآيات القرآنية في هذا المجال قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ

(١) سورة الرعد، آية ٧.

مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿١﴾.

لماذا يتزوج الإنسان؟ ولماذا يبني له عائلة رجلاً كان أو امرأة؟ بالطبع هناك دافع غريزي، وهذا يشبه سؤالنا لماذا يأكل الإنسان، ولماذا يشرب الإنسان، ولماذا يتنفس الإنسان، كما أن هذه الأمور حاجات بيولوجية عند الإنسان، لا يستغني عنها، ويندفع إليها بشكل تلقائي، فإن الزواج - أيضاً - هو الآخر يعبر عن حاجة طبيعية في جسد الإنسان.

الزواج - الذي من خلاله تتكون العائلة - له آثار كبيرة، على الإنسان مجتمعاً، من أهمها:

١. الزواج تلبية لغريزة أساسية في الانسان - رجلا وامرأة - هي الغريزة الجنسية.

٢. الزواج اطمئنان واستقرار نفسي. فالانسان في هذه الحياة يواجه مشاكل وصعوبات، فهو بحاجة إلى شريك له في الحياة، يفضي اليه بهومومه والامه و اماله. يشاركه السير في دروب هذه الحياة الوعرة والشاقة والصعبة - في كثير من الأحيان. في الزواج اقتران رجل بامرأة، واقتران امرأة برجل، هو يعني اختيار شريك للإنسان، حتى يرافقه في درب الحياة. حتى يساعده في مواجهة مشاكل ومتاعب الحياة، وعلى القيام بوظائف الحياة. ولذلك القرآن الحكيم يعبر عن هذه الحالة: ﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾<sup>(٢)</sup> فالرجل سكن للمرأة كما ان المرأة سكن للرجل، إذ تسكن وتطمئن نفس كل منهما للآخر، اذا فالزواج يوفر الاستقرار النفسي والاطمئنان الروحي.

٣. الزواج طريق استمرار النسل البشري.

(١) سورة النور، آية ٣٢.

(٢) سورة الروم، آية ٢١.

٤. الزواج دافعٌ لعمارة الكون. لأن الانسان حينما يتزوج يشعر بالمسؤولية، هذا الشعور يدفعه للعمل، ويدفعه للإنتاج. الانسان اذا لم تكن له زوجة، اذا لم تكن لديه عائلة، ليس لديه دافعٌ كبيرٌ للعمل والإنتاج، لأنه لا يشعر بأعباء الحياة. فهو كفرد أقل شيء يمكن أن يوفر له احتياجات حياته، ولكن حينما يتزوج الشاب وتصبح عليه مسؤولية الزوجة، ومسؤولية العائلة والأولاد، فإن هذا يدفعه للعمل والكدح. بل نحن نجد أن الانسان من بداية وعيه وحينما يصبح شاباً ويبدأ يعي الحياة فإنه يكدح ويعمل من أجل أن يكون الحياة العائلية. ومن هنا نفهم معنى بعض الروايات التي تعتبر الزوج سبباً للبركة والغنى، يقول تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وفي الرواية: «إن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فشكى له الفقر، فقال له: تزوج»، وبالفعل عبر الزواج وسع الله عليه. المسألة ليست حالة غيبية فقط، وإنما الزواج يدفع الشاب للإنتاج، والعمل والكدح.

٥. في الحالة الاجتماعية وفي الأعراف الاجتماعية أصبح الزواج ناحية مكملة لشخصية الإنسان، رجلاً أو امرأة، بمعنى أن الشاب قبل أن يتزوج يشعر أن شخصيته لم تكتمل بعد، والمجتمعات أيضاً يتعامل معه على أساس أن شخصيته لم تكتمل بعد. ولذلك إذا قرأنا تاريخ الحضارات والأمم السابقة نجد أن الكثير من الأمم والمجتمعات كانت لها تشريعات وأعراف وتقاليد تؤيد قدسية ومكانة الزواج في المجتمعات. ينقلون عن المجتمع الصيني القديم أنهم كانوا يعتبرون الزواج مكملاً لشخصية الانسان، حتى أنهم في كل سنة وفي مواسم معينة عندهم طقوس وعادات لعقد الزواج بين أرواح الميتين من الرجال - بدون زواج - والميتات من النساء - بدون زواج - فترتاح العائلة لأن روح المرحوم لم تبق بدون

زوجة، وكذلك روح المرحومة لم تبق بدون زوج. وينقلون - أيضاً - أنه في دولة اسباطا القديمة كانوا يعتبرون عدم الزواج (العزوبة) - بعد بلوغ السن القانوني - نوعاً من الجريمة. وينقلون عن مجتمع فارس القديم - أيضاً - أنهم سنوا قانوناً للزواج الإجمالي، في كل سنة تجمع الدولة الشباب والشابات الذين بلغوا سن الزواج ولم يتزوجوا بعد، وتجبرهم على الزواج، إما هم يختارون لأنفسهم أزواجاً أو يكون هذا الأمر عبر لجان معينة، ومخصصة لذلك، وهذه المسألة تشبه تماماً عملية التجنيد الإجمالي عند بعض الدول. إذن كل ذلك يبين أن المجتمعات البشرية فطرياً وعرفياً واجتماعياً تعتبر الزواج مكماً لشخصية الإنسان، رجلاً أو امرأة. والتشريعات الإسلامية تعترّ هذه الحالة وهذه المشاعر، هناك زوايات كثيرة تبين أن الإنسان المتزوج أفضل من الإنسان العازب، «شرار كم عزابكم»، «شرار موتاكم العزاب»، «ركعتان يصليهما المتزوج خيرٌ من سبعين ركعة يصليها الأعزب». هذه النصوص كلها تؤكد أن الزواج مكمل لشخصية الإنسان، ومنضج لشخصيته. وهذا يفهم بشكلٍ طبيعي لأن الإنسان حينما يتزوج تكون غرائزه وشهوته قد صبت في القنوات الطبيعية، بينما إذا لم يكن متزوجاً من المحتمل أن يسلك بغرائزه وشهوته طريقاً منحرفاً. فالزواج استقرارٌ نفسي، و الإنسان إذا لم يتزوج فإنه لن يكون لديه ذلك الاستقرار. والزواج دافع للعمل والإنتاج لأن الشاب الأعزب لا يملك تلك الدافعية نحو العمل والإنتاج.

### الزواج مسؤولية من؟

حينما نتأمل الآيات القرآنية التي تتحدث عن الزواج، نجد أنها لا تخاطب الشباب أن يتزوجوا، ولا تخاطب البنات أن يتزوجن، رغم أن الزواج في الأصل

يتم بين الرجل والمرأة، وإنما تخاطب المجتمع بهذه المهمة، يقول تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(١)</sup> وكان الآية تقول: أيها الناس زوجوا الأيامي منكم. وهذا معنى هام جداً: أن المجتمع معني بتزويج أبنائه وبناته.

الأيامي: جمع أيم، وهي المرأة التي تبلغ سن الزواج ولم تتزوج.

وفي الآية التفاتة مهمة جداً: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ سابقاً كان هناك عبيد وإماء، والآية هنا تؤكد مسؤولية المجتمع تجاه تزويج العبيد والإماء فضلاً عن الأحرار. بمعنى أن كل إنسان ينبغي أن يتمتع بهذا الحق - حق الزواج.

وفي هذا المقطع من الآية توجيه آخر أشار إليه بعض المفسرين بقولهم: الصالحين بمعنى اللاتقين للزواج، من يستطيع منهم أن يتحمل إدارة زوجة وعائلة.

والسؤال هنا: لماذا هذا الشرط بالنسبة للعبيد؟ لأن العبيد عادةً ما يكونون طبقة أقل من الحالة العامة في المجتمع، ولذلك وجد هذا الشرط.

وقد يتساءل البعض: لماذا نُكَلِّف بتزويج العبيد والإماء؟

١. لسبب إنساني، لأن هذا العبد إنسان، وهذه العبيد إنسان أيضاً، ولهما الحق بأن يتمتعوا في حياتها، كما يتمتع الآخرون.

٢. لأن هذا الأمر لصالح أمن واستقرار المجتمع، فالعبيد والإماء إذا بقوا بدون زواج، فإنهم لن يجدوا القنوات الطبيعية لتصريف غرائزهم وشهواتهم، وهذا الأمر قد يدفع بهم للجريمة والانحراف والفساد. ومن هنا نستطيع أن نبحث موضوع العمالة الأجنبية وأهمية توفير الطرق السلمية لهم

(١) سورة النور، آية ٣٢.

لممارسة شهواتهم، لأن هذا الأمر في صالح أمن واستقرار المجتمع.  
إذن المجتمع مخاطب بعملية الزواج، ولذلك إذا رأينا شباباً يتأخر زواجهم،  
وإذا رأينا فتيات يتأخر زواجهن فإن المسؤولية تقع على عاتق المجتمع كله، لأن  
الخطاب الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ موجّه للمجتمع.

### العنوسة ومسؤولية المجتمع:

العنوسة: لغة: من عنست الجارية، إذا بقيت في بيت أهلها بعد إدراكها سن  
الزواج ولم تتزوج.

اجتماعياً: الفتاة حينما تتعدى السن المتداول للزواج ولم تتزوج يطلق  
عليها عانس، وهذا المصطلح يطلق أيضاً على الرجل، ولكن اصطلاح على أن  
يطلق على المرأة التي يتأخر زواجها بأنها عانس، ويطلق على الرجل الذي يتأخر  
زواجه بأنه عازب.

والمجتمع يتحمل حالة العنوسة في المجتمع في صفوف الفتيات، أو تأخر  
الزواج في صفوف الشباب، وبالتالي يتحمل الأخطاء والمضاعفات التي قد تنتج  
عنها.

ماذا ينتج عن وجود حالة العنوسة عند الفتيات أو تأخر الزواج عند الشباب  
في المجتمع؟

١. المعاناة النفسية التي تحصل للشباب أو الشابة حينما يتأخر زواجهما أو  
زواج أحدهما. لأنهما بشر ومن حقهما أن يتمتعا بحياتهما كما يتمتع بها  
الآخرون، ومن حقهما أن يمارسا حياتهما الطبيعية كباقي المجتمع، فإذا  
حرما من هذا الحق فإنه ينتج عن ذلك معاناة نفسية خطيرة وينبغي على  
المجتمع الواعي أن يشعر بهذه المعاناة، وأن يتحسسها. لأن هذه المشكلة

- ليست فردية، فإذا كان لدينا حالة إنسانية، وضمير ووجدان ديني، ينبغي أن نعيش ألم الولد الذي تأخر زواجه، وهذه البنت التي تأخر زواجها.
٢. قد يسبب هذا الأمر وجود بعض المفاسد والجرائم، لأن الإنسان إذا لم يجد القنوات المشروعة لممارسة غرائزه وشهوته، فقد يغريه الشيطان بسلوك الطرق الملتوية والفاسدة.
٣. وجود حالة العنوسة وتأخر الزواج في المجتمع، يضعف مسألة التنمية الاجتماعية والاقتصادية، والحالة النفسية في المجتمع.
- لذلك ينبغي أن يتحمل المجتمع كله مسؤولية هذه الظاهرة.
- طبعاً لسنا بصدد الحديث عن كل أسباب العنوسة في المجتمع، ولكن نشير إلى أهم وأغلب الأسباب التي تنشأ منها العنوسة في المجتمع، هي:
١. عدم تيسير عملية الزواج. المفروض أن تكون شؤون الزواج ميسرة في المجتمع. كنت أتحدث مع أحد المشايخ وهو يتحدث لي عن شخص يريد أن يطلق زوجته فقلت له: انظر إلى وضع مجتمعنا إذا أراد المرء الزواج فإنه يشترك الكثير في قرار زواجه: أهله وأقرباؤه والفتاة - التي يريد الزواج منها - وأهلها وأقرباؤها كذلك، فنجد أن أطرافاً عديدة تدخل في قرار الزواج، أما الطلاق فهو بيد الزوج لوحده.
- وكقاعدة أساسية نقول: كلما أصبح شأن الزواج ميسراً، قلّت هذه الظاهرة (ظاهرة العنوسة وتأخر الزواج).

### ارتباط التعليم بالزواج:

نلاحظ هناك ارتباطاً وثيقاً بين الزواج والتعليم، فتطور متطلبات التعليم أدت إلى تأخر الزواج، سابقاً كان الولد وكانت البنت، وكانت طبيعة الحياة،

تكتفي بمرحلة من التعليم، إذا تخرج الطالب أو الطالبة من الابتدائية، ضمن الوظيفة وفرص الحياة، ولكن بعد فترة من الزمن أصبحت شهادة الابتدائية بلا قيمة، من يحصل على شهادة المتوسطة يضمن فرص الحياة، وبعدها بفترة زمنية أصبحت شهادة المتوسطة بلا قيمة، من يحصل على شهادة الثانوية يضمن فرص الحياة، وحالياً شهادة الثانوية ليس لها قيمة لا بد من إنهاء المرحلة الجامعية، التي تأخذ من العمر أربع سنوات فما فوق، وبعد المرحلة الجامعية يأتي دور البحث عن الوظيفة، لأنه ليس كل من أنهى الجامعة ضمن الوظيفة مباشرة، وبالتالي لا يستطيع الشاب والفتاة من التهيؤ مادياً ونفسياً للزواج إلا بعد قطع مشوار طويل من العمر، تقريباً بين (٢٤) إلى (٢٦) سنة.

وهناك أمورٌ أخرى أدت إلى تأخر الزواج، من جملتها:

١. بعض الشباب يتشددون في اختيار شريكة الحياة، وكذلك الحال بالنسبة للفتيات. نعم الاختيار مطلوب ولكن ضمن مقاييس معقولة ومبدئية: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير» .

٢. مواقف الأهالي، في بعض الأحيان يكونون عقبة في طريق الزواج، ومن أمثلة ذلك طرح مسألة الطبقية، إذ أنه من المفترض أن نتجاوزها ونتخذ من أئمتنا خير قدوة وأسوة لنا، فإننا نجد أن بعض أئمتنا تزوجوا من إماء.

٣. إحاطة الزوج بأعراف وتقاليد أصبحت عائقاً كبيراً وسداً منعياً أمام الشباب. بدءاً من حفلة الخطوبة وتكاليفها، وغلاء المهور، وتكاليف ليلة الزفاف بالنسبة للولد وكذلك البنت. ونلاحظ أن الكل منزعج من هذه الناحية، ولكن - مع الأسف - الكل يخضع لهذه التقاليد ولهذه الأعراف. ولا حل تجاه ذلك إلا الجرأة والشجاعة، بأن يصبر بعض الشباب والشابات على

أن يتزوجوا زوجاً مبسطاً من دون تكلفة.

علينا أن نيسر شأن الزواج ليتمكن الشباب من الزواج في سن مبكر. ولي رأيي شخصي: أن الزواج حتى في مرحلة الدراسة جيد ومناسب، بخلاف ما يُعتقد أن الشاب حينما يدرس في الجامعة ويتزوج يفشل في دراسته، هذا الأمر خاطئ، بل على العكس من ذلك تماماً فإن الشاب حينما يكون متزوجاً يكون اهدأ نفسياً، ويكون إقباله على الدراسة أكثر تركيزاً وأكثر ارتياحاً.

وملاحظة أخرى: فترة الدراسة الجامعية حينما يكون عمر الولد (١٨) سنة، يعني أنه في أوج نشاطه وقوته واندفاعه الغريزي فلماذا تفوت هذه السنوات على الولد والبنت من دون زواج. فينبغي أن نوفق بين وتيرة الحياة ومسألة الزواج، عبر التسهيل والتيسير في هذا الموضوع.

أحد العلماء لديه كلامٌ جميل حول مشكلة الطالبات الجامعيات والطلاب الجامعيين، يقول: ليس ضرورة أن يقترن الزواج بتحمل مسؤولية إنشاء بيت وعائلة، فلتكن الفتاة لا تزال في بيت أهلها، وليكن الشاب لا يزال في بيت أهله، والى جانب ذلك بينهما عقد زواج، وفرصة للتلاقي، وعلينا أن ننشئ أعرفاً مناسبة في هذا المجال.

**وختاماً:**

ينبغي أن تكون هناك جهات في المجتمع تشجع عملية الزواج، وتساعد على إنجاز هذه العملية. هناك روايات كثيرة تؤكد أهمية هذه المسألة، قال رسول الله ﷺ: «من سعى في زواج أخيه المؤمن كان له بكل خطوة يخطوها وبكل كلمة يقولها في ذلك عمل سنة كاملة قيام ليلها وصيام نهارها». وهذا يلفت نظرنا أن الشرع المقدس يولي الخدمة الاجتماعية والإنسانية اهتماماً أكثر من القضايا

العبادية، لأنها حالة فردية بين الإنسان وربه بينما السعي في زواج إنسان يعني سعي في بناء صرح أسرة، سعي من أجل تحصين شخصين في المجتمع. وفي رواية أخرى: «من مشى بشفاعاة بين شخصين للزواج بينهما كان ممن ينظر الله إليه يوم القيامة» يلقى نظرة رحمة من الله سبحانه وتعالى.

طبعاً هذه المسألة ممكن أن تكون حالة فردية، والأفضل أن تكون بشكل مؤسساتي. بأن يكون هناك مكاتب وجمعيات تعني بأمور الزواج، وهناك نماذج في هذا الجانب: في الكويت موجودة مثل هذه الحالة، وعندنا هنا في المملكة، قرأت عن جمعيات وعن لجان وعن جهات تهتم بهذا الأمر ومن يرغب في الزواج، شابا كان أو شابة، ما عليه إلا أن يتصل ويأخذون منه أو منها المعلومات، ويتعاملون بشكل سري مع المسألة، لحفظ أسرار العوائل والناس، ويحاولوا أن يوفقوا بين هذه البنت وذلك الولد.

نحن نحتاج في مجتمعاتنا إلى لجان تقوم بهذا الدور. بأن ينبري أشخاص متزنون للتصدي لمثل هذه المسائل، لأن التعاطي مع أعراض الناس بحاجة إلى مثل هذه الشخصيات. وهنا أدعو الشباب المتدينين وأقول لهم: إن التدين لا يقوم فقط عبر الصلاة، وعبر القراءة، وعبر العزاء، وعبر الأنشطة، والعمرة والزيارة، هذه كلها لها مكانتها وقيمتها، ولكن ينبغي أن نهتم بالجوانب الاجتماعية، بتكوين لجان تضم الشباب الواعين المتزين، ويسعون في هذا الجانب، ففيه الثواب الكبير.

وصل اللهم على محمد وآله الطيبين الطاهرين.



## إلى شبابنا الأعزاء أمل الوطن ورجال المستقبل<sup>(١)</sup>

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لي أن أتحدث إليكم من هذا الموقع المبارك موقع سيهات أونلاين، لأعبر لكم عن عميق حبي وخالص تقديري وتمنياتي لكم بالتوفيق والنجاح.

إن التحديات التي تمرّون بها وتعيشونها في هذه المرحلة من العمر، تساعدكم على بناء شخصياتكم، وصقل إرادتكم، وتفجير طاقاتكم وقدراتكم الهائلة، فلتكن الصعوبات والتحديات، دافعاً لكم لبذل المزيد من الجهد، وتعزيز الثقة بالنفس.

أرجو أن تكون نظرتكم للتعليم: أنه طريق لنيل المعرفة واكتساب الخبرة، وليس وسيلة لتحصيل الشهادة، والوصول إلى الوظيفة فقط، لذا ينبغي التفكير الجاد في التخصصات العلمية التكنولوجية المطلوبة في هذا العصر، ومواصلة الدراسات العليا ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

الوظائف الجاهزة لا ينبغي أن تكون الخيار الوحيد، والرهان الأساسي لبناء المستقبل، ولتفكروا في الأعمال الحرة، والمشاريع الإبداعية ولتبتكروا البرامج

---

(١) رسالة إلى القائمين على موقع (سيهات أونلاين) بتاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٤٢٠هـ.

الخلافة، التي تخدمون بها حاجات المجتمع، وتنمّون بها الاقتصاد الوطني، وتصنعون بها مستقبلكم الأفضل، وذلك يحتاج منكم إلى التفكير والمغامرة المدروسة، والتعاون الإيجابي فيما بينكم.

مع هذا الطوفان الإعلامي الجارف، والسييل المعلوماتي الهادر، ينبغي أن لا تفقدوا تركيزكم، في بناء كيانكم الفكري والثقافي، بتحصيل المعرفة الدينية العميقة، والثقافة الحياتية الناضجة، فلتهتموا بقراءة الكتب المفيدة والأساسية، ولتفتحوا على العلماء الواعين، لمناقشتهم واستيضاح القضايا الإسلامية منهم.

إن أقرانكم من أبناء جيلكم الشباب الصاعد، يتعرضون للكثير من الأخطار والإغراءات والمنزلقات، ولا يكفي أن يصلح الواحد منكم نفسه، بل على الشباب الواعين الصالحين، أن يمدوا يد المساعدة والعون لبقية اخوتهم الشباب، من أبناء المجتمع، حتى لا يقعوا فريسة لتيارات الفساد والانحراف، أو تضعف إرادتهم عن مواجهة تحديات مرحلتهم الخطيرة.

وأخيراً أدعو لكم من كل قلبي بأن يوفقكم الله تعالى للخير والصلاح ويأخذ بأيديكم إلى شاطئ الهدى والنجاح، وأقدم جزيل شكري للاخوة الأعضاء في موقع سيهات أونلاين، لإتاحة هذه الفرصة للتحدث إليكم والتخاطب معكم، وأرحب بكل فرد منكم أن يتواصل معي عبر موقعنا على الإنترنت، أو يتفضل بزيارتي في البيت، فقلبي مفتوح لكم، وذهني منفتح عليكم، فأهلاً ومرحباً بكم جميعاً، وتقبلوا مني خالص الأشواق والتحيات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسن الصفار

٢٨ ذو الحجة ١٤٢٠هـ

## تقديم ديوان

### (رعدة الحروف الثملة)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه الطيبين.

ما هي اهتمامات شبابنا اليافين وفي أي عالم يعيشون؟

تتمزق أماً حين تجد نسبة كبيرة من هؤلاء الشباب وهم في ربيع العمر،  
وأوج القوة والنشاط، وفترة البناء والتأهيل، واكتساب المعرفة والخبرة، لكنهم  
يهدرون طاقة شبابهم التي لا تعوض، ويضيعون أئمن فرصة تتيحها لهم الحياة،  
يتعاملون مع ساعات شبابهم الغض وكأنها فضلة من الوقت، وفراغ من الزمن،  
يبحثون لها عن ملاءة وتفاهات يبددون فيها رصيد حيويتهم، وغالي ساعات  
حياتهم.

تري كيف يقبلون لأنفسهم أن ينشغلوا باللهو واللعب ويعيشون على هامش  
الحياة؟.

مع أن بإمكان أي واحد منهم أن يصبح رقماً صعباً، وعنصراً فعالاً مؤثراً،

---

(١) ديوان (رعدة الحروف الثملة)، للشاعر منير النمر.

في الواقع الذي يحتضنه، والمجتمع الذي ينتمي إليه، إن تاريخ الحضارة البشرية في الماضي والحاضر مدين لكفاءات وإبداعات شباب فاتحين، سجلوا أروع الصفحات، وحققوا أخطر الإنجازات، في مجال العلم والأدب، والاختراع والاكتشاف، والقيادة والعمل.

ولكي يأخذ شبابنا مواقعهم الريادية المأمولة، يحتاجون شيئين:

- الوعي بأهمية هذه المرحلة من حياتهم، وما يواجههم فيها من تحديات.
- توفر القدوات والنماذج التي تشجعهم على سلوك طريق العطاء واستثمار المواهب والقدرات.

وإنه ليسرني أن أقدم الأخ العزيز الأديب منير علي آل نمر من خلال عطائه الأدبي كنموذج لسائر شبابنا الأعزاء في اهتماماته الأدبية والاجتماعية، وفي العالم الذي اختار أن ينتمي إليه ويتواصل معه.

لقد عرفته شاباً جاداً يهتم بالثقافة والأدب، ويقراً لعمالقة الشعر والفكر، ويحضر مجالس العلماء، ونوادي الأدباء، ويتحلى بالجرأة واللباقة، وبهما يناقش ويحاور، في مختلف الأجواء ومع مختلف الاتجاهات.

إنه يريد الارتباط بعالم الأدباء الكبار كالمتنبي والجواهري وجمال الدين، يستشهد بروائع شعرهم، ويتابع قراءة تفاصيل حياتهم، ويسقي في إنتاجه الأدبي من نديرهم.

وإذ أحیی في هذه الروح الوثابة، والصفات الطيبة، لأرجو له مستقبلاً وضاءً مشرقاً، وأرجو منه المثابرة ومضاعفة الجهد في تلقي العلم، واستيعاب فنون الشعر والأدب، وتوثيق العلاقة أكثر مع فحول البلاغة والبيان في تاريخنا العربي.

امثالاً لأمره تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وآمل أن يكون قدوة ومحفزاً لأنداده وأترابه من الشباب الأعزاء، ليسيروا في  
طريق الإبداع والعطاء، وليفجروا طاقاتهم الكبيرة المخزونة، في بناء مستقبلهم،  
وخدمة مجتمعهم.

نور الله قلب منير بالخير الدائم.

ورعاه شعلة منيرة في طريق الصلاح.

١٠ / ٢ / ١٤٢١ هـ



## بيان حول انتصار المقاومة في الجنوب اللبناني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه الطيبين

نبارك للأمة الإسلامية والشعوب المتطلعة للحرية بشكل عام. ونبارك  
للشعب اللبناني البطل وطليعته المجاهدة بشكل خاص، هذا النصر الكبير  
الذي تحقق باندحار قوات الاحتلال الإسرائيلي الغاشم من جنوب لبنان. لقد  
أثبتت المقاومة الإسلامية الباسلة وجمهورها المؤمن الواعي أن الإيمان الراسخ  
والجهاد الصامد والتضحية في سبيل الله هي طريق النصر على الأعداء. وإن  
العدو الإسرائيلي وإن تواطأت معه قوى الشرق والغرب وتوفرت إمكانيات  
الفتك وأسلحة الدمار فإنه لا يستطيع الثبات أمام النفوس العاشقة للشهادة،  
والسائرة على نهج الإسلام وهدى الرسول وآل بيته الكرام.. فسلام على أرواح  
الشهداء الذين عبّدوا بأرواحهم ودمائهم طريق النصر، وتحية لجميع أبطال  
الإسلام الذين صنعوا هذه الملحمة الخالدة. ولكافة القوى أو الجموع أو الفئات  
الصامدة والصابرة التي تحملت العدوان طيلة اثنين وعشرين عاماً. ونأمل أن

يكون هذا الانتصار الكبير منعطفاً في تاريخ الأمة نحو استعادة العزة والكرامة  
وتحرير جميع الأراضي العربية وخاصة القدس الشريف وتطهيرها من دنس  
الصهاينة الغزاة.

والحمد لله رب العالمين

حسن موسى الصفار

٢٢ صفر ١٤٢١هـ

## تقديم كتاب (العودة إلى القرآن)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين  
العودة إلى القرآن هو خلاص البشرية من البؤس والشقاء الذي تعنيه رغم  
تقدمها المادي التكنولوجي الهائل.

والعودة إلى القرآن هو سبيل الأمة الإسلامية للعزة والكرامة وتجاوز حالة  
التخلف الحضاري الشامل.

تلك حقيقة ثابتة واضحة تكفلت فصول هذا الكتاب القيم بتجليتها وتبيينها  
بأسلوب شيق جذاب، لكن ما أحببت إضافته والتأكيد عليه، هو الحديث عن  
جيل العودة إلى القرآن. وقد أوحى إلي بهذا الحديث كون المؤلفين الفاضلين  
ينتميان إلى جيل الشباب الصاعد.

فمن أين تنطلق رحلة العودة إلى كتاب الله؟ ومن هي الفئة التي تقود  
مسيرتها؟

حينما هبطت آيات الذكر الحكيم لأول مرة على نبينا الأعظم محمد ﷺ  
فإن قلوب الشباب هي التي احتضنت القرآن، وألستهم هي التي أوصلته إلى

---

(١) كتاب (العودة إلى القرآن) للمؤلفين: فاضل البحراني - بشير البحراني. إصدار دار المحجة البيضاء -  
دار الرسول الأعظم، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

المسامع، وسواعدهم خاضت معارك الجهاد لتثبيت منهج القرآن في الحياة.  
فأول من شنت آيات القرآن سمعه من رسول الله كان شاباً يافعاً في أول  
سنوات شبابه وهو علي بن أبي طالب، والذي استوعب القرآن آية آية وحرفاً  
حرفاً كما يقول ﷺ: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو  
سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيما نزلت، وأنبأتكم بناسخها  
من منسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها.  
ويقول ﷺ في كلمة أخرى: إني لأعرف ناسخه ومنسوخه، ومحكمه  
ومتشابهه، وفصاله من وصاله، وحروفه من معانيه، والله ما حرف نزل على  
محمد ﷺ إلا وأنا أعرف فيمن أنزل، وفي أي يوم نزل، وفي أي موضع نزل<sup>(١)</sup>.  
وإلى أن انقطع الوحي بوفاة رسول الله ﷺ واكتمل نزول القرآن، كان علي لا يزال  
في مرحلة الشباب، حيث لم يتعد عمره الثالثة والثلاثين.

وأول صادق بالقرآن في ملاء قريش كان شاباً اسمه عبد الله بن مسعود، وهو  
سادس ستة سبقوا إلى الإسلام، ويتحدث عن موقفه البطولي أحد أصحابه قائلاً:  
كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود ﷺ إذ  
اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن  
يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟  
فقال عبد الله بن مسعود: أنا.

قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن  
أرادوه.

قال: دعوني فإن الله سيمنعني.

فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أئديتها، فقام

(١) القزويني: محمد كاظم، علي من المهد إلى اللحد، مطبعة الآداب - النجف الأشرف ١٩٦٧، ص ١٤٩.

عند المقام، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم - رافعاً بها صوته - الرحمن. ثم استقبلهم يقرؤها.. فتأملوه قائلين: ماذا يقول ابن أم عبد؟ إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد.. فقاموا إليه وجعلوا يضربون وجهه، وهو ماض في قراءته، حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ..

ثم عاد إلى أصحابه مصاباً في وجهه وجسده، فقالوا له: هذا الذي خشيناه عليك..

فقال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً.

قالوا له: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون.

كان الشاب ابن مسعود يقرأ القرآن بتفاعل صادق حتى روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب أن يسمع القرآن غصّاً كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد»<sup>(١)</sup>.

وأول من حمل آيات القرآن الكريم إلى المدينة، وعلم أهلها القرآن، وهياها لتكون مهجر الرسول ﷺ ودار الإسلام، هو الشاب المجاهد مصعب بن عمير، والذي اعتنق الإسلام في نضارة شبابه، حيث أخذت آيات القرآن التي سمعها لأول مرة من رسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم بمجمع قلبه، وأحدثت تحولاً فورياً في وجوده ونظرته للحياة.. فتخلى عن حياة الدلال والترف والرخاء، حيث كان أرفه شاب بمكة، كما يقول عنه رسول الله ﷺ: «لقد رأيت مصعباً وما بمكة فتى أنعم عند أبيه منه، ثم ترك ذلك كله حباً لله ورسوله».

لقد انجذب بكله إلى القرآن، وتشربت نفسه مفاهيمه ومعانيه، وارتكزت في ذهنه وقلبه آياته وسوره، فاختاره الرسول ﷺ أول سفير للإسلام خارج مكة،

(١) خالد: خالد محمد، رجال حول الرسول، دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٦٨، ص ٢٥٤ - ٢٥٧.

وانتدبه ليعلم أهل المدينة القرآن، ويفقههم في الدين.

كان في أصحاب الرسول ﷺ يومئذ من هم أكبر منه سناً وأكثر جاهاً، وأقرب من الرسول ﷺ قرابة.. ولكن الرسول ﷺ اختار مصعب الخير، وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر قضايا الساعة، ويلقي إليه بمصير الإسلام في المدينة، التي ستكون دار الهجرة، ومنطلق الدعوة<sup>(١)</sup>.

تلك كانت أمثلة ونماذج من جيل شاب وعى القرآن بدء نزوله وحمله رسالة ومنهج حياة، وأرسى على ضوء هديه أساس الحضارة الإسلامية الشامخة..

أما لماذا كان الشباب هم جيل الاستجابة للقرآن أكثر من غيرهم؟

فذلك للأسباب التالية:

١. أنهم كانوا في مرحلة تفتح الفكر، وتشكيل الوعي، ووجدوا أمامهم أسئلة ملحة عن سر الحياة، وسبب الوجود، وغاية الخلق، ورأوا في القرآن الكريم الهدي والهداية إلى الإجابات الشافية المقنعة، التي تنسجم مع الفطرة وتتوافق مع المنطق وبديهيات العقل.

٢. وكشباب مرهفي المشاعر والأحاسيس، كانوا يتحسسون مساوئ الواقع الجاهلي المعاش، من عبادة أصنام، وفساد أخلاق، ونشوب حروب وفتن، لكنهم لا يعرفون طريقاً للخلاص والعلاج، وجاءت آيات القرآن الحكيم، لتمنحهم البصيرة والنور، ولتضع أقدامهم على طريق النجاح والسلام، فاستقبلوها بإخلاص واندفاع.

٣. كانت قلوبهم أنقى وأصفى من الآخرين، فلأنهم شباب حديثو عهد بالحياة لم تتمكن المصالح من نفوسهم، ولم تسيطر السلبات على أذهانهم، ولم تتكرس المساوئ والمفاسد في سلوكياتهم.. فانشدادهم للواقع الفاسد

(١) المصدر السابق ص ٥٢ - ٥٤.

كان ضعيفاً ومحدوداً، مما جعلهم أكثر قدرة على التحرر منه، والإفلات من هيمنته، والانطلاق نحو أفق جديد.

٤. ومرحلة الشباب تخلق عند الإنسان ثقة بالذات، ورغبة في المغامرة، وتطلعاً لمستقبل أفضل.. وذلك ما يتناغم مع هدي آيات القرآن الحكيم، ويخلق الأرضية المناسبة للتفاعل معها.

٥. وتوجه الرسول ﷺ لهم وإقباله عليهم، وما كان يفيضه عليهم من حب وحنان، ويبدية لهم من تقدير واحترام، في مجتمع كان السن والمال فيه مناط المكانة والزعامة، كل ذلك جذبهم إلى رسول الله ﷺ، واستقطبهم إلى رسالة الله تعالى، فالخلق العظيم الذي تحلى به المصطفى ﷺ، وغمر به أولئك الشباب التائبين المهملين في مجتمعهم، هو الذي صنع شخصياتهم القيادية، وفجر مواهبهم وكفاءاتهم وطموحهم نحو العزة والتقدم.

وكما بدأت مسيرة القرآن الكريم على أيدي الشباب، فإن رحلة العودة إلى القرآن ستكون على أيديهم المباركة إن شاء الله.

فمن ينهل من القرآن في فترة شبابه، ويرتشف من نيميره العذب، فإن بناءه النفسي، وتشكيله الفكري، وممارسته السلوكية، ستصاغ على هدي الوحي، فشخصية الإنسان تتبلور معالمها، وتتحدد سماتها في فترة الشباب، فإذا كان فيها قريباً من القرآن، متملماً على آياته، فسيكون قرانياً في توجهاته ومسارات حياته.

ورد في حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن، اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله عز وجل مع السفارة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٣.

إن مؤشرات كثيرة تلوح في الأفق تبشر بمستقبل واعد لأمتنا الإسلامية على أيدي شبابها الأعزاء المؤمنين، فهذه الصحوة الإسلامية المباركة، والأنشطة الدينية المنتشرة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، والبرامج القرآنية في تلاوة القرآن وتحفيظه وتعليمه وتفسيره، التي يقبل عليها الشباب الطيبون، كلها بشائر خير على نهضة حضارية قادمة.

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم هو من بشائر الخير، وبواعث الأمل المشرق، فمؤلفاه الكريمان الأستاذ فاضل أحمد البحراني وأخوه الأستاذ بشير مثل ونموذج للشباب الرساليين القرآنيين، عرفتهما منذ طفولتهما بالصلاح والأدب، وهما يقدمان الآن كتابهما الثاني (العودة إلى القرآن) بعد كتابهما الأول (نفي التنافي في القرآن الكريم).

وقد قرأت الكتاب، واستمتعت بالاطلاع على بحوثه، ورأيت فيه جهداً طيباً، وإنجازاً مباركاً، حيث عالج الموضوع من أبعاده المختلفة، بموضوعية ووضوح، وبتعبير سلس شائق، بالاعتماد على المصادر المتخصصة والعامّة.

كما أن تعاونهما كأخوين في مجال البحث والتأليف بادرة رائعة أرجو أن تدفع سائر الأخوة الشباب إلى مثل هذه التجربة الجميلة، والتي هي مصداق للتعاون على البر والتقوى، وتكريس لمبدأ العمل الجمعي في مختلف المجالات وخاصة في المجال العلمي والثقافي.

أرجو الله لهما التوفيق والمزيد من العطاء والبذل في خدمة المعارف القرآنية، وأن يكتب الله لهما السعادة والنجاح والاستقامة على طريق الخير والصلاح.

وآمل أن يكونا قدوة حسنة..

والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

٢٥ / ٢ / ١٤٢١ هـ

## تقديم ديوان

### (المدائح المنظومة ج ١١)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان.

والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف الأنبياء طراً الذي قال: إن من  
الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا.

وعلى آله الأطهار عدل الكتاب وحماة السنة الذين بشرُوا من قال فيهم بيتاً  
من الشعر بأن الله يبني له بيتاً في الجنة.

أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام ليسوا مجرد علماء ذوي نظريات  
علمية حتى ينحصر الاهتمام بحياتهم وتاريخهم في حدود النخب من أهل  
الاختصاص العلمي.

بل هم قبل ذلك وبعد ذلك أئمة هدى وقادة رشاد، تحتاج جماهير البشرية  
وعامة أبنائها إلى قراءة سيرهم، والتعرف على حياتهم وتاريخهم، لتشدّ إليهم  
النفوس، وتهوي الأفتدة والقلوب، وليكونوا للناس في موضع القدوة والأسوة،  
من حيث الالتزام بقيم الحق والعدل، وتجسيد مكارم الأخلاق، والوفاء للمبادئ،

---

(١) ديوان (المدائح المنظومة ج ١١)، للسيد مرتضى محسن الحسيني السندي (أبو حسنين).

والثبات على خط الرسالة والدين، والجهد والتضحية في سبيل الله.

وكما نحتاج إلى أهل الاختصاص لدراسة العطاء الكبير والتراث الغني لأهل البيت عليهم السلام في مختلف حقول المعرفة والعلم، من الفقه والتفسير والعلوم الطبيعية والإنسانية كالفلك والكيمياء والطب والنفس والاجتماع.

فإننا نحتاج أيضاً إلى ذوي المواهب الفنية والكفاءات الأدبية الذين يجيدون عرض سيرة أهل البيت عليهم السلام وتصوير مواقفهم الرسالية المشرقة بلغة جماهيرية، لتكون مفهومة لعامة الناس، قادرة على التخاطب مع وجدانهم ومشاعرهم وأحاسيسهم.

من هنا أشاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الأئمة الهداة عليهم السلام بدور الشعراء المبدئين المخلصين.

فالشعراء وذوي المواهب الفنية المختلفة كالرواية والقصة والمسرحية والرسم والنحت وما أشبه يستطيعون القيام بدور عظيم في تكريس المبادئ وتخليد رموز الدين وشخصيات قادته في أوساط جماهير الأمة وأعماق نفوس أبنائها.

إن العلماء يخاطبون العقول والأفكار، وليس كل الناس يقبلون على الخطاب العملي أو يستوعبونه، لكن مخاطبة القلوب والمشاعر لغة يتجاوب معها ويتفاعل معها الجميع.

كما أن بعض القضايا والجوانب تحتاج إلى إثارة العاطفة وتحفيز الضمير والوجدان، لتأخذ موقعها في فكر الإنسان، وتشق طريقها إلى التأثير في شخصيته وسلوكه.

وإذا ما تأملنا رقعة الولاء لأهل البيت عليهم السلام في جماهير الأمة، وعمق الارتباط

والانشداد النفسي والعاطفي الذي تزخر به ساحة شيعة أهل البيت ﷺ لأئمتهم، فإننا سنجد أن الفضل الأكبر في ذلك يعود إلى الجهود العظيمة الجبارة التي بذلها العاملون في مجال التوجيه الجماهيري عبر الخطابة والأدب والشعائر الحسينية والبرامج الولائية.

صحيح أن هناك بعض الثغرات والخلل ونقاط الضعف في طروحات بعض هؤلاء الخطباء والشعراء وأمثالهم من حيث الخلط بين الغث والسمين، والحقائق والأساطير، والصحيح والخطأ، فيما يتعلق بالمضامين أو الأساليب. إلا أن تلك الثغرات والأخطاء لا تقلل من قيمة ذلك الدور الهام، ولا تستعصي على الفرز والمعالجة والتوجيه، وإن احتاج ذلك إلى صبر وزمن.

وأما في هذه المجموعة الأدبية الرائعة التي تحمل الرقم الحادي عشر من سلسلة دواوين الشاعر الولائي المخلص للدين ولأهل البيت ﷺ فضيلة الخطيب الأديب السيد مرتضى السيد محسن الحسيني السندي (أبو حسنين) حفظه الله وأدام توفيقه.

أمامنا نموذج رائع مشرق لذلك الأدب الهادف الذي يتمتع بأفضل خصال البلاغة وسمات البيان، بلغة واضحة سهلة، يفهمها كل سامع، مع عمق المحتوى، وجزالة التعبير، ودقة التصوير للحوادث والموقف.

ولا غرو فالسيد أبو حسنين رعاه الله نشأ في أجواء العلم والأدب، ولازم مجالس الفضلاء والعارفين، وصاحب الكتب ومنتديات المعرفة، وهو من رواد الخطابة والمنبر.

ويمتاز أدب السيد أبو حسنين - كما سيلاحظ القارئ - بأنه يطور موهبة التصوير الأدبي والتحليق الخيالي، لتقوم بدور تسجيل الموقف والأحداث

التاريخية، حيث تجد أن بعض المقطوعات من شعره هي صياغة أدبية شعرية لسيرة إمام من الأئمة، أو رجل من تلامذتهم وأصحابهم.

بل إنه يصرّف ويدمج بعض خطب الأئمة وبياناتهم في مقاطع شعره، فتأتي القصيدة نظماً لخطبة الإمام الحسين عليه السلام أو خطاب السيدة زينب ؟؟.

وبذلك ينقل الخطاب التاريخي إلى لغة شعبية معاصرة، على شكل مقاطع جميلة ترددها الألسنة، وتعشقها الأسماع، وتهتز بروعة إيقاعاتها المحافل.

وثمة ميزة هامة أرى من المناسب الإشارة إليها وهي تجديد ذكريات بعض حواربي الأئمة وتلامذتهم المخلصين، فغالباً ما يقتصر الشعراء الشعبيون في محافلنا ومجالسنا على ذكر سيرة أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم ومصائبهم أما من حولهم من خلّص الأتباع وخيرة الأصحاب فنادرًا ما يشار إلى حياتهم وتضحياتهم إلا بشكل عابر.

لكننا في شعر السيد أبي حسنين نقرأ ملاحم أدبية مطولة حول سلمان الفارسي (المحمدي) وأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وحجر بن عدي الكندي، وزيد بن علي بن الحسين وأمثالهم من رواد التضحية والفداء خريجي مدرسة الحق والفضيلة.

فهنيئاً للسيد أبي حسنين هذه الموهبة العظيمة.

وهنيئاً له هذا التوظيف الجيد لموهبته في خدمة الرسالة والعترة الطاهرة.

وأسأل الله أن يطيل عمره في خير وعافية وأن يزيده نشاطاً وهمة ليوصل مسيرة الولاء والعطاء والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

١٤٢١/٥/٢٥ هـ

## بيان حول انتفاضة الأقصى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه الطيبين.

تعيش أمتنا الإسلامية هذه الأيام أياماً مباركة عظيمة حيث تسري روح  
الجهاد والمقاومة في نفوس أبنائها الأحرار ضد العدوان الصهيوني على  
مقدسات الإسلام وحرمان المسلمين.

إن انتفاضة الأقصى العظيمة أيقظت حس الكرامة والفداء في أوساط  
جماهير الأمة في كل مكان، فانطلقت تهتف للإسلام ولتحرير القدس وتعلن  
الرفض للاحتلال الصهيوني والهيمنة الأجنبية.

هذه الانتفاضة الباسلة تمثل إشراقة الأمل لعز الأمة ومجدها، ونأمل أن  
تتواصل وأن تتجاوز محاولات الاحتواء والاستيعاب، وأن يقوم كل أبناء الأمة  
تجاهها بواجب المشاركة والدعم حتى يتحقق النصر الإلهي ويندحر الظلم  
والعدوان.

أما الفظائع التي يمارسها الصهاينة تجاه أبناء فلسطين لقمع حركتهم  
وانتفاضتهم، فهي الوقود لاستمرار الانتفاضة ولتأكيد حقيقة هذا الكيان  
الصهيوني الغاصب القائم على العنصرية والحقد والعدوان.

كما ونحيي الموقف البطولي الشجاع للمقاومة الإسلامية في جنوب لبنان،  
والتي جسدت التضامن العملي مع انتفاضة أبناء فلسطين الغيارى.  
اللهم انصر الإسلام والمسلمين واخذل الصهاينة المعتدين ومن يقف  
ورائهم يا رب العالمين.

حسن موسى الصفار

١٠ رجب ١٤٢١ هـ

## تقديم كتاب

### (صلاة الجماعة الطموحات والمعوقات)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

لصلاة الجماعة فضل كبير وشأن عظيم كما يظهر من النصوص الدينية وفتاوى الفقهاء فقد ورد في فضلها ودم تاركها من ضروب التأكيدات ما كاد يلحقها بالواجبات على حد تعبير السيد اليزدي تذ في العروة الوثقى، ولها دور هام في تأكيد الانتماء الجمعي للفرد المسلم مقابل النزعة الفردية الأنانية، وتأثير واضح في تعزيز التواصل والتماسك الاجتماعي، حيث يلتقي الناس مع بعضهم، ويتعارفون ويتداولون الآراء والأخبار عن أوضاعهم، ويتعاونون فيما بينهم.

كما تتيح صلاة الجماعة فرصة ومجالاً للتفقه في الدين ومعرفة المسائل والأحكام والتعاليم الشرعية عبر توجيهات إمام الجماعة، وإجابته على أسئلة المستفتين والمراجعين.

وهي تظهر قوة الجانب الديني في المجتمع، فترفع معنويات المتدينين، وتجذب وتستقطب إليهم سائر العناصر والأفراد.

---

(١) كتاب (صلاة الجماعة الطموحات والمعوقات)، الشيخ جعفر الأمرود.

لكن المؤسف جداً أن يكون الإقبال على صلاة الجماعة ضعيفاً ضئيلاً في مجتمعاتنا، فلو قمنا باستبيان استقراي لوجدنا أن كثيرين من أبناء المجتمع لم يشاركوا ولا مرة واحدة في صلاة جماعة، وهناك عدد كبير لا تزيد مشاركتهم عن بضع مرات في السنة الواحدة في بعض المناسبات.. أما المواظبون على صلاة الجماعة فهم نسبة قليلة جداً في المجتمع، وأكبر دليل على ذلك وضع صلوات الجماعة حالياً من حيث ضعف الحضور وقلتهم.

وإذا كانت هناك بعض المساجد المحدودة يكون الحضور فيها جيد فذلك بالقياس إلى بقية المساجد، أما إذا أخذنا بعين الاعتبار الكثافة السكانية في البلاد، فسنجد أن ذلك الحضور لا يشكل إلا نسبة قليلة من المجتمع.

إن هناك عوامل وأسباباً وراء هذا الإقبال الضعيف على صلاة الجماعة، لا بد من تدارسها ومعالجتها لنضع حداً لهذه الظاهرة المؤلمة التي تحرم مجتمعنا من فوائد عظيمة ومنافع جليلة.

ومن أبرز تلك الأسباب: ضعف التوجيه والتعبئة باتجاه صلاة الجماعة، فقلما تسمع خطيباً من الخطباء وخاصة في المناسبات الحاشدة، يدعو الناس إلى صلاة الجماعة ويرغبهم فيها، ويبين لهم فضلها وفوائدها.

ولا تنتشر في أوساط الناس كتب أو نشرات تدفع نحو صلاة الجماعة وتشجع عليها.

وحتى الدعوة الفردية لصلاة الجماعة من قبل الأب لأبنائه والأخ لإخوانه والصديق لأصدقائه، تراها منعدمة في المجتمع، فمن يتوفق لحضور صلاة الجماعة لا يجد نفسه معنياً بدعوة الآخرين وتشجيعهم، ويعتبر ذلك شأناً شخصياً لا دخل فيه، وهو تصور خاطئ لأن الدعوة إلى صلاة الجماعة مصداق

من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعنوان من عناوين الدعوة إلى الخير، وموارد من موارد النصيحة والإرشاد والتواصي بالحق.

ومن الأسباب الهامة: التصورات والآراء المتمتزة حول شرائط إمام الجماعة، حيث بعض الناس يتشددون في هذا الأمر ولا يكادون يصلون جماعة إلا خلف إمام معصوم، صحيح أنه يشترط في إمام الجماعة العدالة، لكن العدالة لا تعني العصمة، وإنما هي الاجتناب عن الذنوب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر، وإذا كان هذا المستوى لا يتوفر إلا في بضع أشخاص من المجتمع فعلى مجتمعنا العفا والسلام!!

إن إمامة الجماعة لا يشترط فيها مستوى علمي، وإنما يكفي فيها صحة الصلاة، فكل إنسان يؤدي صلاته بشكل صحيح وليس مرتكباً للكبائر ولا مصراً على الصغائر، يصح الائتمام به، وهذا ما يفتي به جميع الفقهاء والمراجع من السابقين والمعاصرين، والأسوأ من ذلك إدخال مسألة صلاة الجماعة في متاهات النزاعات والخلافات المرجعية والفئوية فيما بين الأصوليين والإخباريين والشيخية، ومقلدي هذا المرجع وذاك المرجع، وأتباع هذه الفئة وتلك الفئة، وهو أمر محزن جداً ويجب على العلماء والخطباء أن ينبهوا المجتمع إلى أن هذه العصبية والحساسيات ليست من الدين في شيء، وأنها نتاج للصراعات والخلافات الشخصية، وأن على المؤمن ألا يحرم نفسه من توفيق وثواب صلاة الجماعة خلف أي مؤمن من أبناء مجتمعه، تكون صلاته صحيحة ويطمئن إلى عدالته، وإن لم يكن من أهل العلم، أو من المتوافقين معه في التقليد.

فكل ما ليس له مستند من الشرع هو نابع من الأهواء الشخصية والفئوية، ومن وساوس الشيطان، وكما يقول السيد الزيدي عليه السلام: (فمقتضى الإيمان عدم الترك - لصلاة الجماعة - من غير عذر لا سيما مع الاستمرار عليه، فإنه كما

ورد لا يمنع الشيطان من شيء من العبادات منعها، ويعرض عليهم الشبهات من  
جهة العدالة ونحوها حيث لا يمكنهم إنكارها، لأن فضلها من ضروريات الدين)  
العروة الوثقى / فصل في الجماعة.

٢٠ / ٧ / ١٤٢١ هـ

## تقديم كتاب

### (سياحة في الدعاء والمناجاة)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.  
يجد الإنسان نفسه ضعيفاً أمام هذا الكون الهائل العملاق، بأجرامه الضخمة  
وموجوداته الكبيرة، وخاصة حينما تعصف به بعض كوارث الطبيعة كالزلازل  
والبراكين والفيضانات والإعصارات وما أشبهه.  
كما يشعر بالقلق والاضطراب تجاه مشاكل الحياة المختلفة، التي تحاصره  
من كل جهة وجانب، من مرض وفاقة، وشدائد وصعوبات.  
وطبيعة حياته الاجتماعية تنتج له تحديات وأزمات فهو لا يستغني عن  
محيطه، لكنه قد يعاني من الانسجام معه حيث تتصادم المصالح، وتختلف  
التوجهات وتحدث حالات النزاع والخصام.  
وهو في داخل نفسه يعيش معركة حامية الوطيس، بين عقله وأهوائه بين  
ميول الخير ونوازع الشر، وبين شهواته المتعددة المختلفة.  
وإذا كان من أهل الإيمان بالله والدار الآخرة فإنه معني بالتفكير في مستقبله

---

(١) كتاب (سياحة في الدعاء والمناجاة)، تأليف حسن علي أبو حسين.

الأخروي، ومصيره بعد هذه الحياة، وكيف ينفذ نفسه من غضب الله تعالى ونار جهنم الحامية؟ وكيف يتجنب المعاصي والذنوب، ويتلافى الإسراف والتقصير تجاه ربه الخالق؟

هكذا يجد الإنسان نفسه أمام هذه التحديات العظيمة الخطيرة التي تواجهه منذ اللحظات الأولى لوعيه وإدراكه، ويرى نفسه عاجزاً ضعيفاً، لا يستطيع بقدراته الذاتية، مقاومتها وتجاوزها، كما لا يستطيع الآخرون وهم بشر ضعفاء مثله أن يمنحوه الأمن والنجاة، والإنقاذ وال خلاص.

والملاجأ الوحيد الذي يمكن للإنسان أن يلوذ به، وأن يعتمد عليه، ويطمئن إليه هو خالقه ورازقه، ومن بيده أمره وناصيته، هو الله سبحانه وتعالى، وهو نعم الملجأ والملاذ، لأنه الرحمن الرحيم، ولأنه المهيمن القادر.

لذلك من الطبيعي أن تدفع الإنسان فطرته، ويوجهه ضميره، للاستغاثة بربه، ولطلب عونه وحمايته.

وكلما كان وعي الإنسان بالتحديات والمخاطر التي تحيط به أعمق، وكانت معرفته بعظمة ربه ورحمته أكبر، أصبح أكثر التجاءً إلى ربه، وأشد إبحاحاً في استمداد العون والدعم من فيض كرمه وفضله.

والأنبياء والأئمة والأولياء، هم طليعة البشر، والخيرة والنخبة، في وعيهم ومعرفتهم بالخالق جل وعلا، من هنا كانوا الأكثر اتصالاً بالله تعالى، وتضرعاً إليه، ودعاءً له.

وقد انعكس عمق وعيهم، وصدق معرفتهم، على مضامين ومحتويات أدعيتهم ومخاطباتهم لله سبحانه وتعالى، وهذا ما يتجلى لكل باحث متأمل في الأدعية والمناجاة الواردة عن الأنبياء والأئمة عليهم جميعاً أفضل الصلاة

والسلام.

إنها تسلط الأضواء على زوايا وخبايا نقاط ضعف الإنسان وتصور معاناته وحاجاته في أبعادها المختلفة بشكل واضح صريح كما تذكر الإنسان بحقائق العظمة الربانية، وفيوضات الرحمة الإلهية، وترسم أروع الصور والأشكال لنعم الله المتدفقة على الإنسان، مما يشيع في النفس أملاً وثقة واطمئناناً.

وهي بعد ذلك كنوز لمعارف الشريعة، ومفاهيم الدين، تستعرض حقائق العقيدة ومناهج الرسالة، وبرامج الأخلاق، بلغة وجدانية شفافة، وأسلوب شيق جذاب.

ومن توفيق الله تعالى للأخ الكريم الأستاذ حسن علي أبو حسين أن اختار الكتابة في هذا المجال العرفاني الهام، فقام بجولة سياحية روحية، في ربوع بعض الأدعية والمناجاة، التي سجلها القرآن الكريم عن لسان أنبياء الله وأوليائه، أو نقلها الرواة عن أهل بيت الوحي والعصمة صلوات الله عليهم، وذلك لإلفات الأنظار إلى هذه الكنوز الثرية، والمنابع العذبة، وتبيين بعض مقاصد هذه الأدعية الشريفة، وتبين شيء من معاني ألفاظها وعباراتها الجليلة.

بارك الله للأخ الكريم في جهده الطيب، وشكر له سعيه، ونفع المؤمنين بكتابه، ووفقه للمزيد من العطاء والإنتاج في خدمة الدين والمجتمع إنه ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

٣ رمضان ١٤٢١هـ



## تقديم كتاب

### (الكتاب في فكر الإمام الشيرازي)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

يمتاز مراجع الدين للمسلمين الشيعة بميزتين هامتين:

الأولى: التعمق والتبحر في علوم الشريعة وخاصة الفقه وأصوله.

الثانية: النزاهة الشخصية.

وتتشكل الميزة الأولى من خلال الاستغراق في الدراسة العلمية لسنوات طويلة تقاس بالعقود، حيث تقرأ في سير حياة المراجع أن أغلبهم توجه للدراسة من نعومة أظفاره وحادثة سنه، وأصبح مرجعاً وهو في مرحلة الكهولة إن لم تكن الشيخوخة، فالسيد أبو الحسن الأصفهاني (١٢٨٤هـ - ١٣٦٥هـ) بدأ دراسته العلمية وهو في نهاية العقد الأول من عمره، وبدأت مرجعيته بعد وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي سنة ١٣٣٨هـ، حينما أصبح عمره ٥٤ سنة، أي بعد ٤٤ سنة من الاستغراق في الدراسة العلمية، لكنه لم يصبح مرجعاً أعلى إلا سنة ١٣٥٥هـ بعد وفاة الميرزا حسين النائيني وقد ناهز عمره السبعين عاماً.

---

(١) كتاب (الكتاب في فكر الإمام الشيرازي) حسن آل حمادة، دار الخليج العربي، بيروت ٢٠٠١م.

السيد محسن الحكيم (١٣٠٦هـ - ١٣٩٠هـ) بدأ دراسته وهو في السابعة من عمره وظهرت مرجعيته بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني سنة ١٣٦٥هـ وعمره ٥٩ سنة، وقد مضى عليه في الدراسة العلمية ٥٢ سنة وأصبح مرجعاً أعلى سنة ١٣٨٠هـ وقد وصل عمره إلى ٧٤ عاماً.

السيد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧هـ - ١٤١٣هـ) بدأ دراسته في الثالثة عشر من عمره، وأصبح مرجعاً بارزاً سنة ١٣٩٠هـ، بعد ستين سنة من الدراسة والتدريس والاجتهاد.

ولا تكاد تجد في حياة أحد من المراجع أنه وصل إلى سدة المرجعية قبل أقل من أربعة عقود ٤٠ سنة استغرقها في الدراسة والبحث العلمي. ولا ينقطع بعد تصديه للمرجعية عن مواصلة التدريس والبحث بل يبقى ذلك جزءاً أساساً من برامجه في الغالب.

وعادة ما تكون تلك السنوات والأوقات مستغرقة مستهلكة في الاهتمام العلمي، حيث لا يزاحمها أي اهتمام آخر، حتى أن أكثرهم ينقطع خلالها حتى عن التواصل مع أسرته وبلده فهو يأتي إلى الحوزة العلمية في النجف أو كربلاء أو قم، ويبقى فيها، دون أن يفكر في العودة إلى بلاده أو زيارة أهله.. كما أن بساطة الحياة، ومنهج الزهد والتقشف، يوفر عليه الوقت فلا يصرف منه على تسيير شؤون حياته وعائلته إلا القليل الضئيل.

ولا يكفي في الفقه الشيعي نيل مرتبة الاجتهاد والتمكن من الاستنباط للوصول إلى موقع المرجعية الدينية، بل يرى أكثر فقهاءهم وجوب تقليد الأعلام، أي الأكفأ والأقدر علمياً.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار استقلالية الحوزة العلمية، وضعف المؤثرات

الخارجية في أوساط علمائها وطلابها، حيث يتعاملون مع المسألة تعاملًا شرعياً دينياً فلا يمنحون ثقتهم في التقليد والشهادة بالأعلمية إلا لمن أثبت ذلك عبر التدريس والبحث والمناقشة فينتج من ذلك أن لا يصل إلى موقع المرجعية إلا من امتلك مستوى رفيعاً من الكفاءة والعمق العلمي.

أما الميزة الثانية فتتشكل من خلال كون المرجع منحدرًا من أسرة علمية صالحة، وهذا وإن لم يكن شرطاً من شروط المرجعية والتقليد، لكنه حاصل في الأعم الأغلب، فنادرًا ما تجد مرجعاً لا ينتسب إلى سلسلة من الآباء والأجداد العلماء الفضلاء. مما يعني نشأته في أجواء العلم والصلاح، وتأثره الوراثي والتربوي بتلك النشأة.

كما أن طبيعة الحياة ضمن الحوزة العلمية تكّرس في وعي المتممي إليها ولا وعيه، أخلاقيات النزاهة ومبادئ الاستقامة، وخاصة من يتقدم في سيره العلمي، ويقترب من حياة العلماء الكبار والمراجع الأفاضل، حيث يلحظ سلوكهم الملتزم، ويسمع منهم توجيهاتهم وانطباعاتهم عن أسلافهم الصالحين.

بالطبع لا يعني ذلك منح صك النزاهة والعدالة لكل من في الحوزة العلمية، فإمكانية الفساد والانحراف، وتغلغل العناصر السيئة، ونمو الحالات السلبية أمر وارد وملحوظ.

لكن الحديث هو عن قمة الهرم الحوزوي، طبقة الفقهاء المراجع، والذين يشهد تاريخهم بأنهم كانوا على درجة عالية من الطهر والنزاهة، فكم حاولت حكومات وسلطات أن تستدرج بعض المراجع إلى جانبها بالترغيب أو التهيب، فباءت أغلب محاولاتهم بالفشل والخيبة.. وكم سعت بعض مراكز القوى الاقتصادية والاجتماعية إلى استمالة بعض المراجع لخدمة مصالحهم فاصطدم سعيهم بالرفض والنفور.

ومع ما يتمتع به المراجع من نفوذ ويكون تحت تصرفهم من ثروات من الحقوق الشرعية، إلا أن السيرة العامة لهم تتصف بالزهد والقناعة والعزوف عن مباحج الحياة وترفها وكمالياتها.

وإذا كانت هاتان الميزتان تشكلان سمة غالبية لمراجع الشيعة، فإن المراجع يتفاوتون في قدراتهم القيادية، ومستويات تصديهم لقضايا الأمة وشؤونها، وهذا التفاوت ناشئ من اختلاف التوجهات الفكرية، وتحديد الوظيفة والتكليف في عصر غيبة الإمام المعصوم، ومن اختلاف الرأي والنظر في تقويم وتشخيص الواقع الخارجي، وكذلك من تفاوت المواهب والقدرات الذاتية.

فالكثير من المراجع يقتصرون على العطاء العلمي في مجالي الفقه والأصول، وتنقيح وبلورة النظريات العلمية الفقهية والأصولية، وإصدار الفتاوى الشرعية للمقلدين، وما يتصل بذلك من المهام في إطار الحوزة والنشاط العلمي والإفتائي.

ويتحلى بعض المراجع بقدرات إدارية جيدة تمكنهم من استيعاب أوضاع الحوزة العلمية وتطويرها في بعض الأحيان، وتقوي ارتباطهم بجماهير الأمة وفاعليتها، وتسمح لهم بصنع علاقة مناسبة مع القوى المحيطة من حكومات وطوائف أخرى.

وهناك مراجع يمتازون بأن لديهم مشروعاً وبرنامجاً لإصلاح واقع الأمة، والنهوض بها من حالة التخلف، لتضع أقدامها على طريق الحضارة والتقدم.

وبحمد الله فإن عصرنا الحاضر قد حظي ببروز عدة مراجع من هذا النمط الأخير، ممن يحملون هم التفكير في تغيير واقع الأمة، ويكرسون حياتهم وموقعهم المرجعي لخدمة مشروع النهوض والإصلاح.

والإمام السيد محمد الشيرازي يأتي في طليعة هؤلاء المراجع الإصلاحيين إلى جانب الإمام الخميني والإمام السيد محمد باقر الصدر.

فإضافة إلى غزارة علمه، وسعة معارفه، وإضافة إلى زهده وتقواه، فهو مسكون بهم إنقاذ الأمة، عميق التحليل والملاحظة لأسباب تخلفها وانحطاطها، دائم التفكير في برامج ومناهج الخلاص والإنقاذ.

واهتمامه بـ(الكتاب) تأليفاً وطباعة ونشراً، هذا الاهتمام الكبير الذي يتحدث عنه هذا الكتاب المائل بين يدي القارئ، إنما هو حلقة من منظومة فكرية، ومفردة من مشروع حضاري، كرس الإمام الشيرازي حياته وجهوده في بلورته وخدمته.

وقد تعرفت على الإمام الشيرازي منذ ثلاثين عاماً تقريباً، وعاشته بعض الفترات فما جالسته مرة، إلا وكان يتحدث بجدية وحماس عن مأساة تخلف هذه الأمة، وضرورة التحرك السريع والعمل الدائم من أجل إنقاذها وإنقاذها. بل وحتى خلال المحادثات الهاتفية طالما أصغيت إلى توجيهاته ووصاياه في التذكير بالمسؤولية تجاه قضايا الإسلام والمسلمين.

والإمام الشيرازي حينما يكتب لا يستهدف عرض عضلاته العلمية، ولا الاستغراق في طرح النظريات المعرفية ومناقشتها، وإنما ليسهم بكتابته في توعية جماهير الأمة، وبلورة مشروع الإصلاح والتغيير، لذلك جاءت أغلب كتاباته لتصب في هذا الاتجاه، وحتى حينما يكتب أبحاثاً في الفلسفة أو الأصول أو الفقه، فإنه يتحين الفرصة أثناء الموضوع لطرح هموم الأمة، وقضايا الرسالة. وفي توجيهه للكتابة والتأليف يدعو المفكرين والكتاب إلى التركيز على معالجة مشاكل الواقع المعاش للأمة، وجذور التخلف والانحطاط الذي تعانيه، ومن ثم تناول أساليب العلاج وطرق الخلاص.

وكما أشرت سابقاً فإن هذا الجانب يعتبر مفردة من مشروع إصلاحي

متكامل يتبناه الإمام الشيرازي لإنقاذ الأمة، وإلى جانبه مفردات أخرى لا تقل عنه أهمية وخطورة، كمسألة التأسيس والمؤسسات حيث يدعو سماحته إلى المؤسسة في مختلف المجالات، فكل شأن من الشؤون يجب أن تتشكل له مؤسسات ترعاه، وتجمع الطاقات والجهود التي تخدمه، وتحتل هذه المسألة حيزاً واسعاً من تفكير سماحته وكتاباته وتوجيهاته، كما أنه ومن خلال نشاطه العملي يقدم نموذجاً رائعاً في إنشاء المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فقد تصدى بشكل مباشر لإشادة الكثير من المؤسسات في العراق والكويت وإيران، كما رعى وبارك إنشاء المئات من المؤسسات المختلفة في بقاع شتى من العالم.

وأرجو أن يوفق الله تعالى أحد الباحثين لتناول موضوع المؤسسة والتأسيس في فكر الإمام الشيرازي، ومسيرته الإصلاحية، كما بادر الأخ العزيز الشاب الطموح الأستاذ حسن حمادة لبحث موضوع الكتاب في فكر الإمام الشيرازي. وهي مبادرة طيبة ومتوقعة من الأخ الكريم، لما يتحلى به من نباهة واهتمام ثقافي، ولما ينطوي عليه من تطلع واندفاع نحو بث الوعي وتفعيل الحركة الفكرية الهادفة في المجتمع. أخذ الله بيده إلى المزيد من التوفيق والعطاء في خدمة الدين والمجتمع، ووفق الله سائر شبابنا الأعضاء للاقتداء به في اهتماماته وإنجازاته الثقافية، وحفظ الله الإمام الشيرازي علماً هادياً ومرجعاً مصلحاً وذخراً للإسلام والمسلمين، وحفظ كل مراجعنا المصلحين وعلماؤنا العاملين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

١ رمضان ١٤٢١هـ

## الانحراف: أسباب وحلول<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخلو مجتمع من المجتمعات البشرية من حالات انحراف تظهر بين الفينة والأخرى على سطحه، بعضها فردي والآخر جماعي، وتكشف تلك الحالات عن وجود خلل ما في بنية ذلك المجتمع، فهي كالأعراض المرضية التي تشير إلى وجود المرض. وقد تحتاج كل حالة من الحالات إلى تشخيص طبيعتها لمعرفة نوع المرض الذي يدفعها إلى الظهور.

والملفت للنظر في مجتمعنا المسلم والمحافظ أن تظهر حالات من الانحراف الخطرة، وأن يتوالى حدوث تلك الحالات فتتحول إلى ما يطلق عليه بالظاهرة.

الملفت جداً أن يصبح القتل ظاهرة، وأن يصبح اللجوء إلى وسائل العنف والإيذاء ظاهرة.

إن من الممكن أن يكون لبعض حالات القتل والاعتداء على النفوس بالجرح أو الإصابة عوامل وأسباب قوية.

ولكن ما ينذر بخطورة هذه الظاهرة أن تكون الأسباب المؤدية إلى حدوثها

---

(١) مشاركة نشرت في جريدة «البلاد» بتاريخ ١٩ / ١١ / ١٤٢١هـ، ضمن ملف: «الإعلام والجريمة».

أسباباً واهية وضعيفة، كأن يختلف طرفان على مبلغ مادي بسيط فيقتل أحدهما الآخر لأجله، أو يؤدي إلى ذلك صراع بسيط بين طفلين، أو مشادة كلامية حول قضية جزئية..

في مثل هذه الحالات ينبغي التعامل مع هذه الظاهرة باهتمام شديد ووعي تام.

ورغم أن الحالات التي حدثت في المملكة هي حالات محدودة ومعدودة، قياساً إلى نسبة مثيلاتها في مجتمعات أخرى، غير أنها تبقى حالات تستدعي منا ومن المهتمين إخضاعاً للدراسة الموضوعية والتحليل العميق.

ذلك أن بلادنا ومجتمعنا - في نظر الكثيرين من المجتمعات والشعوب الإسلامية - هو الأسوة والقدوة.. فيه الحرمان الشريفان، وفيه مهبط الرسالة وبذرة التوحيد ويشكل مرجعية دينية يتوجه المسلمون شطرها، ويتمتع بسمعة عالية في الأمن والاستقرار الاجتماعي.

من هنا فان مبادرة جريدة البلاد، بطرق هذا الموضوع وإثارة النقاش حوله هو جهد طيب ومشكور يكشف عن وعي بالمصلحة العامة للوطن والمجتمع. من أسباب الظاهرة:

### أولاً: الخواء الروحي:

فالانغماس الشديد في المادة، واللهات وراء المغنم المادية دونما مراعاة للقيم والمبادئ يحجب قلب الإنسان عن الاستماع إلى نداء الضمير وصرخة القيم التي تنطلق من هذا الواعظ أو ذاك.

ففي جو يسوده الجفاف الروحي والجذب المعنوي لا يستبعد أبداً أن تحدث هذه الظواهر، ولكنك لن تجد الحالة كذلك لو تكثف حضور القيم وقويت

خطوط الاتصال والارتباط مع الله سبحانه وتعالى، حيث يتقلص دور المادة وضغط الشهوة وسلطة الأنا، وحيث يعلو صوت الحق ونداء القيم والمثل.

فالحدود المادية الضيقة حينما تؤطر الحياة تجعل مساحات التلاقي بين المرء والآخرين ضيقة، وتجعل المتخالفين أقرب إلى التنافر منهم إلى التلاقي.

وربما لذلك نجد أن كثيراً من النصوص الروحية عند المسلمين، والتي يقرأها الإنسان في حالة الدعاء والانقطاع إلى الله تؤكد على تصحيح هذه الزاوية في النفس البشرية. انظر مثلاً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

## ثانياً: ضعف التوعية والتثقيف:

هنالك كثرة من الوعاظ والمرشدين في مجتمعنا المسلم، وخصوصاً في المملكة، وهو وضع يغبطننا الكثيرون عليه، وهذا الوضع يفترض فيه أن يكون سبباً قوياً لتجسيد القيم والمبادئ في مجتمعنا، ويفترض في هؤلاء الوعاظ أن يقوموا بدور كبير في معالجة المشاكل الحقيقية التي تنشأ في المجتمع.

والملاحظ على حركة الوعظ والإرشاد أنها تحتاج إلى كثير من الجهد والتطوير حتى تستطيع أن تعالج المشاكل المتفاقمة المحلية والواردة التي يعيشها الناس.

فالوعظ بطريقة فوقية، أو بأسلوب سطحي لا ينفذ إلى العمق، أو التحدث بلغة المفروضات والواجبات دون مراعاة الصعوبات والمعوقات واستخدام لغة التعنيف أو التكفير وما شابه، كل ذلك وغيره يفقد هذا الجانب والجهة التي تتبناه

تأثيرها المطلوب، وأكثر من ذلك، حيث مع مرور الزمن تزداد الهوة بين الناس وبين هذه الطبقة. من هنا ينبغي على رجال العلم والأئمة والمرشدين أن يطوروا خطابهم وأساليبهم، وأن يصلوا إلى مستوى القدرة على التأثير والتغيير ومعالجة المشاكل المختلفة للناس. وذلك لا يتحقق إلا بطرح حلول حقيقية للمشاكل القائمة وخلق ظروف وأطر مناسبة لمعالجتها، وابتكار لغة خطاب قادرة على جذب الجمهور نحو تحمل المسؤولية والمشاركة الفعالة في تجاوز المشاكل الاجتماعية.

وقد يفرض هذا على الوعاظ والمرشدين أن يتحولوا إلى مؤسسين وشركاء في إرساء مؤسسات اجتماعية تقدم حلولاً منطقية للمشاكل وأن يمارسوا مهمة الوعظ والنصيحة من خلال الجهد العملي لا التنظير والكلام فقط.

### ثالثاً: الاحتواء والاستيعاب:

في بعض المجتمعات المتقدمة هنالك أجهزة ومؤسسات قادرة على التعامل مع الانحرافات الصدمية، وقادرة على التعامل مع الأشخاص الذين يسلكون العنف من أجل الوصول إلى مآربهم، وبعض المؤسسات تعمل على سحب فتيل العنف قبل انفجاره. فالخبراء الاجتماعيون والاستشاريون النفسيون والمصححات العقلية والنفسية وفرق مواجهة المنتحرين، كل تلك الجهات تحاول التخفيف والتنفيس من حالات الاحتقان التي قد تنشأ بفعل الإحباط أو مواجهة مشكلة اقتصادية أو اجتماعية أو قد تنشأ من أسباب نفسية أو ظروف أخرى غير معلومة.

لقد بات من الضروري أن يكون في كل مجتمع جهات استشارية يلجأ إليها الناس حينما يشعرون بمواجهة مشكلة ما.. وتكون مهمتها، في الحدود الدنيا، إتاحة الفرصة للناس للتعبير عن مشاكلهم والبوح بما يشعرون به في ذواتهم تجاه

أي تحد يواجهونه.

ويمكن أن يقوم بهذه المهمة الأخصائيون النفسيون، والمرشدون الاجتماعيون ورجال العلم الواعون، وأهل الرأي والخبرة في المجتمع. وإذا كانت الأمور في المجتمعات الأخرى تجري بأسلوب أن صاحب المشكلة هو الذي يعرض مشكلته، فإننا قد نحتاج من أهل الرأي والحصافة أن يبدأواهم بإعطاء المجال لأصحاب المشاكل للتعبير عن معاناتهم. إن مجرد شعور الشخص بأن ثمة جهة ما تستمع إليه وتتفهم ظروفه ومعاناته، سوف يخفف كثيراً من وقع المشكلة عليه ويجعله أكثر اقتناعاً بإمكانية حل مناسب لها.

حسن موسى الصفار



## تقديم لتقرير مؤسسة الأعمال الخيرية بحلة محيش

بسم الله الرحمن الرحيم

هنالك أكثر من منطلق ودافع يدفع المواطن الواعي للتصدي لخدمة مجتمعه والارتقاء بالوضع العام فيه نحو الأفضل.

**الدافع الأول:** هو تفعيل المشاعر الإنسانية النبيلة التي يحتضنها الإنسان بفطرته، هذه المشاعر التي قد تنمو وتتطور إذا ما وجدت لها برنامجاً عملياً وساحة فعالة تتجسد فيها، أو قد تضرر وتكبت إذا ما طغت عليها أمواج الذات والأنا، من هنا تجد المشاعر الطيبة عادة ما تكون ظاهرة على أصحاب النشاط والخدمة الاجتماعية، كيقظة الضمير، والإحساس بالآخرين، واستشعار المسؤولية عن الغير. والوصول إلى هذا المستوى الإنساني أمر يهتم لأجله الواعون، حيث يحققون لأنفسهم من خلال ذلك السعادة والرضا واللذة الروحية الفريدة.

**الدافع الثاني:** تنمية الكفاءات والقدرات الذاتية عند الفرد حيث يصبح تراكم الخبرة والتجربة عنده أكثر من الآخرين، كما تصبح معرفته التفصيلية بالشأن الاجتماعي أدق وأعمق.. فضلاً عن ما يوفره له موقع الخدمة هذا من قدرة على بناء علاقات وارتباطات وثيقة مع أبناء المجتمع، أما الذين ينطوون على أنفسهم فإن كفاءاتهم وقدراتهم تضحل أو تتلاشى وتتشأ هوة كبيرة بين تفكيرهم وتوجهاتهم وبين توجهات الناس وقناعاتهم.

**الدافع الثالث:** إن الإسهام في تقدم المجتمع ينعكس إيجاباً على تقدم الفرد نفسه، فهو جزء من المجتمع، والمجتمع إنما يتكون من أفراد، وحل مشاكل المجتمع العامة يعني إعطاء الفرد فيه فرصة أكبر للتقدم، إضافة إلى التأثير المتبادل عادة بين الفرد والمجتمع حيث يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به.

**الدافع الرابع:** هو الشعور بالمسؤولية الدينية نحو الواقع والمحيط الذي يعيش فيه الإنسان. فإذا كان الإنسان مسؤولاً في نظر الدين (حتى عن البقاع والبهائم) أفلا يكون مسؤولاً عن الناس من حوله؟ وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم» ولولا الاندفاع استشعاراً لهذه المسؤولية لما كان يمكن تسمية الفرد المتدين بأنه صادق في عقائده وتدينه، من هنا فإن القرآن الكريم يسمي العطاء الذي يساهم به الإنسان في حل مشاكل الآخرين يسميه بـ(الصدقة) لأنه يكشف عن صدق وتصديق المعطي بالشعارات والمبادئ التي يؤمن بها.

وضمن هذا السياق يعتبر القرآن الكريم من لا يهتم بأمور الضعفاء والمحتاجين كاذباً في تدينه وإن ادعاه أو تظاهر به يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

**الدافع الخامس:** تلك الظروف الصعبة التي قد يعيشها المجتمع. فالمشاكل كثيرة، والتحديات خطيرة، والحاجات لا تكاد تنتهي، والظرف الاقتصادي ضاغط، وللتقدم التكنولوجي ضحايا بشرية وانعكاسات أخلاقية وسلوكية، وللكوارث والابتلاءات الطبيعية أضرار ومخلفات، فأيتام هنا ومحتاجون هناك ولا بد من وجود جهات تتصدى وتأخذ على عاتقها المشاركة في رفع هذه المعاناة وإزالة هذه الصعوبات والتحديات بالقدر الممكن والمناسب.

وقيام مؤسسة الأعمال الخيرية في الحلة للمساهمة في هذا المجال والاضطلاع بهذه المهمة وهذا الدور أمر يستحق الثناء والشكر والتقدير من كل

مواطن غيور وواع، ولا شك أن ذلك يكشف عن عمق النزوع والسجيا الخيرة، ويكشف عن أصالة الدوافع الكريمة والنبيلة في نفوس أعضاء ومسؤولي هذه المؤسسة الخيرية الناجحة.

وهؤلاء الشباب العاملون في المؤسسة كان من الممكن أن يكرسوا أوقاتهم لمصلحة ذواتهم الشخصية أو أن يكونوا من أولئك الشباب اللاهين وغير المبالين بقضايا مجتمعهم، ولكنهم اختاروا أن يقوموا بهذا الدور الرائد وهذا العمل البناء، رغم أن كل واحد منهم له وضعه الخاص به الذي كان من الممكن أن يتعذر به فكل منهم له طموح شخصي - على الصعيد العلمي أو المادي - وكل منهم له أسرة وعائلة وارتباطات مختلفة إلا أنهم آثروا الاهتمام بهذه المؤسسة وتطويرها طيلة هذه السنوات، وكما تشير تقاريرها فإنها قد حققت خلال هذه الفترة إنجازات طيبة وكبيرة نأمل أن تتواصل في المستقبل إن شاء الله.

إنني أدعو الأخوة الأعزاء في مؤسسة الأعمال الخيرية إلى مضاعفة الجهد وتكثيف النشاط من أجل تطوير عملهم وأن لا يبقى ضمن مستوى محدود، وأن يسعوا لتوسيع رقعة التفاعل مع محيطهم الاجتماعي باستقطاب المزيد من العناصر والأعضاء الجدد للمؤسسة.

كما أرجو من أبناء مجتمعنا الكريم في الحلة أن يمدوا يد العون والتعاون لهذه الفتية الطيبة، وأن يقابلوهم بتجاوب وتشجيع واحترام يدفعهم إلى المزيد من العطاء ويرفدهم بالكثير من التفاعل ففي ذلك خدمة للمصلحة العامة وتعاون على البر والتقوى وتحقيق لرضا الرب سبحانه.

وفق الله الجميع للخير والصلاح وجزى الله العاملين خير جزاء المحسنين.

حسن موسى الصفار

٢٣ ذو الحجة ١٤٢١هـ



# مقابلات



## الشيخ الصفار وحديث عن الشباب<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

١. شهر رمضان هذا الشهر الفضيل العظيم الذي تعم بركته وخيره على الجميع هل يعني للشباب شيئاً مميزاً ومعنى خاصاً؟

نعم فلعل من أبرز حكم الصوم تصليب وتقوية الإرادة عند الإنسان، حيث تمتلئ نفسه بالغرائز والشهوات والرغبات، وكل رغبة أو شهوة تلح عليه لكي يستجيب لها ويلببها، لكنه بحاجة إلى الموازنة بين رغباته، وإلى التوفيق بين الرغبات والمصالح الضرورية لحياته المادية والمعنوية، ورغم أن الله تعالى زود الإنسان بعقل راجح، ينير له الدرب، ويرشده إلى التوازن والاستقامة، إلا أن ضغط الشهوات والرغبات قد يتغلب على صوت العقل وندائه، إن لم تكن للإنسان إرادة قوية تنتصر لإرشادات عقله.

والصوم باعتباره برنامجاً لضبط الرغبة والشهوة، حيث يجب أن يمتنع الصائم عن المفطرات، والتي تعود على تناولها كل يوم، وأصبحت عادة ونظاماً لحياته اليومية طوال السنة، لكنه يتوقف عنها فوراً مع بداية الصيام، مما يدربه على مواجهة الرغبة والشهوة، ويجعله قادراً على إصدار القرارات وإلزام نفسه

---

(١) مقابلة في جريدة الوطن، العدد ٧٥، السنة الأولى، الأربعاء بتاريخ ١٧ رمضان ١٤٢١هـ / ١٣ ديسمبر ٢٠٠٠م.

بها.

والشباب والشابات يعيشون فترة استيقاظ الرغبات واشتداد ضغوطها، فمرحلة الشباب حساسة جداً لجهة تبلور الأحاسيس والعواطف، وبلوغ الشهوة أوجها في نفس الشاب والشابة.

مما يجعل الشباب في حاجة أكبر إلى قوة الإرادة، لمواجهة ضغط الرغبة والشهوة، إن ذلك يشبه حاجة قائد السيارة وهو ينحدر بها من طريق مرتفع إلى قوة الفرامل والكوابح (بريك) وإلا تعرض لخطر فقدان السيطرة عليها.

والصوم كبرنامج لتنشيط الإرادة يكون أكثر ضرورة وأهمية في مرحلة الشباب.

لذلك نجد أن رسول الله ﷺ يوجه الشباب الذين لا يتمكنون من إشباع غريزتهم الجنسية عبر الزواج، أن يقووا إرادتهم بالصوم، حتى لا يدفعهم ضغط الشهوة إلى الانحراف. كما جاء في صحيح البخاري ومسلم عنه ﷺ أنه قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء»<sup>(١)</sup>.

فمن تمكن من تكاليف الزواج (الباءة) فليتزوج، ومن لم يستطع فليواظب على الصوم فإنه كابح وقامع (وِجاء). أي أنه يمنح الإنسان القدرة على ضبط شهواته وذلك بتصليب إرادته.

٢. في شهر رمضان تتسابق القنوات الفضائية ومحطات التلفزة على استقطاب المشاهدين عبر برامج المسابقات والأفلام وسواها، ويتسمّر الشباب والشابات بالفعل ساعات طويلة أمامها لمتابعة تلك البرامج، فما تعليقكم

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٥٠٦٥.

## على هذه الظاهرة؟

لا شك أن وسائل الاتصال والإعلام من فضائيات وإنترنت أصبحت مصدراً من مصادر المعرفة والتثقيف لا يمكن الاستغناء عنها، لكنها في الغالب تعتمد برامج الإثارة، وتحريض الرغبات والشهوات عند الإنسان، خاصة الشباب والشابات، وتقوم بدور التبشير والترويج لأنماط سلوكية مخالفة لنظام القيم في مجتمعاتنا الإسلامية، وبعض برامجها قليل الفائدة إن لم يكن عديم الفائدة ويضيع وقت المشاهد هدرًا.

إننا لا نطلب من الشباب مقاطعة هذه الوسائل الإعلامية، لأن ذلك يعني الانغلاق والانطواء، ولكننا نلفت أنظارهم إلى ضرورة التقييم والنقد والتمييز، فلا يسلّموا عقولهم ونفوسهم لما يعرض عليهم دون دراسة وبحث وتمحيص.

فليختاروا البرامج المفيدة النافعة التي تجعلهم أكثر وعياً بأوضاع العالم وأحداثه، والتي تمكنهم من الإطلاع على التطورات العلمية والمعرفية، وليصنّوا أذهانهم ونفوسهم من تسلل وتسرب الملوثات والانحرافات، التي تضعف لديهم حالة الجدّية والاهتمام بحياتهم ومستقبلهم.

٣. من المتغيرات الملحوظة على الشباب في شهر رمضان عادة السهر في الليل والنوم أطول فترة من النهار حتى يتلافوا عناء الصوم ويستمتعوا بليالي شهر رمضان ذات النكهة الخاصة فهل لكم وجهة نظر حول هذا الموضوع؟

لا أحبذ كثرة القيود والتدخل في حياة الناس الخاصة، وحرّيتهم في تنظيم برامجهم وعاداتهم، وخاصة إذا كان هذا التدخل باسم الدين والشرع، فالدين ليس مجرد قائمة من الممنوعات والمحظورات لتعقيد حياة الإنسان، ومكافحة ميوله ورغباته، بل إنه دين يعطي الإنسان أقصى حرية وأوسع مدى للاستمتاع

بهذه الحياة. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾  
لذا يقرر الفقهاء أن الأصل في الإسلام الإباحة والحليّة حتى يثبت العكس  
فكل شيء مباح وحلال إلا إذا ثبت استثنائه بالمنع والتحريم من قبل الشرع.  
لذا فإن عادة السهر في ليالي رمضان والنوم في نهاره إذا لم تصطدم مع  
الوظائف والواجبات الأخرى، فذلك أمر متروك لرغبة الإنسان وحرية.  
ونشير هنا إلى بعض حالات التصادم: مثل انعكاس السهر على أداء الإنسان  
لعمله المكلف به في النهار، فإذا كان موظفاً ولم يأخذ حظه من النوم، وجاء إلى  
العمل متعباً كسلاناً، فإن ذلك يسبب ضعف إنتاجيته، وقد يجعله سيئ التعامل  
مع زملائه في العمل ومع المراجعين.  
هنا يحصل تصادم بين هذه العادة وبين الوظيفة الواجبة، وهذا لا يصح شرعاً  
ولا يُقبل عقلاً.

بالطبع لا يفوتنا إن ننبه إلى ما تذكره بعض البحوث العلمية من أن النوم  
والسكون يقلل استفادة الإنسان الصحية من الصوم، حيث أن الحركة العضلية  
في فترة ما بعد امتصاص الغذاء - أثناء الصوم - تنشط جميع عمليات الأكسدة  
لكل المركبات التي تمد الجسم بالطاقة، وتنشط عملية تحلل الدهون، كما تنشط  
أيضاً عملية تصنيع الجلوكوز بالكبد.. لذلك من المفضل أن يكون الصائم في  
حالة حركة ونشاط، لا في حالة نوم وخمول هذا من الجانب الصحي، وحتى من  
الناحية النفسية فإن النوم يفقده التفاعل بأحاسيسه ومشاعره مع فريضة الصوم،  
حيث لا يحس جوعاً ولا عطشاً، ولا يشعر بعناء ولا تعب، وبالتالي لا يترك  
الصوم أثراً على نفسيته من هذه الجهة.

٤. لكن سهرات الشباب في ليالي شهر رمضان غالباً ما تكون إضاعة للوقت،  
في جلسات مفتوحة ليست ذات فائدة، بل هناك بعض الممارسات التي

يقوم بها بعض الشباب على الكورنيش أو بعض الأماكن العامة منافية  
للآداب والاحترام؟

نعم هذه قضية أخرى ترتبط باهتمام الإنسان بعنصر الزمن، فالوقت هو أهم  
رصيد ورأسمال للإنسان، بل إن حياة الإنسان وعمره هو الوقت والزمن الذي  
يعيشه، وأي تفريط في الزمن يعني الأخذ من رصيد الحياة، وخسارة أجزاء من  
العمر، لذلك ينقل عن الإمام علي (عليه السلام) له: «ما نقصت ساعة من دهرك إلا بقطعة  
من عمرك» ورويت عنه كلمة أخرى يقول فيها: «إن عمرك وقتك الذي أنت فيه». .  
وخاصة في مرحلة الشباب يكتسب الزمن أهمية مميزة، فالشباب يعيش  
مرحلة صنع المستقبل، وتكوين الشخصية، فهو بحاجة إلى أي لحظة لتكريسها  
واستثمارها باتجاه أهدافه وتطلعاته.

ومؤسف جداً أن يتباهى بعض شبابنا بهدر أوقاتهم، أو قتل الفراغ، كما  
يقولون، بينما تنتظرهم مهام كبيرة، وتواجههم تحديات خطيرة، على المستوى  
الشخصي، وعلى صعيد الأمة والوطن، إن التفوق العلمي هو طريق تقدم الشباب،  
وهو بحاجة إلى الاجتهاد والمثابرة على التعلم والدراسة، فكيف يرضى الشباب  
لنفسه أن يبدد أوقاته ثم يأتي بمعدل منخفض في نتائج امتحاناته الدراسية.

والعمل والوظيفة أصبحت همّاً أساسياً في حياة الشباب، وكلما امتلك  
كفاءات وخبرات أكثر، كانت فرصته للوظيفة والعمل أكبر. وقد تجد شاباً يبيث  
لك همومه في عدم حصوله على عمل، ثم تسأله عن ما لديه من خبرات وكفاءات  
فلا تجد عنده غير الشهادة شيئاً!! إن اكتساب لغة أجنبية، أو التمرس في استخدام  
الحاسب الآلي، أو التوفر على كفاءة أو خبرة فنية يساعد الشاب كثيراً في ترتيب  
مستقبل حياته.

فلماذا لا يستغل هؤلاء الشباب أوقاتهم بهذا الاتجاه؟

وكيف يجدون لديهم فراغاً ومتسعاً من الوقت يقضونه في سهرات مفتوحة غير نافعة؟

إنَّ شهر رمضان يجب أن يلفتنا إلى أهمية عنصر الزمن في حياتنا، لأنَّ الله تعالى حدّد فريضة الصيام بهذا الشهر، وجعل للصوم وقتاً محدّداً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فلوا نقصت منه دقيقة واحدة من أوله أو آخره كان صيامك باطلاً، ولو تجرأت على إفطار يوم منه دون عذر، كانت عليك عقوبة شديدة، عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً.

٥. توجد في المجتمع برامج دينية ثقافية في شهر رمضان كمجالس الخطابات والمحاضرات لكن إقبال الشباب والشابات عليها ليس بالمستوى المطلوب فالى أي سبب يعزى ذلك؟

هنالك أسباب عديدة: منها ما يرتبط بتعدد والانشغالات والاهتمامات عند الشاب كالدراسة والانشداد لوسائل الإعلام، والعلاقات الاجتماعية، والتسوق، وتغيّر توقيت بعض الأعمال حيث أصبحت تجري ليلاً في كثير من المؤسسات والشركات وخاصة في شهر رمضان.

ومنها ما يرتبط بضعف الاندفاع والاهتمام عند الشباب للتزود من المعارف الدينية، والثقافية الإسلامية، بسبب الاستغراق في الاهتمامات المادية، وضعف التربية الدينية، أو ارتباطهم بشلل وصدقات تصرفهم عن هذه التوجهات.

لكن هناك سبباً هاماً وأساسياً يرتبط بمستوى البرامج الدينية المطروحة، حيث يقصّر بعض الخطباء والواعظين في تجديد خطابهم وطروحاتهم، وفي توفير مادة معرفية جيدة، وتقديمها بأسلوب جماهيري جذاب.

إن الخطاب الديني غالباً يكون تقليدياً ومكرراً، وفاقداً للحيوية، وغير

مواكب لما يعيشه الشباب من هموم وتطورات، وبالتالي يعجز عن استقطاب الشباب وحشدهم، ونجد في المقابل علماء وخطباء مبدعين، يقدمون المفاهيم الدينية بأسلوب عصري واضح، ويعالجون قضايا الشباب والمجتمع بعمق وحكمة، وهؤلاء الخطباء عادة ما تزدحم مجالسهم بالمستمعين، ويقبل عليهم جمهور الشباب.

إن وسائل الاتصال شديدة للخطاب الديني، وجعله أمام تحد كبير، فإذا كان الشاب يشاهد برامج علمية وفكرية تتنوع فيها الآراء، والطروحات، ثم يقارن ذلك بلغة وعظية مكررة وقاسية، لاشك أنه سينفر منها ويقبل على برامج الفضائيات.

وعلى علمائنا وخطبائنا أن يرتقوا بخطابهم إلى مستوى التحدي، ويتوفروا على مادة علمية، ومواكبة عصرية، وأسلوب مناسب، امثالاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

إن مجرد التهجم على الشباب واتهامهم بالطيش والفساد وتهديدتهم بالنار والعقاب لا يحقق الهدف المنشود من إصلاحهم وتوجيههم، بل ينبغي الحوار معهم والانفتاح عليهم، وتحسس همومهم وظروفهم، والتحدث معهم باللغة التي يفهمونها ويعرفونها، وتلك هي الحكمة التي تقتضي وضع الشيء المناسب في المكان المناسب، وهي الموعظة الحسنة، التي تعني تهيؤ النفوس للتقبل، والاستجابة وذلك مصداق للجدال بالتي هي أحسن، أي الحوار الموضوعي الهادئ.



**ندوات**



## قطوف من المهرجانات الولائية<sup>(١)</sup>

السلام على سيدتنا ومولاتنا بطلة كربلاء ومن صاغت بالتاريخ أروع صور التضحية والفداء، سيدتنا السيدة زينب الكبرى بنت علي أمير المؤمنين ثم السلام عليكم أيها الأخوة المحترفون بذكرى ميلادها المبارك..

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..

قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ تَرْفَعُوا وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾. سئل رسول الله ﷺ حينما نزل الوحي بهذه الآية الكريمة من قبل بعض الحاضرين من أصحابه والذين أشار إلى بيت علي وفاطمة قائلاً: يا رسول الله هل هذان من البيوت التي ذكرتها الآية؟ أين البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه؟ فأجابه رسول الله فوراً وبلا تأخير وبلا تردد وعلى مسمع من جميع الحاضرين، قال: (بلى إنه من أشرفها).. من أشرف البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه هو بيت علي وفاطمة هذا البيت العلوي الشامخ شاء الله سبحانه وتعالى أن يبقى شامخاً على مر التاريخ والعصور وأن لا يتحدد ضمن منطقة جغرافية واحدة وإنما أصبحت له فروع وامتدادات في مختلف البقاع التي شاء الله تعالى أن تكون مكاناً لهذه البيوت الرفيعة، ونحن هنا في منطقة نفتخر ونعتز بأن فيها امتداداً لذلك البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، بيت

(١) أُلقيت في الاحتفال بميلاد زينب بنت علي ﷺ - دمشق ٥ / ٥ / ١٤١٤ هـ، وطبعت ضمن كتاب (قطوف من المهرجانات الولائية) للدكتور عصام عباس.

علي وفاطمة.... مرقد الحوراء زينب فرع من ذلك البيت الطاهر العظيم الشامخ ويجب أن نشكر الله تعالى على نعمة مجاورة هذا المرقد الشريف، ويجب أن نشكر الله تعالى على التوفيق لزيارة هذا المكان المبارك المقدس، إنها التفاتة طيبة ومبادرة رائعة أن يحتفل بميلاد السيدة زينب ﷺ حيث مرقدها المبارك وحيث مقامها الشامخ.... إننا نشكر الأخ الدكتور عصام على مبادرته الطيبة، ونرجو أن تصبح سنة حسنة في هذه المنطقة التي بوركنا بأنها احتضنت جثمانها المبارك.

كما تعلمون فهناك في مصر مرقد ينتسب أيضاً للسيدة زينب ﷺ وعادةً ما تحتفي تلك المنطقة بذكرى ولادة زينب بمهرجان شامل واسع يعم المنطقة كلها، أجواء القاهرة في ذكرى ميلاد السيدة زينب تكون عامرة بالفرح والسرور والمهرجانات... لقد توفقت في إحدى السنوات أن أحضر مثل هذه المناسبات في القاهرة فرأيت مظاهر البهجة والاحتفال والسرور في تلك المنطقة بميلاد السيدة زينب، وفي الواقع فإن هذه المنطقة هي أولى وأجدر لما أثبتته البحث والتحقيق من السيدة زينب الكبرى - في الأقرب والأصح - أنها هنا في هذه المنطقة ولما في هذه المنطقة من وجود ينتسب إلى السيدة زينب فكان الأولى والأجدر والأحرى بأهل هذه المنطقة جمعاء الذين هم يعيشون من بركات السيدة زينب المادية والمعنوية ويتشرفون بمجاورتها، يفترض أن تكون هذه المنطقة في مثل هذه الأيام عامرة بالاحتفالات ومظاهر البهجة والسرور والفرح والتعظيم والتكريم لهذه الذكرى العظيمة العطرة، ولكن كثيراً من القضايا والحقائق لها في نفوس الناس جذور واهتمام لكن شيئاً من الغفلة والإهمال هو الذي يحول بين الناس وبين الاهتمام بهذه الحقائق وفي مثل هذا المورد تنطبق الآية الكريمة: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾... هذه المبادرة الطيبة في إقامة الاحتفال بولادة السيدة زينب ﷺ إنما هي رسالة تذكير لنا جميعاً، لجميع المقيمين في هذه

المنطقة ومحبي السيدة زينب ﷺ بأن يهتموا بهذه المناسبة وأن تقام الاحتفالات والمهرجانات على مختلف المستويات...

نأمل أن يكون الاحتفاء في السنة القادمة بشكل أوسع وأعظم وأكبر بما يليق والمكانة العظيمة لهذه السيدة الجليلة.

عندنا أحاديث ونصوص كثيرة تشجع الإنسان المؤمن على مجاورة الصالحين وتعتبر الجار الصالح من مظاهر السعادة في هذه الدنيا.

لماذا تكون مجاورة الجار الصالح من تجليات السعادة؟ ولماذا شجع الإسلام على مجاورة الناس الصالحين؟ السبب جلي وواضح لأن الإنسان يتفاعل مع من يجاوره ويكتسب منه ويتأثر به... إذا جاور الإنسان أناساً صالحين فإنه مع مرور الوقت والزمن يتأثر بأجوائهم وأخلاقهم وسلوكهم... هو يتأثر وعائلته تتأثر وأولاده يتأثرون... نحن نعتقد أن أولياء الله أحياء يرزقون عند الله... هم ليسوا أمواتاً... إنهم أحياء عند ربهم يرزقون وحينما نجاور مرقد السيدة زينب ﷺ يجب أن ندرك أننا لا نجاور زينب الميته... نحن لا نجاور زينب المتوفاة... نحن لا نجاور زينب التي هي جسد في باطن الأرض... نحن نعتقد أننا نجاور زينب الخالدة... زينب الحية عند الله... زينب حية خالدة ماثلة في القلوب وفي الأرواح عند الله... وهذا أمر واضح لكل المؤمنين والمؤمنين لأهل البيت، ولذلك نحن حينما نقف على عتبة أي مرقد من المراقد المقدسة فإننا نستأذن للدخول لأننا نعتقد أن من يسكنه حي وليس ميتاً، ولذلك نستأذنه ونبدي كل مظاهر التقديس والتعظيم والإجلال والاحترام. بناءً على ذلك عندما نجاور السيدة زينب ﷺ وهي أفضل مصداق للجار الصالح، وعندما نعتقد أنها حية حاضرة شاهدة فهذا يعني أن علينا أن نسأل أنفسنا عن انعكاسات هذا الجوار علينا، إلى أي حد نستفيد نحن من بركات جوار السيدة زينب ﷺ حتى ينطبق

علينا أننا نستفيد من هذا الجوار الطيب، يهمني هنا أن أشير إلى بعض النقاط تذكيراً لِنفسي و لجميع الأخوة المؤمنين بهذا الأمر الهام:

أولاً: إن علينا ونحن ننع بمجاورة السيدة زينب ؑ أن نسأل الله أن يديم هذه النعمة علينا. كثيرون كانوا يجاورون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ ويجاورون سيد الشهداء الإمام الحسين ولكنهم لظروف قاهرة قاصرة اضطروا لمغادرة تلك الأماكن المقدسة، فارقوا تلك القباب النيرة المشعة وقلوبهم يغمرها الحنين والألم لمغادرة تلك الأماكن المقدسة... إننا نرجو أن لا يحرمنا الله نعمة زيارة السيدة زينب ومجاورة السيدة زينب.. نسأل الله أن يديم الأمن والأمان والاستقرار في هذا البلد الطيب بوجود السيدة زينب حتى يكون المجال متاحاً للمؤمنين دائماً وأبداً لكي يتنعموا بزيارة السيدة زينب.

كم من المؤمنين يتمنون أن يلثموا عتبات حضرة الإمام الحسين؟ كل المؤمنين يتمنون أن تمتلىء أبصارهم برؤية قبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النجف الأشرف، ولكنها نعمة قد نكون حرمانها بسبب ذنوبنا وعدم استحقاقنا وتقصيرنا وعدم شكرنا لتلك النعمة حينما كنا نعيش في ربوعها وأجوائها. فعلىنا أن نحافظ على هذه النعمة بأن نعرف حق السيدة زينب ومكائنها وأن نعرف أبناءنا وعوائلنا من هي السيدة زينب وما هو فضلها ومكائنها وحياتها وجهادها ونضالها.

الزائرون الذين يأتون من أماكن نائية وبعيدة تجدهم يواصلون على زيارة السيدة زينب ولثم عتباتها المقدسة المباركة بينما قد ترى المقيم عازفاً أو زاهداً أو قد لا يرى من اللازم أو من الضروري أن يكثُر التردد... إن أحدنا لو كان يعيش مع والديه قد يرى من الجفاء أن يمر عليه اليوم ولا يزور فيه والديه فكيف يسمح الواحد منا لنفسه أن يقصر في مجال زيارة السيدة زينب وفي معرفة حياتها

وسيرتها وجهادها ونضالها.. علينا أن نتعرّف على ذلك ونتعمق في من يعرف عنها وأن نُعرّف ونربي عوائلنا وأبنائنا لكي يعرفوا قدر هذه النعمة، المسألة ليست مسألة الظروف الحياتية المادية التي قد تكون صعبة في منطقة وسهلة في منطقة أخرى.. البارحة التقيت مع أحد المؤمنين، كان قد ذهب إلى لندن لكي يعيش هناك، ولكنه عاد، سألته: لماذا عدت من لندن؟ فقد كنت تعمل من أجل أن تبقى هناك، فقال: نعم كنت أسعى ولكن حينما ذهبت إلى هناك ومرت الأيام والشهور عندها أدركت وأدركت عائلتي أننا فرطنا في نعمة كبيرة ما كنا نعرف قيمتها، قلت: وماذا تقصد؟ قال: زيارة واحدة للسيدة زينب تساوي الدنيا وما فيها. وفعلاً حسابات الإنسان الصالح المؤمن ليست حسابات مادية فقط، فالاعتبارات الروحية الدينية المعنوية تكون أرفع وأهم عنده من أي اعتبارات مادية إذاً هي نعمة يجب أن نعرف قدرها.

ثانياً: علينا أن نكون في مستوى مجاورة السيدة زينب، لأن الناس من الطبيعي أن يروا في أصحاب الإنسان ومجاوريه صورة له.. أنت حينما ترى تلامذة أي عالم أو اتباعه أو أصحابه أو المقيمين حوله أو الملتفين حوله فأنت تحكم عليه من خلال أخلاقهم.. إذا رأيت هؤلاء الناس أخلاقهم طيبة جيدة حينها تدرك أن هذا العالم قد رباهم على هذه الأخلاق، وحينما ترى أن أخلاقهم سيئة غير مناسبة سوف لا تسقط شخصياتهم هم فقط في نظرك وإنما من يلتفون حوله.. عادة هكذا الناس يقيمون.. عندما يأتي الناس إلى هذه المنطقة يجب أن يروا في الملتفين حول السيدة زينب صورة من شخصية السيدة زينب، أن تكون الأجواء في هذه المنطقة تعكس سيرة زينب، أن يكون المتوافدون لهذه المنطقة تلامذة صالحين صادقين للسيدة زينب بأخلاقهم وسلوكهم وأعمالهم وأنشطتهم، والحمد لله بتوفيق من الله أصبح هنا حول السيدة زينب وجود إيماني اجتماعي، العديد من الحوزات العلمية والمدارس والمؤسسات، الكثير من المؤمنين من

مختلف البقاع استظلوا بظلال السيدة زينب.. هذه نعمة كبيرة وأمر مهم أن يكون الوجود حول مرقد السيدة زينب يمثل مركز إشعاع وصورة تعكس حياة السيدة زينب وشخصيتها ومواقفها، ولا بد هنا أن نذكر الفضل لأهل الفضل وأن نترحم على الشهيد المرحوم آية الله السيد حسن الشيرازي رحمة الله عليه لأنه كان سبباً مباشراً وقريباً، وطبعاً السبب الأساس ووجود السيدة زينب.. السبب الأساس إرادة الله سبحانه وتعالى ولكن شاء الله أن يجري الخير على يدي هذا السيد فكان هو الذي باشر وأسس هذا الوجود في ذلك الوقت الصعب حيث لم تكن الأمور بهذا الشكل المناسب الذي نراه الآن، نعم هذا الوجود الديني حول مرقد السيدة زينب ينبغي أن تتجلى فيه السمات والصفات التي تريدها السيدة زينب ويريدها أهل بيت السيدة زينب.. هذا الوجود يجب أن تتجلى فيه الصفات الأخلاقية المناسبة، التعاون، هداية الآخرين، الاهتمام بالقضايا الدينية والاجتماعية، فهل الأمر كذلك؟ هذا ما نرجوه وما نتمناه. كل مجاور للسيدة زينب يتحمل هذه المسؤولية، لكن الجهات المنتمة والمتصدرة للأنشطة الدينية من مدارس وحسينيات ومؤسسات تتحمل المسؤولية أكثر في أن تضيء على هذه المنطقة الطابع الزيني سلوكاً وأخلاقاً وأجواء، هذه هي مسئوليتنا جميعاً علينا أن نكون مبلغين ونعكس حياة السيدة زينب للآخرين.. الزائرون حينما يأتون إلى هذه المنطقة ينبغي أن يخرجوا منها وقد ازدادوا إيماناً وفكراً وأخلاقاً طيبة وهدى في دينهم وبصيرة في حياتهم.

هناك عوامل سيئة تسعى لإيجاد بعض الأعمال والتصرفات المشينة وخاصة في المواسم وأيام كثرة الزائرين، تسمعون عن الكثير من القصص والمواقف والتصرفات التي لا تتناسب مع قداسة هذا المكان.

بالطبع المسؤولون والقيادة في هذا البلد لا تريد هذا الشيء وإنما تريد

هذا المكان لاثقاً بكل ما يحيطه من أجواء مقام السيدة زينب لكن عناصر السوء تحاول أن تستفيد من مختلف الفرص وهنا تأتي مسؤولية المحيطين بهذا المكان.. مسؤولية المجاورين للسيدة زينب في أن يتعاونوا ويتعاضدوا لتصبح أجواء هذه المنطقة أجواء لاثقة بمرقد السيدة زينب ومكانتها.

أرجو أن يكون مثل هذا الاحتفال وهذه المناسبة دافعاً لنا جميعاً لكي نفكر في واجباتنا تجاه السيدة زينب ونحن نجاور مرقدنا الشريف.

أكرر شكري للقائم على هذا الاحتفال وأشيد بمبادرته والتفاته الطيبة وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يأخذ بيديه إلى ما فيه الخير والصلاح وأن يوفقه لتطوير هذه البادرة وأن يتأزر الجميع معه في إحياء هذه المناسبة العظيمة.

وسلام على سيدتنا زينب وعلى جدها وأبيها وأمها وأخويها والتسعة المعصومين من ذرية أخيها وعليكم أيها المجاورون لها والمحتفون بذكرى ولادتها جميعاً ورحمة الله وبركاته وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.



## التزويج مسؤولية من؟<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،  
نبينا وحبیب قلوبنا وشفیع ذنوبنا، أبي القاسم محمد ﷺ.

في الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تزوج فقد أحرز نصف  
دينه، فليترك الله في النصف الآخر»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى: «من تزوج فقد أحرز  
ثلثي دينه فليترك الله في الثلث الباقي»<sup>(٣)</sup>.

لأننا - أيها الأخوة - نعيش ساعة سرور وفرح، بمناسبة احتفائنا بزواج  
أحد الأعمام، فضيلة الشيخ راضي حفظه الله، وبارك له في زواجه وبارك لبقية  
المشايع، وبقية المتزوجين جديداً في هذه الليلة أو في الأسبوع الماضي ومن  
سيتزوج في المستقبل إن شاء الله، لذلك أريد أن أتحدث حول الزواج<sup>(٤)</sup>.

لماذا يقول الرسول ﷺ: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه»؟.

(١) كلمة في حفل زواج الشيخ راضي ناصر السلطان، الأحساء - الهفوف، ونشرت في كتاب (احتفالات  
ليلة العرس) مؤسسة البلاغ - بيروت ٢٠٠١ م.

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، كتاب النكاح ب ١، ح ١١ - ١٣.

(٣) النوري الطبرسي، ميرزا حسين، مستدرک وسائل الشيعة، كتاب النكاح ب ١، من أبواب مقدمات النكاح  
ح ٢ - ٣.

(٤) قال سماحته هنا: «لذلك أريد أن أتحدث عن موضوعين: الموضوع الأول حول الزواج. والموضوع  
الثاني يرتبط بطلبة العلوم الدينية (المشايع)».

ما هو الدين؟ الدين هو الاستقامة، هو الالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى، والاجتناب عن نواهيه. هذه الاستقامة تحتاج إلى أجواء مساعدة، تحتاج إلى ظروف تساعد الإنسان على أن يسير في طريق الاستقامة والصلاح.

الإنسان قبل أن يتزوج ظروف الاستقامة لا تكون مهياة له بشكل كامل، أو بعبارة أخرى أن عوامل الفساد والانحراف، وأسباب الذنوب والمعاصي تكون كثيرة في فترة العزوبة. فإذا تزوج الإنسان فقد أغلق نصف الأبواب التي ينفذ منها الشيطان إلى حياته وإلى سلوكه.

الشيطان الرجيم، النفس الأمارة بالسوء، على شكل خيالات أو وساوس، على شكل عواطف أو نظرات، ممارسات، تصرفات، هذه أبواب الشيطان، هذه أسباب للانحراف وفقدان الاستقامة. فإذا تزوج الإنسان أغلق نصف أبواب الذنوب والمعاصي، سد نصف المنافذ التي ينفذ منها الشيطان إلى حياته وإلى سلوكه.

الزواج فيه استقرار نفسي، وفيه عوامل مساعدة ومشجعة على الاستقامة السلوكية، ولذلك وردت الروايات والنصوص الكثيرة، التي تدم حياة العزوبة، والتي تشجع الإنسان - رجلاً كان أو امرأة - على الإسراع في الزواج.

مما يشجع عليه الإسلام، الزواج المبكر بالنسبة للشباب والفتاة - ومع الأسف - فإن طبيعة نظام الحياة الآن، برنامج التعليم وحالة التوظيف، وطبيعة الحياة السائدة في المجتمع، أصبحت تستلزم - عند الكثيرين - تأخير الزواج، هذا التأخير ليس في صالح الإنسان، وليس في صالح البشرية، لأن الإنسان في مقتبل حياته وفي أوج نشاطه وقوة غرائزه واندفاعه لو أنه تزوج، فإنه يحصن نفسه وينفق جهده وقوته في تربية نسله وأولاده.

إذن الإسلام يشجع على الزواج المبكر.

ما نراه الآن من تأخير سن الزواج عند الشباب والفتيات أمر غير محبب في نظر الإسلام. ينبغي أن تذلل العوائق والعقبات لكي تتاح الفرصة أكثر أمام الشباب وأمام الفتيات للإسراع في الزواج والتبكير فيه.

صحيح أن الشباب يريد أن يطمئن على وضعه ومستقبله، فلا بد أن يتخرج من دراسته الجامعية، ومتى يتخرج؟! حينما يكون قد مضى من عمره أكثر من عقدين ٢٢ أو ٢٤ سنة، وإذا تخرج لم تعد الوظيفة في متناول اليد، يحتاج إلى فترة حتى يجد له الوظيفة المناسبة، وإذا وجدها يحتاج - أيضاً - إلى فترة حتى يكون نفسه، وهكذا يمضي ما يقارب الثلاثة عقود من حياته قبل أن يتزوج.

في أواخر العقد الثالث بالكاد يتزوج الإنسان، ولكن كم عقداً من الزمن يعيشه الإنسان؟! وكم يمتلك من القوة والنشاط في هذه العقود التي يعيشها?!.

إن ذلك يعني أن أكثر من نصف مدة النشاط والقوة والحيوية يقضيها الإنسان من دون أن تكون له زوجة، من دون أن يقوم بمهمة بناء الأسرة، وتنشئة الجيل الصالح. لذلك الإسلام يحث على الزواج المبكر، ويطالب المجتمع أن يهيئ أسباب وأساليب ووسائل تبكير الزواج.

لاحظوا إن القرآن الحكيم لا يخاطب الشباب أن يتزوجوا، وإنما يخاطب المجتمع أن يزوجهم: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

الخطاب في هذه الآية موجه لمن؟.

القرآن لا يقول: (وانكحوا) يعني: لا يخاطب الذين يريدون أن يتزوجوا، إنما يخاطب المجتمع (أنكحوهم) يعني أن مسؤولية التزويج تقع على عاتق المجتمع، وليس على عاتق الإنسان. فليس الشاب هو مسؤول أن يتزوج، بل

(١) سورة النور ٣٢.

المجتمع مسؤول أن يزوج الشاب.

وعندنا روايات تذكر أن من حق الولد على أبيه أن يزوجه إذا بلغ<sup>(١)</sup>، فهو حق من الحقوق، إذن ينبغي على المجتمع أن يتحمل مسؤولية التزويج.

كيف يتحمل المجتمع مسؤولية التزويج؟

يحتاج إلى عدة أمور:

الأمر الأول: برمجة الحياة بطريقة تتيح الفرصة للزواج المبكر.

البرمجة الموجودة الآن هي برمجة متأثرة بأوضاع الحضارة المادية الغربية، تلك الأوضاع التي تتعامل مع الإنسان تعاملاً مادياً، تلك الأوضاع التي يقل فيها الاهتمام العائلي والأسري، فلا يوجد من يهتم بغيره ولا من هو مسؤول عن غيره. حالة من الذاتية والأنانية وأن على الإنسان أن يبني نفسه بنفسه، ولا يعتمد على أبيه، ولا يستند على عائلته.

تشجيع هذه الحالة لها وجه إيجابي، ولكن هذا من وجوهها السلبية.

في الإسلام ليس الأمر كذلك، ينبغي أن ترمج الحياة بطريقة تتيح الفرصة للشباب والفتيات أن يتزوجوا الزواج المبكر.

نحن نسمع لا نعيش في كل أجواء المجتمع، ولكن نسمع ونلاحظ وتصلنا أخبار عن انحرافات ومشاكل تحصل.

صحيح أن هناك تجمعات مؤمنة متدينة محافظة، لكن مساحة كبيرة من المجتمع قد تجري فيها بعض المنافيات للتدين والاستقامة من الشباب أو

---

(١) من تلك الروايات قوله ٢: «من حق الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويزوجه إذا بلغ» وكذلك قوله ٢: «من بلغ ولده النكاح وعند ما ينكحه فلم ينكحه، ثم أحدث حدثاً فالإثم عليه». راجع ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٧٢٠.

الفتيات.

نسمع وتسمعون، ونلاحظ وتلاحظون، وفي بعض الأحيان يتوجه الناس للخطباء، ويمطرونهم بمثل هذه التساؤلات:

لماذا لا تطرح هذه القضايا على المنبر؟

لماذا هذه الحالات تحصل؟

لماذا الفتيات كذا؟ ولماذا الشباب كذا؟

لكن مجرد الكلام على المنبر لا يحل المشكلة، نحتاج إلى برامج عملية.

الغريزة الجنسية قضية واقعية، موجودة في حياة الإنسان، وهي من أشد الغرائز ضراوة في نفس الإنسان، إذا تنبعت هذه الغريزة يكون الإنسان قد وصل إلى مرحلة البلوغ.

ولاحظوا أن الإنسان لا يكون مكلفاً - الولد أو الفتاة - إلا حينما يبلغ، وكأنما الدين يقول: قبل البلوغ لا يتوجه إليك خطاب التكليف.

وما هو التكليف؟

التكليف هو امتحان، وذلك الامتحان والاختبار لا يتوجه إليك إلا حينما تبثلى بالغريزة الجنسية، وقبل هذا الابتلاء لا يوجد تكليف شرعي.

ففترة البلوغ هي فترة الابتلاء، وفترة الامتحان، وفترة التكليف، والتكليف يعني المسؤولية، يعني المحاسبة. فلأهمية الغريزة الجنسية قرن الله التكليف بنسوجها وتفتحها، لأنها من الابتلاء والامتحان والاختبار والمشقة، لذلك لا يكون الإنسان مكلفاً إلا حينما تبدأ الغريزة الجنسية دورها في حياته وفي شخصيته.

الغريزة الجنسية كغريزة قوية عميقة متأصلة ضارية في نفس الإنسان وفي شخصيته، تحتاج إلى معالجة، تحتاج إلى إشباع، تحتاج إلى إرواء.

وهذه الغريزة ينبغي أن تشبع عن طريق الحلال، والطريق الذي شرعه الإسلام للتعاطي مع الغريزة الجنسية هو الزواج، ولكن إذا انسد هذا الطريق وتعذر على الإنسان، مع وجود تلك الغريزة القوية الحادة المتفتحة، فماذا يصنع والطريق الحلال مسدود أمامه لأسباب وعوامل.

والمشكلة، هي ما نعيشه الآن من إذكاء وإغراء للغريزة الجنسية.

تصوروا شاباً في مرحلة المراهقة لا يستطيع أن يتزوج، لكنه يعيش في جو من المغريات والإثارات.

يفتح التلفزيون، يرى ما يرى خاصة مع وجود هذه القنوات الفضائية.

يفتح الإذاعة يسمع ما يسمع.

يقرأ المجلة أو الجريدة، ينظر ما ينظر.

حتى إذا حاول أن يمنع نفسه، فإنه إذا ذهب إلى المكتبة أو السوبر ماركت ليشتري جريدة سياسية أو أخبار يومية أين يجد الجريدة؟! سيجدها في رفوف فيها مجلات، تلك المجلات فقط من أغلفتها تستقطب أنظاره.

هذه الأجواء المملوءة بالإثارات والإغراء، تسبب الحرج للإنسان.

وإليك مثلاً بسيطاً، الإنسان الذي يمنعه الأطباء من طعام يضره، كما لو كان يشتهي مرض السكري، والطبيب يأمره بالابتعاد عن السكريات، أو لو كان يشتهي الكوليسترول، فالأمور التي فيها دهون، كالشحوم واللحوم يأمره بالابتعاد عنها.

ذلك الشخص الذي يعاني مرض السكري والأطباء يطلبون منه الابتعاد عن السكريات، إذا كان أصدقاءه يشجعونه دائماً على تناول السكريات، فإن استجاب لهم، فقد تسبب بإيجاد الخطر على صحته، وإن لم يستجب فقد تسبب في كبت غرائزه التي تثار دائماً!!.

فيتوجب على من يعاني من مرض السكري، ويريد أن يفر من الأشياء التي تضره، أن لا يتواجد في الأجواء التي ترغبه في تلك الأشياء.

الشاب الذي يعيش فترة المراهقة، الغريزة الجنسية متوقدة عنده، والطريق الحلال المشروع ليس مفتوحاً أمامه، وفي نفس الوقت هناك إغراء وإثارة. فمثله كالسيارة التي تسير في طريق الهبوط، فهي في ذلك الطريق لا تحتاج إلى (بنزين) لكي تسير، بل تحتاج إلى سيطرة على الفرامل (البريك)، لأن انحدارها سيكون بشكل طبيعي.

فإذا كانت كذلك، وكان السائق يزودها بالبنزين أكثر، فإنه لن يستطيع السيطرة عليها أبداً.

شبابنا الآن يعيش فترة من إثارة الشهوات والغرائز، فإذا لم يتيسر الطريق المشروع، فإن الشباب سيعيش حالة من الحرج والكبت، حالة من الدفع نحو المعصية والحرام.

ولكن هذا - بالطبع - لا يعني أن الشاب يفقد إرادته، وإنما يتضاعف امتحانه، فإذا نجح يزداد ثوابه. ولذلك وردت أحاديث كثيرة عن فضل الشاب المطيع التائب لله تعالى: «اللَّهُ سبحانه يباهي الملائكة بالشاب العابد»<sup>(١)</sup>. لأنه

---

(١) الري شهري، محمدي، ميزان الحكمة ج ٥ ص ٩. وإليك تكملة الرواية يقول: «انظروا إلى عبدي! ترك شهوته من أجلي».

في الواقع يعيش جهاد النفس، الجهاد الذي عبّر عنه بالجهاد الأكبر<sup>(١)</sup>.

الآباء لا يدركون مدى المعاناة التي يعيشها الشباب، لأنهم في الفترة التي عاشوا أوج شبابهم ومراهقتهم فيها، لم تكن تلك المناظر وتلك الأشياء موجودة، حتى النساء كانت - في نظرهم - مغلفة بعباءة سوداء، لذلك لم تكن الإثارات أمامهم كثيرة.

لكن الآن أبناءنا شبابنا يعيشون ظروفاً صعبة للغاية.

لا تكفي الموعظة فقط، والموعظة ضرورية، والإرشاد ضروري، لكن ينبغي أن تسهل أمور الزواج، ونبرمج الحياة بقدر ما نستطيع أن نجعلها مساعدة على التبكير في الزواج بالنسبة للفتيات أو الشباب.

الأمر الثاني: البروتوكولات والعادات والتقاليد التي تحيط بعملية الزواج، يجب علينا تبسيطها وتسهيلها مهما أمكن.

زيادة المهور، زيادة تكاليف حفلات الزواج عند الرجال والنساء، كل يوم تخرج أعراف جديدة وعادات جديدة، كل يوم يطلع فستان جديد وموضة جديدة ومكياج جديد.

هذا التعقيد في التقاليد وفي الأعراف وفي العادات ليس من صالح عملية الإسراع في الزواج، بل ينبغي أن نخفف من هذه العادات والتقاليد ونجعل عملية الزواج عملية في غاية البساطة.

لنجعل زواجنا كما كان زواج أعظم وأفضل شخصين، بل أفضل بشرين

---

(١) روي أن رسول الله ﷺ بعث سرية، فلما رجعوا قال: «مرحباً قوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله! وما الجهاد الأكبر؟. قال: جهاد النفس. ثم قال ٢: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه» راجع بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٦٥.

مخلوقين، بل أفضل إنسانين في الكون بعد رسول الله<sup>(١)</sup>، زواج سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ليس هناك زواج أفضل من هذا الزواج، وليس هناك اقتران أفضل من هذا الاقتران. فلا بد أن نلاحظ كيف كانت بساطة ذلك الزواج، وعلينا أن نقنطدي بهذه الحالة مع تكيفها.

أنا لا أقصد الاقتداء الحرفي، بل ينبغي أن نقنطدي من الناحية الجوهرية، يجب أن يكون الزواج وتكاليفه وظروفه مبسطة بالمقدار الممكن.

والأمر الثالث: أن تكون هناك مساعدة في المجتمع لمن يريد الزواج ويصعب عليه تحصيله، يجب أن نساعدته مالياً.

الآن يوجد في كثير من المجتمعات صناديق خيرية لمساعدة الذين يريدون الزواج، ولعل - القارئ العزيز - سمع أن في مدينة الرياض قبل عدة أشهر، وفي جلسة واحدة جمعوا أكثر من ٣ مليون ريال، من التجار ورجال الأعمال وغيرهم، حتى بلغت التبرعات إلى ٦٠ مليون ريال لمساعدة الذين يريدون أن يتزوجوا، وقد نشرت الصحف عن هذا الأمر.

ولا بد أن نضع بعين الاعتبار، أن ما ننفقه في مساعدة شاب يريد الزواج، لا يقل ثواباً وأجراً عن ما ننفقه في سبيل الحج المستحب أو العمرة المستحبة، أو القراءة والعزاء المستحب. بل قد يكون تحصين هذا الشاب من الانحراف أوجب وأفضل من سائر هذه الأعمال.

لذلك ينبغي أن نتوجه لهذه المسألة، ويكفي أن نعلم أن حديثاً مروياً عن رسول الله عليه السلام يقول: (من زوج أخاه المؤمن امرأة تؤنسه، أنسه الله بحور العين

(١) قال رسول الله عليه السلام: «يا فاطمة... إن الله تبارك وتعالى اطلع اطلاعة إلى الأرض فاختر منهما رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك» راجع بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٩٨.

في الجنة ومرافقة الصديقين من أهل بيت نبيه<sup>(١)</sup>.

فإذا ساعدت على توفير تكاليف الزواج في هذه الدنيا، فإن تلك المساعدة تمنحك زوجاً أسعد في الآخرة من الحور العين، والأهم من الزواج، مرافقة الصديقين من أهل البيت عليهم السلام.

وفي حديث آخر: «من زوج أعزباً نظر الله تعالى إليه يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>، وهناك الكثير من هذه الروايات حول تزويج العزاب<sup>(٣)</sup>.

فينبغي أن يوجد في كل مجتمع صندوق خيري لمساعدة الشباب الذين يريدون الزواج، وإذا كان هناك صندوق، ينبغي أن يتقوى أكثر، وينبغي أن يدعم أكثر.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك لعريسنا هذه الليلة - فضيلة الشيخ راضي - وأن يجعل زواجه زوجاً ميموناً، وأن يرزقه ذرية سالحة، وأن يبارك لمن سبق من المشائخ، وفي المستقبل يتزوج البقية من المشائخ والشباب.

اللهم زوج كل أعزب يا الله.

نسأل الله أن يبارك ويوفق الجميع، وأن يشكر سعي الجميع، ونسأله أن يثبتنا وإياكم على ولاية أهل البيت، وعلى السير في طريقهم، إنه ولي التوفيق.

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

٢٠ / ١٠ / ١٤٢٠ هـ

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٩٢. وكذلك ج ٧٨ ص ٢٨٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ٢٩٨.

(٣) الري شهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج ٤ ص ٢٧٥.

## في ميلاد أمير المؤمنين<sup>(١)</sup>

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين  
ومن والههم بإحسان إلى قيام يوم الدين  
ولاية أهل البيت عليهم السلام نعمةٌ كبيرةٌ من نعم الله تعالى علينا. ولذا فإنه يتوجب  
علينا أن نكون بمستوى هذه النعمة، وأن نتحمل المسؤوليات الملقاة على عواتقنا  
تجاهها.

ويبدو أن أهم المسؤوليات تجاه نعمة الولاية تكمن في بعدين أساسيين:

### 1- الالتزام بخط أهل البيت عليهم السلام:

إن الانتماء لأهل البيت عليهم السلام لا يكمن في اتخاذ هذا الانتماء شعاراً يتغنى به  
صاحبه ويخفي وراءه صورةً سيئةً تُسيء إلى هذا الخط المبارك والمنهج القويم.  
وإنما يجب أن يكون الشخص المنتمي لخط أهل البيت عليهم السلام بمستوى هذا الانتماء،  
فيسير وفق التعاليم التي حثَّ عليها أهل البيت عليهم السلام، وينأى عن الأمور التي زجر  
أهل البيت عليهم السلام مرتكبيها. وإلا فإن الشخص الذي يتسبب إلى علي عليه السلام و يحمل  
عنوان ولاية أهل البيت عليهم السلام، ولكنه لا يلتزم بخطهم ومنهجهم، إنه - في الواقع -  
يشوه هذا الاسم المقدس وهذا العنوان المبارك، وأهل البيت عليهم السلام كثيراً ما يأمرونا

(١) أُلقيت في احتفال للمناسبة بتاريخ ١٣ / ٧ / ١٤٢١هـ في حسينية اليوسف - حلة محيش.

بأن نكون صورةً حسنةً للعنوان الذي ننتمي إليه، يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا». وكذلك فأهل البيت (عليهم السلام) يأمرونا بأن نكون بمستوى هذا العنوان، ولذلك عندما قال شخصٌ للإمام الحسن (عليه السلام): أنا من شيعتكم، قال له (عليه السلام): «إن كنت لأوامرنا و زواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإلا فلا تضيف إلى ذنبك ذنباً بادعائك مرتبة شريفة لست من أهلها، ولكن قل أنا من محبيكم ولا تقل أنا من شيعتكم» .

## 2- كيف نقل ونوصل هذه الأمانة إلى الأجيال المقبلة:

أجدادنا، آباءنا، جداتنا، وأمهاتنا نقلوا إلينا هذه الأمانة، وسلموها لنا. ولذا فإن الفضل بعد الله تعالى يعود إلى عوائلنا الذين زرعوها بذور التشيع في نفوسنا، وغرسوا حبَّ أهل البيت (عليهم السلام) في قلوبنا، وأولاً نردد قول الشاعر:

لا عذب الله أمي أنها شربت حب الوصي وغذنيه باللبن  
وكان لي والدٌ يهوى أبا حسنٍ فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسنٍ

إذن فعوائلنا هي التي وجهتنا باتجاه الولاء، وهي التي هيأت لنا أجواء الانتماء لخط أهل البيت (عليهم السلام). وعليه يتوجب علينا أن نُهيئ لناشئتنا وشبابنا والجيل القادم من بعدنا أيضاً الأجواء التي تساعد على انتقال هذه الأمانة إليهم.

وفي ظلِّ الظروف التي نعيشها في هذا العصر يجب أن يشعر الآباء وأن تشعر الأمهات بقلقٍ كبيرٍ على الأبناء والبنات، على الناشئة والشباب، إذ أصبحت أجواءنا مفتوحةً للقنوات الفضائية التي تبث لنا سموم الشرق والغرب، فأصبحت عقول أبنائنا ونفوسهم تستقبل هذه الرياح الملوثة من مختلف الأماكن، مما تترك أثراً بالغاً على سلوك أبنائنا وبناتنا.

ونحن نلاحظ ونسمع الكثير من المشاكل والمصائب التي تحصل في أوساط

الشباب والشابات، وبالتأكيد إن ما نسمعه هو جزء قليل من ما يحدث. عقدٌ كامل (عشر سنوات) مرَّ على مجتمعنا وهي تخضع لهذا البث، ولهذا التوجيه الإعلامي المكثف، فليس هناك بيت إلا وفيه تلفاز أو أكثر، وأصبح هناك ما يُعرف بـ (الدش) الذي ينقل لنا البث المباشر، وأصبح هناك الإنترنت والكمبيوتر، وهذه كلها وسائل علمية متطورة.

ولكنَّ المشكلة أن القوى الاستكبارية في العالم، التي تريد الهيمنة على البشرية وتريد توجيه المجتمعات في النمط السلوكي الذي يُناسب مطاعمهم ومكاسبهم المادية ضمن نظام العولمة، نجدهم يستغلون هذا التقدم الإعلامي والتكنولوجي لإذابة خصائص الشعوب والمجتمعات وإلغاء هويتهم وتحويلهم لمجرد قطعان تابعة لما يجري في تلك المجتمعات الإنتاجية، وذلك حتى تكون هذه الشعوب والمجتمعات مجتمعات استهلاكية، مجتمعات متطابقة مع نمط الحياة في الغرب.

وفي هذا المجتمع غالباً ما يفتقد الآباء والأمهات للاهتمام والتوجه نحو الناشئة، الأب مشغول وغارق في أعماله وانشغالاته، والأم هي الأخرى أصبحت مشغولة في اهتماماتها، فإلى أين يذهب الأبناء والأطفال، إن الأسلوب المستخدم من قبل الآباء والأمهات يدفعهم دفعاً لكي يقعوا في أحضان الوسائل الإعلامية، وفي أحضان التوجهات السيئة والفسادة.

وطالما نرى ونسمع الطفل وهو يأتي عند أمه يبحث عن حنانها، ودفء عاطفتها، ولكنها مشغولة بمتابعة مسلسل ما فتجهره أو تضربه، وتشغله بالأفلام الكرتونية أو أي شيء آخر، المهم أن تتفرغ هي لمتابعة المسلسل. هذا الولد الذي تبرأ والدته منه في لحظة حاجته إلى عاطفتها وحنانها، ألا تتحمل هي المسؤولية عما يعانيه الطفل من فراغ عاطفي، وجوع روحي.

وهذا الأب الذي يصرف أوقاته في أعماله مع (شالله) وأصحابه. أليس لأبنائه حقُّ عليه، فإذا كان هذا الأب غارقاً في لذاته وشهواته فما نصيب أبنائه وبناته منه؟ متى يجلس معهم؟ متى يتفرغ لتوجيه سلوكهم ولرقابة أمورهم وشؤونهم؟ ألم يعي هذا الأب ويسمع قول النبي الأعظم ﷺ: «لجلوس أحدكم ساعة مع عياله أفضل من عبادة ٧٠ سنة في مسجدي» .

إذن نحن مسؤولون عن الاهتمام بأبنائنا وناشئتنا، حتى ننقل إليهم هذه الأمانة، حتى نحميهم من التلوث والانحراف، وحتى نؤدي الواجب نحوهم.

وقد لا يكون البيت وحده كافياً يجب أن ندعوهم للأنشطة الدينية والاجتماعية في المجتمع. وقد يستهين بعض الآباء وبعض الأمهات باحتفال يجتمع فيه الأولاد، أو موكب عزاءٍ أو دورةٍ تدريبيةٍ، وفي الواقع إن هذه الأنشطة الدينية والثقافية والاجتماعية هي التي تُساعدنا على تربية أبنائنا وبناتنا. فنحن قد نصرف مبالغ كبيرة على المآتم في شهر محرم الحرام، وفي العادات المستمرة طوال السنة في معظم البيوت، وهذه ميزة طيبة والحمد لله، فيها الأجر والثواب الكبيرين. ولكن غالباً ما تكون هذه المجالس موجهة للكبار، يستفيد منها الكبار، بينما أبنائنا هم الأحوج إلى التوجيه والإرشاد منك أنت أيها الرجل الكبير أو المرأة الكبيرة. نحن أمهاتنا حريصاتٌ على حضور التعزية، ففي كل يوم تذهب إلى الحسينية، وهذا أمر طيب وجيد، ولكن الابن البنت أحوج إلى المآتم من الأب والأم، لأنهم يعيشون مرحلةً خطيرةً، فهم في حاجةٍ ماسةٍ إلى توجيه وإرشاد الأب والأم.

يقولون ماذا نصنع، الشباب لا يأتون إلى المآتم؟ وكنموذج من هؤلاء الآباء، يحكي بعضهم فيقول: أنا عندي عادة في منزلي وكلما أردت من أولادي أن يأتوا.. لا يفعلون ما أمرهم به.

فلننكر! قد يكون السبب لأننا لم نهيب المجلس لحضورهم، أو أن الحديث الذي يُطرح غير قادرٍ على استقطابهم، أو الجو الذي في المجلس لا يجذبهم. فلننكر في المجالس التي تستقطب أبنائنا وبناتنا، ولنصرف عليها المال.

من جهةٍ أخرى نجد أن بعض أصحاب الحسينيات والقائمين على المساجد لا يعون أهمية الاهتمام بالناشئة والشباب، فنراهم يُرحبون بإقامة المجالس الحسينية في وفيات الأئمة عليهم السلام أو في الفواتح، وذلك تعاوناً منهم مع الكبار، وهذا عمل جيد وفيه ثواب كبير؛ ولكن نجد أن هؤلاء يعزفون عن مساعدة الشباب حينما يطلبون منهم الحسينية من أجل إقامة احتفالٍ أو دورةٍ تدريبيةٍ أو ندوةٍ علميةٍ أو أي عمل اجتماعي يهتم بالطبقة الناشئة من المجتمع.

ولكنني أقول وبكل ثقة واطمئنان: إن الثواب عند الله تعالى للأعمال الاجتماعية التي يقوم بها الشباب يكون أكثر بكثير من ثواب المآتم التي يقوم بها الكبار!! لماذا؟ لأن الثواب بالتأثير والتأثير. فأنت إذا قمت بمآتمٍ حسيني وحضره أربعة أو خمسة أو عشرة من الكبار فهذا أمر جيد وفيه ثواب كبير وفيه إحياءٌ لذكرى أهل البيت عليهم السلام بمقدار الحضور. ولكنك إذا جمعت عشرين أو ثلاثين أو أكثر من الناشئة والشباب وأرشدتهم ووجهتهم وأثرت في سلوكهم، فهذا ثوابه أكبر من ذلك الاجتماع وذلك المجلس، لأن هؤلاء هم الذين يحتاجون إلى التوجيه والإرشاد، هم من يجب أن نوصل إرشاد وتوجيه أهل البيت عليهم السلام إليهم.

وكذلك ينبغي على الآباء أن يُوسّعوا من نطاق تفكيرهم فيفكروا في ما من شأنه أن يدفع بأبنائهم نحو الصلاح والإيمان. فالأب الذي يسعى لكي تكون في منزله عادةً أسبوعية، لماذا لا يفكر في دعوة أحد علماء الدين لكي يدرس أبناءه علوم دينهم ويرشدهم ويوجههم؟ وبالتأكيد فإن الفائدة المرجوة من هذا العمل هي أعمق وأكبر بكثير من سابقه.

وأخيراً، فإن مجتمعنا بحاجة إلى مؤسساتٍ تضم مجموعة الشباب المتدينين والواعي والمثقف يقومون بدور احتضان الناشئة لتوجيههم وإرشادهم وتربيتهم وإصلاحهم، ليس على مستوى الأبناء فحسب وإنما على مستوى البنات كذلك، وهذا فيه فضلٌ وثوابٌ كبيرٌ ومنفعةٌ عظيمةٌ للمجتمع، نأمل إن شاء الله توفرها وشحذ الجهود باتجاهها

### ذكريات عليّ ﷺ تتجدد في يوم الميلاد:

إن مولد الإمام عليّ ﷺ يطلُّ علينا هذا العام ونجد أن جموع الأمة الإسلامية وأبنائها يستعيدون ذكرياته ﷺ. ولعلكم سمعتم عن المسيرات التي انطلقت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وبعضهم يهتفون «خير خير يا يهود جيش محمد سوف يعود»، وهذا من أعز الشعارات داخل فلسطين. فالأمة الإسلامية في هذه الآونة تستعيد ذكريات خبير وأحداثها المثيرة.

### فما هي ذكريات خبير؟

إنها ذكريات أمير المؤمنين ﷺ. خبير هي المعركة الفاصلة والحاسمة التي اجتثت وجود اليهود من جزيرة العرب، لأن اليهود كان لهم وجودٌ سيئٌ، كانوا بؤرة خيانيةٍ وتواطؤٍ وإيذاءٍ للمسلمين، بل وقبل الإسلام كان اليهود في يثرب منطلق تآمرٍ وإيذاءٍ في الجانب الاقتصادي والاجتماعي، كانوا يحاولون السيطرة على اقتصاد المدينة وذلك بزرع الفتن بين الأوس والخزرج. وحينما جاء الإسلام واصل اليهود دورهم التآمري ضد الإسلام، وخاض المسلمون معهم عدة معارك، حتى انتهى المطاف إلى تجمع اليهود، يهود بني قينقاع ويهود بني قريضة، كلها في خبير، فأصبحت خبير هي بؤرة الخطر على الإسلام والمسلمين؛ كما يتجمع شرادمة اليهود في فلسطين. كان لهم حصنٌ منيعٌ، وكانت أبوابه قوية ويصعب اقتلاعها، حتى أن بعض الروايات تشير إلى أن الباب من حصن خبير

يحتاج إلى أربعين رجلاً ليُفتح.

جاء المسلمون بقيادة رسول الله ﷺ وحاصروا حصن خيبر، وكما قلنا: فكل قوى اليهود وثقلهم في ذلك الحصن. والمسلمون يريدون اجتثاث هذا الخطر، لأنهم ما عادوا يتحملون وجود اليهود بين ظهرانيهم.

بعث الرسول الأعظم ﷺ في اليوم الأول فرقة بقيادة الخليفة أبو بكر، لكن اليهود كانوا مستبسلين يدافعون عن حصنهم بكل قوة، ويرشقون كل من يقترب من أبواب الحصن بالنبال، ويفتحون بعض أبواب الحصن لتخرج منه حممٌ وبراكينٌ من السلاح والنيران، بعد مقاومةٍ عنيفةٍ عاد الخليفة أبو بكر ولم يستطع فتح الحصن. فأرسل رسول الله ﷺ فرقةً ثانيةً بقيادة الخليفة عمر بن الخطاب، فذهب بجيش المسلمين وحاولوا فتح ذلك الحصن، ولكن مقاومة اليهود كانت شديدةً وضاريةً فعاد الخليفة عمر بن الخطاب كذلك ولم يستطع فتح الحصن. عند ذلك قال رسول الله ﷺ: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يُحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، وهذه الرواية موجودة في صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم ٤٢١٠. فبات المسلمون تلك الليلة وكل واحدٍ يتمنى أن يكون هو، وما أصبح الصباح إلا والمسلمون يتسابقون نحو رسول الله ﷺ وكلٌ يتمنى أن يُعطاهما، تفحص رسول الله ﷺ وجوه القوم يمنةً ويسرى، وكلما مرَّ نظره على وجه أحدهم انشرح صدره كأنه هو صاحب الراية والوسام، ولكن الرسول الأكرم ﷺ تجاوز كل الوجوه التي أمامه بعد أن تصفحها جميعاً، وتساءل أين علي بن أبي طالب ﷺ؟ تعجبوا جميعاً، لأن علياً ﷺ مريضٌ، يشكو من رمد في عينه فلا يكاد يبصر الطريق حتى يسير، والذي يجب أن يقود الجيش لا يمكن أن يكون أعمى يُقاد.

فقالوا: يا رسول الله عليٌ مريضٌ.

فقال ﷺ: ادعوا لي علياً.

فقالوا: يا رسول الله إنه أرمد العين لا يبصر الطريق.

فقال ﷺ: ادعوا لي علياً.

فجاءوا بعليٍّ يُقاد.

فقال الرسول الأكرم ﷺ: يا علي ما بك؟

فقال علي ﷺ: لقد أصابني رمدٌ في عيني وما عدتُ أستطيع أن أفتحها، فأخذ النبي ﷺ شيئاً من ريقه، لأن المسألة تحتاج إلى تدخلٍ غيبي وإعجازي من الله بشكل مباشر فمستقبل الإسلام وكرامته في خطر، مسح رسول الله ﷺ بيده المباركة على عين عليّ ﷺ فعادت كأن لم يكن بها شيء. التفت الرسول ﷺ والمسلمون كلهم يترقبون، كلهم في لحظة ترقب وانتظار. والحالة تشبه تماماً المتسابقون الذين ينتظرون إعلان نتائج السباق والحصول على الجائزة الكبرى، فتجد أن جميع الحاضرين تشخص أبصارهم نحو الجائزة، والكل يتمنى أن يفوز بها. وإذا بالرسول ﷺ يقول: تقدم يا علي وخذ الراية، فتقدم علي بن أبي طالب ﷺ وأخذ الراية وتمكن من أن يفتح ويقلع باب خيبر ويجتث تلك القوة ويُنزل بها تلك الهزيمة النكراء، فخرجت اليهود من جزيرة العرب ببركة بطولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

يا علي المسلمون الآن يستعيدون ذكريات بطولاتك وشجاعتك، فأنت من استطاع أن يُخرج اليهود ويُريح الإسلام والمسلمين من شرِّهم، ولذا نجد أن جموع المسلمين يهتفون في مسيراتهم ومظاهراتهم ضد اليهود باسم خيبر، وخيبر تعني بطولتك يا أمير المؤمنين.

وبالفعل رأى العالم كله كيف أن بطولة علي ﷺ وشجاعته حينما تجلّت

وأشرفت في نفوس أبناء علي عليه السلام في جنوب لبنان، كيف أن النصر والفتح قد تحقق. ونرجو أن تتجلى وتشرق وتظهر هذه البطولة والشجاعة والروح، روح علي عليه السلام، في أراضي فلسطين. وهذه الانتفاضة الصامدة في أراضي فلسطين هي بداية هذه الروح والبطولة إن شاء الله تعالى.

ورغم التضحيات والمعاناة التي يعانها أبناء فلسطين من رجال ونساء وأطفال، ولكن الحرية والكرامة لا تُعطى إلا بالتضحية والعطاء والفداء، وبروح علي عليه السلام وشجاعته وبطولته التي تجلت في خبير وتجلت في جنوب لبنان، وستجلى إن شاء الله في فلسطين، وإن شاء الله تعود هذه الذكرى علينا وقد تحرر المسجد الأقصى من دنس اليهود، فنحن جميعاً نتطلع ونفوسنا تترقب لتحقيق النصر ضد هؤلاء الصهاينة الغزاة، وعلى يد الشباب المؤمن الذي تيقظت في نفسه بطولة أمير المؤمنين عليه السلام.

نسأل الله أن يبارك لنا ولكم ولجميع المسلمين والمسلمات هذه الذكريات العظيمة والمباركة، ونسأله تعالى أن يعيدها علينا وعلى المسلمين والجميع ينعم بالخير والانتصار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.



## المحتويات

٧.....	تقديم
٢٣ .....	أول الحديث .....
٣١ .....	المناسبات الدينية والقدوة الرسالية .....
٣٤ .....	التبشير بالقيم: .....
٣٤ .....	التجسيد الحي: .....
٣٥ .....	للَّه الحجة البالغة: .....
٣٦ .....	التفاصيل والمنعطفات: .....
٣٧ .....	الأنبياء والأئمة: .....
٣٨ .....	القدوات الزائفة: .....
٣٩ .....	المناسبات الدينية: .....
٤٠ .....	تطوير الوسائل: .....
٤٣ .....	خطر العداوة .....
٤٥ .....	الأول: البعد المادي: .....
٤٥ .....	الثاني: البعد النفسي: .....
٤٦ .....	التودد إلى الناس: .....
٤٧ .....	العداوة ومضارها: .....
٤٨ .....	عذاب النفس: .....
٤٩ .....	استهلاك الجهد: .....

٥٠	مرمى السهام:
٥١	الوقوع في الحرام:
٥٣	إضعاف المجتمع:
٥٥	أسباب العداوات
٥٨	نظريات بيولوجية:
٥٩	نظريات سيكولوجية:
٦٠	نظرية التعلم الاجتماعي:
٦٢	تضارب المصالح:
٦٣	عداوات الأقارب:
٦٥	الإمام الحسن ورعاية الفقراء
٦٧	ظروف تنتج الفقر:
٧٠	رعاية الإمام:
٧٣	إخراج الفقراء من الفقر:
٧٦	المطلوب: كفاية الفقير
٧٩	ثورة الحسين وثروة المعرفة
٨٢	التأثير الفكري والثقافي:
٨٣	على الصعيد الديني:
٨٤	على المستوى السياسي:
٨٥	في الجانب الاجتماعي:
٨٥	المعارف الحسينية:
٨٧	التنظيم والتحقيق:
٨٩	الإنجاز الرائع:
٩٠	المعاضدة والدعم:
٩٣	الشباب: أسرع إلى كل خير

- الشباب طليعة المؤمنين: ..... ٩٦
- في لبنان - انتصر شباب الإسلام: ..... ٩٨
- دوافع التدين عند الشباب: ..... ٩٩
- المسؤولية تجاه الشباب: ..... ١٠١
- زكاة العلم..... ١٠٥**
- لكل شيء زكاة: ..... ١٠٨
- بذل العلم: ..... ١١٠
- التدريس والتعليم: ..... ١١١
- الكتابة والتأليف: ..... ١١٢
- الخطابة: ..... ١١٤
- اختلاف الرأي لا يوجب العداوة..... ١١٧**
- الرأي: شأن خاص ..... ١١٩
- اجعل نفسك ميزاناً: ..... ١٢٢
- احتمال الخطأ والصواب: ..... ١٢٣
- تفهم مواقف الآخرين: ..... ١٢٥
- مسؤولية الرأي على صاحبه: ..... ١٢٧
- العداوة تمنع التأثير: ..... ١٢٩
- منهج الإسلام وسيرة السلف: ..... ١٣١
- التحاسد نتاج وتكريس للتخلف..... ١٣٧**
- التنافس الإيجابي: ..... ١٤٠
- الاقتراب من الناجحين: ..... ١٤١
- الحسد عدوان بلا مبرر: ..... ١٤٢
- آفاق التقدم: ..... ١٤٤
- غضب على القدر: ..... ١٤٥

١٤٥	تحطيم للذات:
١٤٦	أعراض اجتماعية:
١٤٩	حركة الوعي والثقافة في المجتمع
١٥٢	الثقافة والوعي في حياة الإنسان:
١٥٤	الوعي الديني:
١٥٦	رؤية الدين:
١٥٧	التثقيف الذاتي:
١٥٩	الحركة الثقافية:
١٦٠	إمكانات ومقومات:
١٦٣	مشاكل الحياة بين الانفعال والاستيعاب
١٦٧	التشنج والانفعال:
١٦٨	مظاهر وأعراض:
١٦٩	الحماس للهدم دون البناء:
١٧١	البحث عن الأخطاء:
١٧٢	القسوة في ردة الفعل:
١٧٣	أسباب وخلفيات:
١٧٤	منهجية الاستيعاب:
١٧٧	إرادة العمل
١٨٠	وفرة الإمكانيات:
١٨٣	فرص العمل:
١٨٤	سؤال يفرض نفسه:
١٨٥	مسؤولية التربية:
١٨٧	دور الثقافة:
١٩١	واقع الإنسان بين الأمل والعمل

الآمال والتطلعات:	١٩٣
الأفكار والمعتقدات:	١٩٥
الأعمال والسلوك:	١٩٨
أعداؤنا عبرة لنا:	١٩٩
<b>العمل: عز وقوة</b>	<b>٢٠٣</b>
العمل مصدر قوة:	٢٠٧
العمل في حياة الأنبياء والأئمة:	٢٠٨
فلسفة العمل:	٢١١
<b>إتقان العمل</b>	<b>٢١٥</b>
مقاييس الجودة والإتقان:	٢١٩
كيف نتعامل مع العمل؟	٢٢١
ضعف الرغبة والإخلاص:	٢٢١
ضعف الوعي الاجتماعي والوطني:	٢٢٣
غياب المحفزات:	٢٢٣
انعدام الرقابة والتقويم:	٢٢٤
ثقافة الإتقان:	٢٢٥
تربية الأحكام والتعاليم:	٢٢٦
النماذج والقذوات:	٢٢٧
<b>احترام مشاعر الناس</b>	<b>٢٢٩</b>
التخاطب مع الناس:	٢٣٣
الكلام الجارح:	٢٣٦
حسن الاستقبال والتعامل:	٢٤٠
<b>احترام الناس من أهم العبادات</b>	<b>٢٤٣</b>
الإساءة إلى الغير ظلم عظيم:	٢٤٦

٢٤٨	..... ممارسات خاطئة:
٢٤٩	..... بين حقوق الله وحقوق الناس:
٢٥٣	..... الرسول القدوة:
٢٥٧	..... الهروب من العداوات
٢٦٢	..... ضبط الانفعالات:
٢٦٥	..... أخلاق أئمة الهدى:
٢٦٧	..... عز الحلم وذل الانفعال:
٢٦٩	..... المعلم: أقدس مهنة وأخطر دور
٢٧٢	..... بين المهنة والرسالة:
٢٧٣	..... الإخلاص وإتقان العمل:
٢٧٥	..... الدور التربوي:
٢٧٧	..... الرعاية النفسية:
٢٨١	..... الاعتذار من الخطأ سلوك حضاري
٢٨٣	..... اتهام الذات قبل الآخرين:
٢٨٧	..... خلفيات الامتناع:
٢٩٠	..... قبول الاعتذار:
٢٩٢	..... أخلاقيات التحضر:
٢٩٣	..... صور ونماذج:
٢٩٧	..... بناتنا في طريق العلم
٣٠٠	..... نساء رائدات:
٣٠٢	..... الإقبال على التعليم:
٣٠٣	..... تحديات الاغتراب:
٣٠٦	..... إشراف العائلة:
٣٠٧	..... إلى إدارة المجمّعات:

٣٠٩	الوظيفة خدمة وأمانة.....
٣١١	حسن الاختيار: .....
٣١٢	الرقابة والإشراف: .....
٣١٥	الموظف وتحدي المسؤولية: .....
٣١٨	الموظف وأخلاق التعامل: .....
٣١٩	الإتقان والإخلاص في العمل: .....
٣٢١	حماية السلم الاجتماعي .....
٣٢٥	إصلاح ذات البين: .....
٣٢٦	أفضل دور وخير عمل: .....
٣٢٩	الدور المفقود: .....
٣٣٥	الارتياب مدخل إلى العداوة .....
٣٣٨	الارتياب كمسلك: .....
٣٤٠	الاستغراق في الإرتياب: .....
٣٤٣	الانطلاق من سوء الظن: .....
٣٤٤	أصالة الصحة: .....
٣٤٦	الانفتاح و المصارحة: .....
٣٤٩	المواجهة مع اليهود .....
٣٥٣	في مواجهة الإسلام: .....
٣٥٥	سياسة القوة والردع: .....
٣٥٨	العدوان الصهيوني: .....
٣٥٩	انتفاضة الأقصى: .....
٣٦١	عصر الكرامة: .....
٣٦٣	القدس .. الأمانة .....
٣٦٦	مهد الرسالات والأنبياء: .....

آيات في فضل القدس:	٣٦٧
المسجد الأقصى:	٣٦٩
الفتح الإسلامي للقدس:	٣٧٠
العدوان اليهودي الصهيوني:	٣٧١
أمانة المسلمين:	٣٧٣
القمة العربية أمام التحدي:	٣٧٤
نحو وعي تربوي	٣٧٧
الأولاد امتداد للذات:	٣٨٠
الرعاية الشاملة:	٣٨٢
الوعي التربوي:	٣٨٣
كيف نفهم أطفالنا؟:	٣٨٥
الأطفال نعمة وأمانة:	٣٨٨
بين الحقوق والواجبات	٣٨٩
الحقوق متوازية:	٣٩٢
الواجبات أولاً:	٣٩٤
محورية الذات:	٣٩٥
نحو وعي حقوقي:	٣٩٦
الإمام المهدي وبشائر الأمل	٤٠١
إحياء قضية المهدي:	٤٠٥
عولمة الظلم:	٤٠٧
انبعاث الإسلام:	٤٠٨
التوجه لأهل البيت:	٤٠٩
العمل التطوعي في خدمة المجتمع	٤١٣
أسباب العزوف:	٤١٦

- التائج والمكاسب: ..... ٤١٨
- التطوع ظاهرة إنسانية: ..... ٤٢٠
- حال مؤسساتنا الخيرية: ..... ٤٢٣
- أعذار ومبررات: ..... ٤٢٤
- الآخر المخالف: كيف ننظر إليه؟** ..... ٤٢٧
- بين العقائد والمعتقدين: ..... ٤٣٠
- هل كل مخالف في النار؟ ..... ٤٣٢
- ليس كل مخالف جاحداً ..... ٤٣٣
- المستضعفون فكراً: ..... ٤٣٥
- سعة رحمة الله: ..... ٤٣٧
- منهج الأنبياء والأئمة: ..... ٤٣٩
- الاستهلاك وعادات الإسراف** ..... ٤٤١
- أرقام ودلالات: ..... ٤٤٤
- بين الإنتاج والاستهلاك: ..... ٤٤٧
- التخطيط في الإنفاق: ..... ٤٤٨
- عادات الإسراف والتبذير: ..... ٤٤٩
- دعوة إلى الترشيد: ..... ٤٥٢
- شمس الدين مدرسة في الاجتهاد والجهاد** ..... ٤٥٥
- مكونات شخصيته العلمية: ..... ٤٥٨
- ملامح مدرسته الاجتهادية: ..... ٤٦١
- ضوابط التجديد: ..... ٤٦٤
- مدرسة ومنهج: ..... ٤٦٥
- شمس الدين ونهجه في الجهاد** ..... ٤٦٧
- الجهاد فريضة وضرورة: ..... ٤٧٠

٤٧٣	.....	الجهاد في ميدان العلم:
٤٧٧	.....	في ساحة العمل السياسي:
٤٧٨	.....	المشكل الطائفي:
٤٨١	.....	المبادرة واستباق الخيرات
٤٨٤	.....	في القرآن الكريم:
٤٨٦	.....	الأوائل:
٤٨٨	.....	شخصية المبادر:
٤٨٩	.....	اغتنام الفرص:
٤٩١	.....	مجتمع المبادرات:
٤٩٥	.....	العوائق بين الإحباط والفاعلية
٤٩٧	.....	الاستسلام:
٤٩٧	.....	الانفعال النفسي:
٤٩٨	.....	الإحباط:
٤٩٩	.....	الإحباط دافع للعدوان:
٥٠١	.....	الإحباط قنوط من رحمة الله:
٥٠٢	.....	الفاعلية:
٥٠٣	.....	الالتفاف على العائق:
٥٠٦	.....	مجتمعات تتحدى العوائق:
٥٠٩	.....	رعاية الطفل
٥١٢	.....	مآسي الطفولة المعاصرة:
٥١٣	.....	أرقام وحقائق مذهلة:
٥١٦	.....	الطفل ريحانة وأمانة:
٥١٨	.....	رضاع الطفل:
٥٢١	.....	حضانة الطفل:

٥٢٣	الحج والتربية الاجتماعية
٥٢٦	إدارة الحملة:
٥٢٨	الإرشاد الديني:
٥٣١	أخلاقيات الحاج:
٥٣٢	التوجه للأهداف المقدسة:
٥٣٣	التعامل بين الحجيج:
٥٣٥	المجتمع واليتيم
٥٣٨	كيف يفكر اليتيم؟
٥٤٠	مسؤولية المجتمع:
٥٤٢	الولاية على اليتيم:
٥٤٣	أموال اليتيم:
٥٤٥	لجان كافل اليتيم:
٥٤٥	تقدير وتذكير:
٥٤٩	صور من حياة الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>
٥٥١	عطاء زاخر في عمر قصير:
٥٥٢	إمامته:
٥٥٤	التفوق العلمي:
٥٥٧	كرمه وجوده:
٥٥٧	ومن شواهد جوده التي نقلها التاريخ:
٥٥٨	هدي وإرشاد:
٥٦١	كتابات
٥٦٣	تقديم لديوان (الغروب)
٥٦٥	تقديم كتاب (الشرف الرفيع في الصلاة على الشفيع)
٥٦٩	العنوسة: المشكلة والحل

٥٧٠	الدين الإسلامي والزواج:
٥٧٣	الزواج مسؤولية من؟
٥٧٥	العنوسة ومسؤولية المجتمع:
٥٧٦	ارتباط التعليم بالزواج:
٥٧٨	وختاماً:
٥٨١	إلى شبابنا الأعزاء أمل الوطن ورجال المستقبل
٥٨٣	تقديم ديوان (رعدة الحروف الثملة)
٥٨٧	بيان حول انتصار المقاومة في الجنوب اللبناني
٥٨٩	تقديم كتاب (العودة إلى القرآن)
٥٩٥	تقديم ديوان (المدائح المنظومة ج ١١)
٥٩٩	بيان حول انتفاضة الأقصى
٦٠١	تقديم كتاب (صلاة الجماعة الطموحات والمعوقات)
٦٠٥	تقديم كتاب (سياحة في الدعاء والمناجاة)
٦٠٩	تقديم كتاب (الكتاب في فكر الإمام الشيرازي)
٦١٥	الانحراف: أسباب وحلول
٦١٦	أولاً: الخواء الروحي:
٦١٧	ثانياً: ضعف التوعية والتثقيف:
٦١٨	ثالثاً: الاحتواء والاستيعاب:
٦٢١	تقديم لتقرير مؤسسة الأعمال الخيرية بحلة محيش
٦٢٥	مقابلات
٦٢٧	الشيخ الصفار وحديث عن الشباب
٦٣٥	ندوات

- ٦٣٧.....قطوف من المهرجانات الولائية
- ٦٤٥.....التزويج مسؤولية من؟
- ٦٥٥.....في ميلاد أمير المؤمنين.....
- ٦٥٥.....١ - الالتزام بخط أهل البيت عليهم السلام:
- ٦٥٦.....٢ - كيف ننقل ونوصل هذه الأمانة إلى الأجيال المقبلة:
- ٦٦٠.....ذكريات علي عليه السلام تتجدد في يوم الميلاد:

